الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique

جامعة وهران
Université d'Oran

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة وهـــران.

كلية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلامية.

قسم الحضارة الإسلامية.

عنوان البحث:

أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني.

بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية.

من إعداد: فلاح خير الدين

تحت إشراف أ / د : زمراط محمد

السنة الجامعية

(1434هـ - 1435هـ) / (2013م - 2014م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة وهـــران.
كلية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلامية.
قسم الحضارة الإسلامية.

عنوان البحث.

أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني.

بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة و الدراسات القرآنية.

من إعــداد: فلاح خير الدين
تحت إشراف أ / د : زمراط محمد

السنة الجامعية

(1434هـ - 1435هـ) / (2013م - 2014م)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و ذكر

أحمده سبحانه وتعالى حمدا كثيرا يليق بكماله، و أشكره جلّ و علا شكرا كبيرا يليق بجلاله، و أثني عليه عزّ وجلّ ثناء يليق بجماله ،ثمّ أصلّي و أسلّم على سيّد الخلق و حبيب الحق، ثمّ أمتثل وصيّته بأهل الفضل إذ يقول :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1] ،وقوله كذلك :"من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتّى تروا أنّكم قد كافأتموه"[2] فأشكر:

* المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور: زعراط محمد الذي فتح لي أبواب صدره، وصرف لي من نفيس وقته، وغمرني بحسن توجيهه، فـ

له أيـادٍ عليّ سابقة   أعدُّ منها و لا أعدّدُها

يمطلني فلا مطله يكدّرها   بها و لا منُّه ينكّدها

* أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الدكاترة الأفاضل على عظيم صبرهم، و كريم حضورهم، و جميل نقدهم، فلهم منّي:

و ما كان شكري وافيا بنوالكم   و لكنّني حاولت في الجهد مذهبا.

أفادتكم النعماء منّي ثلاثة   يدي و لساني و الضمير المحجّبا.

* كل مسلم قدّم لي نصيحة حقّ خالصة ، أو دعوة خير صالحة ،أو صحيفة حكمة نافعة.

---

[1] حديث صحيح رواه أبو داود، السنن، حديث رقم 4177،ج2، ص555 ،و الترمذي،الجامع الصحيح،كتاب البر والصلة ، رقم الحديث 1877،ج3،ص 228 ، أحمد بن حنبل، المسند، كتاب باقي مسند المكثرين ،رقم الحديث: 7598. انظر الألباني، السلسلة الصحيحة ،بيروت، المكتب الاسلامي، ط1405/4هـ-1985م،ج1،ص:702، رقم:416.

[2] أبو داود، السنن، ج1، ص: 389.

إهداء خاص

إلى من أوصى الله جلّ و علا ببرّهما و الإحسان إليهما فقال سبحانه:

" وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرا "

إلى والدتي الحبيبة:

قدّس الله برحمته روحها، و وسّع بنور فضله ضريحها، و جعل أجر رسالتي ذخرا لها، و صيّر الفردوس مع الحبيب دارا لها.

إلى والدي العزيز:

بارك الله تعالى في عمره، ورعاه في الدنيا بحفظه، وأكرمه في الآخرة بجنانه و النظر إلى وجهه.

إلى إخوتي و أخواتي الأفاضل.

نوّر الله قلوبهم بالإيمان ،و شرح صدورهم بالإسلام ،و أكرمهم بالإحسان

إلى زوجتي الفاضلة أمّ محمد.

أحسن الله إليها بجميل فضله، و ثبّتها على الحق بنور كتابه.

إلى فلذات كبدي:

خديجة الطاهرة و فاطمة الزهراء و محمد الفاتح ياسين.

طهّر الله تعالى بالقرآن نفوسهم ،و أنار بالسّنّة سيرتهم، و فتح بهم قلوب العباد و آفاق البلاد. ....أهدي باكورة جهدي

إهداء عام

إلى من أقام الله بهم الدنيا و الدين

العلماء و الشهداء

إلى أهل الشهادة على الخلق بالعلم:

إلى

كلِّ مَنْ استلَّ قلم الحقّ فشقَّ به صفحة الخرق، و تحدّى بنور آيات التنزيل أساطير رقّ الأباطيل.

إلى أهل الشهادة على الخلق بالدم:

إلى

كلّ من نازل الباطل بالسيف فدمغه، و اجتثّ الضلال من أصله فبدّده،

و انتصر للقرآن الكريم فحكّمه.

المقدمة

و فيها العناصر التالية:

- أهمية الموضوع و مقاصده.
- دوافع البحث و أسبابه.
- إشكالية البحث و فرضياته.
- منهج البحث و أدواته.
- صعوبات البحث.
- خطّة البحث.

المقدّمة: [3]

إنّ الحمد لله تعالى نحمده ، و نستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له ،و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.

قال الله تعالى: " يَآ أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ، وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ."[4] و قال سبحانه:" يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الذِّي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً، وَاتَّقُواْ اللهَ الذِّي تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً." [5]،و قال جلّ و علا:" يَآ أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمُۥ أَعْمَالَكُمْ ،وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً."[6]

إنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، و خير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه و سلم، و شرّ الأمور محدثاتها، و كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة في النار، اللهمّ صلّ على محمّد و على آل محمّد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم و بارك على محمّد و على آل محمّد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد أمّا بعد:

---

[3] – اعتمدت في ترتيب عناصر المقدمة على:

– محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، بيروت، دار الشروق، ط83/4.

– Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, 10e édition, dalloz, paris, 1996.

– أحمد بن مرسلي، أساليب تحليل المضمون في المعالجة التوثيقية، المجلة الجزائرية للاتصال، عدد17، السداسي الأول 1998 مجلة يصدرها معهد العلوم والاتصال بالجزائر العاصمة ، ص: 108 .

– محمد عبد المجيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

– أحمد بدر، مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي، القاهرة، دار قبا "عبده غريب"، 1998.

– -أحمد عبد الكريم سلامة ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية ،ط 1997 ،دار الإيمان، القاهر ة، ص108

[4] – آل عمران،الآية 102

[5] – النساء ،الآية 1

[6] – الأحزاب،الآية 70 ، 71

لقد منّ الله على الأمّة الإسلامية بنعمتين عظيمتين؛ نعمة القران الكريم ،ونعمة بعثة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:" لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنَ انفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمُ آيَاتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ."[7]

إنّ أعظم ما بذلت فيه الجهود ،وأنفقت فيه الأوقات ،وأفنيت فيه الأعمار ،فهم القرآن الكريم؛ ذلك لأنّه مصدر الهداية وأصل السعادة ،و إنّ الإحاطة بوجوه الاختلاف في القراءات القرآنية لمن أعظم المنازل العلمية و الأدوات المعرفية في تفسير القرآن الكريم إذ به يحقّق المسلم مقصدين عظيمين:

- الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم.
- حسن العمل بأحكام التشريع العظيم.

ولو لم يكن لطالب التفسير و القراءات القرآنية إلا مجرّد العلم بهما لكفاه فخرا وعزا، فعن أبي سعيد الخدري[8]رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلّم قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ،وغشيتهم الرحمة ،ونزلت عليهم السكينة ،وذكرهم الله فيمن عنده."[9]

ولقد تفرّد الصحابة رضوان الله عنهم بسهم السبق في إدراك لطائف الفهم ،والإحاطة بمقاصد الشرع ،و حسن استنباط أسرار التنزيل، ولقد تفاوتت درجاهم في ذلك ،فتباينت مراتبهم ،فمنهم من تورّع عن التفسير فما روى ،و منهم من جمعه و له انبرى ،و منهم من تبحّر فيه فكان ترجمان القرآن في الورى ،فزكّاهم في القرآن جلّ و علا، و عدّهم في السنة الحبيب المصطفى،[10] فقد روى ابن عبد البر عن قتادة [11] في قوله

---

[7] – سورة آل عمران، الآية: **164**.

[8] – أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك الأنصاري، من أعيان الصحابة و فقهائهم ، روى عنه خلق كثير، شهد الخندق وبيعة الرضوان ومات سنة **74**هـ. انظر محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط**1**، **1349**هــ، ج**1**، ص **46** ،و أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق علي الميس، بيروت، دار القلم، ج**1**، ص: **33** ،و أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط**1**، **1404**هـ، ج**1**، ص: **21**.

[9] – رواه الإمام مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، ط **1401**هـ **1981**م، ج**9**، ص: **22**، و رواه كذلك في كتاب البر والصلة والآداب، رقم **4645** ،وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم: **4867**– رواه أبو داود، كتاب الصلاة رقم: **1243** – وابن ماجة القزويني في الحدود، رقم: **2534**. انظر الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط**1408/3**هـ–**1988**م، ج**2**، ص**317** الدارمي في المقدمة، رقم: **348** و أحمد في المسند، رقم: **8906** و رواه الترمذي، كتاب الحدود رقم: **1345**، وكتاب البر والصلة، رقم:**1853**.

[10] – روى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إنّ الله اطلع على قلوب العباد فاختار محمدا صلى الله عليه و آله وسلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه صلى الله عليه و آله وسلم، فما

تعالى:" وَيَرَى الذِّينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " [12] قال:" أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم "[13]،و قال مسروق رضي الله عنه:[14] "جالست أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله وسلم فوجدتهم كالإخاذ ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، و الإخاذ يروي المائة ،والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم."[15]

ولّما كان المقصد من نزول القرآن العمل بأحكامه وجب العلم بتفسيره ،ومن شروط ذلك العلم بوجوه القراءات القرآنية قال ابن كثير:" الواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه، وتعلُّم ذلك وتعليمه لقوله تعالى: " وَإِذَ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِّينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ " [16] "[17]،و روى الطبري عن أبي مليكة قال: "رأيت مجاهد يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: أكتب حتى سأل عن التفسير

رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح" شرح السنة البغوي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و زهير شاويش، بيروت المكتب الاسلامي ط1403/2هـــ 1983م،ج1، ص214.

11 – أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، تابعي جليل، حافظ ثقة، مفسر عالم، مات سنة 117هـــ.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المدينة المنورة مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط1، 1404هـــ، ج1، ص: 286 – أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط 1408هـــ، ج1، ص: 216 – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـــ، ج2، ص: 335 – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب سوريا، دار الوعي، ، ط1، 1397هـــ–1977م.

12 – سورة سبأ، الآية: 06.

13 – ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، لبنان، دار الكتب العلمية، ،ج2، ص:29.

14 – أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني، الفقيه العالم، العابد الزاهد، تابعي ثقة، شهد القادسية واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة 62هـــ ودفن بواسط . محمد بن طاهر القيسراني ، تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الرياض السعودية، دار الصميعي،ط1، 1415هـــ، ج1، ص: 49 و أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم اليستوي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، السعودية،ط1، 1415هـــ–1985م، ج2، ص: 273.

15 – أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت لبنان، دار صادر،ج2، ص 343 ،و أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي، بيروت دار المعرفة ، ط2، 1399هـــ 1979م، ج1، ص: 403.

16 – سورة آل عمران، الآية: 187.

17 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن الهادي الوادعي، ط/ 1414 هـــ 1993م، ج1 ص: 06

كلّه"[18]،و لقد تفانى السلف الصالح في طلب فهم القرآن فكابدوه ،ثمّ استطعموا حلاوته فتلذّذوه ،قال مجاهد[19]: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"[20]،وعلى هذا فإنّ كمال فهم القرآن لا يقوم إلا على أساس التفسير الذي روعي فيه حقيقة التغاير بين القراءات القرآنية قال إياس ابن معاوية[21]:" مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم بتفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه."[22]

- أهمية الموضوع و مقاصده:

إنّ أعظم مشقة على الباحث في ميدان الدراسات القرآنية أن يلج بحرا عميقا من التراث العظيم الذي يتجه جلّه لخدمة النص القرآني ،لكنّ بوادر التيسير تظهر حينما يخلص العمل لله وحده ،وتصدق النية في الطلب، و تتعيّن قواعد العلم ،وتتجسّد أدوات البحث، وتتأكد العزيمة على النجاح ،فعندئذ تهون المصاعب وتتذلّل العقبات، ويتّسع الأفق للمقصد المنشود قال ابن الجزري رحمه الله:" وينبغي لمن أراد التصنيف أن يبدأ بما يعّم النفع به، وتكثر الحاجة إليه بعد تصحيح النية، والأوْلى أن يكون شيئا لم يسبق إلى مثله، وليحذر ما

---

18 – ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، بيروت لبنان، دار الفكر، ط/1415هـ 1995م، ج1، ص: 90.

19 – أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تابعي جليل، عالم مفسر، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، أما تفسيرا فثلاث، ولد سنة 21هـ، ومات سنة 104هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص 208 و محمد بن طاهر القيسراني، تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 92 و أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت لبنان، دار الكتب العليمية، ، ط1، 1403هـ، ج1، ص: 42 و محمد ابن حبان التميمي أبو حاتم، مشاهير علماء الأمصار، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ، ط 1959م، ج1، ص: 82 و أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الحوت، بيروت، لبنان دار الكتب الثقافية، ، ط1، 1985م، ج2، ص: 246.

20 – ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ–2001م، ص: 112.

21 – أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة ، التابعي الثقة، العالم القاضي، سمع من أنس بن مالك، روى عنه شعبة وحماد بن سلمة وخلف. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج2، ص: 133 – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الأسماء والكنى، ج1، ص: 871 – أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، ج1، ص: 95.

22 – ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة/1404هـ–1984م، ج1، ص:04.

استطاع، وليحسن الثناء على من يذكره من الأئمة والشيوخ "[23]،و لقد فكّرت ثمّ نظرت فاخترت موضوعا يخدم القرآن الكريم و قراءاته من حيث الدفاع عن تنزيله خاصة عند اختلاف وجوه قراءاته، و عن تأويله بالدلالة على صحة فهمه عند البحث عن وجوه إعجازه ،فسمّيته بـــ:

"**أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني**." ، ثمّ رجوت أن تتجلّى أهميته في أنّه:

①- يعالج قضية عظيمة أصل نشأتها حقيقة التدافع بين الحق و الباطل و هو القرآن و أساس ظهورها بيان صدق رسالة التوحيد و هو الإعجاز القرآني.

②- يشير إلى مزيّة القراءات القرآنية ، و ضرورة تعلّمها و تعليمها ،و علاقتها بحفظ القرآن و إتقان أدائه ، و أثرها في كمال فهمه ، و سداد استنباط أحكامه ،وتحقيق مقاصده ،وحسن العمل به.

③- يظهر عظمة القرآن في استيعابه كثرة تغاير القراءات دون تعارضها، و عصمته في الدلالة على معانيها مع اختلاف وجوهها دون تناقضها.

④- يبرز سعة الشريعة الإسلامية لتغيّر الزمان و اختلاف المكان و تنوّع الإنسان في الإحاطة بمصادر التشريع و منابع المصالح في المعاش و المعاد.

⑤- يبيّن مكانة الدرس البلاغي عموما، و دوره في البحث الإعجازي القرآني على وجه الخصوص.

⑥- يوثّق العلاقة بينه و بين العلوم الشرعية عموما و بعلم التفسير خصوصا، لأنه به يحصل بيان الدلالات القرآنية، وتفصّل الأحكام الشرعية، وتزال الإشكالات المتعددة في فهم القرآن الكريم.

و يهدف البحث إلى تحقيق مقاصد متعددة أهمها:

①- الاطّلاع على تاريخ حركة البحث الإعجازي في توجيه الجهود العلمية في باب القراءات القرآنية.

② – المساهمة المتواضعة في إبراز جوانب المعرفة القرآنية في باب الإعجاز ، و القراءات القرآنية.

③ – معرفة مناهج البحث الإعجازي في ميدان التغاير القرائي.

---

[23] – أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ، ط1، 1420هـ 1999م، ص: 14.

④ – تنبيه الأمّة الإسلامية إلى أنّ كمال تدبّر القرآن و حسن التأمّل في دلالات آياته هو أول السير في طريق صحة الفهم و العلم و العمل قال تعالى:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ "[24] هذا "و لو أنّ المسلمين استقاموا على تدبّر القرآن و الاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم و آدابهم، و لما زال ملكهم و سلطانهم، و لما صاروا عالة في معايشهم و أسبابها على سواهم"[25]،فالتدبّر نعمة عظيمة[26] لأنه ثمرة " كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ "[27]،و إهمال إعمالها من أعظم المخاطر و أكبر المفاسد، فإذا رأيت تكديرا في حياتك فاعلم حقيقة ذلك في قوله: " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾"[28]

⑤ – بيان منازل حسن الفهم بالتأمّل و أنّ كمال التدبر بحسن تلاوة القرآن و عليه فإنّ ثمرة التدبر حسن استنباط وجوه الإعجاز من القرآن و أنّ ثمرة حسن التلاوة بتعلّم القراءات القرآنية قال عبد الله بن أبي الحسن الحنبلي:" كنّا قوما نصارى...وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرؤون القرآن فإذا سمعتهم أبكي فلمّا دخلت أرض الإسلام أسلمت"[29]،فإذا قعدنا عن دعوة الخلق إلى الإسلام فهل نعجز عن إسماعهم القرآن ؟ فإن إسماعهم القرآن إعجاز بالتأثير فيهم.

⑥– بيان قواعد الفهم الصحيح في توجيه وجوه التغاير القرائي لنصوص القرآن الكريم.

⑦– بيان تعلّق فهم التغاير القرائي بإدراك العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة الصادقة.

⑧– بيان الحق للخلق في أنّ القرآن الكريم " لا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلاّ إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف و تولته بالتطبيق العملي نفوس سامية و همم بعيدة كنفوسهم وهممهم أمّا انتشاره بين

---

24 – النساء **82**

25 – تفسير المنار ،رشيد رضا،ج**5** ص**241**

26 – انظر ضرورة العلم في حسن الاستنباط من خلال ما استنبطه ابن القيم من الأسرار العلمية و اللطائف التفسيرية و الوجوه الإعجازية عند تفسيره الآية **24** إلى **30** من سورة الذاريات. انظر زاد المهاجر إلى ربه ، ابن القيم ،من ص **63** إلى ص **67**

27 – سورة ص الآية **29**

28 – الرعد **11**

29 – ليدّبّروا آياته، عمر عبد الله محمد المقبل ،ط **2010** ،الرياض، السعودية ،ص **38**

المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد و الفهم السطحي و التفسير اللفظي فإنه لا يفيدهم شيئا "[30]،و هل البحث الإعجازي إلاّ مسلكا من مسالك الدعوة إلى الله تعالى لبيان صحة العقيدة الربانية و عصمة الشريعة الإسلامية ولإقامة الحجة على الناس في الدنيا و الآخرة.

⑨- الوقوف على الغاية من استنباط الملامح الإعجازية و هي بيان صدق الوحي القرآني و صحة الرسالة المحمدية و عصمة الشريعة الإسلامية ثم بيان تعيّن الهداية الربانية و سعادة الحياة الدنيوية و الأخروية ، و عليه فالبحث الإعجازي ليس مقصودا لذاته بل المقصود الأعظم منه تحقيق لازمه.

⑩- الدفاع عن القرآن بردّ جحود الملحدين، وانتحال المستشرقين المبطلين، وتأويل الجاهلين الغالين، من خلال التزود بمختلف المعارف العلمية المساعدة على فهم نصوص القرآن.

- دوافع البحث و أسبابه:

لقد قسّم العلماء المعارف الإسلامية إلى ثلاثة أقسام.[31]

①- قسم نضج و احترق ، وهو النحو والأصول.

②- قسم نضج و ما احترق ، وهو الفقه والحديث.

③- قسم لا نضج و لا احترق ، وهو البيان و التفسير.

و لما نظرت إلى موضوع الدراسة ألفيته قد تضمنته القسمة الثالثة ، فأدركته واسع النفع جليل القدر إن شاء الله تعالى ذاك لأنّ شرف الصناعة في شرف موضوعها، و عظمة منزلتها في نبل مقاصدها، و يكفي البحث أنّ موضوعه علم التفسير و حبل وجوده كلام الله تعالى ، و عليه فإنّ الدراسة تنتسب لعلمين عظيمين القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني فهما:

✍ - من أشرف العلوم على الإطلاق ، قال الله تعالى:" وَقَالَ الذِّينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَ لاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً " [32]، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "فموضوع التفسير كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل

---

30 – آثار البشير الإبراهيمي، ج4 ص 226

31 – إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص: 365.

32 – سورة الفرقان، الآية: 33.

فضيلة ، وصورة فعله إظهار خفيّات ما أودعه مترله من أسراره ، ليتدبّروا آياته ، وليتذكّر أولوا الألباب ، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها.."[33]، و قال تعالى في الإعجاز: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ "[34]

- أصلا العمل بأحكام القرآن إذ أحدهما معلق على الفهم، و ثانيهما بالتصديق، و عليه فهما الأداة الرئيسة الموصلة إلى ثمرة الاقتداء الصحيح قال ابن مسعود[35] رضي الله عنه:

" كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ."[36]

- أساس دفع الإشكال العارض و معرفة الخطاب القرآني قال مكي بن أبي طالب:" و رأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه و فهم معانيه و معرفة قراءاته و لغاته هو معرفة إعرابه و الوقوف على تصرف حركاته و سواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه مستعينا على إحكام اللفظ به مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات متفهما لما أراد الله به من عباده إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال و تظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصحّ معرفة حقيقة المراد." [37]

أمّا أسباب اختيار الموضوع، فنوعان:

أسباب عامة منها:

---

[33] – الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت ،لبنان دار الكتب العلمية،ط1، 1418هـ–1997م،ص 05

[34] – البقرة 23، 24

[35] – أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، خادم الرسول والجاهر بالقرآن، العالم المفسر، مات بالمدينة سنة 32هـ عن عمر ستين سنة. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ، بيروت، لبنان مؤسسة الرسالة ، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 32 – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 395.

[36] – ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص: 28 – البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الكتاب"، رقم: 73 – ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس، رقم: 4526 – الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس، رقم: 3760 – أبو عبد الله بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، لبنان، ، باب فضل ابن عباس، رقم: 162 – أحمد في المسند، كتاب مسند بني هاشم، رقم: 2274.

[37] – مشكل إعراب القرآن الكريم، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ج 1 ص 1

①– ابتغاء جزيل الثواب، وكمال القبول من الله عز وجل.

②– الارتباط الوثيق بين موضوع الدراسة والقرآن الكريم.

③– تحقيق كمال التوافق بين موضوع الدراستين الماجستير و الدكتوراه.

④– خدمة طلبة العلم بإضافة جديدة في توجيه التغاير القرائي بأداة البحث الإعجازي.

أمّا الأسباب الخاصة فمنها:

①– الأهمية الكبرى لموضوع الإعجاز القرآني إذ يعتبر السبب الأول في الصراع بين الحق و الباطل و مظهر التحدي الأعظم بين الوحي الربّاني و أباطيل الضلال الشيطاني، فأيقنت حينها أنّ:" من أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاما، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا، و لمعجزته ثبتا وحجّة لا سيما والجهل ممدود الرواق ،شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عفاء و دروس."[38]

②– رحابة موضوع الإعجاز القرآني و سعة آفاق البحث فيه لأن القرآن الكريم أصل إفاداته و رافد تطبيقاته.

③ – تحقيق مقصد الدراسة لأنّ الإعجاز أداة الدعوة إلى الله تعالى و ذريعة الهداية الربانية فيحصل بحسن إعمال الأداة كمال البيان و يحصل بكمال التبليغ تحقّق الهداية الربانية.

④ – أنّ البحث في تعليل التغاير القرائي و توجيه المعاني القرآنية يكوّن ملكة الإلمام بعلوم العربية و الشرعية لأنّ الباحث في هذا المجال يتطرق إلى أصوات القراءات القرآنية و طرق أدائها و إلى ميزان صرفها و قواعد نحوها و معجمها وسياقاتها و أدوات بيانها وتفسيرها.

---

[38] – إعجاز القرآن للباقلاني:22

- إشكالية البحث.

لقد لاحظت في جزئية علمية من بحث الماجستير التوظيف البارع من البخاري للقراءات القرآنية التي استشهد بها على دلالة السياق القرآني مثل ما جاء في باب [39] " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى.."[40]، فَصِرْهُنّ ؛ قطِّعهُن، فقدم قراءة " صِرْهُنَّ " بالكسر[41] التي تفيد معنى الضمّ والإمالة والقطع مع الحبس[42]،و مقدّرة بـــ:" خذ أربعة من الطير إليك فقطِّعهن" [43]،فنظرت في ترجمة الباب و إن كانت مختصرة فإنّي لحظت فيها كمال فهمه و حسن استنباطه و صدق من قال: فقه البخاري في تراجمه بل أقول: فقه البخاري و رجاحة فهمه في براعة استهلال متن تراجمه و سحر نظم أدلة استنباطه، فظهر لي بعد التأّمل في ذلك – والله أعلم-،أنه قدّم قراءة الكسر لأسرار إعجازية منها:

أ- أنّ قراءة الكسر أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة الإلهية، إذ معناها يشمل معنى قراءة الضمّ.

ب- أنّ القرينة اللفظية في قوله تعالى: " ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً"، تشير إلى أنّ الجزئية من الطير تدل على القطع، وهي قراءة الكسر، فلو كانت قراءة الضمّ لكان الخطاب -والله أعلم-:"ثمّ اجعل على كل جبل منهنّ طيرا."

ج- أنّ الآية تعالج عقيدة البعث، وقراءة الكسر أبلغ في الدلالة على قدرة الله في بعث الخلق ،فصوّرت معنى البعث المجرّد في الأذهان و نقلته إلى صورة الحسّ الحي.

---

[39] – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 201.

[40] – سورة البقرة، الآية: 260.

[41] – محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـــ- 1978م،ج1،ص102 ،و إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر المسمّى: منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات" شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي تحقيق أنس مهرة، ط 1 ، 1419هـــ1998م ،دار الكتب العلمية، لبنان ،ج1،ص450.

[42] – العكبري عبد الله بن الحسين أبو البقاء ، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط 2 ،1384 ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة ، ج1، ص: 111، و أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـــ-1994م، ج1، ص: 136.

[43] – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1394هـــ-1974م، ج1، ص: 313.

و لقد وصلت الى نتيجة أنّ اجتماع القراءات القرآنية في هذا الموضوع قد أظهر إعجاز القرآن بقوة خارقة في صورتين:

الأولى: دقّة تصوير عقيدة البعث و النشور، وهذا إعجاز غيبي ينبني عليه مقصد دعوي و تربوي.

الثانية: دقّة الدلالة على عظمة القدرة الربانية، وهذا إعجاز الألوهية ينبني عليه مقصد عقائدي.

وبعد التأمل في هذه الجزئية بأدوات النظر العلمي في فهم النصوص الشرعية اعترضتني صعوبة البيان الدقيق لصورة الإعجاز الذي تبادر إليّ من إيراد البخاري ،و منه نتجت عندي إشكالات مضمونها:

- ما حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم ؟
- كيف تُدرك هذه الحقيقة الكبرى ؟
- ماهي الأدوات العلمية التي تعين الباحث على إدراكها ؟

و بعد التعامل مع القراءات القرآنية بالبحث و التوجيه، ثم بالتحقيق و التفسير، ثم بالتدقيق و التحليل أسفر بوجهه إشكال آخر و هو:

- هل الإعجاز يتحقّق في القراءات القرآنية على وجه انفرادها أم على وجه تعدّدها ؟
- و هل مشاهد الكمال تتجسّد عند اتفاق القراءات أم عند اختلافها ؟
- و ما مستوى ذلك ؟ وكيف يتجلّى ؟

و عند استقراء نماذج التغاير القرائي وقفت على استنباط وجوه شتى للإعجاز القرآني حوت الرسالة بعضها فدوّنتها و تركت البعض الآخر خشية الإطالة و عندها ظهر إشكال حقيقته:

- هل أنواع الإعجاز محدّدة معلومة أم كثيرة متعدّدة ؟
- ما حقيقة التداخل بين صور أنواع الإعجاز ؟
- ماهي مقاصد الإعجاز عامّة ؟ و ماهي مقاصد وجوه الإعجاز على وجه الخصوص؟

- منهج البحث و أدواته.

لقد اعتمد البحث الإعجازي على مسارين من المناهج :

- الأول: عام شامل يتناول القواعد العامة للبحث و تمثّل في أصول المناهج التالية:

①– المنهج الوصفي: جمع نماذج التغاير القرائي و سردها ،ثم حرّرها بالتوثيق الدقيق من مصادرها الأصلية ،ثمّ حدّد مواضع الاختلاف بينها.

②– المنهج التحليلي: تحليل مواضع الاختلاف بين القراءات القرآنية من خلال البحث المعجمي و اللغوي – الصوتي و الصرفي و النحوي – و البلاغي و الأصولي.

③– المنهج التطبيقي: تطبيق أصول تفسير النصوص الشرعية، و توظيف قواعد تحقيق البلاغة القرآنية على نماذج التغاير القرائي من خلال التتريل لاستقراء مواضع الاختلاف في القراءات القرآنية ثم استنباط وجوه الإعجاز من القرآن الكريم.

– الثاني: خاص تفصيلي يتناول معالم منهجي في توجيه التغاير القرائي لاستنباط وجوه الإعجاز بعض أمثلتها ما يلي:

①– إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى جمعت بينهما من وجه لا يقتضي التضاد مستعينا في ذلك بفهم الصحابيّ، مثاله[44] باب:" حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ"[45]، فعن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ"، قال قلت: "أَكُذِبُوا أو كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كذّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو الظّنّ؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنّوا أنّهم قد كذّبوا؟ قالت: معاذ الله، لم يكن الرسل تظن ذلك بربّها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربّهم، وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك"، وهذا وجه من التوفيق، فالقراءة المشددة للرسل إذ تيقّنوا أن قومهم قد كذّبوهم، أما قراءة التخفيف فهي للمرسل إليهم، فقد توهموا أن الرسل قد كذّبوهم فيما أمروهم به، وعلى هذا فالظنّ في القراءة الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، وفي الثانية شكّ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.[46]

---

[44] – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 367.

[45] – سورة يوسف، الآية: 110.

[46] – أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 15-16 – مجلة منار الإسلام، العدد الأول، السنة 11 أكتوبر 1985م، ص: 26. وما ذكرته عائشة رضي الله عنها هو أجود الأقوال التفسيرية في الآية، وأحسنها في الظاهر، وأقربها إلى عقيدة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 412.

②– إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى جمعت بينهما بأن أجعل إحداهما لازم الأخرى ، مثاله[47]: قال إبراهيم النخعي رحمه الله:" أفتمارونه؟ أفتجادلونه ".ثم انقل القراءة القرآنية الأخرى: "أفتمرونه ، أفتجحدونه "[48]، فكل من جادل في إبطال شيء فقد جحده ،وكل من جحد شيئا فقد جادل في إبطاله ،و عليه فكل من القراءتين لازم للأخرى ونتيجة لها.[49]

③– إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى جمعت بينهما من خلال إرجاعهما إلى ذات واحدة، وأصل واحد ، إذ لا حرج في ذلك، بل هو أبلغ في البيان، وتكثيرا للمعاني والدلالات ،فلا مانع من أن تكون كلها مرادا لله تعالى[50]، مثاله[51]:قوله:" وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ" [52]، قال البخاريّ: "و الظنين: المتّهم، و الضنين: يضنّ به "[53]، فقد دل مجموع القراءتين على معنيين في لفظ واحد متعاضدين غير متضادين ، فالرسول صلى الله عليه و آله وسلم ليس متّهما في أن يأتي من عند نفسه بزيادة فيما أوحي إليه، أو ينقص منه شيئا ،و ليس ببخيل في بيان ما أوحي إليه بالكتمان، [54]وكذلك قوله تعالى:" كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفَرَةٌ "[55]،قال البخاري: مُسْتَنْفِرَةٌ نَافِرَةٌ مَذْعُورَةٌ "[56]،و عليه فقراءة الكسر تُحمل على معنى وقوع النفور منها فهي فاعلة ،و منه يقع لازم النفور وهو الذعر، وهو حاصل قراءة الفتح ،وقد يكون الذعر سببا للنفور ولازم عنه ،وفي الجمع بين دلالتي

47– ابن حجر، الفتح، ج8، ص605.

48 – قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء من غير ألف، وقرأ الباقون بضم التاء وبألف بعد الميم، فالأولى من مرى يمري إذا جحد، والثانية مارى يماري إذا جادل، أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص:501، العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج2، ص: 247.

49 – أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات العشر، ج2، ص: 295.

50 – محمد الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ،تونس،ج1، ص: 55.

51 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 693.

52 – سورة التكوير، الآية: 24.

53 – القراءة بالظاء لابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة وابن الزبير وابن جبير وابن محيصن واليزيدي وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ الباقون بالضاد. أحمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 592 ،و أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم ،معجم القراءات القرآنية، ط 2 ،1988 م ،دار ذات السلاسل ، الكويت ، ج8 ص: 86.

54 – أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 364 ، و السيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تصحيح أحمد شمس الدين ، ط1، 1408هـ 1988م ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2، ص: 156.

55 – سورة المدّثّر، الآية: 50. قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 348.

56 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 676.

القراءتين ترسم صورة عجيبة للنفور الشديد المخالط للذعر العظيم، وهذا تصوير فنيّ، وإعجاز قرآني، نقلت فيه المعاني النفسية إلى صور حسيّة، على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية.[57]

④– إذا اختلفت القراءتان لفظا ومعنى ذكرت الأولى مبينا دلالتها ثم أتممت كمال المعنى بالقراءة الثانية، فيستفاد من مجموع القراءتين دلالة كاملة، يؤكّدها موضوع النص القرآني ،وسبب النزول ،والسياق مثاله[58]: تفسير قوله تعالى:" إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ "[59]،قال البخاري:قال مجاهد:" تَلَقَّوْنَهُ؛ يرويه بعضكم عن بعض "،ثم روى عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ:" إِذْ تَلِقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ "[60]،و تقول:الوَلِق؛ الكذب قال ابن أبي مليكة، وكانت أعلم من غيرها بذلك، لأنه نزل فيها"[61]،فقد دلت القراءة المتواترة على معنى الرواية مطلقا، وهذا ما أشار إليه مجاهد ،ولكنّ قراءة عائشة أضافت قدرا زائدا معتبرا كمّلت به دلالة الآية، وهي الرواية الكاذبة والبهتان.

⑤– كل قراءة قرآنية احتملت دلالتها التعدد في التفسير، فموافقة الرأي التفسيري لقواعد رسم المصحف أقوى مرجح شرعي معتبر عندي مثاله[62]: باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟ وقول الله تعالى:" سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ"[63]،فحرف: "لا" في الآية على تفسيرين، أولهما: ناهية، ثانيهما: نافية ،فتقديم معنى النفي أرجح لدلالة رسم فعل" تنسى" عليه،فلو كانت لا ناهية لجزم الفعل المضارع بحذف حرف العلة، و مما يؤكد دلالة النفي ما روته عائشة رضي الله عنها قالت:" سمع رسول الله صلى الله عليه وآله سلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله،لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا

---

57 – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق، ط7، 1402هـ–1982م، ص: 242.

58 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 482.

59 – سورة النور، الآية: 15.

60 – وقراءة عائشة رضي الله عنها مشتقة من الولق وهو الاستمرار في الكذب والطعن، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1374هـ–1955م، ج10، ص: 384 – أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بيروت، الدار العربية، ط3، 1980م، ج3، ص: 657.

61 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص:472،436 – وقرأ بقراءة عائشة: ابن عباس وابن يعمر ويزيد بن عليّ. عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية، ج4، ص: 240 – مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره برجست راسر ،ط 1934 م ، دار الهجرة ، القاهرة.، ص 102.

62 – المصدر نفسه، ج9، ص: 84.

63 – سورة الأعلى، الآية: 06–07.

وكذا"، ومثاله كذلك[64]: باب الكيل على البائع والمعطي وقول الله عز وجل:" وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ " [65] يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم، فالضمير: "هم" في: "كالوهم" و "وزنوهم" فيه قولان:

الأول: يعود على الناس و بهذا فهو في موضع النصب.

الثاني: يعود على ضمير الجماعة "الواو"، وبهذا فهو في موضع الرفع مؤكد لواو الجماعة. وعليه فالمعنى الأول هو الظاهر الراجح لموافقته قاعدة الرسم العثماني ، و لتقرّره بالنظير القرآني: " يَسْمَعُونَكُمْ "[66]، قال: يسمعون لكم.

⑥- كل قراءة تواترت أو شذّت فلم تثبت قرآنيتها فإني أستشهد بها مثال القراءة المتواترة قول البخاري[67]:"وقرأ الأعمش وعاصم:" فَعَدَلَكَ " بالتخفيف، وقرأه أهل الحجاز بالتشديد.." ،و كذلك قوله[68]: "و الظنين؛ المتهم، والضنين؛ يضن به"، أمّا القراءة الشاذة عن الصحابة، فمثاله[69]: قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قال البخاري:" كالعهن ؛ كألوان العهن" وقرأ عبد الله "كالصوف"، و هناك قراءات أخرى لعمر بن الخطاب[70]،وأبيّ بن كعب[71]، وعبد الله بن عباس[72]، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين[73]، أمّا القراءة الشاذة عن التابعين فمثاله قراءة الأعمش[74] " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ اَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتُواْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً"،و قد صرّح الأعمش بقوله: "هكذا في قراءتنا"، و كذلك قراءة قتادة: " وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِلذِّكْرَى".[75]

---

[64] – ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 343.

[65] – سورة المطففين، الآية: 03.

[66] – سورة الشعراء، الآية: 72.

[67] _ ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 695.

[68] – المصدر نفسه، ص: 693.

[69] – المصدر نفسه، ج8، ص: 728.

[70] – المصدر نفسه، ص: 641.

[71] – المصدر نفسه، ص: 496.

[72] – المصدر نفسه، ج3، ص: 593.

[73] – المصدر نفسه، ج8، ص ص: 436-482.

[74] – المصدر نفسه، ج1، ص: 224.

[75] – المصدر نفسه، ج2، ص: 70.

⑦- كل قراءة متواترة استشهد بها فهي دليل مستقل بذاتها ،و قد أورد القراءة الشاذة ،و أعضدها بدليل آخر معتبر من السنة النبوية ،أو أقوال الصحابة والتابعين ،مثال ما استقل من القراءة المتواترة بذاته[76] قول البخاري: "الناخرة، والنخرة سواء.."،"و النخرة: البالية، والناخرة: العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر"، أما القراءة الشاذة فمثاله قراءة قتادة:"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى"،فقد عضدها من السنة النبوية قوله صلى الله عليه و سلم: "من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك"،و مما يقوّي دلالة القراءة قول النخعي رحمه الله: "من ترك صلاة واحدة عشرين سنة، لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة."[77]

⑧- كل قراءة قرآنية ما أوردها و أستشهد بها إلاّ:

➢ لبيان فائدة شرعية ظاهرة كترجيح حكم شرعي، مثاله ترجيح قراءة قتادة:"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى" قال البخاري: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة.[78]

➢ لبيان بقاء الحكم بنفي النسخ عنه مثاله ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" قال ابن عباس: "ليست منسوخة: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا"[79] ،فعلى قراءة ابن عباس أنّ كل من تكلّف الصوم وهو لا يقدر عليه أفطر وكفّر، وهذا الحكم باق غير منسوخ ،فوجها القراءتين "يطيقونه، ويطوّقُونه" ثابتان بحسب مدلول القرائن دون نسخ.[80]

⑨- قد أذكر القراءة القرآنية لأستدلّ بها على استنباط معين لأرجح دلالة دلّ عليها سياق النظم و الموضوع القرآني، كقوله تعالى: " فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ "[81]، فقد

---

76 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 690.

77 – المصدر نفسه، ج2، ص: 70.

78 – المصدر نفسه، ، ص: 70، ولقد رجّح بعض العلماء حكم وجوب العمرة من خلال الاستدلال بقراءة " وأتموا الحج والعمرة" بنصب العمرة على العطف و يؤكد حكم القراءة بأثر ابن عمر وابن عباس.انظر الفتح، ج3 ص: 597.

79 – المصدر نفسه، ج8، ص179.

80– المصدر نفسه، ج8، ص181. فالقراءة المتواترة "يطيقونه" حكمها لمن عجز عن الصوم أو الإطعام، أما القراءة الشاذة "يطوّقونه" فهي تفيد وجوب الإطعام على الشيخ الكبير الذي لم يقدر على الصوم.انظر صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الرياض، السعودية، أضواء السلف ط1،1418هـ 1998م ص: 364.

81 – الأعراف:20

قرأ ابن عباس و يحيى بن كثير " مِلِكين " بكسر اللام [82] ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى حكاية عن اللعين: " هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى "[83] ، واستدل بعض بالآية على أفضلية الملائكة، بقرينة عدم الإنكار على مقولة اللعين ، و ارتكب آدم عليه السلام المنهي عنه طمعا فيما أشار إليه الشيطان الرجيم من الصيرورة على وصف الملائكة ،لكنّ الراجح الدقيق أن رغبتهما كانت في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية، فأفضلية الملائكة من هذه الأوجه لا مانع منه، وإنما المنع من كل الوجوه.[84]

- صعوبات البحث.

ويمكن تلخيص الصعوبات في نقطتين:

① – جدّة الموضوع ، فإنّه لم يطرق بالدراسة تفصيلا بحيث استقصيت وجوه الإعجاز بالبحث و الجمع في دراسة واحدة.

② – صعوبة التحليل والاستقراء لسببين مهمين:

- أولهما: تعلق الدراسة بنص القرآن الكريم ممّا يوجب الإحاطة بالعلوم المساعدة على فهم و تفسير النصوص الشرعية عامة و أدوات توجيه التغاير القرائي على وجه الخصوص.
- ثانيهما: تعلّق الدراسة بأعظم موضوع و أخطره و هو الإعجاز لأنّه مناط صدق الوحي القرآني و الرسالة المحمدية، و عليه فإنّ إتقان البحث فيه يعمّم الهداية الربانية، و يقوي العقيدة الإيمانية، و يعين على الدعوة الإسلامية.

- خطّة البحث:

و تتكوّن خطّة البحث من:

الباب الأول: القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني.

الفصل الأول: القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.

---

[82] – الدر المصون، 3، 248 ، و المحرر 5، 458 ، وفتح القدير 2،195 ، والكشاف 1،543 .

[83] – معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج أبو إسحق إبراهيم بن السري ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي،ط 1 ، عالم الكتب، بيروت 1408 هـ 1988 م ، 2، 326 .

[84] – الألوسي ،روح المعاني 147،5

- القراءات في اللغة و الاصطلاح.
- القراءات القرآنية أهميتها و مقاصد الاستشهاد بها.
- تراجم القراء العشرة.
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها.
- القراءات الشاذة حقيقتها و حجّيتها.

الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.

- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية.
- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة.
- حقيقة الأحرف السبعة.
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية.

الفصل الثالث: الإعجاز القرآني حقيقته و شروطه.

- الإعجاز في اللغة و الاصطلاح.
- المعجزة في اللغة و الاصطلاح.
- شروط المعجزة.
- مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن.
- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز.
- الفروق الدلالية للفظ الإعجاز.

الفصل الرابع: الإعجاز القرآني بين التحدّي و الهداية.

- البحث الإعجازي و الهداية الربّانية.
- القرآن الكريم بين الإعجاز و الصرفة.
- الصرفة في اللغة و الاصطلاح.
- مصدر القول بفكرة الصرفة.
- الصرفة و الإعجاز دراسة و نقد.

الباب الثاني : التغاير القرائي و وجوه الإعجاز القرآني.

الفصل الأول : الإعجاز القرآني بين بلاغة الكلمات و دلالات الأصوات..

- دلالة الإعجاز الصوتي بين اللفظ و النظم.
- الدلالة الصوتيّة المطردة." الإبدال نموذجا"
- الإبدال بين الوحدات الصوتية الصغيرة.
- الإبدال مفهومه فائدته أنواعه.
- الإبدال الصوتيّ بين الصوامت – الحروف–
- الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي "التنغيم نموذجا ".
- التنغيم مفهومه درجاته مقاصده.

الفصل الثاني: الإعجاز بين نظم القرآن و بلاغته.

- التغاير القرائي و إعجاز النظم القرآني.
- النظم في اللغة و الاصطلاح .
- النظم مفهومه و مستوياته و مراحل بنائه عند الجرجاني.
- إعجاز النظم القرآني في تصوير نعيم الجنة.
- إعجاز النظم و اتّساع المعنى القرآني.
- التغاير القرائي و الإعجاز البلاغي.
- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير و مقاصده.
- الإعجاز بالتقديم والتأخير في القصص القرآني.
- الإعجاز بالتقديم والتأخير في نقض الشرك.
- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف.
- الإعجاز بالذكر و الحذف في القصص القرآني.
- الإعجاز البلاغي و الالتفات مفهومه و تاريخ البحث فيه.

الفصل الثالث: الإعجاز بين عقيدة القرآن و شريعته.

- التغاير القرائي و الإعجاز العقائدي.
- التغاير القرائي و إعجاز القدرة الإلهية:" خلق عيسى عليه السلام نموذجا"
- التغاير القرائي والإعجاز في بيان الغيب:" البعث و النشور نموذجا "
- التغاير القرائي و الإعجاز التشريعي.
- الإعجاز التشريعي مفهومه حقائقه و أسراره وخصائصه
- التغاير القرائي و تنوع الإعجاز التشريعي.
- الإعجاز التشريعي في العبادات و العلاقات الزوجية..
- الإعجاز الطبّي في العلاقات الزوجية.
- التغاير القرائي و الإعجاز المقاصدي.
- الإعجاز المقاصدي و حفظ المقاصد الضرورية." الدين و العرض و العقل نموذجا."

الفصل الرابع: الإعجاز بين تأثير القرآن و تربيته.

- التغاير القرائي و الإعجاز النفسي.
- الروح و النفس في اللغة و الاصطلاح.
- مفردة النفس في القرآن أسرار تعدّدها و لطائف معانيها.
- الإعجاز النفسي مفهومه و حقيقته و تاريخه.
- التأثير القرآني و الإعجاز النفسي.
- الإعجاز النفسي و تحليل النفس " الاستكبار الفرعوني نموجا "
- التغاير القرائي و الإعجاز التربوي. " الأخلاقي "
- التربية و الأخلاق في اللغة و الاصطلاح.
- التربية في القرآن الكريم و السنة النبوية.
- التربية في الإسلام مقاصدها و خصائصها وآثارها.
- التغاير القرائي و الإعجاز التربوي." القلب المتكبّر نموذجا "

الفصل الخامس: الإعجاز بين لغة القرآن و رسمه.

– التغاير القرائي و الإعجاز النحوي.

– ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها و بيان أهميتها.

– الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية.

– التغاير القرائي والإعجاز التصويري.

– الإعجاز التصويري و سنة التدافع:" الإعراض عن الحقّ نموذجا".

– الإعجاز التصويري خصائصه و مقاصده و اتّساع المعاني به.

– التغاير القرائي و إعجاز الرسم القرآني.

– الرسم القرآني قواعده ،و فوائده و مذاهب العلماء فيه.

– إعجاز الرسم القرآني و تصوير النعيم الأخروي.

الفصل السادس: الإعجاز العلمي قواعد و مقاصد.

– التغاير القرائي و الإعجاز العلمي.

– التفسير العلمي تعريفه و علاقته بالإعجاز العلمي.

– الإعجاز العلمي دوافع الاهتمام و ضوابط التعامل.

– الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح .

– الخاتمة.

هذا آخر ما تيسر لي إيراده و تحقيقه، و قد تركت أضعافه و الله شاهد ، و لقد علمت أني خضت بحرا غمرا عماده القرآن الكريم، و درره الإعجاز العظيم، و مركبه العلوم بأفنانها، و المعارف بألوانها، و الصناعة البلاغية بحسن إتقانها و إحكامها بعد العلم بأحكامها، و لقد اجتهدت الالتقاط مستفرغا الجهد فما على الغواص من ذنب إن أجاد الغوص و لم يصب القنص، و يكفيني رضى على بحثي المتواضع إقبالي عليه دون ملل أو إدبار في خلوات الليل و أطراف النهار باحثا عن وجوه الإعجاز بالنظر و الاعتبار قال الشاعر:[85]

و لا بدّ أن أسعـــى لأشرف رتبة   وأمنع عيني عن لذيذ منامـــي
و أقتحم الأمر الجسيـــم بحيث أن   أرى الموت خلفي تارة و أمامي

[85] – عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي، تقديم عائض القرني ،ط 1 ،2011 ،دار المنهاج، جدّة ص479

فإمّا مقاما يضرب المجدُ وسطه سرادقه أو باكيا لحِمام

و إن أنا لم أبلغ مقاما أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

و رغم أني اقتحمت الأمر الخطير فإنّي لا أدّعي فضيلة الإحسان و لا السلامة من سقط اللسان فإنّ الفاضل" السعيد من عدّت غلطاته و ما اشتدت سقطاته و كلّ إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه و يترك و هي الدنيا لا يكمل فيها شيء و لا يخلو مصنف من نشر و طي و قد صحّ عنه صلى الله عليه و سلم:" حقّ على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلاّ وضعه." ليس المعنى بوضعه إعدامه و إتلافه إنّما هو نقص فيه."[86]

هذا و إنّ الناظر في أعمال الخلق أحد ثلاثة:

متحامل ليس له إلا عين السخط تبدي المساوئ، و محبّ هائم تيّمه حبّه فيتّمه فلا يفرق بين الدرّ و البعر، و عدل منصف بين عينيه الحق يطلبه و إن خاصمه الخلق ،و النصيحة ركن الدين كما أخبر سيد المرسلين ،فلا أرتضي إلاّ منصفا أوصيه بمقولة الحكيم:

جزى الله خيرا من تأمّل صنعتي و قابل ما فيها من السهو بالعفو

و أصلح ما أخطأتُ فيه بفضله و فطنته أستغفر الله من سهوي

و الحمد لله و الشكر له سرمدا و الصلاة و السلام على محمّد أبدا.

---

86 – السخاوي

الباب الأول: القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني.

و فيه الفصول التالية:

الفصل الأول : القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.

الفصل الثاني : الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.

الفصل الثالث : الإعجاز القرآني حقيقته و شروطه.

الفصل الرابع : الإعجاز القرآني بين التحدّي و الهداية.

الفصل الأول : القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.

و فيه المباحث التالية:

- القراءات في اللغة و الاصطلاح.
- القراءات القرآنية أهميتها ومقاصد الاستشهاد بها.
- تراجم القراء العشرة.
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها.
- القراءات الشاذة حقيقتها و حجّيتها.

- القراءات القرآنية في اللغة و الاصطلاح.

- القراءات في اللغة.

القراءات جمع مؤنث سالم مفردها قراءة على وزن فعالة بكسر الفاء ، و يرجع أصل اشتقاقها إلى مادة " ق ر أ " ، و القراءة مصدر سماعي 87 لفعل قرأ يقرأ قراءة و قرآنا فهو قارئ و هم قرّاء و قارئون، و القارئ الحسن القراءة 88 ، وقرأ الشيء تتبّع كلماته، ونطق بألفاظه عن نظر أو عن حفظ 89 ، ويدلّ أصل المادة " القاف والراء والهمز" على الدلالتين الآتيتين:

1 - الجمع و الضمّ : يدل عليه فعل " قرى " بالحرف المعتل بدل الهمز قال ابن فارس "395 هـ ": " القاف و الراء و الحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على جمع و اجتماع ، من ذلك القرية ، سمّيت قرية لاجتماع الناس فيها و انضمام بعضهم لبعض ، و يقولون: قريت الماء في المقراة إذا جمعته ..و إذا همز هذا الباب أي " قرى" ليصبح " قرأ " كان هو و الأوّل سواء،90

87- الزرقاني محمد عبد العظيم ،مناهل العرفان في علوم القرآن ،1- 343

88 - الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، 1922، ج1، ص 101 ، الأزهري، تهذيب اللغة،9 -274

89 - محمد إسماعيل إبراهيم ،معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ،دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م، ص419

90- لقد فرق ابن القيم الجوزية بين المعتل و المهموز فجعل الأول مشتق من الجمع و الضم من قرى يقري، و الثاني مشتق من الظهور و الخروج على وجه التوقيت و التحديد من قرأ يقرأ فجعلهما أصلين مختلفين دفعا للتكرار. انظر ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط ،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط5 ،1407 هـ1987 ،ج5 ص635 قلت: لا يمنع من أن يكون الجمع جمعان الأول: جمع في الصدر مطلقا حفظا و تثبيتا و يشهد له قوله تعالى:" سنقرئك فلا تنسى"، والثاني: جمع بالإظهار على اللسان بلاغا و بيانا، فإن اللفظ يدل في اللغة على التبليغ عموماً ومنه فلان يقرئك السلام. انظر الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ،تحقيق محمد أبوالفضل، ط1 ،الدار المصرية للتأليف والترجمة،9 / 271 ،و محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، مادة "ق ، ر، ء " ،دار المعرفة،بيروت،ص763 ، ويشهد للمعنى قول ابن عباس رضي الله عنهما:" فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " قال:" فإذا بيناه " انظر الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1412 هـ 1992 م، ج 12،ص 341 ،و لا يحصل ذلك إلا من خلال ظهور الحروف القرآنية مجتمعة قال ابن الأثير:" تقول قرأت القرآن إذا لفظت به مجموعا أي ألقيته "، وبهذا الجمع و التوفيق يفهم قوله تعالى : " لا تحرك به لسانك لتعجل به " . انظر ابن الأثير مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر، دار الفكر،بيروت ،4 ، 30 ،و الجوهري إسماعيل بن حماد ،الصحاح ،طبعة دار العلم للملايين ،1- 64، و الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1413 هـ 1993 م ، ج5، 481 ، و لقد ردّ أبو علي الفارسي التكرار الذي تعلّل به ابن القيم بقوله :" الجمع أعمّ و القرآن أخصّ فحسن التكرير لذلك كما يجوز: أعلمت زيدا و أنذرته لأنّ الإنذار أخّص فكل منذر معلم، و ليس كل معلم منذرا كذلك قرأت و جمعت قرأت أخصّ من جمعت إذا جاز استعمال المعنى الواحد بلفظين مختلفين فأن يجوز فيها تختص فيه إحدى

و يقولون: ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، أي لم تحمل قط، و لم تضمّ رحما على ولد91 كما قال عمرو بن كلثوم :

تريك إذا دخلت على خلاء　　　و قد أمنت عيون الكاشحينا.

ذراعــي عيطل أدمــاء بكر　　　هجــان اللون لم تقرأ جنينا. 92

و من هذا المعنى فإنّ القرآن قد جمع السور و الآيات و الحروف، فيضمّ بعضها لبعض93 ، و الأحكام الشرعية 94،و قصص الأمم، و ثمرات الكتب السماوية السابقة، و علوم الأولين و الآخرين قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ "95

2 – التلاوة: قال تعالى : "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ " 96 أي جمعه و قراءته، وقوله :"فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ "[97] أي قراءته 98 قال ابن عباس:" فإذا قرأ جبريل " فاتبع قرآنه " أي: قراءته "، و المراد بالقرآن في هذا الموضع القراءة يؤكده قوله تعالى:" وقرآن الفجر"99 أي ما يقرأ في صلاة الفجر100،وقوله تعالى:"فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ

الكلمتين بمعنى ليس للأخرى أولى. " انظر الفارسي أبو علي، المسائل الحلبية ، القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، المكتبة العلمية ، بيروت ،ص **22**

91 –الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة ،مادة " قــرأ " ،و ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت، دار الجيل، ج**5**، ص **78،79**

92 – البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم، و قوله: الكاشحينا أي : الأعداء المضمرين العداوة ، و إنما خصّت العرب الكشح بالعداوة لأنه موضع الكبد، و العداوة عندهم تكون في الكبد. و قيل : بل سمي العدو كاشحا لأنه يعرض عنك و يوليك كشحه و هو الجنب، و قوله :عيطل أي طويلة، و قيل : طويلة العنق، و قوله :أدماء أي: بيضاء، و قوله :بكر الناقة التي ولدت ولدا واحدا، و قد يطلق على الناقة التي لم تلد، و قوله :هجان اللون أي : الأبيض الخالص، و قوله : لم تقرأ جنينا أي : لم تضم في رحمها جنينا، و معنى البيتين : تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية و قد أمنت عيون أعدائها، تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ، و لم تضم رحمها على ولد، و لم تلقه، يصفها بالسمن و البياض و الطول. انظر التبريزي يحي بن الخطيب، شرح القصائد العشر، بيروت، مؤسسة المعارف، ط**1**، **1998** م، ص **185**

93– الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ،ترتيب محمود خاطر، دار الفكر ،بيروت ،لبنان ، ص **625** ، و الألوسي أبو الثناء شهاب الدين محمود ،روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني ، **19– 1**

94 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج**5**، ص **79**

95 – يوسف،**111**

[96] – القيامة ، **17**

[97] – القيامة ، **18**

98– ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط**1**، **1990**،ج**1**،ص **128**.

99 – الإسراء، **78**

ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[101] وقوله تعالى : "فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ "[102] أي إذا تلوت بعضه في أثر بعض حتى يجتمع و ينضم بعضه إلى بعض فيصير إلى معنى التأليف والجمع [103]،وقال الراغب الأصفهاني:" القراءة ضم الحروف، والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل"[104] و قال ابن منظور" **711** هـ" في قول عمرو بن كلثوم " لم تقرأ جنينا":" قال أكثر الناس، معناه لم تجمع جنينا أي لم يظطم رحمها على جنين و فيه قول آخر: لم تقرأ جنينا، أي لم تلقه، و على هذا فمعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، أي ألقيته."[105]

و التحقيق أنّ لفظ القراءات و القرآن مصدر من فعل قرأ بمعنى التلاوة، و ضمّ الشيء بعضه إلى بعض، و معاني الآيات التي ورد فيها لفظ القرآن تشير إلى ذلك منها قوله تعالى:" إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ " قال ابن كثير:" هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفّل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره و يوضّحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه."[106]

- القراءات في الاصطلاح[107]

لقد اختلف العلماء في تعريف القراءات القرآنية على الوجه التالي:

1 – تعريف أبي حيان الأندلسي[108] " **745** هـ": لقد عرف علم القراءات في معرض بيان علم التفسير فقال:" التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية

---

100 – السجستاني أبو بكر محمد بن عزيز، غريب القرآن، تحقيق محمد أديب عبد الواحد ،ط**1**،**1995** م، دار قتيبة،ص**381**

[101] – طه، **114** انظر الواحدي أبو الحسن النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، **4**–**392** ،و الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،**10** –**505** ، المهدوي أبو العباس، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد **8**– **189**

[102] – النحل ، **98**

103– أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، **1**– **2** ، مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ،ص **170**

104– الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت،مادة (قرأ) ص **884**

105 – ابن منظور، لسان العرب، ج**1**، ص **128**

106 – تفسير ابن كثير ج**8** ص **278**

107 – لابد من اجتناب الخلط بين تعريف القراءات و علم القراءات ، فالقراءات تضبط بقيدين أحدهما مذهب نطق الإمام القارئ مع اتفاق رواته عنه ، و ثانيهما ثبوت خلافه مع غيره من القراء، والعلماء إذا أطلقوا لفظ القراءة دل عندهم على صنيع القراء في أداء نصِّ القرآن العظيم. انظر محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ط**1**، دار الفكر، دمشق، **1419** هـ**1999**م، ص**32** أما علم القراءات فهو الإحاطة بكيفية أداء الكلمات القرآنية اتفاقا و اختلافا. انظر فهد بن عبد الرحمن الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، مكتبة الملك فهد ،ط **14** ، **1426** هـ**2005** م ،ص **341**

ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب و تتمّات ذلك" ثم قال: " وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات."109

– مميّزات التعريف:

أ– التداخل بين علمي القراءات والتفسير، فالتعريف يوحي بدخول علم القراءات تحت كليّة التفسير .

ب – التداخل بين مباحث علم التجويد و القراءات فالتجويد يختّص بكيفيّات النطق والأداء، و القراءات باختلاف أوجه اللفظ القرآني.

2 – تعريف الزركشي" ت794هـــ ":110 " اختلاف ألفاظ الوحي.. في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها."111

– مميّزات التعريف:

أ– الاكتفاء بذكر مواضع الاختلاف دون مواضع الاتفاق من ألفاظ الوحي.112

ب – عدم عزو الاختلاف إلى ناقليه.

ج – التداخل بين علم القراءات و غيره من العلوم القرآنية كإدراج كتابة حروف الكلمات القرآنية و التي هي من مسائل الرسم القرآني في علم القراءات القرآنية.

د – عدم ذكر قيد العزو إلى الناقلين.113

3 – تعريف ابن الجزري" 833 هـــ":114 " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوّا لناقله."115

---

108 – أبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، مقرئ متقن، ولغوي بارع، و مفسر ضليع له مصنفات في العربية، والقراءات والتفسير والنحو توفي سنة 745هـــ انظر معرفة القراء الكبار:724/2 .

109 – أبو حيان الاندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1413 هـــ 1993 م، ج1ص121

110– هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ولد سنة 745 هـــ، وأخذ عن الشيخين: جمال الدين الأسنوي ، وسراج الدين البلقيني، وكان رحالة في طلب العلم كثير التصانيف، توفي بمصر ودفن بالقرافة، سنة 794 هـــ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،479/1، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق، ط 1406 هـــ ،334/6 .

111 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت، ج1 ص218 .

112 – القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ،عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت1985 م، ص 55

113 –القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام الشرعية ، محمد بن عمر بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 1417هـــ1996م، ج1 ص109.

114 – و لقد تبع ابن الجزري في تعريفه القراءات كل من ابن البناء الدمياطي حيث قال :" هي علم يُعْلَمُ منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع." انظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا ، 67/1 ،و قال عبد الفتاح القاضي حيث قال:" هي علم

- مميّزات التعريف:

أ- القراءات علم قال صاحب كشف الظنون : "العلم هو مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة "116، و انطلاقا من هذا فإنّ القراءات القرآنية علم مستقل بذاته عن بقية العلوم القرآنية.

ب- القراءات علم يعرف كيفية الأداء القرآني حال الاتفاق و الاختلاف.

ج- القراءات علم يسند الاختلاف إلى ناقليه بالعزو الدقيق الصحيح.

4 - تعريف شهاب الدين القسطلاني " ت 923هـ":" علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان والفصل والاتصال ،وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع، أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة و الإعراب، والحذف والاثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل، أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله."117

- مميّزات التعريف:

أ - الاستقلال بوصف العلمية .

ب- إسناد الاختلاف إلى ناقليه .

ت- العلم بكيفية الأداء حالة الاتفاق و الاختلاف.

ويؤول أغلب نظر العلماء في تعريف القراءات إلى صورتين هما :118

يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله." انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ،عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1424هـ 2004م، ص51 ، و كذلك علي محمد الضباع :" كيفية أداء كلمات القرآن ، و اختلافها معزوا لناقله ." انظر الضباع ، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1420 هـ 1999 م، ص4.

115 - منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، شمس الدين أبو الخيّر محمد بن الجزري ، مراجعة محمد حبيب الشنقيطي ، وأحمد محمد شاكر ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1980 م، ص 3.

116 - كشف الظنون:6/1

117 - لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان و زميله، لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،1392هـ، 170/1.

118 - ومن هنا فقد عرّفها بعض المحدثين بأنها: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها." انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ،ط 2 ، 1361-1362هـ ،ج1ص412، و عرّفت بأنها "علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة." انظر القرآن الكريم تأريخه وعلومه، محمد عبدالله المهدي البدري ، دار القلم ، دبي ، ط 1، 1404هـ 1984م، ص64 ،وأنّها " تلك الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد." انظر أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية، ط1،الكويت، 1398هـ1978م،309 ، و انظر الإتقان

أ – الدلالة على مواضع اتفاق ألفاظ الوحي، و اختلافه.

ب – كيفية الأداء الصوتي، و وظيفته الدلالية.

- أهمية علم القراءات القرآنية:

علم القراءات من أجل العلوم الشرعية وأسماها قدراً و مزيّة، وأشرفها ذكراً و أفضلية لاتصاله بكتاب ربّ العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، و نزول القرآن بقراءاته المتعدّدة على النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الأمة الإسلامية بهذه الرخصة نعمة عظمى، ومنقَبة فُضلى؛ و درجة كبرى لذلك انبرى الصحابة منذ نزول الوحي فاعتنوا بضبطها و إتقان طرق أدائها فكانوا و من بعدهم مفاتيح الحفظ من التبديل والتحريف قال تعالى:"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ "[119]، وينبلج فضل علم القراءات من مشكاة فضل القرآن العظيم، لأنه وقوف على تفاصيل الأداء القرآني قال صلى الله عليه وسلم: " خيركم من تعلم القرآن و علّمه "[120] قال ابن الجزري:" إنّ علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول، وإلى آخر وقت يستنبطون منه الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها، ما لم يطّلع عليه متقدّم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه، ولا غاية لآخره يوقف عليه "[121]، و تتأسّس فضيلة علم القراءات القرآنية و تتأصل بوجهين:

1– أنّه حوى علوما جليلة، كعلم رسم المصحف ، و علم الضبط، وعلم توجيه القراءات والاحتجاج لها، وعلم الفواصل قال القسطلاني : "القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد

في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط3 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، 1370 هـ 1951 م ،1 / 83 ،و أنها " النطــق بألفــاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي صلى الله عليه و سلم أو كما نُطِقت أمامه صلى الله عليه و سلم فأقرّها ، ســواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه و سلم فعلاً أو تقريراً ، واحداً أم متعدداً." انظر القراءات القرآنية تاريخ وتعريف لعبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1980م،ص56 ،و أنها " مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القرّاء مذهباً يخالف غيره." انظر مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط35، 1418هـ1988م،ص153،وأنها " وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية، واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع، وتغاير لا اختلاف تضاد، وتناقض؛ لأن التناقض والتضاد يتره عنهما الكتاب العزيز." انظر في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، السيد رزق الطويل، ط1، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة 1985م،ص27 ، و أنها " مذاهب الناقلين لكتاب الله عز وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية " انظر عبد الحليم قابة ، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها ،حجيتها، أحكامها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،1999 ، ص 26 ،وأنها " علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم و اختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة." انظر محمد سالم محيسن ،المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ،3 – 45.

[119] – الحجر 9

[120] – أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم.

[121] – النشر ج1 ص 5

الشرع وأساسه ، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه، ولا يطمع في حقائقها التي لا منتهى لغرائبها و دقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءاته ، واختلاف رواياته ، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات."[122]

2- أنّه أصل يعتمد عليه، ويحتاج إليه في التفسير و لطائفه ،و في الإعجاز و عجائبه، و في النحو والصرف واللغة ، والفقه واستنباط الأحكام ،" ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى، لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجّة الفقهاء في الاستنباط، ومحجّتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط."[123]

- مقاصد الاستشهاد بالقراءات القرآنية:

مقاصد الاستشهاد بالقراءات القرآنية كثيرة منها:

أ- القراءة القرآنية مصدر لاستنباط الأحكام.

يستشهد بالقراءة القرآنية للدلالة بها على حكم شرعي، مثاله 124 قوله تعالى:" وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي "125 ، فيستنبط حكم إعادة الصلاة الفائتة عند تذكرها ، قال البخاري: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، و ترجمة الباب تشير إلى حمل الآية على معنى ؛ أقم الصلاة لتذكيري لك إياها، " فاللام تتعلّق بفعل أقم ، والتقدير: عند ذكرك إياي، فالمصدر مضاف إلى المفعول " وهذا قول الأكثرين من أهل التفسير 126 منهم ابن الجوزي ،و البغوي 127 ، و يرجّح هذا المعنى بقراءة " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى "128 ، فقد روى البخاري عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفّارة لها إلا ذلك " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" قال موسى قال همّام سمعته – يعني قتادة- يقول بعد:"

---

[122] – لطائف الإشارات 1، 6

[123] – لطائف الإشارات 1، 171

124 ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 70.

125 سورة طه، الآية: 14. وهذه قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر والزهري. أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ–1987م، ج2، ص: 245.

126 ابن الجوزي، زاد المسير،ج5، ص275، و البغوي، شرح السنة، ج2 ،ص241، و أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج2،ص 119.

127 – أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، ولد سنة 436 للهجرة صاحب التصانيف، محيي السنة، محدِّث فقيه مفسر، كان سيدًا إمامًا، زاهدًا، من مصنفاته: شرح السنّة، ومعالم التنزيل، والمصابيح، وغيرها، توفى سنة 510 للهجرة. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ط 1 ، 1994م.

128 – قراءة السلمي والنخعي وأبي رجاء. عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية،ج4،ص 74.

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرَى"، و مما يؤكد دلالة القراءة على الحكم المستنبط قول إبراهيم النخعي:" من ترك صلاة واحدة عشرين سنة لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة."129

ب – القراءة القرآنية بيان للإبهام.

يستشهد بالقراءة القرآنية لرفع الإبهام في قراءة أخرى، مثاله130 تفسير قوله تعالى:" كالعهن المنفوش"131 بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه:" كالصوف المنفوش"، فأدنى ما دلّت عليه قراءة ابن مسعود صحة التأويل، إذ رفعت الإبهام الحاصل في لفظ العهن.

ت– القراءة القرآنية بيان للإجمال.

يستشهد بالقراءة القرآنية لبيان آية مجملة الدلالة ، مثاله132 قوله تعالى:" فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ "133 ، فلفظ السعي مجمل لتناوله دلالة المشي، والإسراع ، والعمل134 ، ولقد حملت الآية على معنى الذهاب دون المشي السريع ، مع بيان الإجمال بدلالة القراءة القرآنية:" فَامْضُواْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ" 135، روى البخاري في كتاب الجمعة ، باب: المشي إلى الجمعة ، وقول الله جلّ ذكره:" فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ "ومن قال: السعي العمل والذهاب لقول الله تعالى:" وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا "136 ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:" إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فما أدركتم فصلّوا، وما فاتكم فأتمّوا."137

ث– القراءة القرآنية معضّدة لدلالة السياق القرآني.

129– ومذهب الشافعية والمالكية عدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة لكونها ليست قرآنا اتفاقا، فتكون تفسيرا من الصحابيّ واجتهادا منه. انظر محمد الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي، دمشق، المطبعة الجديدة، 1396هـ 1976م، ص 81.

130 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 728.

131 – القارعة، 05.

132 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 641.

133 – الجمعة، 09.

134 – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 509.

135 – قراءة عمر بن الخطاب وابن مسود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عمر وابن الزبير وابن شهاب وأبي العالية والسلمي ومسروق وطاووس وسالم بن عبد الله.انظر عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ج7،ص 147 ،وابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم آرثر جفري، القاهرة، مكتبة المتنبي، ص 157 ،و إبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب، ص 85.

136 سورة الإسراء، الآية: 19.

137 – ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 390. وقد لاحظت أن البخاري قد استعرض القراءة القرآنية ثم وجهها على الصحيح ثم استدل على رجحان المعنى بدليل السنة.

يستشهد بالقراءة القرآنية ليعضد بها دلالة محدّدة دلّ عليها السياق القرآني، مثاله138 باب:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى"139، فَصِرْهُنّ؛ قطِّعهُن ، فتقدّم قراءة " صِرْهُنَّ "بالكسر140 التي تفيد معنى الضّم والإمالة والقطع مع الحبس141، والتقدير:" خذ أربعة من الطير إليك فقطِّعهن"142 ، والأجود في التقدير أن تكون " إليك" حالا من المفعول المضمر تقديره: فقطّهن مقرّبة إليك ، أو مُمالة143 ، والذي ظهر لي والله أعلم ،أنّ قراءة الكسر قد أفادت مقاصد قرآنية منها:

❋– أنّ قراءة الكسر أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة الإلهية لأنّ معناها يشمل معنى قراءة الضمّ.

❋– أنّ القرينة اللفظية في قوله تعالى: " ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً " تشير إلى أنّ الجزئية من الطير تدلّ على القطع ، وهي قراءة الكسر، فلو كانت قراءة الضمّ لكان الخطاب والله أعلم " ثمّ اجعل على كل جبل منهنّ طيرا "

❋– أنّ الآية تعالج عقيدة البعث ، وقراءة الكسر أبلغ دلالة في بيان قدرة الله على بعث الخلق.

ج– القراءة القرآنية بيان لسبب النزول.

يستشهد بالقراءة القرآنية ليثبّت بها سبب النزول ، ثمّ يبيّن أنّ العبرة بعموم اللفظ ليستدلّ بالقراءة الأخرى على عموم الحكم ، مثاله144 باب قول الله تعالى:" وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً" 145 ،و روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "بينا أنا أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة – وهو يتوكّأ على عسيب معه– فمرّ بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسألته ، فقام منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت

---

138 – ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 201.

139 – سورة البقرة، الآية: 260.

140 – وهي قراءة حمزة وأبي جعفر ورويس وخلف وطلحة وشيبة وابن جبير والأعمش وقتادة وعلقمة وابن وثاب وابن عباس، محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـ 1978م، ج1، ص 102 ،و أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص 450.

141 – العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج1، ص: 111،و أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـ–1994م، ج1، ص: 136.

142 – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1394هـ 1974م، ج1، ص: 313.

143 – العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن ج1، ص: 111،و أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1416هـ–1995م، ج1، ص: 207.

144 – ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 323.

145 – سورة الإسراء، الآية: 85.

فقلت: إنّه يوحى إليه، فقمت، فلمّا انجلى عنه فقال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ اَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتُوا۟ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً"146 قال الأعمش: هكذا في قراءتنا "، فثبت بقراءة الأعمش سبب النزول، وبالقراءة المتواترة التي صدّر بها الباب حكم العموم.

ح- القراءة القرآنية تصحيح للفهم، ودفع للوهم.

يستشهد بالقراءة القرآنية لدفع الوهم الحاصل عند فهم النصّ القرآني، مثاله 147 قول البخاري :"المقتسمين الذين حلفوا ، ومنه:" لاَ أُقْسِمُ "؛أي أقسم ، وتقرأ: لأقسم" فقراءة لأقسم 148 بحذف الألف بعد اللام على أنّها لام الابتداء للتأكيد 149 رفعت الوهم المتبادر عن القراءة المتواترة.

خ- القراءة القرآنية مكمّلة لدلالة النصّ القرآني:

يستشهد بالقراءة القرآنية لإتمام دلالة نص قرآني، مثاله 150 قوله تعالى:" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ"151 ، فقد ذكرت الآية حكم الابتغاء ولم تقيّد وقته ، ففسّرت بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما قال البخاري: باب" التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية "،ثمّ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:" كانت عكاظ و مجنّة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فلمّا كان الإسلام تأثّموا من التجارة فيها فأنزل الله:" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ " في مواسم الحجّ، قرأ ابن عباس كذا"152 ، فتبيّن بهذه القراءة أن حكم الابتغاء في مواسم الحجّ على الجواز، وهذا ما ترجم له البخاريّ في كتاب البيوع ، باب:" الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع بها الناس في الإسلام "، وفي كتاب التفسير عند قوله تعالى:" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ"153 ،ومن كمال الدلالة القرآنية أن يستشهد بالقراءة ليخصّص

---

146 – قراءة ابن مسعود والأعمش، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج**3**، ص: **336**.

147 – المصدر نفسه، ج**8**، ص: **382**.

148 – قراءة ابن كثير وقنبل والحسن والأعرج والبزّي والزهري. أبو محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج**2**، ص: **349** ، و أحمد بن محمد البنا، إتحاف الفضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج**2**، ص: **573**.

149 – محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط**1**، **1407**هـ **1987**م، ص: **222**.

150 – ابن حجر، الفتح، ج**3**، ص: **593**.

151 – سورة البقرة، الآية: **198**.

152 – قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعطاء وطلحة بن عمرو ووكيع. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص: **19** ،و عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج**1**، ص: **154** ،و أبو بكرعبد الله بن أبي داود، المصاحف، مصر، مؤسسة الخانجي، ص **74**.

153 – ابن حجر، الفتح، ج**4**، ص: **321** و ج**8**، ص: **186**.

بها عموم ، أو يدفع سوء فهم طارئ، مثاله 154 ما ذكر من قصة موسى عليه السلام مع الخضر في حكم خرق السفينة، وقتل الغلام ، و إصلاح الجدار، فقد نقل البخاري عن سعيد بن جبير قال:" كان ابن عباس يقرأ:" وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا" ،وكان يقرأ:" وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ."

د – القراءة القرآنية مبينة لعقيدة صحيحة.

مثاله قوله تعالى في وصف نعيم الجنة وأهلها:" وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً "155 جاءت القراءة بضمّ الميم وسكون اللام في لفظ " ومُلكاً كبيراً" وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم وكسر اللام156 ، فرفعت القراءة الثانية شبهة التأويل الباطل الذي عطّل النصوص الشرعية الدالة على عقيدة رؤية المؤمنين ربهم تعالى في الآخرة ؛ فالقراءة دلّت على أنه سبحانه هو المَلِكُ يوم الدين " لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ."

– تراجم القراء العشرة.

1– نافع المدني:157

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، اختلف في كنيته، فقيل: أبو رويم ، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو الحسن.قال نافع: قال لي أستاذي أبو جعفر: قد عرفنا اسمك، فما كنيتك ؟ فقلت: إنّ أبي سماني نافعاً ،ترى أن تكنيني؟ فقال: أنت وجهك حسن، وخلقك حسن، وقراءتك حسنة، وأنت أبو الحسن إمام أهل المدينة في القراءة، قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهراً طويلاً قال عنه الإمام مالك: نافع إمام الناس في القراءة، توفي سنة **169** هـــ 158 ،وأخذ عنه:

أ– قالون: عيسى بن مينا المدني لقبه نافع بقالون ، وهي لفظة رومية بمعنى جيّد ، فلقبه بذلك لجودة قراءته ، توفي بالمدينة سنة **220**هـــ.159

---

154 – ابن حجر، الفتح، ج**6**، ص: **431** – ج**8**، ص: **409**.

155 – الإنسان : **20**

156 – و هي قراءة علي بن أبي طالب. انظر النيسابوري، غرائب القرآن، **29**، **126**

157 – انظر وفيات الأعيان،ج**5** ص**368**، **369** ، وسير أعلام النبلاء،ج**7** ص**336** ،وغاية النهاية، ج **2** ص**330** ،وتهذيب التهذيب، ج **10** ص**407** ، **408** ،و شذرات الذهب، ج**1** ص**270** ، وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، ج **1** ص**12** ،ومعرفة القراء الكبار، ج**1** ص**107**

158 – انظر غاية النهاية، ج**2** ص **330** ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ، أبو عبد الله الذهبي، تحقيق محمد الشافعي، مكتبة عباس الباز، ج **1** ص **108**

159 – معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار أبو عبد الله الذهبي، تحقيق محمد الشافعي، ج **1** ص**93**، **94** ،القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، سمير شريف إستيتية، ط **2005** ،عالم الكتب الحديث ،الأردن، ص **165**

ب –ورش: عثمان بن سعيد المصري ، لُقّب بورش لشدة بياضه، توفي بمصر سنة **197**هـ.[160]

قال صاحب الشاطبية:[161]

فأما الكريم السرّ في الطيب نافع فذاك الذي اختار المدينة منزلا
وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم بصحبته المجد الرفيع تأثّلا

2– عبد الله بن كثير المكّي:[162]

عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان عبد المطلب الداري المكي أبو معبد ، وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر، وقيل أبو عباد، وقيل أبو المطلب ، إمام أهل مكة في القراءة ، تصدّر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن ، لغوي فصيح بليغ ، قال عنه الأصمعي: كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر ، إمام القراءة المجمع عليه مات سنة **120** هـ وأخذ عنه:

أ – قنبل: محمد بن عبد الرحمن ،وتوفي بمكة سنة**291**هـ.[163]

ب –البزّي: أحمد بن محمد، قارئ مكّة، ومؤذّن المسجد الحرام، توفي بمكّة سنة **250**هـ.[164]

قال صاحب الشاطبية:[165]

ومكة عبد الله فيها مقــامه هو ابن كثير كاثر القوم مُعتلا
روى أحمد البزّي له ومحمد على سند وهو الملقّب قــنبلا

3– أبو عمرو بن العلاء البصري:[166]

---

160 – معرفة القراء الكبار ج **1** ص**91**، **93**

161 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني ،تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص **25** ، **26**

162 – انظر هداية القاري، ص **28**، ووفيات الأعيان، ج**3** ، ص**41** ، **42** ،وسير أعلام النبلاء، ج**5** ص**318**، **322**، وتهذيب التهذيب، ج **5** ص**367** ،وشذرات الذهب، ج **1** ص **157** .

163 – معرفة القراء الكبار، ص**133**، **134**

164 – وفيات الأعيان، ابن خلكان تحقيق يوسف طويل، دار الكتب العلمية، ج **3**ص **31** ،و علم القراءات، نبيل آل إسماعيل، مكتبة التوبة ص **184**

165 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص **27**

166 – انظر هداية القاري، ص **648**، و وفيات الأعيان، ج**3** ص**466** ، **470** ، وسير أعلام النبلاء، ج**6** ص**407**، **410** ، وتهذيب التهذيب، ج**12** ص **178** ، وشذرات الذهب، ج**1** ص**237** ، **238** .

أبو عمرو زبان بن العلاء عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة167 ، قرأ بالكوفة والبصرة على جماعة كثر، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه ، سمع من أنس بن مالك، وكان عالماً بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين، قال عنه يونس بن حبيب:" والله لو قسّم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً ، والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرّه ما هو عليه " توفي بالكوفة سنة **154** هـــ ، و أخذ عنه يحي اليزيدي، و روى عنه:

أ – الدوريّ :حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوريّ النحوي ، نُسِبَ إلى الدّور ، وهو موضع ببغداد ، وتوفي سنة **246**هـــ.168

ب – السوسيّ: أبو شعيب صالح بن زياد ، وتوفي بخراسان سنة**261**هـــ.169

قال صاحب الشاطبية:170

وأما الإمام المازني صريحهم ... أبو عمرو البصري فوالده العلا
أفاض على يحي اليزيد سيبه ... فأصبح بالعذب الفرات معللا
أبو عمرو الدوري وصاحهم أبو ... شعيب هو السوسي عنه تقبلا

4– عبد الله بن عامر الشامي:171

أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الشامي من يحصب دهمان172 عربي النسب، قال عنه ابن الجزري: بلغت قراءته التواتر ،كيف و ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا القراءة عن الصحابة173،كان إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها، و توفي بدمشق سنة**118**هـــ ،وأخذ عنه:

---

167 – غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، ج1 ص35

168 – النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دار الفكر، ج 1ص134،و معرفة القراء الكبار، ص 113 ، و التيسير، أبو عمرو الداني، تحقيق أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية،ط1 1416هـ ص 18

169 – معرفة القراء الكبار، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1– 1967 ص115

170 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 28

171 – انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج5 ص292 ،وتهذيب التهذيب، دار صادر بيروت،ط1 – 1326 هـ، ج 5 ص 274 ،وشذرات الذهب ج1 ص156 ،وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار أبو العلاء الهمذاني، تحقيق أشرف فؤاد طلعت، طباعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة السعودية ،ط1 ، 1994 ،ج1 ص29 ،اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير الجزري، دار صادر بيروت، ط 1980 ج3 ص407 ،والطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص449 ،الإقناع في القراءات السبع ،أبو جعفر بن الباذش، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1، 1999 ،ج1ص 104 ،أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، محمد خليل الحصري، مكتبة السنة، القاهرة ط1 ، 2003 ص35 ،التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت ط3 –1985 ص5 ،

أ– هشام بن عمار السلمي، شيخ أهل دمشق وقارئهم ،توفي بدمشق سنة **245**هـــ.174

ب– عبد الله بن أحمد ابن ذكوان: كان أقرأ من هشام بكثير، وكان هشام أوسع علما منه، توفي بدمشق سنة **242**هـــ.175

قال صاحب الشاطبية:176

وأما دمشق الشام دار ابن عامر فتلك بعبد الله طابت محللا

هشام وعبد الله وهو انتسابه لذكوان بالإسناد عنه تنقلا

5– عاصم بن أبي النجود الكوفي:177

أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي ، شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي، فجلس في موضعه، ورحل إليه الناس من الأقطار، جمع بين الفصاحة والإتقان ،كان ضابطاً صدوقاً ، روى عنه أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ،وعدد كبير من الأئمة، توفي على أرجح الأقوال سنة **127** هـــ ،وأخذ عنه:

أ– أبو بكر شعبة بن عياش ،كان سيّدا إماما في العلم والعمل، قال عنه ابن المبارك:" ما رأيت أحدا أسرع إلى السُّنَّة من أبي بكر بن عيّاش"، وتوفي بالكوفة سنة **193**هـــ.178

ب– حفص بن سليمان الأسدي، ربيب عاصم، و أعلم أصحابه بقراءته؛ وتوفي سنة **180**هـــ.179

قال صاحب الشاطبية:180

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة أذاعوا فقد ضاعت شذى وقرنفلا

فأما أبو بكر وعاصم اسمه فشعبة راويه المبرز أفضلا

---

172 – انظر جمهرة أنساب العرب، ص **478**

173– النشر في القراءات العشر ج**2** ص**262**

174 – علم القراءات ص **244**

175 – النشر في القراءات العشر، ج**1**ص**145**– علم القراءات ص **243**

176 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص **29**

177 – انظر تهذيب التهذيب ج**2** ص **109** ، وسير أعلام النبلاء ج**5** ص **256** ،وغاية النهاية ج**1** ص**346** – **349** ،وتهذيب التهذيب ج **5** ص **38** ،ومعرفة القراء الكبار ج **1** ص **88** ،وهداية القاري ص **28** .

178 – وفيات الأعيان ج **2** ص **295:294** ،و معرفة القراء الكبار ص **81:80**

179 – النشر ج **1** ص**156** ،و معرفة القراء الكبار ص**84**

180 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص **30**

وذاك ابن عيّاش أبو بكر الرضا وحفص وبالإتقان كان مفضّلا

6- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي:[181]

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التميمي الكوفي، كانت له الإمامة في الإقراء بعد عاصم ،كان حجة ثقةً ثبتاً بصيراً بالفرائض عالماً بالعربية ،حافظاً للحديث قال عنه سفيان الثوري:" غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض" توفي سنة 156 هـ، وقرأ عليه جماعة منهم:

أ- خلف بن هشام البزار، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ،كان إماما عالما زاهدا، انفرد بقراءة من العشرة ،توفي ببغداد سنة 229هـ.[182]

ب - خلاد بن خالد ،ثقة عارفا مجودا ،قال فيه أبو عمرو الداني :"هو أضبط أصحاب سُليم وأجلّهم" ،توفي بالكوفة سنة220هـ.[183]

قال صاحب الشاطبية:[184]

و حمزة ما أزكاه من متورع إماما صبورا للقرآن مرتلا

روى خلف عنه و خلاد الذي رواه سليم متقنا و محصّلا

7- علي بن حمزة الكسائي الكوفي:[185]

---

181 - انظر وفيات الأعيان ج2 ص 216 ،وسير أعلام النبلاء ج7 ص 90 - 92 ،وغاية النهاية ج1 ص 261 - 263 ، ومعرفة القراء الكبار ج1 ص110 ،وشرح طيبة النشر ص 10 ،وهداية القاري ص648 ،والسبعة لابن مجاهد ص71 ،و الفهرست لابن النديم دار المعرفة بيروت ،ط 1398 هـ، ص 146 ،و تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج1 ص 488 ،وتهذيب الكمال ج7 ص 314 ،والكاشف للذهبي ج1 ص 254 ،والثقات، أبو حاتم ابن حبان البستي ،تحقيق محمد شرف الدين أحمد، دار الفكر بيروت، ط 1975 ، ج6 ص 228 ،و خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص93 ،والجرح و التعديل ج 3 ص 209 ، وميزان الاعتدال ج1 ص 605 ،و أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار عبد الوهاب بن وهبان المزي، تحقيق أحمد بن فارس سلوم، دار ابن حزم بيروت ط1 ص 303 ، 2004

182- النشر ج1ص191

183- النشر ج1ص166

184 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 31

185 - انظر غاية النهاية ج1 ص62 ،ووفيات الأعيان ج3 ص295 ،297 ،وسير أعلام النبلاء ج9 ص131 ،وتهذيب التهذيب ج7 ص 313 ،314 ،و شذرات الذهب،ج1 ص 321 ،ومعرفة القراء الكبار ج 1 ص 120 .

علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ اللغة عن الخليل بن أحمد، فصار إماماً في القراءات واللغة والنحو، وشيخا للمدرسة النحوية الكوفية، و توفي سنة **189** هـ، وأخذ عنه:

أ- حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوريّ، وسبقت ترجمته راويا لأبي عمرو الدوري.

ب- أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، مقرئ ثقة، وضابط محقق، و توفي سنة **240**هـ.186

قال صاحب الشاطبية:187

و أمّا على فالكسائي نعته لما كان فى الإحرام تسربلا

روى ليثهم عنه أبو الحارث الرضا حفص هو الدوري وفى الذكر قد خلا

8- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني:188

أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ، أحد القرّاء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر، إمام أهل المدينة في القراءة قرأ على مولاه عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي بن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و توفي سنة **130** هـ ،و أشهر من روى عنه :

أ- أبو الحارث عيس بن وردان المدني، إمام ضابط، أخذ القراءة جعفر ونافع، وأخذ عنه إسماعيل بن جعفر وقالون، و توفي سنة **160**هـ.189

ب- ابن جمّاز أبو الربيع سليمان بن مسلم الزهري، مقرئ جليل ،أخذ القراءة عن أبي جعفر، ونافع، وأخذ عنه إسماعيل بن جعفر توفي سنة **170**هـ.190

9- يعقوب بن إسحاق البصري:191

---

186 – معرفة القراء الكبار ص **124**،و النشر ج **1** ص**172** ،والتيسير ص **20**

187 – أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني ،ص **32**

188 – انظر غاية النهاية ج**1** ص**439**،و معرفة القراء الكبار ج**1** ص**92**

189 – معرفة القراء الكبار ج **1** ص**173**، وغاية النهاية ج**1** ص**616**،و معجم حفاظ القرآن ج **1** ص**469**.

190 – النشر ج**1** ص**149**،و غاية النهاية ج**1** ص **315**، و معجم حفاظ القرآن ج**1** ص**162**.

191 – النشر ج**1** ص**186**، وغاية النهاية ج**2** ص**386**، و معجم حفاظ القرآن ج**1** ص**630**

أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، و مقرئها، من أعلم أهل زمانه بالقرآن والعربية ورواية السنة، أخذ القراءة عن أبي المنذر سلام بن سليمان المزني192، وأبي يحي محمد بن ميمون193، وأبي الأشهب جعفر بن حيان العطار194 متّصل السند بأبي موسى الأشعري وأبي بن كعب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم195 ،توفي سنة **205**هـ ،وأشهر رواته:

أ- رويس أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، إمام في القراءة، مشهور بالضبط والإتقان، و توفي سنة **238**هـ.196

ب- أبو الحسن روح بن عبد الله المؤمن الهندي البصري النحوي، من أجلّ أصحاب يعقوب وأوثقهم توفي سنة **234**هـ.197

10- خلف بن هشام البغدادي:198

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، ولد سنة **150**هـ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، عالم عابد، ثقة زاهد، أخذ بمذهب حمزة وخالفه في مائة وعشرين حرفا، وقرأ على سليم بن عيسى 199 عن حمزة الكوفي، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري200 عن المفضّل 201، وأبّان العطّار 202 عن عاصم، توفي ببغداد سنة **229**هـ،وأشهر رواته:

أ- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي البغدادي الورّاق، راوي خلف في اختياره، ثقة ضابط، و مقرئ متقن، و توفي سنة **286**هـ.203

---

192 – سلام بن سليمان المزني، حافظ ثقة، ومقرئ جليل ت **171**هـ انظر غاية النهاية ج**1** ص**309**.

193 – أبو يحي مهدي بن ميمون البصري حافظ ثقة ت **171**هـانظرغاية النهاية ج**2** ص**316**.

194 – أبو الأشهب جعفر بن حيان العطاروي البصري الحذاء ، توفي **165**هـ انظر غاية النهاية ج**1** ص**192**.

195 – النشرج**1** ص**179**، المغني ج**1** ص**40**.

196 – معرفة القراء الكبار ج**1** ص**177**.

197 – النشر ج**1** ص**187**.

198 – انظر غاية النهاية ج**1** ص**272**، و معجم حفاظ القرآن ج**1** ص**223**.

199 – سليم بن عيسى: أبو عيسى الكوفي المقرئ الحاذق ،الضابط المحرر، عرض القرآن على حمزة، توفي سنة **188** هـ انظر غاية النهاية ج**1** ص**318**.

200 – سعيد بن أوس، روى القرآن عن المفضل وأبي عمرو بن العلاء، وخلف بن هشام البزار، عالم بالنحو واللغة والشعر ،توفي سنة **215**هـ. انظر غاية النهاية ج**1** ص**305**.

201 – المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم بن أبي النجود والأعمش، و روى القراءة عنه حمزة الكسائي، توفي سنة **168**هـ.انظر غاية النهاية ج**2** ص**307**.

202 – أبان بن يزيد البصري العطار النحوي، ثقة صالح، قرأ على عاصم . انظر غاية النهاية ج**1** ص**4**.

203 – انظر النشرج**1** ص**191**، و غاية النهاية ج**1** ص**155**.

ب– أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، قرأ على خلف البزّار، إمام ثقة، و مقرئ متقن، توفي سنة 292هـ.[204]

– شروط قبول القراءة القرآنية:[205]

القراءة القرآنية المقبولة هي" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها و عليه لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف."[206]

وكل ما وافق وجه النحــو *** وكان للرسم احتمالا يحــوي
وصح إسنادا، هــو القرآن *** فهــذه الثلاثــة الأركـــان
وحيثما يختــل ركــن أثبت *** شذوذه لو أنــه في السبعــة [207]

و عليه فإنّ شروط قبول القراءة القرآنية ثلاثة هي:[208]

1 – موافقة قواعد اللغة العربية ولو بوجه.

2 – موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

3 – صحة السند .

– بيان الشروط عند ابن الجزري:

1– الركن الأول: " وقولنا في الضابط "ولو بوجه " نريد به وجها من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحا، مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر بمثله "[209]، و بهذا دخل ما كان فصيحا كما دخل ما كان

---

204 – انظر غاية النهاية ج1 ص154، و النشر ج1 ص16، و معجم حفاظ القرآن ج1 ص50.

205 – انظر النشر في القراءات العشر، ج 1 ص 53 ،المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص 168 ،هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ص 46 ،و التذكرة في القراءات الثلاث،ص15

206 –النشر:9/1 ،و انظر: الإبانة 18، 49،و التلخيص: 19، و حجة أبي زرعة:12،و البحر: 1/ 79، والبرهان للزركشي: 2/ 133، 134،و الإتحاف: 6، والغيث: 5،و المهذب: 1/ 27، القراءات القرآنية ، الفضلي: 109، رسم المصحف ، غانم: 161، الكوفيون والقراءات: 29.

207 –شرح طيبة النشر ص:7 .

208 – انظر ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين،ص18 ، و أبو العباس أحمد بن عمر الحموي، القواعد و الإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار، دمشق، دار القلم، ط 1 ،1406هـ،ص31.

209 – النشر : 10/1 .

أفصحا ، و دخل أيضا المختلف فيه كما دخل المتفق عليه مما وافق قواعد النحو العربي ، و عليه فلا تردّ القراءة القرآنية إلا إذا خالفت إجماع أهل اللغة ، فالعبرة في إجماع النحاة لا في خلافهم ، لأنّ القراءات القرآنية وحي ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم[210] قال علي بن قطرب: " القراءة سنة متبعة ، لا تقرأ إلا أثر عن العلماء ، ولا تقرأ بما يجوز في العربية دون الأثر"[211]، وقال مالك: " إنّما ألّف القرآن على ما كانوا سمعوا من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[212]، و من هذا الأصل الركين فإنّ ردّ القراءة بدعوى مخالفة العربية أو مجيئها دون الأفصح دعوى باطلة213 ، فلو" جاء القرآن كلّه بالأفصح والفصيح فلا تتمّ الحجة في الإعجاز، إذ يقال مثلا: إنّه جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصحّ أن يقول البصير للأعمى: قد غلبتك بنظري لأنّ الأعمى يقول: إنّما تتمّ تلك الغلبة لو كنت قادرا على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري ،أما إذا فقد أصل النظر فكيف تصحّ منّي المعارضة."214

2 – الركن الثاني: " ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر " قالوا اتخذ الله ولدا "215 بغير واو...فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي "216 ، وضبط ركن الموافقة لأحد المصاحف العثمانية بقوله:" ولو احتمالا " ومراده: " ما يوافق الرسم ولو تقديرا ؛ إذ موافقة الرسم تكون تحقيقا وهو الموافقة الصريحة وقد تكون تقديرا ، وهو الموافقة احتمالا؛ فإنّه خولف صريح الرسم في مواضع إجماعا نحو: السموات و الصلحت.."217 ، و أنواع موافقة القراءات للمصاحف العثمانية هي كالتالي :

أ– الموافقة الصريحة: هي موافقة القراءة للرسم دون تقدير لزيادة حرف أو نقصان آخر نحو: العالمين، الرحيم.

---

210 – محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1972م، ص: 23.

211 _ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص: 360.

212 – أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، مكتبة الكليات الازهرية، ص: 18.

213 – انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1993، ج2 ص427 ،وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي، تحقيق طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، ط1 ،1987، ص51

214 – القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1996 ،ص21.

215 – البقرة:115.

216 – النشر : 11/1.

217 – المصدر نفسه : 11/1.

ب – الموافقة التقديرية: هي مخالفة القراءة صريح الرسم، ولا تقع الموافقة إلا بتقدير حرف زيادة أو نقصا نحو:" و اليل" فهي في جميع المصاحف بلام واحدة وما يقرأ به لامين ونحو:" الصلوة " فهي في جميع المصاحف بالواو وما يقرأ به ألف.

ت – الموافقة الصريحة لبعض القراءات والموافقة التقديرية للبعض الآخر و مثاله:" ملك يوم الدين" 218 رسمت في المصحف العثماني بغير ألف في " ملك "،فقراءة الحذف توافق المرسوم تحقيقا، بينما قراءة الإثبات لا توافق إلا تقديرا، و المخالفة للرسم القرآني إن كانت" في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به ، و وردت مشهورة مستفاضة.."219 ، أمّا إن وقعت المخالفة لصريح الرسم القرآني بزيادة كلمة أو نقصانها أو بتقديمها أو تأخيرها فإنّ ذلك يعدّ مخالفة صريحة للمصحف تردّ به القراءة.220

3 – الركن الثالث: "وقولنا "وصحّ سندها" فإنّا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذّ بها بعضهم "221، و بهذا فإنّ المقبول " المقروء به عن القرّاء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول."222

- أقسام القراءات القرآنية:

تقسّم القراءات القرآنية من حيث القبول والرد إلى قسمين هما:

القراءة المقبولة، والقراءة المردودة.

1– القراءة المقبولة: " هِيَ كُلُ قِرَاءَةٍ صَحَّ سَنَدُهَا ، ووافقت رَسْمَ أَحَدَ المصاحفِ العثمانيةِ ولو احتمالاً ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ أَوْجُهِ العَرَبِّيَةِ "223 ، وتحت هذا القسم نوعان:

أ – القراءة المتواترة: " هي ما رواه جمعٌ عن جمع ،لا يُمكنُ تَواطؤهم على الكذبِ ، عن مثلهم."224

---

218 – الفاتحة: **3**.

219 – النشر : **12/1**.

220 – المصدر نفسه : **13/1**.

221 – المصدر نفسه:**13/1**.

222 – منجد المقرئين ص: **20** ، و انظر ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها، إسماعيل أحمد الطحان، الإمام الطبري مقرئا ومفسرا ومؤرخا منشورات جامعة قطر ،ص**341**

223– علم القراءات، نبيل بن محمد آل إسماعيل: **35** ،و القراءات المقبولة هي القرآن باتفاقٍ، يُقرأ بها في الصلاة، ويُتَعَبَّدُ بها، ويدلّل بها على الإعجاز والتحدي ويُكَفَّرُ جاحدها. انظر علم القراءات، نبيل بن محمد آل إسماعيل: **39**

224– مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقاني: **297**.

ب – القراءة المشهورة: هي ما صح سندها ، برواية العدل الضابط عن مثلِهِ ، واشتهر عند القرّاء ، فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر.225

2 – القراءة المردودة: هي كل قراءة اختلّ فيها شرط من شروط القراءة المقبولة 226، وتحت هذا القسم أنواع:227

أ – ما ورد آحاداً وصَحّ سندهُ لكنه خالف الرسم القرآني أو قواعد العربية.

ب – ما لم يصح سنده مع موافقته للرسم القرآني وقواعد العربية.

ت – القراءات الموضوعة المختلقة.

ث – القراءات التفسيرية المدرجة: وهي التي سيقت على سبيل التفسير.

– أقسام القراءات القرآنية عند ابن الجزري.228

قسّم ابن الجزري القراءات إلى أقسام ثلاثة:

1 – القراءات المتواترة:

القراءات المتواترة هي ما نقلته الجماعة عن الجماعة من أوله إلى منتهاه و اختلف العلماء في تعيين العدد الذي يحصل به ضابط 229، و عليه فكلّما كثر العدد تأكّد التواتر، وبناء على هذا فإنّ القراءات المتواترة في زمن ابن الجزري هي القراءات العشر، و قد جزم بأنّ ما بعدها لا يتحقّق فيه وصف التواتر بعد استقرائه أسانيد القراءات في زمانه، ونظره في طبقات أسانيدها، و أحوال رواتها.

2 – القراءات الصحيحة:

القراءات الصحيحة هي ما صحّ سنده بنقل العدل الثقة الضابط عن مثله من أوله إلى منتهاه و هي قسمان:

أ – القسم الأول: و هو على درجتين:

❋– قراءات مشهورة مستفاضة تلقتها الأمة بالقبول ، ولم تخالف رسم المصحف ولا وجوه الخطاب العربي ، ويمثّل له بانفراد بعض الرواة عن القرّاء ، وكمراتب المدّ عند القراء 230 ، و هذا النوع ملحق بالقراءة المتواترة حكما لأنه صحيح مقطوع به يفيد القطع لا الظن.231

225– ينظر: المصدر نفسه:297.

226 – ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م ، 200/1.

227 – ينظر: المصدر نفسه : 37.

228 – انظر تقسيم أبي شامة و قارن بينه و بين تقسيم ابن الجزري. الإتقان:1 /210

229 – المصدر نفسه ص:15

230 – المصدر نفسه ص:16 ،و تقريب النشر ص:26 .

❁– قراءات غير مشهورة و لا مستفاضة، ولم تلق القبول من الأئمة وهي الآحاد .

ب – القسم الثاني: و هو ما صحّ سنده ووافق العربية وخالف الرسم العثماني، ويمثّل له بما ورد في الصحيح من الزيادة والنقصان والإبدال232 ، و ألحق هذا بالقراءة الصحيحة لصحة السند أما حكمه فالشذوذ لمخالفته قواعد الرسم القرآني.

3 – القراءات الشاذة:

القراءات الشاذة هي ما نقله غير الثقة الضابط سواء تحققت موافقة العربية والرسم القرآني أو لا مثل قراءة ابن السّميفع 233 وأبي السّمال234 في قوله:" اليوم ننجّيك ببدنك"235 "ننحّيك" بالحاء المهملة، و يلحق بهذا النوع ما صحّ في العربية ووافق الرسم القرآني و انقطع نقله فهو في حكم الشاذ.236

– مذاهب العلماء في المتواتر من القراءات:

لقد أجمع جمهور العلماء على تواتر القراءات الصحيحة من حيث الجملة، واختلفوا في تفاصيلها، فذهب بعضهم إلى أنّ المتواتر لا يشمل إلا أجزاء من القراءات على خلاف بينهم في التحديد، و ذهب البعض الآخر إلى أنّ القراءات متواترة جملة وتفصيلا في كلّ أجزائها فظهرت مذاهب العلماء على النحو التالي:

1 – مذهب أبي شامة:

يرى أنّ القراءات متواترة فيما اتفقت فيه الطرق وأجمع عليه الرواة، أمّا ما وقع فيه اختلاف الرواة والطرق فليس بمتواتر ، فقد " شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة ، والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب، ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله الطرق ، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض...فالحاصل أنّا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء ، بل القراءات كلها منقسمة إلى متواتر وغير متواتر."237

---

231 – منجد المقرئين ص: **16**

232 – المصدر نفسه ص: **16**.

233 – ابن السميفع هو محمد بن عبد الرحمان بن السميفع ــ بفتح السين ــ أبو عبد الله اليماني ينسب إليه اختيار في القراءة شذ فيه عن المشهور. انظر غاية النهاية:**161/2**

234 – أبو السمال هو قعنب بن أبي قعنب أبو السمال ــ بفتح السين وتشديد الميم ــ العدوي البصري صاحب اختيار شاذفي القراءة. انظر غاية النهاية:**27/2**

235 – يونس:**92** .

236 – النشر **17/1** .

237 – المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي الشهير بأبي شامة، تحقيق وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي، ط **2** ،**1414**هــ **1984**م ،ص **291**.

2 – مذهب ابن الحاجب:

يرى أنّ القراءات متواترة فرشا 238 لا أصولا 239 ، وعبّر عن الأصول بما كان من قبيل الأداء قال ابن الحاجب:" القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه."240

3 – مذهب بدر الدين الزركشي:

ذهب إلى أن تواتر القراءات ثابت عن الأئمة القرّاء لا عن النبي صلى الله عليه و سلم وحجّته في ذلك أنّ أسانيد الأئمة القرّاء التي وردت بها القراءات عن النبي صلى الله عليه و سلم كانت آحادا وهي المدونة في مصنفات القراءات فقال:" والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه و سلم ففيه نظر، فإنّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد ،لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة."241

4 – مذهب عبد الوهاب بن السبكي:

ذهب إلى القول بتواتر القراءات جملة وتفصيلا، فرشا و أصولا ،مختلفا فيه أو مجمعا عليه، فقال:" والقراءات السبع متواترة تواترا تاما، أي نقلها عن النبي صلى الله عليه و سلم جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم، وهلم جرا، ولا يضر كون أسانيد القراء آحادا؛ إذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، بل هو الواقع، فقد تلقاها عن أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجمّ الغفير عن مثلهم، وهلمّ جرا وإنّما أسندت إلى الأئمة المذكورين في أسانيدهم لتصدّيهم لضبط حروفها، وحفظ شيوخها الكمّل فيها."242

5 – مذهب ابن الجزري:

ذهب إلى أن القراءات المقروء بها متواترة عن النبي صلى الله عليه و سلم وعن الأئمة المنقولة عنهم فرشا وأصولا ، حال اجتماع القراء والرواة وحال افتراقهم ، فقال:" الفصل الثاني في أن القراءات العشر متواترة فرشا وأصولا، حال اجتماعهم وافتراقهم وحل مشكل ذلك"243 ، و استثنى ابن الجزري ما دخل تحت الأداء

---

238 – معنى "فرشا" مجموعة الكلمات القرآنية التي لا ينضبط فيها الحكم بأصل معين .

239 – معنى "أصولا" مجموعة المسائل التي ينضبط فيها الحكم بأصل معين .

240 – بيان المختصر: شرح مختصر ابن الحاجب، شمس الدين عبد الرحمان الأصفهاني، تحقيق محمد مظهر، ط**1** سنة**1406**هـ/**1986**م: ج**1** ص **469**

241 –البرهان في علوم القرآن، الزركشي، **319/1**.

242– جمع الجوامع في أصول الفقه، القاضي عبد الوهاب بن السبكي، تحقيق عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1** ، سنة **1421**هـ **2201**م ،ص**21** ،و انظر حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، دار الباز للنشر والتوزيع،**299/1** ،و تقديم الشربيني على جمع الجوامع، دار الباز للنشر والتوزيع،**298/1**

243 – منجد المقرئين ص: **57** .

– التحريرات – فقال:" إذا ثبت شيئا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواترا عن النبي صلى الله عليه و سلم كتقسيم وقف حمزة وهشام ، وأنواع تسهيله فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يتواتر أنّه وقف على موضع بخمسين وجها، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنّما إن صحّ شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنّه من قبيل الأداء "244، و حجّة ابن الجزري ما يلي:

أ– تتبّع أسانيد القراءات ،ومعرفة أحوال رجالها، وكشف عللها فدلّ التتبّع على عدم التواتر في تفاصيل كيفيات الأداء ،يمثّل لذلك بقوله:" والمدّ إمّا أن يكون طبيعيا أو عرضيا ،والطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به ،كالألف من قال، والواو من" يقول "، والياء من" قيل "، وهذا لا يقول مسلم بعدم تواتره ؛ إذ لا تمكن القراءة بدونه "245 ، ثمّ ذكر الخلاف بين القرّاء في مقادير المد الجائز المنفصل حيث يقصره قالون وابن كثير ويوسطه عاصم وأبو عمرو والكسائي ،ويشبعه ورش وحمزة.246

ب– الاعتماد على ما يشبه الإجماع السكوتي عند الفقهاء حيث يعتبر نسبة القراءة إلى من قرأ بها هي نسبة اصطلاحية لتمييز القراءة عن غيرها من القراءات.

ت– القول بعدم تواتر مواضع خلاف القرّاء و انفراداتهم و أصولهم يفضي إلى القول بعدم تواتر بعض القرآن وهو ما أجمعت عليه الأمّة فقال:" ولو لم يكن انفراد القراء متواترا لكان بعض القراء غير متواتر، لأنّا نجد في القرآن أحرفا تختلف القراء فيها ، وكل واحد منهم على قراءة لا توافق الآخر."247

ث– الاعتماد على ما ثبت رسمه في المصحف العثماني ؛ فالصحابة رضي الله عنهم ما رسموا شيئا في المصحف واختاروا له كيفية رسمه إلا بناء على ما ثبت تواتره عندهم من تلك القراءة فما رسموا الممال بالياء إلا للدلالة على أنه ممال ، وما أشاروا لذلك إلا لتواتره ، وما اكتفوا في رسم الهمزة بصورتها فقط إلا للدلالة على تسهيلها وتخفيفها ، فقد دلّ الرسم القرآني على تواتر القراءات القرآنية و دلّ التواتر على ثبوت الرسم القرآني.248

– حجّية القراءة الشاذة.

لقد اهتم العلماء بالقراءة الشاذة فوسّعوا العمل بها في اللغة والتفسير، و اتّفق جمهورهم على جواز تدوينها " وتعلّمها، والاحتجاج بها في ميادين الدراسات اللغوية ، والاستعانة بها متى صحّ سندها في بيان

---

244 – المصدر نفسه ص:**62** .

245 – منجد المقرئين ص:**57** .

246 – انظر الإتحاف ص: **38** ،و مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار ص:**54**

247 – المصدر نفسه ص:**68** .

248 – القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشرعية، محمد حبش، ص: **95** .

المراد من القراءة المتواترة "[249]، و أوّل درجات البيان تفسير القرآن بقراءاته قال القاسم بن سلام:" المقصود من القراءة الشاذّة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة رضي الله عنهما:" والوسطى صلاة العصر" وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه:" فاقطعوا أيمانهما " قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسّرة للقرآن."[250]

– الاحتجاج بالقراءة الشاذة في الاستنباط الفقهي.

كلّ ما نقل من القران الكريم نقلاً متواتراً فهو حجة ظاهرة إجماعا،[251]و شريعة ملزمة لجميع المسلمين،[252] و لقد اختلف العلماء في كل قراءة نزلت عن شروط وصف القرآنية فشذّت هل هي حجّة معتبرة أم لا ؟ على مذهبين:

أ – المذهب الأول : ذهب أصحابه إلى عدم حجّيتها لسقوط شرط التواتر عنها فلا ينبني عليها حكم شرعي، و قال بهذا مالك والشافعي و أحمد.[253]

❋ – أدلة المذهب الأول:

– الإجماع : لقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه على ما بين الدفتين ، وطرحوا ما سواه ، وكان ذلك باتفاق منهم و إجماع ، وبالتالي فأية زيادة لا يحويها الجامع الإمام ، ولا تشتمل عليها الدفتان فهي ليست القرآن.[254]

---

[249] – الاختلاف في وجوه القراءات، أحمد البيلي، دار الجبل،بيروت ،ط 1 ، 1316 هـ، ص112.

[250] – فضائل القرآن لأبي عبيد ، ص195، و ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،1 / 228.

[251] – ينظر أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن احمد السرخسي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط 1402 هـ،ج1 ص 279،و التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1 ص46، و المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبوع مع فواتح الرحموت،ط1، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، 1322هـ،ج1 ص 101 ؛و روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل، موفق الدين بن قدامة المقدسي، ط 1 ،دار الكتاب العربي، بيروت،ص61،و إرشاد الفحول ص46.

[252] – الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية،بيروت،1/ 138.

[253] – ينظر شرح العضد على ابن الحاجب، تصحيح محمد شعبان، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1393 هـ،2/ 21، و بيان المختصر شرح ابن الحاجب، لأبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني، تحقيق محمد مظهر ، مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ط 1، 1406 هـ،1/ 473-374، والأحكام للآمدي،1 / 138 ؛ منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي، تحقيق سعد الحميري، ط1، دار البشائر الإسلامية، ص349.و البحر المحيط 1/ 475. و فتاوى النووي ، ص32 ؛ و قواطع الأدلة، لأبي مظفر السمعاني، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت 1/ 402، و أدب المفتي والمستفتي، ابن الصلاح أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن ، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، عالم الكتب، ط1،1407 هـ،ص231.

[254] – السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، قواطع الأدلة في الأصول ، تحقيق محمد حسن الشافعي ، ط 1 ،1997 ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1 – 414

- المعقول : و يتلخص فيما يلي:

- إنّ النبي صلى الله عليه و سلم كان مكلفًا بإلقاء ما أنزل عليه من القرآن على طائفة تقوم الحجة القاطعة بقولهم ، و هؤلاء لا يتصوّر عليهم التوافق على عدم نقل ما سمعوه [255] قال الجويني :" إن ّالقرآن قاعدة الإسلام ، وقطب الشريعة، وإليه رجوع جميع الأصول، ولا أمر في الدين أعظم منه ، وكل ما يجل خطره ، ويعظم وقعه لا سيما الأمور الدينية فأصحاب الأديان يتناهون في نقله وحفظه، ولا يسوغ في اطّراد الاعتياد رجوع الأمر فيه إلى نقل الآحاد ما دامت الدواعي متوفرة ، والنفوس على ضبط الدين متشوّفة." [256]
- إنّ الراوي إذا كان آحادا ، فإن وردت على أنها قرآن فهو خطأ ، وإن لم يوردها على أنّها قرآن ، فقد تردّدت بين أن تكون خبرًا عن النبي صلى الله عليه و سلم وبين أن تكون مذهبًا له فلا يكون حجة ، وما تردد بين أن يكون خبرًا أو لا يكون فلا يجوز العمل به [257]، وإن كان مذهبًا له فلا يحتج به قال النووي:" لكنّ مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنّ ناقلها لم ينقلها إلا على أنّها قرآن ، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع ، وإذا لم يثبت قرآنًا لا يثبت خبرًا."[258]
- اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن قراءة و جمعا بالصدور و السطور حيث بذلوا أرواحهم في نقله و الحفاظ عليه مما يمنع دروسه ، أو نقله بالآحاد.[259]

– رواية القرآن الكريم إذا ثبتت بطريق الآحاد فقد سقطت لعدم تواترها، أو لكونها مذهبا للصحابي.[260]

ب – المذهب الثاني: ذهب أصحابه إلى أنّ القراءة الشاذة حجة ظنية في الأحكام الفقهية، و ذهب إلى هذا القول الحنفية والشافعي في رواية عنه.[261]

---

[255] – الآمدي ، الإحكام في أصول الإحكام، 1، 229.

[256] – الزركشي ،البرهان ، 1، 25.

[257] – الغزالي ،المستصفى ،1، 94 ،و الآمدي ، الإحكام في أصول الإحكام، 1 ، 131

[258] – صحيح مسلم بشرح النووي، 5 ، 130 ، الجامع الصحيح ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.5 / 132. و البحر المحيط : 1/ 475-476 ؛ و الأحكام الآمدي 1 / 138،و كشف الأسرار عن فخر الإسلام البزدوي ، علاء الدين عبد العزيز البخاري، دار الكتاب العربي، بيروت، 12/1.

[259] – الزركشي ،البحر المحيط ، 2، 222.

[260] – الغزالي، المستصفى 1/ 102 ؛و الأحكام، الآمدي 1/ 138.و فواتح الرحموت 2/ 16-17 .

❁ – أدلة المذهب الثاني:

– المعقول : و يتلخص فيما يلي:

– إنّ ما نقل من القرآن بطريق الآحاد فهو حجة؛ لأنه دائر بين أمرين اثنين:

إما كونه قرآنًا أو خبرًا ، أو كلاهما يوجب العمل[262] تفصيل ذلك أنّ الناقل جازم بالسماع من النبي صلى الله عليه و سلم، فصدوره عن الرسول إمّا على جهة تبليغ الوحي، فيكون قرآنًا، أو على جهة تفسيره فيكون خبرًا ، وما ينقله الناقل عنه صلى الله عليه و سلم لا يخرج عن كونه خبرًا.[263]

– إنّ المنقول إنّما نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم و عليه فلا يلزم من انتفاء خصوص قرآنيته انتفاء عموم خبريته.[264]

- إنّ سبب اعتبار المنقول خبرًا عدالة الراوي فما قرأ بها بتلك القراءة إلا سماعًا من رسول الله صلى الله عليه و سلم وخبره مقبول في وجوب العمل به [265] قال ابن قدامة:" إنّ ما نقل نقلا غير متواتر ليس بحجة ، والصحيح أنه حجة ؛ لأنّه يخبر أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه و سلم فإن لم يكن قرآنًا فهو خبر." [266]

– القراءة الشاذة إذا رواها الثقة العدل وجب العمل بها لأنّها في حكم السنة النبوية.[267]

– القراءة الشاذة ترد على وجهين:

– أحدهما : أن ترد قرآنا نسخت تلاوته أو تفسيراً ظنّ ناقله أنّه قرآن.

– ثانيهما : أن تكون رواية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم.

---

[261] – منع الموانع عن جمع الجوامع ، ص349.و البحر المحيط : 1/ 476 ؛و الإتقان : 1/ 228: روضة الناظر : ص62 ؛و القواعد والفوائد الأصولية، لأبي الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلي المعروف بابن اللحام، تصحيح محمد بن شاهين، ط1، 1995 ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ص155،و الشوكاني، إرشاد الفحول، ص48.

[262] – الطوفي نجم الدين سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1 ، 1990 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، 2 ، 52 ،و الفتوحي أبو البقاء تقي الدين ، الكوكب المنير ،مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ، 1 ، 204

[263] – شرح مختصر الروضة، 2 ، 25

[264] – العطار حسن بن محمد ،حاشية العطار على شرح الجلال المحلي ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1 ، 299

[265] – السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي ، تحقيق أبو الوفا الأفغاني،ط 1 ،1993، دار الكتب العلمية،بيروت،1 ، 281

[266] – روضة الناظر، 34

[267] – روضة الناظر : ص62

و منه إذا سقط عنها وصف القرآنية فلا يسقط أصل السماع في كونها خبرا و إذا ثبت وصف الرواية لها وجب العمل بها.[268]

- الراجح في المسألة:

و بعد النظر في أدلة الفريقين يترجح مذهب حجية القراءة الشاذة ليس باعتبارها قرآنًا، وإنما باعتبارها خبرًا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك:

- لاعتبار عدالة الناقل في القراءة، والناقل للقراءة صحابي، ومن المعلوم أن الصحابة كلهم عدول بنص القرآن و السنة النبوية.

- إنّ الناقل جازم بالسماع من النبي صلى الله عليه و سلم وإن لم يصرح ؛ لأنّ الاستقراء التام دلّ على أنّ الصحابة كانوا حريصين على حفظ الشريعة على أكمل الوجوه فاحتمال التقوّل على الرسول صلى الله عليه و سلم غير وارد.

- ما نقل إلينا بطريق الآحاد إما أن يكون قرآنًا أو خبرًا، ولا يخرج عن هذين الأمرين، و عليه فلما انتفت قرآنيته، فهذا لا ينفي كونه خبرًا سمعه الصحابي عن الرسول صلى الله عليه و سلم.

---

[268] – المستصفى : 1 / 102، الأحكام للامدي : 1 / 140.

الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.

و فيه المباحث التالية:

- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية.
- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة.
- حقيقة الأحرف السبعة.
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية.

- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية.

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، واللسان العربي في أدائه الصوتي متعدد اللهجات، فقد كان لكل قبيلة لهجتها الخاصة التي تختلف بها عن غيرها من اللهجات في طريقة أدائها، و كيفية نطقها المفردات ، وفي مخارج الحروف ونبرات الأصوات من إمالة وترقيق وتفخيم ،[269] و " لو كلّف الله العرب مخالفة لغاتهم التي لا يستقيم لسانهم إلا عليها ، ولا يتيسر نطقهم إلا بها ،لشقّ عليهم ذلك غاية المشقة ، و لكان ذلك منافيًا ليُسر الإسلام وسماحته التي تقتضي درء الحرج و المشقة " [270]، فرحم الله العباد وخفّف عنهم ، فأنزل رخصة الأحرف السبعة ؛"ولا شكّ أنّ القبائل كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم لكلّ أحد بحسب لغته، فكان يمدّ قدر الألف والألفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، وكان يفخّم لمن لغته كذلك، ويرقّق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك "[271]، و قد اقتدى الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقرؤوا القرآن و بلّغوه كما عنه تحمّلوه دون تحريف أو تصحيف ، ثمّ نقل التابعون عن الصحابة القراءات القرآنية بدقّة محكمة " فكرّسوا حياتهم وقصروا جهودهم على قراءة القرآن وإقرائه ، وتعليمه وتلقينه ، وضبط ألفاظه وتحرير قراءاته وتحقيق رواياته حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم "، و بذلك فهموا نصوص رخصة الأحرف السبعة، فأدركوا أسرار تشريعها، و أحاطوا بمقاصد العمل بها.

- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة.[272]

- روايات أبيّ بن كعب رضي الله عنه:

- الرواية الأولى:273

---

[269] – مهنا، محمد عبد الكريم وآخرون، العرض الجديد لأحكام التجويد، ط 2 ،2007، ص 163

[270] – العقرباوي، زيدان محمود المرشد في علم التجويد، ط 1 ،2003 ، دار الفرقان ،عمان، ج 1 ،ص 16

[271] – الأشموني، أحمد بن محمد منار الهدى في بيان الوقف و الابتدا و معه التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ،ط 1983 ، دار المصحف، دمشق ،ص 15

[272] – حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و متنه و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ط1 ،2002 ،مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص 8

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان عند أضاءة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال:" إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ،قال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثمّ أتاه الثانية فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على حرفين ، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإنّ أمتي لا تطيق ذلك ، ثمّ جاءه الثالثة فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإنّ أمّتي لا تطيق ذلك ،ثمّ جاءه الرابعة فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا."

– الرواية الثانية:274

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال:" كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ، ثمّ دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلمّا قضيا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: إنّ هذا قرأ قراءة أنكرها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرآ فحسّن النبي صلى الله عليه و سلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ،فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنّما أنظر إلى الله فرقا ،فقال لي: يا أبيّ أُرسِل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية اقرأه عل حرفين ، فرددت أن هون على أمتي ،فردّ إليّ الثالثة اقرأه على ثلاثة أحرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فردّ إليّ الرابعة اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتُكَهَا مسألة تسألنيها ، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، وأخّرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلّهم حتى إبراهيم."

– الرواية الثالثة:275

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال:" ما حكّ في صدري شيء منذ أسلمت إلاّ أنّي قرأت آية وقرأها رجل غير قراءتي، فأتينا النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: أقرأتني آية كذا وكذا ، قال: نعم، أتاني جبريل عن

273– سنن أبي داود، باب 2 :كتاب الصلاة، رقم 1263 ، و باب11، كتاب الإفتتاح ، رقم 930.و صحيح مسلم، باب7، صلاة المسافرين وقصرها، رقم1357.و مسند أحمد، باب12،كتاب مسند الأنصار، رقم20239.و 20235.

274 – مسند أحمد، باب 12،كتاب مسند الأنصار، رقم20234 و 20242.و صحيح مسلم،باب7،صلاة المسافرين ، رقم 1356 ،و ابن كثير، فضائل القرآن ، تحقيق الحويني ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1416،ص 96

275 – سنن النسائي، باب11،كتاب الافتتاح، رقم 931 و 932 ،و ابن كثير، فضائل القرآن ،ص95.،و مسند أحمد،باب12،كتاب مسند الأنصار، رقم20223، ص102.

يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فاستزاده قال: اقرأه على حرفين قال ميكائيل استزده فزاده، قال اقرأه على ثلاثة أحرف، قال ميكائيل استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف كلها شاف كاف."

- الرواية الرابعة:276

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال:" لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمّة أمّيين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط ، قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف."

- الرواية الخامسة:277

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: " قرأت آية وقرأ ابن مسعود خلافها، فأتيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: ألم تقرأني آية كذا وكذا فقال ابن مسعود: ألم تقرأنيها كذا وكذا ، فقال: بلى كلاكما محسن مجمل قال: فقلت له، فضرب صدري فقال: يا أبيّ إنّي أقرأت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين فقال الملك الذي معي على حرفين، فقلت: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت غفورا رحيما، أو قلت سميعا عليما، أو عليما سميعا فالله كذلك ، مالم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب."

- روايات ابن عباس رضي الله عنه 8

- الرواية الأولى:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف."278

---

276 – سنن النسائي، باب11،كتاب الافتتاح، رقم 931 و 932 ، وباب44،كتاب القراءات عن رسول الله، رقم 2868 و ابن كثير، فضائل القرآن ،ص95.و 104 ، ومسند أحمد،باب12،كتاب مسند الأنصار،رقم20223،و رقم20259

277 – مسند أحمد ، باب12،كتاب مسند الأنصار، رقم20222.

278 – مسند أحمد، باب4،كتاب مسند بني هاشم،رقم2582.و صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن، باب46، رقم4607،وابن كثير ،فضائل القرآن ،ص94 ،و صحيح مسلم، باب7، كتاب صلاة المسافرين وقصرها،رقم1355

- الرواية الثانية:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف." قال ابن شهاب: بلغني أنّ تلك السبعة أحرف إنّما هي في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال ولا حرام.

- روايات عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- الرواية الأولى:

عن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن القاري أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:" سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلّم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت له كذبت، فو الله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأ، فانطلقت به إلى رسول الله أقوده فقلت: يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنّك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: يا هشام اقرأها فقرأها بالقراءة التي سمعته، فقال رسول الله هكذا أنزلت، ثمّ قال: اقرأ ياعمر، فقرأتها القراءة التي أقرأنيها ،فقال رسول الله هكذا أنزلت، ثمّ قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه."

- روايات أبي هريرة رضي الله عنه:

- الرواية الأولى:279

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:" نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر ثلاث مرات، فما عرفتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه."

- الرواية الثانية:280

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:" أنزل القرآن على سبعة أحرف ، عليما حكيما غفورا رحيما."

---

279 – مسند أحمد، باب**6**،كتاب باقي مسند المكثرين،رقم**7648**،و ابن كثير، فضائل القرآن ،ص**114**

280 – مسند أحمد، باب**6**،كتاب باقي مسند المكثرين ،رقم**8040**

– الرواية الثالثة:281

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال:" إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة."

– روايات حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

– الرواية الأولى:282

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال:" لقي النبي صلى الله عليه و سلم جبريل عليه السلام عند أحجار المراء، فقال :إنّ أمّتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه."

– الرواية الثانية:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت: يا جبريل، إنّي أرسلت إلى أمّة أمّية الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط ،قال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف."

– الرواية الثالثة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:" سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " أنزل القرآن على سبعة أحرف."

– رواية أمّ أيوب رضي الله عنها:283

عن أم أيوب رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك."

– رواية سمرة بن جندب رضي الله عنه:284

281– شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ،ط 2003، ص321.

282 – مسند أحمد، باب13،كتاب باقي مسند الأنصار، رقم22186،ورقم 22320، ورقم22350،و ،رقم22237– و ابن كثير، فضائل القرآن ،ص114.

283 – مسند أحمد، باب14، كتاب مسند القبائل، رقم26340، و 26172.

عن سمرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال:" نزل القرآن على سبعة أحرف."

– رواية أبي بكرة رضي الله عنه[285]

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه أنّ جبريل عليه السلام قال:" يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل: استزده فاستزاده ، قال: اقرأه على حرفين ، قال ميكائيل: استزده فاستزاده ، قال: اقرأه على ثلاثة أحرف ،قال ميكائيل: استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كل شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، نحو قولك: تعالى و أقبل و هلم و اذهب و أسرع و عجّل."

– رواية عمرو بن العاص رضي الله عنه[286]

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه سمع رجلا يقرأ آية من القرآن فقال:" من أقرأكها ،قال رسول الله. قال: فقد أقرأنيها رسول الله على غير هذا، فذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا ثم قرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هكذا أنزلت، فقال الآخر: يا رسول الله، فقرأها على رسول الله، فقال: أليس هكذا، فقال هكذا أنزلت إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم فقد أحسنتم وأجملتم ، ولا تماروا فيه فإنّ المراء فيه كفر أو آية الكفر."

– رواية أبي جهيم الأنصاري[287]

عن أبي جهيم الأنصاري أنّ رجلين اختلفا في آية من القرآن ،كلاهما يزعم أنّه تلقّاها من رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله، فذكر أبو جهيم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإنّ مراءً فيه كفر."

– رواية إسحاق بن أبي طلحة[288]

---

284 – مسند أحمد، باب11،كتاب مسند البصريين،رقم19319 ، ابن كثير، فضائل القرآن ،ص112.

285 – مسند أحمد، باب11،كتاب مسند البصريين،رقم19609، و 19529.

286 – مسند أحمد، باب9،كتاب مسند الشاميين،رقم17154، و17152،و ابن كثير، فضائل القرآن ،ص118.

287 – ابن كثير، فضائل القرآن ،ص118.

288 – المرجع السابق،ص130–132

عن إسحاق بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال:" قرأ رجل عند عمر رضي الله عنه فغيّر عليه ، فقال: قرأت على رسول الله فلم يغيِّر عليَّ ، فقال: فاجتمعا عند النبي صلى الله عليه و سلم فقرأ الرجل فقال له رسول الله: قد أحسنت، قال: فكأنّ عمر وجد من ذلك ،فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عمر إنّ القرآن كلّه صواب ما لم تجعل عذابا مغفرة ومغفرة عذابا."

- رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[289]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر و بطن ، ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع."

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافٍ."

- الأحرف السبعة حقائقها و دقائقها.

يعدّ حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف الأساس الذي يُبنى عليه كل موضوع شرعي ،و لقد بلغ هذا الحديث درجة التواتر[290]، فقد أخرج القاضي أبو يعلى في مسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال يوماً على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه و سلّم قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، لمّا قام ، فقاموا حتى لم يُحصوا فشهدوا بذلك ، فقال: وأنا أشهد معكم.[291]

و الحكمة من ذكر العدد التوسعة على الأمّة الإسلامية دون فتح ذريعة حكمة التيسير لولوج باب المراء في القرآن و الجدال في معانيه و أحكامه، فقد روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، و المراء في القرآن كفر " ثلاث مرات"، فما عرفتم منه

---

289 – شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن ،ص**221**.،و **222**

290– ينظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي،ج**1**ص**155**،و الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، ج**1** ص**475**، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني،ص **104**،و نزول القرآن على سبعة أحرف،مناع القطان، ص **21**.

291– الاتقان **155/1**، والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: **152/7** وقال: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راوٍ لم يسم، وقد بحثت في مسند أبي يعلى فلم اهتد إليه.

فاعملوا به، وما جهلتم فردّوه إلى عالمه "292 ، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم:" أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليم حكيم ،غفور رحيم"293، و رغم أنّ الحكمة ظاهرة من رخصة الأحرف السبعة إلا أنّ أقوال العلماء اتجهت في تفسير معنى عدد سبعة نحو مسارين اثنين:

❋ المسار الأول: المراد بالأحرف السبعة التيسير على الأمّة الإسلامية والتوسعة عليها، وليس المقصود حصر العدد و تحديده، فالعرب تطلق لفظ السبعة على إرادة الكثرة في الآحاد، و لفظ السبعين على إرادة الكثرة في العشرات، ولفظ السبعمائة على إرادة الكثرة في المئات294 ، فقد سيق العدد في الحديث مساق الرمز " إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد ، وخاصة فيما يتعلّق بالإلهيات كالسماوات السبع ، والأرضين السبع ، و السبعة الأيام التي برئت فيها الخليقة ، وأبواب الجنّة والجحيم.."295 ، و انتقد هذا المذهب كثير من العلماء منهم ابن الجزري حيث قال: " هذا جيّد لولا أنّ الحديث يأباه "296 ، و من النصوص التي تأباه فتردّه ما أوردّه السيوطي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال:" أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف "297 ، ثمّ علّق على الحديث فقال: " فهذا يدلّ على إرادة حقيقة العدد و انحصاره."298

❋ المسار الثاني: وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء ، فرأوا أنّ حقيقة العدد مقصودة مرادة ، وليست لمجرد التيسير و رفع الحرج299 ، و هذا الرأي هو المذهب الراجح ، و التفسير الظاهر الذي يطمئّن إليه القلب ،

---

292 – أخرجه أحمد في المسند: 2: 300: حديث 7976، وابن حبان في صحيحه: 275/1: حديث 74، وأبو يعلى في مسنده: 10: 410: حديث 6016، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

293 – أخرجه أحمد في المسند: 2: 440: حديث 9676 قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: حديث 743، 18/3 بلفظ عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً.

294 – ينظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، 156/1، علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، 129.

295 – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، 51، تاريخ أداب العرب، مصطفى صادق الرافعي،68.

296 – النشر في القراءات العشر 26.

297 – صحيح البخاري: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، 1909/4 حديث 4705، وصحيح مسلم باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف 561/1: حديث 819، مسند أحمد 263/1: حديث 2375.

298 – الاتقان في علوم القرآن،السيوطي، 156/1.

299 – ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي 124/1، علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، 131، محاظرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 223.

لأنّ أقلّ ما له من الصواب عدم إسقاطه نصوص الحديث المتواترة، و عدم إهمال العمل بمقتضاها ،و عليه فليس من المعقول أن يكون العدد فيها غير مقصود.300

و لقد اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها اختلافاً كبيراً ،[301] حتى بلغ خمسة وثلاثين قولا كما نقل ذلك القرطبي عن ابن حبان 302 ، بل أوصلها السيوطي إلى الأربعين 303 ، و رغم كثرة الأقوال التي تشير إلى عظمة الموضوع و أهميته ، فإنّ الأحاديث النبوية لم تتعرّض إلى بيان ماهيّة الاختلاف في القراءة بين الصحابة 304 ، و بعد إطّلاعنا على أقوال العلماء في تفسير معنى الأحرف وجدناها إمّا مكرّرة اختلفت عباراتها ، أو متقاربة تداخلت عناصرها، أو متباينة تعارضت حقائقها، فكان منهجنا في البحث أن نوضّح ما ينبني عليه فهم القضية دون الإسهاب فيما قد يضرّها فركّزنا على الأقوال التالية:

✵ القول الأول: المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب ، و عليه فإنّ القرآن لا تخرج كلماته عن سبع لغات305 ، لكن ليس معنى القول أن يرد في الحرف الواحد سبعة أوجه من اللغات ، بل هي متفرّقة في القرآن الكريم ، وذهب إلى هذا القول أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن عطية الأندلسي المفسر ، و البيهقي306 ، و اتفق أصحاب هذا الرأي على عدد اللغات لكنهم اختلفوا في حصر قبائلها307 ، و استدلّوا بما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: ما كنت

---

300 – ينظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، **103**.

[301] – حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و متنه و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ،ط**1**، **2002** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص **42**

302 – ينظر: الجامع لأحكام القرآن **42/1**، الزيادة و الإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، **476/1**.

303 – ينظر: الاتقان في علوم القرآن **156/1**.

304 – ينظر: في رحاب القرآن الكريم، محمد سالم محيسن **236**،و القراءات وآثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن **45– 46** ،و إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، **53**.

305 – وقد اختلفوا في تعيين القبائل التي نزل القرآن بلسانها. ينظر تفصيل ذلك في: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي **159/1– 160**، و التبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، طاهر الجزائري، ص **81** ،و نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان ،ص **41**

306 – ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي **127/1**، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، طاهر الجزائري **81**، نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان **37– 38**، و الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، **49**.

307 – ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني **133**.

أدري معنى قوله: " رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ "308 حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها:" تعال أفاتحك أي: أحاكمك."309

❋ القول الثاني:310 المراد بالأحرف السبعة سبع لغات اتفقت معانيها و اختلفت مبانيها، مثل :هلّم، وتعال، وأقبل ، وإليّ، ونحوي ، و ممن ذهب إلى هذا الرأي ابن جرير الطبري311، و الطحاوي312 ،و من بين ما استدل به أصحاب هذا المذهب حديث أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى اله عليه و سلم قال جبريل: اقرؤوا القرآن على حرف، فقال ميكائيل :استزده، فقال: على حرفين ،حتى بلغ سبعة أحرف فقال: كلّها شاف كان ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب ،كقولك: هلم، وتعال"313، و علّق الطبري على الحديث فقال:" إن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم، وتعال باتفاق المعاني."314

❋ القول الثالث:315 المراد بالأحرف السبعة أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية، ولقد استقرأ أصحاب هذا القول وجوه القراءات المقبولة و المردودة، و المنسوخة ثمّ صنفوها إلى سبعة أصول لكنهم اختلفوا في تحديدها على الأوجه التالية:

1: وجه أبي حاتم السجستاني.

أ- إبدال لفظ بلفظ آخر نحو: "فاسعوا " قرئت " فامضوا "في قوله تعالى:" فاسعوا إلى ذكر الله " 316 و" وكالعهن المنفوش" 317 قرئت كالصوف.318

---

308 - الأعراف **89**.

309 - ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، **280/5**، وفتح الباري، ابن حجر، **299/8**.

310 - ينظر: البرهان ، الزركشي **129/1**، والاتقان ، السيوطي،**158/1**، والزيادة و الإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي **486/1**، وعلوم القرآن، غانم قدوري الحمد، ص **134**.، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة، **179** .

311 - ينظر: جامع البيان، الطبري، **57/1- 58**.

312 - ينظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، **124/8- 125**.

313 - أخرجه مسند الإمام أحمد: **41/5**: حديث **20441** مختصراً، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: **151/7** وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

314- جامع البيان، الطبري، **22/1**.

315 - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن **115**،و مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح،ص**108**،فصول في علوم القرآن، عدنان محمد زرزور، ص **82**.

ب- إبدال حرف بحرف آخر نحو: "الصراط" حيث وقع في القرآن يقرأ بالصاد وبالسين وبإشمام الصاد زايا.319

ت- تقديم كلمة أو حرف أو تأخيرهما نحو: " فيَقتلون ويُقلتون "320 قرئت "فيُقتلون ويَقتلون"

ث- زيادة حرف أو نقصانه نحو: وصّى وأوصى في قوله سبحانه:" وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب"321

ج-اختلاف حركات البناء نحو: "ميسرة" بضمّ السين ، و"ميسرة" بفتح السين في قوله عزّو جلّ: " فنظرة إلى ميسرة "322

ح- اختلاف حركات الإعراب نحو: "المجيد" بضم الدال، و"المجيد" بكسر الدال في قوله تعالى:" ذو العرش المجيد "323

خ- إشباع الصوت بالتفخيم و الترقيق و الإمالة و الإظهار و الإدغام نحو: من يرتدد منكم"324 من يرتد و"الكبرى" قرئت بالفتح والإمالة والتقليل حيث وقعت.325

2: وجه ابن قتيبة:326

أ - الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها، مثل قوله تعالى:" هؤلاء بناتي هن أطهر لكم"327 برفع" أطهر" ، ونصبها، و قوله: "هل نجازي إلا الكفور"328

---

316 - الجمعة:**9**

317 - القارعة:**4**

318 - الكشاف، الزمخشري ،ج**3** ص **353** ،و تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص **24**

319 - البحر المحيط، ابن حيان،**1** ،**24** ،و الكشف عن وجوه القراءات السبع،**1** ، **34** ،

320 - التوبة:**112**

321 - البقرة:**131**

322 - البقرة:**279**

323 - البروج:**15**

324 - المائدة:**56**

325 - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية،ط**1**،**1988**م ،ص**148**

326 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص **26** ،و انظر الإبانة عن معاني القراءات، مكي القيسي، ص **55**.

327 - سورة هود آية **78**

328 - سورة سبأ آية **17**

، و قوله: "هل يجازي إلا الكفور"، و قوله:" يأمرون الناس بالبخل "329 بضمّ الباء وسكون الخاء من "البخل"، أو بفتحهما جميعا فيها.

ب – الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: "ربنا باعد بين أسفارنا"330 بنصب ربّ على النداء واعتبار باعد فعل أمر ، أو رفع ربّ على الابتداء و اعتبار باعد فعلا ماضيا ،و قوله تعالى:" إذ تلقونه بألسنتكم " 331 بفتح اللام وتشديد القاف ،أو كسر اللام وتخفيف القاف.

ت – الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى :"وانظر إلى العظام كيف ننشزها "332 بإبدال كلمة ننشزها بننشرها ، ونحو قوله تعالى:" حتى إذا فزّع عن قلوبهم "333 بإبدال فزع بكلمة فرغ.

ث – الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى" وطلع منضود " في موضع "وطلح منضود"334

ج – الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها نحو قوله تعالى:" إن كانت إلا زقية واحدة" ، و في موضع " إن كانت إلا صيحة واحدة "335 ، و"كالصوف المنفوش" بدلا من" كالعهن المنفوش"336

ح – الاختلاف في التقديم والتأخير نحو قوله تعالى:" وجاءت سكرة الموت بالحق "337 ، و"جاءت سكرة الحق بالموت."

---

329 – سورة النساء آية 37 وسورة الحديد آية 24

330 – سورة سبأ آية 19

331 – سورة النور آية 15

332 – سورة البقرة آية 259

333 – سورة سبأ آية 23

334 – سورة الواقعة آية 29

335 – سورة يس آية29

336 – سورة القارعة آية 5

337 – سورة ق آية 19

خ – الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى:" وما عملت أيديهم" و في موضع "وما عملته أيديهم" 338 و نحو قوله تعالى:" إنّ الله الغني الحميد" ، و في موضع " إنّ الله هو الغني الحميد"339

3: وجه أبي طاهر بن أبي هشام.340

أ– الاختلاف من حيث الجمع والتوحيد نحو: "كتب" و"كتاب" في قوله تعالى: "وكتابه وكانت من القانتين."341

ب–الاختلاف من حيث التذكير والتأنيث نحو: "ولا تقبل" و "لا يقبل" في قوله تعالى: "ولا يقبل منها شفاعة 342"

ت–الاختلاف في إعراب الكلمة نحو: "المجيد" برفع الدال وكسرها في قوله تعالى: "ذو العرش المجيد. "343

ث–الاختلاف في تصريف الكلمة نحو: " يعرشون " بضمّ الراء وكسرها في قوله تعالى: "وما كانوا يعرشون. 344"

ج–الاختلاف في الأدوات التي يتغير بتغيّرها الإعراب نحو: "لكنّ" في قوله تعالى: "ولكن الشياطين كفروا 345" قرئت "لكن" بالتخفيف.

ح– الاختلاف في اللغات واللهجات نحو: تحقيق الهمز و تسهيله ، والفتح والإمالة وما بينهما، والإدغام والإظهار ، وهو ما يسمّى بأصول القراءات.

خ– الاختلاف في اللفظ مع الاتفاق في الرسم، وذلك نحو: "نشرها" و"ننشرها" في قوله تعالى: "فانظروا إلى العظام كيف ننشرها"346

---

338 – سورة يس آية 35

339 – سورة لقمان آية26

340 – المرشد الوجيز ص 116 و ابن أبي هاشم هو أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم إمام نحوي ثقة أخذ القراءة عن ابن مجاهد توفي سنة 349هـ انظر غاية النهاية:475/1

341 – التحريم:12

342 – البقرة:47

343 – البروج:15

344 – الأعراف:137

345 – البقرة:101

346 – البقرة:258

4: وجه أبي الفضل الرازي.347

أ- اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع كالاختلاف في جنتهم وجنتيهم في قوله تعالى: "وبدلناهم بجنّتيهم جنّتين "348 ، و نحو: " كتابه " و" كتبه " في قوله تعالى: "وكتابه وكانت من القانتين"349

ب- الاختلاف في تصريف الأفعال من حيث زمانها وما تسند إليه نحو: "واتخذوا " بكسر الخاء وفتحها في قوله تعالى: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى"350

ت-الاختلاف في وجوه الإعراب نحو: "لا يضارّ" بفتح الراء وضمّها في قوله تعالى: " لا يضارّ كاتب ولا شهيد "351

ث- الاختلاف من حيث الزيادة والنقصان نحو: قوله تعالى:" هو الغني الحميد "352 قرئت" الغني الحميد "

ج-الاختلاف من حيث التقديم والتأخير نحو قوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق "353 قرئت "وجاءت سكرة الحق بالموت"

ح -الاختلاف بإبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى وذلك نحو: "فتبينوا" ، و"فتثبتوا" في قوله تعالى: " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا "354

خ-الاختلاف في اللغات و اللهجات كالإدغام و الإظهار و الفتح و الإمالة. 355

5: وجه أبي الحسن السخاوي:

أ- كلمات تقرأ بكل واحدة في موضع أخرى نحو ما ذكرته.356

---

347 – الرازي: هو أبو الفضل عبد الرحمان بن أحمد بن الحسن الرازي الإمام المقرئ الثقة الورع قرأ على أبي القاسم الهذلي توفي سنة **454**هـ انظر غاية النهاية:**361/1**

348 – سبأ:**17**

349 – التحريم:**12**

350 – البقرة:**124**

351– البقرة:**281**

352 – الممتحنة:**6**

353 – ق:**19**

354 – الحجرات:**6**

355 – مناهل العرفان ، الزرقاني، **155/1**

356 – من ذلك:" يسيركم و" ينشركم" في قوله تعالى:" هو الذي يسيركم في البر والبحر" يونس:**22** .

ب- أن تزيد كلمة في أحد الوجهين وتترك في الوجه الآخر نحو:" تحتها " و "من تحتها" "تجري من تحتها"357 ، و نحو: "فإنّ الله هو غني حميد" قرئت" فإنّ الله الغني الحميد"358

ت- زيادة حرف ونقصانه نحو: "بما كسبت" قرئت " فبما كسبت"359

ث- مجيء حرف في موضع حرف نحو :"نقول"، و"يقول "360، "وتتلوا" و"تبلوا" 361

ج- تغيّر حركات إمّا بحركات أخرى أو بسكون نحو:" فتلقّى آدم من ربّه كلمات "362 قرئت بضمّ الميم وفتحها وبضم التاء وفتحها ونحو: "وليحكم أهل الإنجيل"363 قرئت بكسر اللام وسكونها .

ح- التشديد والتخفيف نحو: "تساقط عليك "364 قرئت بتخفيف السين و تشديدها، و "بلد ميت"365 قرئت بتشديد الياء مكسورة وبإسكانها ونحو ذلك.

خ- التقديم والتأخير كقوله عز وجل: "قَاتلوا و قُتلوا " 366 و "قُتلوا وقَاتلوا " 367

❋ القول الرابع: المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من وجوه المعاني في القرآن الكريم كالزجر، والأمر ، والحلال ، والحرام، والمحكم، والمتشابه ، و الأمثال368 ،و من أدلة أصحاب هذا القول ما ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" كان الكتاب الأول يترل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن

---

357 – التوبة: **101**

358 – الممتحنة: **6**

359 – الشورى: **31**

360 – العنكبوت: **55**

361 – يونس: **30**

362 – البقرة: **36**

363 – المائدة: **47**

364 – مريم: **24**

365 – فاطر: **9**

366 – آل عمران: **195**

367 – جمال القراء وكمال الإقراء، **1/242-244**

368 – ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي **1/126**، و الإتقان في علوم القرآن، **1/161**،و الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، **30** .

من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه... وقولوا أمنا به كل من عند ربنا."369

- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية.

اختلف العلماء في بقاء الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية – بعد اختلافهم في تفسيرها – على ثلاثة مذاهب هي:

✵ المذهب الأول:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على حرف واحد وهو حرف قريش ، و الباقي منها إما نسخ على عهد النبوة ، أو أجمع الصحابة على تركه درء لمفسدة الفتنة في عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و صرح بهذا ابن جرير الطبري ،و أبو جعفر الطحاوي، وأبو عمرو بن عبد البر370 قال أبو عبيد الله بن أبي صفرة:" هذه القراءات السبع إنّما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة في الحديث، وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف .." 371، و يرجع أصل هذا القول إلى أنّ المراد بالأحرف السبعة سبع لغات في الكلمة الواحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، أمّا حجّة القائلين بهذا المذهب ما يلي:

– ترجيح لهجة قريش عند الاختلاف فقد قال عثمان رضي الله عنه لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ عند جمع القرآن:" إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ.372

– سقوط رخصة الضرورة بزوال باعث تشريعها– المشقة – فقد جمع عثمان بن عفان المسلمين على حرف قريش الأول بعد الفتنة في عهده.373

369– صحيح ابن حبان:20/3:حديث 745،والمستدرك على الصحيحين ،الحاكم: 317/2،حديث: 3144 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .قال بن عبد البر: هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وأبو سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوي منه، ينظر: التمهيد: 275/8–276. وقال الحافظ ابن حجر: صحح الحديث ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر، لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود، وأخرجه البيهقي من وجه أخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلاً، وقال: هذا مرسل جيد، ينظر: فتح الباري: 29/9.

370 – انظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج1 ص224،241،و وشرح النووي على صحيح مسلم،ج 6 ص100.

371 – صحيح مسلم بشرح النووي (100/6).

372 – رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريشٍ 621/6 ،حديث 3506

– اجتماع الصحابة على حرف واحد تحقيقا لمصلحة الوحدة و درء لمفسدة الفرقة و منطلق ذلك أنّ القراءة على الأحرف السبعة رخصة جائزة لا واجبة.374

❋ المذهب الثاني:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة ، وهو الذي اختاره الباقلاني و ابن حزم و الداودي وغيرهم، قال الباقلاني: "الصحيح أنّ هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رَسُول الله صلى الله عليه و سلم، وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف، وأخبروا بصحتها، وإنَّما حذفوا منها ما لم يثبت متواترًا، وأنّ هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى، وليست متضاربة ولا متنافية"375 ،و حجّة القائلين بهذا المذهب ما يلي:376

– أنّ القرآن نزل بالأحرف السبعة فلا يجوز إهماله بتركها.

– أنّ المصاحف العثمانية نسخ عن الجمع في عهد الخليفة أبي بكر الصدّيق ، وقد كانت مشتملة على الأحرف السبعة.

– أنّ الأحرف السبعة رخصة ثابتة فلا يجوز الأخذ ببعضها ،و النهي عن البعض الآخر إذ ليس بعضه أولى و أرجح من بعض.

– أنّ الحكمة من رخصة الأحرف السبعة التيسير،و هي مقصد متعين في عصور ما بعد الصحابة ،و متأكد لفشو اللحن و العجمة.

❋ المذهب الثالث:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على بعض الأحرف السبعة التي تضمّنتها العرضة الأخيرة قال ابن الجزري:" وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنَّ هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي

---

373 – تأويل مشكل الآثار، الطحاوي، 4/190–191 ، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي 6/100.

374 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية 13/395–396 ،و اختلف أصحاب هذا المذهب هل نسخت الأحرف الستة الباقية على عهد النّبيّ صلى الله عليه و سلم ،أو تركت بعده من الصحابة اتفاقا ؟ الأكثر على القول الأول. انظر البرهان،الزركشي،1/213

375 – صحيح مسلم بشرح النووي،ج6 ص100،والبرهان،الزركشي،ج1ص223 ،وقال الداودي: "هذه القراءات السبع التي يقرأ الناس اليوم بِها ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة، بل تكون مفرقة فيها." انظر صحيح مسلم بشرح النووي ،ج 6 ص100

376 – الإتقان في علوم القرآن 1/141–142 ،و مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 13/395–396.

عرضها النبي صلى الله عليه و سلم على جبريل عليه السلام ، متضمنة لَها، لم تترك حرفًا منها...و هذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأنّ الأحاديث الصحيحة والآثار المستفيضة تدلُّ عليه ، وتشهد له"377، و حجة القائلين بهذا المذهب ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني.378

❁ المذهب الراجح :

الراجح في المسألة أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة، و منطلق الرجحان أصلان:

أ – الاعتبار بشرط العرضة الأخيرة – الجمع الشفهي الأخير – فإنّها القيد الذي فارق النبي صلى الله عليه و سلم عليه الحياة، فعن سمرة رضي الله عنه قال: "عرض القرآن على الرسول الله صلى الله عليه و سلم عرضات فيقولون: إنّ قراءتنا هذه العرضة الأخيرة."379 فمات صلّى الله عليه و سلم و لم يثبت نصّ عنه يصرّح بسقوط الرخصة أو بعضها.

ب– الاعتبار بتفسير مصطلح الأحرف السبعة فإن كان المراد منه سبع لغات من لغات العرب متفرّقة في القرآن فهي كثيرٌ في القرآن، بل قد ورد على غير لسان قريش ما لم يستوعبه إلا التصنيف، و قد نقل السيوطي من ذلك نحو ثلاثين لغة من لغات العرب380، قال أبو عمرو الداني: "كان القرآن مجرّدا في

---

377 – النشر في القراءات العشر 1،31 ، وانظر الإتقان في علوم القرآن 1،141–142.

378 – قال السيوطي:" ولا شك أنّ القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وغُيِّر، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحقّقوا أنه قرآن مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك." انظر الإتقان في علوم القرآن ج1 ص 142، و قال البغوي:" يُقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه و سلم، وقرأها عليه، وكان يُقرئ بها الناس حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولّاه عثمان كتب المصاحف." انظر شرح السنة للبغوي،ج4 ص525 ،وَعَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ أنه قال: القراءة التي عُرِضَت على رسول الله صلى الله عليه و سلم في العام الذي قبض فيه هذه القراءة التي يقرأها الناس." انظر دلائل النبوة،البيهقي،ج7 ص155 .

379 – رواه الحاكم وصححه الذهبي ورجاله رجال الصحيح ،انظر المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري، دار الكتاب العربي،بيروت،ج2ص230 ،ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تخريج العراقي والذهبي، دار الكتب العربي، بيروت، ط3، 1403 هـ 1984 م ،ج7ص 151

380 – انظر الإتقان في علوم القرآن 1،89–104، و البرهان في علوم القرآن 1،283–286 ،و إن كان المراد تغاير المباني و اتفاق المعاني فقد دلّ عليه الكثير من تغاير القراءات القرآنية مثل قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" الأعراف،57، فقد قرأ عاصمٌ بشرا من البشر، جمع بشير، وقرأ الباقون من النشر، فقرأ حمزة والكسائي وخلف في اختياره نَشْرًا على أنه حال، أي: ناشرةً، أو منشورةً، أو ذات نَشْرٍ، وقرأ أبو جعفرٍ ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب نُشُرًا بضم النون والشين جمع ناشر، وقرأ عبد الله بن عامر

المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على التاء والياء، قالوا: لا بأس به ، هو نور له، ثمّ أحدثوا فيه نقطا عند منتهى الآي، ثمّ أحدثوا الخواتم والفواتح "381، و العلّة في إخلاء المصاحف من الشكل أنّهم " أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات و الفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها و القراءة بما شاءوا منها ،فكان الأمر على ذلك إلى أن أحدث الناس ما أوجب نقطها وشكلها "382 ، و إنّ من أظهر الأدلة على أنّ الصحابة عندما نسخوا المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتبوا كل ما ثبت في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة هو اختلافُ نسخ المصاحف العثمانية ، إذ لو كانت بحرف واحد- أي لغة واحدة- لما ثبت بينها اختلافٌ.383

نُشْرًا بضم النون وسكون الشين مع التخفيف بتسكين الشين، والبشر والنشر متوافقان في المعنى. انظر النشر في القراءات العشر، 2،269- 270 .

381- المحكم في نقط المصحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق عزت حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ط 1990 ، ص 17

382- المحكم في نقط المصحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ص 3

383 - و مما يدلّ على بقاء بعض الأحرف التي ثبتت في العرضة الأخيرة أنه ثبت أنّ كُتّاب المصاحف على عهد عثمان بن عفان نسخوا المصاحف من جمع أبي بكر الصديق ،وقد علم أنّ جمع أبي بكر الصديق لم يسقط شيئا ثبت في العرضة الأخيرة باتفاق عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال:"... فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِها حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ." رواه البخاري في صحيحه ،كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن،ج8 ص626 حديث رقم 4987.

الفصل الثالث: الإعجاز القرآني.

و فيه المباحث التالية:

- الإعجاز في اللغة و الاصطلاح.
- المعجزة في اللغة و الاصطلاح.
- شروط المعجزة.
- مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن.
- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز.
- الفروق الدلالية للفظ الإعجاز.

-الإعجاز في اللغة:

يطلق لفظ الإعجاز على المعاني التالية:

أ – الضعف و التقصير:

عَجَزَ و عَجِزَ و عَجَّزَ و عَاجَزَ عن الأمر إذا قصر عنه[384]، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز[385] ،و"العين والجيم والزاي أصلان صحيحان دلّ أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخّر الشيء...وعجز عن الشيء يعجز عجزا فهو عاجز أي ضعيف"[386]، و قد يجمع بين أصلي معنى لفظ الإعجاز فيراد به " التأخّر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخّره...ليصير اللفظ دالا على معنى القصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة [387]، والتعجيز النسبة إلى العجز[388] قال تعالى:" قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾"[389] ، وأعجزت فلانا وعجّزته وعاجزته إذا جعلته عاجزا قال:"وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾"[390] ، وقوله تعالى:" وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾"[391] قال تعالى:"وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ" [392] ،والإعجاز من العجز و هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء مطلقا.[393]

ب – السّبق و الفوت:[394]

---

384 – "لسان العرب" مادة " ع ج ز".

385 – المصباح المنير، الفيومي، الطبعة الأميرية، القاهرة، ط 1294هـ، ص 149.

386– "معجم مقاييس اللغة": ع ج ز.

387– مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصبهاني، مادة ع ج ز.

388– لسان العرب ، ع ج ز.

389– سورة المائدة آية 31.

390– سورة التوبة آية 2.

391– سورة العنكبوت آية 22.

392– سورة سبأ آية 5.

393– صائر ذوي التمييز ، 1/65.

394– لسان العرب ،مادة ع ج ز.

تقول:" أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"395، فبالنظر إلى حال المُعجز فهو فوت وسبق ،و بالنظر إلى حال العاجز فهو ضعف قال الأزهري:" الإعجاز الفوت و السبق تقول أعجزني فلان أي فاتني"396، و تقول: جاؤوا بجيش تعجز الأرض عنه"397، و هناك صلة وثيقة بين معنى مؤخر الشيء وبين القصور عنه ؛ فإنّ التأخّر والقصور متلازمان ؛فمَن تأخّر عن غيره رجع ذلك إلى تقصيره.398

ت – التثبيط:399

العجز نقيض العزم ،وعجز يعجز عجزا فهو ضعيف400، فإذا ضعفت الهمم عن بلوغ العزائم فهي عاجزة لأنّ من معاني التعجيز التثبيط401، تقول:" أعجَزَهُ الشيءُ فاته، وعَجَّزَه تعجيزاً:ثبَّطه "402، و بهذا المعنى فُسّر قوله تعالى:" وَٱلَّذِين سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ " 403، أي ظنّوا أنّهم يعجزوننا فلا يبعثون، وأنّه لا جنّة ولا نار404، و عليه فالعجز ترك ما يجب فعله بالتسويف405 ، وبهذا البيان اللغوي فإنّ لفظ العجز في اللغة يدلّ على معاني الضعف والانقطاع وعدم القدرة قال صلى الله عليه و سلم:" اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل و الجبن و البخل.."406 ، و معنى الهمّ " لما يتصوّره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط."407

395– معجم مقاييس اللغة، مادة ع ج ز،و تاج العروس ، مادة ع ج ز

396 – الأزهري، تهذيب اللغة ، مادة عجز

397 – الزمخشري ، أساس البلاغة، مادة عجز ،ص **409**

398 – فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص**10**،**11** ، و إتقان البرهان في علوم القرآن، ج**1** ص**107**، **108**

399 – لسان العرب ، مادة عجز

400 – كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج**3**، ص**101**

401 – تاج العروس، مادة عجز

402 – محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة عجز

403– سورة سبأ آية **5**.

404 – لسان العرب لابن منظور ، ج **3**، ص **2816** ، دار صادر ، بيروت، والمفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ،دار المعرفة ، بيروت، ص **322**

405 لسان العرب، مادة عجز

406 صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل.

407 فتح الباري، **178/11**

- الإعجاز في الاصطلاح:

لقد تعدّدت تعاريف العلماء للإعجاز القرآني منها:

أ- تعريف الجرجاني408: " الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق."409

ب- تعريف أبي البقاء الكفوي:410 " إعجاز القرآن ارتقاء في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته."411

ت- تعريف الزرقاني :" إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول وما تعلّق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: أعجزَ القرآنُ خلقَ الله عن الإتيان بما تحدّاهم به."412، والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة إذ هي تأخّر الخلق عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، لقصور طاقاتهم، وضعف هممهم.

ث- تعريف مصطفى صادق الرافعي: "و إنّما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدّة الإنسان واتّصال عنايته، ثمّ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدّمه، فكأنَّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت."413

ج- تعريف فضل عباس: "تأييد الله مدّعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدق المرسل إليهم."414

---

3 – هو السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجاني، من كبار علماء العربية، ولد في تا كو ودرس في شيراز، وأقام بها إلى أن توفى عام 818هـ، وله نحو خمسين مصنفاً في اللغة وغيرها منها التعريفات. انظر الأعلام ،الزركلي، 102/1

4 – الجرجاني ،التعريفات، ص31.

410 – هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، صاحب كتاب الكليات من قضاة الأحناف ، في مدينة "كفه" بتركيا، توفي باستانبول عام 1094هـ انظر الأعلام 38/2.

411 – الكفوي ،الكليات، ص149

412 – الزرقاني، مناهل العرفان، ج2 ص 354

413 – إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب، بيروت، ص 139 ،و تمام قوله:" فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابلة أطول الناس عمراً بالدهر على مداه كله، فإنّ المعمر دهر صغير، وأن لكليهما مدة من العمر هي من الجنس الأخرى، غير أن واحدة منهما قد استغرقت الثانية؛ فإن شاركتها الصغرى إلى حد فما عسى أن يشركهما فيما بقي"

414 – إعجاز القرآن الكريم ، فضل عباس، ص21، وانظر كبرى اليقينيات الكونية، محمد البوطي، ص 214.

ح- تعريف عبد السلام اللوح: "أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدّعي النبوة على وفق مراده تصديقا له في دعوته مقرونا بالتحدّي مع عدم معارضته، وذلك في زمن التكليف."415

خ- تعريف نعيم الحمصي:" إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس له."416

ولكمال مفهوم الإعجاز وجب بيان معنى لفظ المعجزة في اللغة و الاصطلاح لقوة المناسبة بينهما و شدّة التعلّق بموضوع الدراسة.

- المعجزة في اللغة و الاصطلاح:

- المعجزة في اللغة:

المعجزة اسم فاعل من الإعجاز، وهي للأنبياء خاصة لأنّ " الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها" 417، والهاء فيها للمبالغة، والجمع معجزات.418

- المعجزة في الاصطلاح:

لقد اختلف العلماء في تعريف المعجزة و لعلّ الأقرب إلى الشمول منها تعريف السيوطي الذي عرّفها فقال:" أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم من المعارضة"419، و بهذا فإنّ أصول المعجزة ثلاثة:

أ - الأصل الأول: خرق العادة.

و العادة ما اعتاده الناس وألفوه وخرقها نقضها و إبطال جوهرها بمجيء الأمر خلاف عادة الناس فيها، و من الخوارق:

✵ الإرهاص420: وهو الدلائل و الإشارات الواقعة قبل ظهور مدّعي النبوة المؤسسة لدعواه.

✵ الكرامة: وهي للأولياء.

---

415 - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح ،آفاق للنشر والتوزيع ،غزة، ط2 ،2002م ، ص6

416 - فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص9

417- الشفا ، القاضي عياض 349/1.

418- "تاج العروس" ع ج ز.

419- الإتقان، السيوطي،116/2، و التعريف رأي جمهور الأصوليين، انظر اليواقيت والجواهر ، 157.

420- الإرهاص مشتق من رهص الجدار أي أساسه و أصله. انظر لسان العرب، مادة ر ه ص.

❁ المعونة: وهي رفع النوازل و الشدائد عن الخلق.

❁ الإستدراج: موافقة القدر الكوني دعوى الباطل لتقريب الهلاك و منه قوله تعالى:"وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾"421، و كما أخبرت السنة النبوية عن المسيح الدجّال.

❁ الإهانة: و هي تسفيه صاحب الدعوى و توبيخه بحصول الواقعة بخلاف دعواه.422

و ينضبط ركن خرق العادة في المعجزة بقيد ثبوتها على يد النبي لأنّ " الكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهان وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم423، كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو هو معتاد لنظرائهم وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم"424 ،و بهذا فإنّ وصف خرق العادة لوحده غير كاف لوجهين:

❁ أحدهما: أنّ كون الشيء معتادا وغير معتاد أمر نسبي إضافي و وصف غير منضبط.

❁ الثاني: أنّ وصف خرق العادة مشترك بين الأنبياء و غيرهم، فإذا خصّ بعدم المعارضة فقد يأتي الشخص بما يعجز غيره عن معارضته ويكون معتادا لغيرهم كالكهانة والسحر، وكطب أبقراط، ونحو سيبويه، فاختصاصهما بذلك لا يعدّ علامة على نبوتهما وإن كان خارقا للعادة.425

ب – الأصل الثاني: التحدّي.

---

421 – الإسراء الآية **16**

422– انظر ما وقع لمسيلمة الكذاب لما بزق في بئر فذهب ماؤها. البداية والنهاية، ابن كثير، ج**4** ص**327**.

423– و الفرق بين المعجزة السحر أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا، والسحر يزول، والمعجزة يظهرها الله على رؤوس الأشهاد ، والسحر يروج على الدهماء أما الفرق بين المعجزة والكهانة فالمعجزة فعل خارق للعادة يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول، أما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف، وأن النبي لا يكون إلا كامل العقل و الخلق أما الكاهن فمختل العقل و قبيح الخلق، و الكاهن إذا ادعى النبوة بكهانته قد يقابله كاهن آخر فينتفي الفرق بينهما، أما النبي إذا تحدى بمعجزة وقابله مدع كاذب فإنه لا يجوز أن يظهر على يده معجزة مثل معجزة النبي الصادق. انظر اليواقيت والجواهر، **161–162** ، و مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص **150**

424– ابن تيمية ، النبوات ، ص **19**.

425– المصدر نفسه ، ص **23**.

لقد اختلف العلماء في اشتراط وصف التحدّي في المعجزة ،و المعتبر منها أنّ النبي صلى الله عليه و سلم ما تحدّى الخلق إلا بالقرآن فلم ينقل عنه أنّه تحدّى غيره بالمعجزات الحسية 426، و قد أكّد القرآن ذلك قال تعالى:" وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ "427 ،وقال سبحانه: "وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ"428

و لقد دلّ النقل الصحيح أنّ معجزات النبي صلى الله عليه و سلم نوعان:

❁ الأول: ما يتعلّق به ثبوت الرسالة، فهذا شرطه التحدّي الصريح، و وقع بالمعجزات الحسيّة للأنبياء عليهم السلام قبل البعثة النبوية و بالقرآن الكريم على وجه الخصوص لمحمّد صلى الله عليه و سلم.

❁ الثاني: ما لا يتعلّق به ثبوت الرسالة فهذا لا يشترط فيه التحدّي ، بل قد لا يعلمه الكفار أصلا فيقع بين المؤمنين فقط كنبع الماء من بين أصابع يد النبي صلى الله عليه وسلم.

ت – الأصل الثالث: السلامة من المعارضة.

و المقصود به قصور المعارضين و عجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به.429

– شروط المعجزة: 430

أ – أن تكون خارقة للعادة.

ب – أن تكون من مدّعي النبوة أو الرسالة، فخرج بهذا القيد وصف الكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة.

ت – أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكما بأن تأخرت بزمن يسير، فخرج بهذا القيد الإرهاص، وهو ما كان قبل الرسالة أو النبوة تأسيسا لها و تمهيدا لوجودها.

ث – موافقتها للدعوى، لأنّ كمال التوافق بين نصّ الدعوى و خرق العادة أصل عظيم ينبني عليه صدق الدعوى و عدم تناقضها.

ج – كمال الموافقة بالتصديق بين الدعوى و المعجزة كأن يتحدّاهم بنطق الرضيع مؤازرة له فينطق تكذيبا له.

426– المصدر نفسه ، 178 ، و المواهب اللدنية ، 498/2.

427– سورة الإسراء آية 59.

428– سورة الأنعام آية 109.و انظر المواهب اللدنية ن 497/2.

429– حجة الله على العالمين، 11.

430– تحفة المريد على جوهرة التوحيد، 91 بتصرف.

ح – عدم المعارضة.

خ – ألاّ تكون زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها.

– مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن[431]:

أ – "أَعَجَزۡتُ" من قوله تعالى:"أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ"[432] ، ومعنى"أَعَجَزۡتُ ":أضعف إدراكي وعقلي، وجهلت، وهو استفهام إنكاري.[433]

ب – "نُّعۡجِزَ" من قوله تعالى:"وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا"[434]،ومعنى"نُّعۡجِزَ" نفوت ونغلب،أي "نعلم أنّ قدر الله حاكم علينا، وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا."[435]

ت – "يُعۡجِزُونَ" من قوله تعالى:"وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ "[436]،

و المعنى: غلب وفات، أي لا يفوت الله شيء ولا يغلبه شيء، سبحانه وتعالى.[437]

ث – "مُعَٰجِزِينَ" من قوله تعالى:"وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ "[438]، ومعنى "مُعَٰجِزِينَ" " ظانّين ومقدرين أنّهم يعجزوننا لأنّهم حسبوا ألاّ بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب."[439]

ج – "مُعۡجِزِينَ" من قوله تعالى: "وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ "[440] ، ومعناه " أعجزني الشيء فاتني، أي لا يفوتنا عما أردنا بكم."[441]

431– أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ع ج ز.

432– سورة المائدة آية 31.

433– أنظر البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 466/3.

434– سورة الجن آية 12.

435– انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 269/8. و روح المعاني، الألوسي، 110/10.

436– سورة الأنفال آية 59.

437– "البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 510/4.

438– سورة الحج آية 51.

439– مفردات ألفاظ القرآن ، 334، وهناك أقوال في معنى " مُعَٰجِزِين" انظر تاج العروس ، ع ج ز.

440– سورة الأنعام آية 134.

441– البحر المحيط ، 226/4.

- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز:

أ – الآية: وهي العلامة 442 الدالة على كمال القدرة الإلهية و كمال صدق المرسل في دعواه قال تعالى: "وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً"443 أي معجزة وعلامة على قدرة الله.444

ب– السلطان: الحجة 445 قال تعالى:"إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ"446 أي خارق نقترحه عليكم"447، و قال سبحانه:"قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ"448

ت– البرهان: وهو بمعنى السلطان و الحجة والبينة449، وقيل " البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة"450 قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ"451 ، والبرهان هنا:" الدليل القاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة"452، و"الجمهور على أنّ البرهان هو محمّد صلى الله عليه وسلم وسماه برهانا لأنّ منه البرهان وهو المعجزة."453

442– معجم مقاييس اللغة ، مادة أ ي ي.

443– سورة المؤمنون آية 50.

444– معجم ألفاظ القرآن الكريم ، 1،74.

445– معجم مقاييس اللغة ، مادة سلط.

446– سورة إبراهيم آية 10.

447– تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 4،402.

448– سورة إبراهيم آية 11.

449– انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، 1،96.

450– مفردات ألفاظ القرآن ، مادة ب ر هـ.

451– سورة النساء آية 174.

452– تفسير القرآن العظيم ، 2،434.

453– البحر المحيط ، 3،405.

ث – البصيرة: وأصل معناه من الوضوح و البيان تقول: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرا عالما 454 قال تعالى: "وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا " 455 أي "دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها."456

ج – البينة: وهي " الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة" 457 قال تعالى: "يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً"458 أي "جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به."459

– الفروق الدلالية للفظ الإعجاز.

لقد جمع الشيخ يوسف بن عِمْرانَ الحَلَبيّ معاني مادة "عجز" في قصيدة يمدح فيها قاضيا فقال:460

لِحاظٌ دونَها غُولُ العَجُوزِ461	وشَكَّتْ ضِعْفَ أَضعافِ العَجُوزِ462
لِحاظُ رَشاً لها أَشْراكُ جَفْنٍ	فكَم قَنصَت مِثالي من عَجُوزِ463
وكَم أَصْمَتْ ولم تعرِف مُحِبّاً	كما الكُسَعِيُّ في رَمْيِ العَجُوزِ464
وكَمْ فتكَتْ بقلبي ناظِراه	كما فتكَتْ بشاةٍ من عَجُوزِ465
وكم أَطفَى لَمَاهُ العَذْبُ قَلْباً	أَضَرَّ به اللَّهيبُ من العَجُوزِ466
وكم خَبَلٍ شَفَاهُ اللهُ منه	كذا جِلْدُ العَجُوزِ467 شِفَا العَجُوزِ468

454– معجم مقاييس اللغة ، مادة ب ص ر بتصرف.

455– سورة الإسراء آية 59.

456– تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، 5،79.

457– مفردات ألفاظ القرآن، الراغب ، مادة ب ي ن

458– سورة الأعراف آية 73.

459– تفسير القرآن العظيم 3،436.

460 – انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت ، دار صادر ،ط 1966م ،مادة عجز

461 – المنيّة

462 – الإبرة

463 – الأَسَد

464 – الخمر

465 – الذئب

466 – حِمار الوَحْش

إذا ما زارَ نَمَّ عليه عَرْفٌ	وقد تَحْلُو الحَبائِبُ بالعَجُوزِ469
رَشَفْت من المَراشِف منه ظَلْماً	أَلَذَّ جَنىً وأَحْلَى من عَجُوزِ470
وجَدْتُ الثَّغْرَ عندَ الصُّبْحِ منه	شَذاهُ دُونَه نَشْرُ العَجُوزِ471
أَجُرُّ ذُيولَ كِبْرٍ إنْ سَقاني	براحَتِهِ العَجُوزَ472 على العَجُوزِ473
برُوحِي مَنْ أُتاجِرُ في هَواه	فَأُدْعَى بينَ قَومِي بالعَجُوزِ474
مُقِيمٌ لَمْ أَحُلْ في الحَيِّ عنه	إذا غَيري دَعَوْه بالعَجُوزِ475
جَرَى حُبِّيه مجرى الروح منّي	كجَرْيِ الماءِ في رُطَبِ العَجُوزِ476
وأَخرَسَ حُبّه منّي لِساني	و قد أَلْقَى المَفاصِلَ في العَجُوزِ477
وصَيَّرَني الهَوَى من فَرْطِ سُقْمِي	شَبيهَ السِّلْكِ في سَمِّ العَجُوزِ478
عَذُولِي لا تَلُمْني في هَواه	فلستُ بسامِعٍ نَبْحَ العَجُوزِ479
تَرُومُ سُلُوَّهُ منِّي بجهْدٍ	سُلُوِّي دُونَه شَيْبُ العَجُوزِ480
كلامُكَ باردٌ من غَيرِ مَعنىً	يُحاكِي بَرْدَ أَيّامِ العَجُوزِ481
يَطوفُ القَلْبُ حَولَ ضِياهُ حُبّاً	كما قد طافَ حَجٌّ بالعَجُوزِ482

---

467 – الضَّبُع
468 – الكَلْب
469 – النَّميمة
470 – نوع من التَّمر
471 – المسك
472 – الخمر
473 – المَلك
474 – التَّاجر
475 – المُسافِر
476 – النَّخْلَة
477 – الرَّعْشة
478 – الإبرة
479 – الكلب
480 – الغُراب
481 – الأيّام السبعة

لهُ من فوقِ رُمْحِ القَدِّ صُدْغٌ نَضيرٌ مثلُ خافقَةِ العَجُوزِ483
وخصْرٌ لم يزَلْ يُدعى سَقيماً وعن حَملِ الرَّوادِفِ بالعَجوز484
بلَحظِي قد وَزَنْت البُوصَ منه كما البيضاءُ تُوزَنُ بالعَجُوز485
عِذارُهُ و الخَدَّ منه عَجُوزٌ486 قد تَوارَتْ من عَجُوزِ487
فهذا جَنَّتي لاشَكّ فيه وهذا نارُه نارُ العَجُوزِ488
تَراهُ فوقَ وَرْدِ الخَدِّ منه عَجُوزاً 489 قد حَكَى شَكْلَ العَجُوز 490
على كُلِّ القُلوبِ لهُ عَجُوزٌ491 كذا الأَحباب تَحْلُو بالعَجُوزِ492
دُمُوعِي في هَواهُ كنيلِ مِصْرٍ وأَنفاسِي كأَنْفاسِ العَجُوزِ493
يَهُزُّ من القَوامِ اللَّدْنِ رُمْحاً ومن جَفْنَيْه يَسْطُو بالعَجُوزِ494
ويَكْسِرُ جَفْنَه إنْ رامَ حَرْباً كّذاكَ السَّهمُ يفعَلُ في العَجُوز495
رَمَى عن قوسِ حاجبِه فُؤادِي بنَبْلٍ دُونَها نَبْلُ العَجُوزِ496
أَيا ظَبْياً له الأَحْشا كِناسٌ ومَرْعَىً لا النَّضيرُ من العَجُوزِ497

---

482 – الكعبة
483 – الراية
484 – مبالغة في العاجز
485 – الصنْجة
486 – الشّمس
487 – دارَة الشَّمس
488 – جهنَّم
489 – المسك
490 – العقرب
491 – التحكم
492 – التحكم
493 – النَّار
494 – السيف
495 – الحرب
496 – الكنانة
497 – النَّبات

تُعذِّبُني بأنواع التَّجافِي ... ومِثلِي لا يُجازَى بالعَجُوز498

فقُرْبُكَ دُونَ وَصْلِكَ لي مُضِرٌّ ... كذا أَكلُ العَجُوز 499 بلا عَجُوزِ500

وهَيْفا من بناتِ الرُّومِ رُودٍ ... بعَرْفِ وِصالِها مَحْضُ العَجُوزِ501

تَضُرُّ بها المَناطِقَ إنْ تَثَنَّتْ ... ويُوهِي جِسْمَها مَسُّ العَجُوزِ502

عُتُوّاً في الهَوى قَذَفَت فُؤادِي ... فمَنْ شامَ العَجُوزَ 503 من العَجُوزِ504

وتُصْمِي القَلْبَ إنْ طَرَفَتْ بطَرْفٍ ... بلا وَتَرٍ وسَهْمٍ من عَجُوزِ505

كأَنَّ الشُّهْبَ في الزَّرْقا دِلاصٌ ... وبَدْرُ سَمائِها نَفسُ العَجُوزِ506

وشَمْسُ الأُفْقِ طَلْعَةُ مَنْ أَرانا ... عَطاءَ البَحْرِ منه في العَجُوزِ507

تَوَدّ يَسارَه سُحْبُ الغَوادِي ... وفَيْضُ يَمِينه فَيْضُ العَجُوزِ508

أَجلُّ قُضاةِ أَهلِ الأَرضِ فَضْلاً ... وأَقْلاهُمْ إلى حُبِّ العَجُوزِ509

كمال الدِّين لَيْثٌ في اقْتِناصِ الْ ... مَحامِدِ والسِّوَى دونَ العَجُوزِ510

إذا ضَنَّ الغَمامُ على عُفاةٍ ... سَقاهُمْ كَفُّه مَحْضَ العَجُوزِ511

وكَمْ وضَعَ العَجُوزَ512 على عَجُوزٍ 513 ... وكم هَيّا عَجُوزاً 514 في عَجُوزِ515

---

498 – المعاقبة

499 – النَّبْت

500 – السَّمْن

501 – العافية

502 – الثَّوب

503 – النَّار

504 – السِّنور

505 – القوس

506 – التُّرْس

507 – الكَفّ

508 – البحر

509 – الدُّنيا

510 – الثعلب

511 – الذهب

وكَمْ أَرْوَى عُفاةً من نَداهُ   وأَشْبَعَ مَنْ شَكا فَرْطَ العَجُوزِ516

إذا ما لاطَمَتْ أَمْواجُ بَحْرٍ   فلم تَرْوَ الظُّماةُ من العَجُوزِ517

أَهالي كلِّ مِصْرٍ عنه تثْني   كذا كُلُّ الأَهالي من عَجُوزِ518

مَدَى الأَيّامِ مُبْتَسماً تَراهُ   وقد يَهَبُ العَجُوزَ519 من العَجُوزِ520

تَرَدَّى بالتُّقَى طِفلاً وكَهْلاً   وشَيْخاً من هَواهُ في العَجُوزِ521

وطابَ ثَناؤُهُ أَصلاً وفَرْعاً   كما قد طابَ عَرْفٌ من عَجُوزِ522

إذا ضَلَّتْ أُناسٌ عن هُداها   فَيَهْدِيها إلى أَهْدَى عَجُوزِ523

ويَقْظانَ الفُؤادِ تَراهُ دَهْراً   إذا أَخَذَ السِّوَى فَرْطُ العَجُوزِ524

وأَعظَمَ ماجِدٍ لُوِيَت عليه   الخَناصِرُ بالفضائل في العَجُوزِ525

أَيا مَولىً سَما في الفضلِ حتّى   تَمَنَّتْ مثلَه شُهُبُ العَجُوزِ526

إذا طاشَتْ حُلومُ ذَوِي عُقولٍ   فحِلْمُكَ دُونَه طَوْدُ العَجُوزِ527

فكَمْ قد جاءَ مُمْتَحِنٌ إليكُم   فأُرْغِم منه مُرتَفِعُ العَجُوزِ528

---

512 – القِدر

513 – المنصب الذي توضع عليه

514 – الناقة

515 – الصفحة

516 – الجوع

517 – البئر

518 – القرية

519 – الألف

520 – البقر

521 – الآخرة

522 – المسك

523 – الطريق

524 – السَّنَة

525 – الشمس

526 – السماء

527 – الأَرض

إلى كَرَمٍ فإنْ سابَقْتَ قَوْماً سَبقْتَهمُ على أَجْرَى عَجُوزِ529

ففَضْلُكَ ليسَ يُحْصِيه مَديحٌ كما لم يُحْصَ أَعْدادُ العَجُوزِ530

مكانَتُكُم على هامِ الثُّرَيّا ومَنْ يَقلاكَ راضٍ بالعجوزِ531

رَكِبْتَ إلى المَعالي طِرْفَ عَزْمٍ حَماهُ اللهُ من شَيْنِ العَجُوزِ532

---

528 – الأنف

529 – الفرس

530 – الرمل

531 – الصومعة

532 – العرج

- القرآن بين البحث الإعجازي و مقصد الهداية.

إنّ من القضايا البديهية و الأحكام المسلّمة في الإسلام أنّ الله تعالى ما أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه و سلّم إلاّ لهداية الثقلين لخير المعاش و المعاد قال تعالى: " ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين "[533]، و قال كذلك :" إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " [534]، و لهذا فما البحث في الإعجاز القرآني إلاّ لبيان مصدر الربانية لتأكيد حقيقة انحصار كمال الهداية في القرآن الكريم ، و عليه فإنّ العناية " ببيان وجوه إعجاز القرآن إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلّم، وكونه المعجزة الباقية "[535] لهذا وقع التحدي بالقرآن الكريم لجميع الخلق[536] بأن يأتوا بمثله الذي يقرأ برسم واحد بوجوه مختلفة الأداء متنوعة الكلم دون تناقض في معانيه الجليّة الواضحة ،و لا في أحكامه الشرعية الخالدة بل إنّ التنوع في وجوه إقرائه و كلمات نظمه زادته جمالاً و جلالا و بلاغةً و فصاحة و إعجازًا و كمالا قال تعالى: " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ على أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " [537] ،و عليه فإنّ إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، بل المقصود لازم الإعجاز و مآله ، وهو إظهار ربّانية القرآن الكريم ،وإثبات أحقيّة الكتاب بالحق المطلق دون غيره في الهداية إلى صلاح المعاش و فلاح المعاد ، ومقتضى ذلك كلّه إثبات صدق الرسالة المحمدية ، وعليه فإنّ حقيقة الإعجاز هي لبيان عجز من تحداهم القرآن و إثبات قصورهم على وجه التدقيق و التفصيل قال عبد الله دراز :" انظر كيف تدرج القرآن معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل فكأنه يقول لهم لا أكلفكم بالمماثلة ، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ، وهذا أقصى ما يكون من التنازل ، ولذلك كان آخر صيغ التحدّي نزولاً ، ولهذا لم يأتِ التحدّي بلفظ من مثله إلا في الآيات المدنية ، بينما مراتب التحدّي بالمثل نزلت

---

[533] – البقرة 1 ، 2

[534] – الإسراء 9

535 – ابن عاشور ، التحرير و التنوير، 102،1

[536] – انظر عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد، ص 16.

[537] – الإسراء، 88 ،و انظر الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 111.

في السور المكية "[538] ، فاستلزم ذلك إظهار صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوى رسالته وهو المقصود الأول من الإعجاز ،و من هذا المنطلق فإنّ لازم الإعجاز شمول مقصد الهداية الربانية ، و إن شئت فإنّ مقصد الإعجاز أمر يسبق في التقرير مقصد الهداية، لأنّ الناس إذا دعوا إلى العمل بمنهج ما و الامتثال له فلا بدّ من قناعتهم بسلامة مصدر هذا المنهج و كماله حتى يتّبعوه عن علم بيّن و ينقادوا له عن طمأنينة راضية ،و لّما تعلّق العمل بالقرآن على بيان إعجازه فإنّه " يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ما كان لأصل دينهم قواما ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا ، و لمعجزته ثبتا وحجّة ، لا سيما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس " [539]، بل قد يتأكّد هذا الجهد وجوبا على الأعيان لمن قويت معارفه و علومه ، و أدوات تدبّره و استنباطه [540] " و قد كان يجوز ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ، وتكلّم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزاته و الدلالة على مكانه ، فهو أحقّ بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء ، ودقيق الكلام في الأغراض ، وكثير من بديع الإعراب ، وغامض النحو ، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب." [541]

- البحث الإعجازي و مقاصد القرآن الكريم:[542]

يجب على الباحث و هو يدرس مسائل الإعجاز القرآني أن لا تغيب عنه حقيقة القرآن الكبرى، و هي هداية البشرية إلى الخير في المعاش و المعاد، و عليه فلا بدّ من التركيز عند البحث على العلاقة الوثيقة بين استنباط الوجه الإعجازي و مقصده القرآني، و قد دلّ الاستقراء أنّ مقاصد القرآن الكبرى لا تخرج عمّا يلي:

أ – تصحيح العقيدة.

ب – تكريم الإنسان و رعاية حقوقه.

---

538 – دراز عبد الله ، النبأ العظيم ، ص 84 .

539 – إعجاز القرآن للباقلاني ، ص 22، 23

540 – انظر إلى ما ذكره رشيد رضا في مقدمة كتاب إعجاز القرآن للرافعي، ص 20

541 – إعجاز القرآن للباقلاني ،ص 22، 23

542 – انظر محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، ص 105 – 235 ،و القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ط4 ، 1425هـ، 2005م، دار الشروق، القاهرة، ص 73– 125 .

ت – توجيه الناس إلى صحة العبادة و كمالها.

ث – الدعوة إلى تزكية النفس البشرية.

ج – تكوين الأسرة الصالحة و إنصاف المرأة.

ح – بناء الأمة الشهيدة على البشرية.

خ – الدعوة إلى عالم إنساني متعاون.

- مقاصد التحدّي القرآني.

للتحدّي القرآني مقاصد كثيرة أهمها:

أ – التحدي دليل صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن خلدون عن المعجزة:" وليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدي بها بإذن الله، وهو أن يستدلّ بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه في مدّعاه، فإذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ على الصدق دلالة قطعية "[543]،و عليه فإذا كانت دون التحدي لم تنزل منزلة التصديق.[544]

ب – تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه ذاك لأنّ التحدي مشعر بالرعاية الإلهية، و دافع للعزيمة و الصمود، و خاذل للأعداء.[545]

ت – إظهار عجز الأمّة بإقامة الحجّة عليها مع دوام المعارضة و شدة الإنكار، و " إنّما احتيج إلى التحدّي لإقامة الحجّة و إظهار وجه البرهان."[546]

ث – ملاحظة مشاهد الإعجاز عند الوقوف على عجز أهل البلاغة و رواد الفصاحة "وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزا، فإنّما يعرف أولا إعجازه بطريق، لأنّ الكلام المعجز لا يتميّز من غيره بحروفه وصورته، وإنّما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا، فإنّ

---

[543] – ابن خلدون، المقدّمة ،ص 93

[544] – عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد ، الغنية في أصول الدين، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث، بيروت، ط1 ، 1987 ،ص:151 .

[545] – انظر الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان ، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 ،1988 ،ج 1، ص39

[546] – الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن ، ص 47

كان لا يعرف بعضهم إعجازه، فيجب أن يعرف هذا، حتى يمكنّه أن يستدّل به، ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدّي إليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصى ثعبانا تتلقّف ما يأفكون ."[547]

- القول الموجز في القدر المعجز من القرآن الكريم.[548]

لقد اختلف العلماء في القدر المعجز من القرآن على مذاهب هي:

أ – قليل القرآن وكثيره معجز، و ذهب إلى هذا القول ابن حزم و نسبه إلى عموم أهل الملة[549]، و استدل بقوله سبحانه:" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"[550] قال:" ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن، فكل شيء من القرآن معجز."[551]

ب – المعجز من القرآن سوره قصيرة كانت أو طويلة أو ما قام مقام ذلك من الحروف و الكلمات، وذهب إلى هذا القول أبو الحسن الأشعري وأصحابه[552]، و استدلوا بقوله سبحانه:"أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ "[553] وبقوله تعالى:" وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾"[554]

---

[547] – الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن ، ص **258**

[548] – انظر روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ص **16**

[549] – ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، **3،13** .

[550] – الطور **34** .

[551] – ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، **3،13** .

[552] – الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص **261**.

[553] – يونس **38** .

[554] – البقرة **23** .

ت – المعجز من القرآن السورة بعينها فكل سورة معجزة بذاتها و ذهب إلى هذا القول بعض أهل العلم[555] وهو قول المعتزلة.[556]

– تنقيح و ترجيح:

و الظاهر والله أعلم وجوب التفريق بين معجز مطلقا ،وبين معجز وقع به التحدّي، فأقلّ قدر من القرآن وقع به التحدّي ودلّت عليه مراحله في القرآن هو سورة، و لا يفهم أنّ أقلّ من السورة لا يقع به الإعجاز قال ابن عطية:" كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد "[557]،كما لا يفهم حصول التلازم بين ما سبق و بين قدرة المتحدّى على المعارضة، فقد تواترت الآثار و الأخبار على إعجاز القرآن الكريم، و عليه فكل ما كان دون السورة معجز و إن لم يقع التحدّي به، فقد روى معمر بن المثنى أنّ أعرابيا سمع قارئا يتلو قوله تعالى:" فاصدع بما تؤمر..."[558] فسجد و قال: سجدت لفصاحة هذا الكلام" [559] ، و ما كان سورة فأكثر فهو معجز وقع به التحدّي، والذي تطمئن له النفس، و يركن إليه العقل أنّ الإعجاز في النص القرآني لا يتعلّق بقدر معين من القرآن ، بل في كل آياته وجميع سوره معجزة ،وقال القاضي أبو بكر بن العربي : "ذهب عامةُ أصحابنا ، إلى أن أقلّ ما يُعجَز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها ، فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز."[560]

– مستويات التحدّي القرآني.

– قال تعالى:" وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤"[561]

---

[555] – انظر الإيجي ، المواقف ، 3 ، 379 .

[556] – الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 261 .

[557] – ابن عطية ، المحرّر الوجيز ، 1 ، 52 .

[558] – الحجر 94

[559] – أعلام النبوة ص 102

[560] – الزركشي ، البرهان ، 2، 116 .

[561] – البقرة 23– 24.

– قال تعالى:" وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ "[562]

– قال تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ "[563]

– قال تعالى:"قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ "[564]

– قال تعالى:" قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ "[565]

– قال تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ [566]

– آيات التحدّي بين تدرّجها و ترتيب نزولها.

اختلف العلماء في ترتيب آيات التحدّي على مذهبين:

✵ – المذهب الأول: آيات التحدّي واردة على ترتيب النزول.[567]

لقد ورد التحدي وفق ترتيب النزول القرآني، و لم يكن متدرجا على مراحل و ذهب إلى هذا جمهور العلماء و قالوا إنّ نزول سور آيات التحدي كان حسب الترتيب التالي: القصص، الإسراء، يونس، هود، الطور ، البقرة، فالسور الخمس الأولى مكية باتفاق ،و الأربعة الأولى منها متتالية خلا سورة الطور، أما سورة البقرة فمدنية باتفاق ،وذهب إلى هذا الترتيب بدر الدين الزركشي ، و الجلال السيوطي ،"لكنّ هذا الترتيب

---

562 – يونس 37 – 38 .

563 – هود 13 .

564 – الإسراء : 88 .

565 – القصص : 49 .

566 – الطور 33، 34

567 – انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار ط 4، 1373 هـ ، 1954م ، دار المنار، القاهرة ،1 ،193، و سيد قطب ، في ظلال القرآن، 4، 523،و عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف ، القاهرة ، ص 58.

ليس عليه دليل [568] ، بل الظاهر أنّ سورة يونس سابقة والتحدّي فيها بسورة واحدة، وسورة هود لاحقة والتحدّي فيها بعشر سور" [569] لكنّ السؤال الذي يطرح هل التحدي القرآني كان بنوعه أم بمقداره ؟ الشاهد أنّ القرآن حينما تحدّى المشركين لاحظ في ورود خطابه أحوال المخاطبين و ظروف القول فكان مرة يحدى بمثل القرآن، و أخرى بسورة أو بعشر سور دون ترتيب زمني، لانّ المقصد هو التحدي في حدّ ذاته دون النظر إلى كله أو بعضه أو سورة منه فالكل على السواء، و عليه فالتحدي كان بنوع القرآن الكريم لا بمقداره المحدّد، وعجز المخاطبين " كان عن النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة ولا يلزم ترتيب، إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون."[570]

✵ – المذهب الثاني: آيات التحدّي واردة على التدّرج و المرحلية.

لقد ورد التحدّي مرحليا متدرّجا، وهو قول جمهور العلماء، وهذا هو الراجح ،وهو ما يقتضيه العقل الصريح ولا يناقضه النقل الصحيح لضعف الروايات الواردة في ترتيب سور القرآن، لكنّ أصحاب هذا القول اختلفوا في عدد مراحل ترتيب تدرّج التحدي بين الثنتين و الثلاث و الأربع [571]، و رجّح جمهورهم عدد الثلاث.[572]

– إشكال في ترتيب التحدّي وفق الترتيب الراجح للنزول.

---

[568] – دليل الترتيب الأول الرواية الأولى التي أخرجها ابن الضريس في فضائل القرآن، تحقيق غزوة بدير، ط1 ،1408هـ ، 1987م ، دار الفكر، دمشق ،ص33 ، و السيوطي في الإتقان 1، 26 بإسناد فيه متروك وضعيفان ، عمر بن هارون بن يزيد البلخي، قال عنه ابن حجر في التقريب : "متروك" تقريب التهذيب، ط1، 1416هـ، 1996م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 355 ، وعثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني قال عنه ابن حجر: "ضعيف" وقال عن والده: "صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس" تقريب التهذيب، ص 326 أخرج الأثر عنهما البيهقي في دلائل النبوة ،تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط1،1408هـ، 1988م، دار الريان للتراث ،القاهرة ، 7،142. و الرواية الثانية في إسنادها علي بن الحسين بن واقد المخزومي قال ابن حجر فيه في التقريب :" صدوق يهم" ص339 ،وقال الذهبي:" حسن الحديث و قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث" انظر الذهبي سير أعلام النبلاء، 10، 211

[569] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 4، 523.

[570] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 4، 523.

[571] – انظر النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود ، تفسير النسفي، دار الكتاب العربي ، بيروت، 2،182 ،و فضل وسناء فضل عباس ، إعجاز القرآن ،ط 7 ،2009 ، دار النفائس ،عمان، الأردن ، ص 32.

[572] – انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط1،1412هـ، دار العاصمة ، الرياض، 1،86 ، و القرطبي، الجامع ، 1،77 ، و الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، 2،118 .

و حقيقة الإشكال أنّ سورة هود المتحدّى فيها بعشر سور متأخّرة النزول في قول الجمهور عن سورة يونس المتحدّى فيها بسورة واحدة ، و عليه فهل تحدّاهم القرآن بسورة واحدة ثمّ تحداهم بعشر سور؟

اختلف العلماء في توجيه الإشكال على قولين.

– القول الأول: أنّ سورة هود تقدّمت سورة يونس، وأنّ مرتبة التحدّي بعشر سور سابقة لمرتبة التحدّي بسورة واحدة، و ذهب إلى هذا التوجيه أبو حيان الأندلسي [573]، والفخر الرازي [574]،ثمّ علّق على الإشكال فقال:" اعلم أنّ التحدّي بعشر سور لا بدّ وأن يكون سابقا على التحدّي بسورة واحدة ، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره: اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب، فإذا ظهر عجزه عنه، قال: قد اقتصرت منها على سطر واحد مثله ، إذا عرفت هذا فنقول: التحدّي بالسورة الواحدة ورد في سورة البقرة، وفي يونس..، أمّا تقدّم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر، لأنّ هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية، وأمّا في سورة يونس فالإشكال زائل أيضا لأنّ كل واحدة من هاتين السورتين مكية، والدليل الذي ذكرناه يقتضي أن تكون سورة هود متقدّمة في النزول عن سورة يونس حتى يستقيم الكلام الذي ذكرناه " [575]،و أظهر الألوسي قول الرازي و رجّحه فقال:" التحدّي – في سورة هود – وقع أولا، فلمّا عجزوا تحدّاهم كما نطقت به سورة البقرة و سورة يونس، وهو وإن تأخّر تلاوة متقدّم نزولا وأنّه لا يجوز العكس إذ لا معنى للتحدّي بعشر لمن عجز عن التحدي بواحدة." [576]

– القول الثاني: أنّ سورة يونس تقدّمت سورة هود ، وأجابوا عن الإشكال بإجابات متعدّدة منها أنّ التحدّي بعشر سور جاء بعد التحدّي بسورة واحدة غير أنّ بينهما اختلاف ، فالتحدّي في سورة يونس كان في كمال المماثلة بالنظم و التركيب و في كمال المشابهة في الأخبار و الأحكام ، أمّا في سورة هود كان في كمال المماثلة في النظم دون غيره ،و نصر القول الثعالبي فقال:" الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرّة كما هو في سورة يونس، ووقوعها على النظم مرّة كما هو هنا." [577]

---

[573] – أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ط2،1398هـ، 1978 ، دار الفكر، 5،200 .

[574] – الرازي، التفسير الكبير، 17،195.

[575] – الرازي، التفسير الكبير ، 17،195.

[576] – الألوسي ،روح المعاني، 12،20 .

[577] – الثعالبي عبد الرحمن ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،2،99 .

– القول الثالث: ذهب أصحاب هذا القول إلى أنّ قوله تعالى في سورة هود: " فأتوا بعشر سور مثله.." معناه: مثل البقرة إلى هود، وهي العاشرة، وهو قول الكرماني [578]، وعزاه صاحب البحر لابن عبّاس رضي الله عنهما[579].

– القول الرابع : ذهب أصحاب هذا القول إلى أنّ المراد من قوله تعالى:" فأتوا بعشر سور مثله " يراد منه السور العشر السابقة التي جمعت القصص القرآني، و ذهب إلى هذا محمد رشيد رضا قال سيد قطب:" ولقد حاول السيد رشيد رضا في تفسير المنار أن يجد لهذا العدد "عشر سور" علّة، فأجهد نفسه طويلا– رحمه الله– ليقول: إن المقصود بالتحدّي هنا هو القصص القرآني، وأنّه بالاستقراء يظهر أنّ السور التي كان قد نزل بها قصص مطول إلى وقت نزول سورة هود كانت عشرا، فتحدّاهم بعشر...إنّ تحدّيهم بسورة واحدة يعجزهم أكثر من تحدّيهم بعشر، نظرا لتفرق القصص وتعدد أساليبه، واحتاج المتحدّى إلى عشر سور كالتي ورد فيها ليتمكّن من المحاكاة إن كان سيحاكي..، و نحسب – والله أعلم– أنّ المسألة أيسر من كل هذا التعقيد."[580]

– مستويات المخاطَبين في إدراك الإعجاز.

الخلق أصناف متفاوتون في إدراك الإعجاز ، و مرجع التفاوت فيهم تفاوت استعدادهم في طلب العلوم، و تباين تحصيلهم في المعارف، و اختلاف لسانهم ، فلكلّ " عمل رجال ، ولكل صنعة ناس، وفي كل فرقة الجاهل والعالم و المتوسط " [581]، و من هذا المنطلق فإنّ مدركي الإعجاز مستويات هي:

– الأعجمي الجاهل باللسان العربي.

فهذا الصنف لا يلج الفهم عقله، و لا يمسّ التدبّر لبّه ، فلا يدرك جلالة الإعجاز، و لا يذوق حلاوة الإيجاز، و عليه فلا " يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن، إلا أن يعلموا أنّ العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنّهم قد تحدّوا على أن يأتوا بمثله،

---

578 – الكرماني، محمود بن حمزة ، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ،1، 23، 102

579 – انظر أبو حيان ، البحر المحيط، 5،208، والألوسي، روح المعاني، 12، 20.

580 – سيد قطب، في ظلال القرآن 4 ،523 و انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار،12،32–45 .

581 – الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ،تحقيق السيد أحمد صقر ،دار المعارف ، القاهرة، ص 191

وقرعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به، تبيّنوا أنّهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل اللسان فهم عنه أعجز."[582]

- العربي الجاهل بفنون البلاغة العربية.

و حكم هذا الصنف حكم الأعجمي لخلو المحلّ من العلم و الفهم ،و لانعدام أداة إدراك الإعجاز عنده يقول الباقلاني:" ...من كان من أهل اللسان العربي إلاّ أنّه ليس يبلغ في الفصاحة الحدّ الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره ، فهو كالأعجمي في أنّه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء. "[583]

- العربي المتوسّط في العلم بفنون البلاغة العربية.

وحظّ هذا الصنف من البلاغة النزر القليل الذي لا يشفي عليلا ، و لا يروي غليلا ذاك لضعف بضاعته في العلم و الفهم،و قصوره عن الإحاطة بأدوات إدراك الإعجاز قال الباقلاني:" وإن كنت في الصنعة مرمداً ، وفي المعرفة بها متوسطاً ، فلا بدّ لك من التقليد، ولا غنى بك عن التسليم، إنّ الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشادي فيها كالبائن منها "[584]، و قال كذلك:" إذا كنت في صنعة الأدب متوسطاً ،و في علم العربية متبيناً ، أن تنظر أولاً في نظم القرآن، ثمّ في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين، والفرق بين الكلامين ، فإن تبيّن لك الفصل، و وقعت على جلية الأمر، وحقيقة الفرق ،فقد أدركت الغرض، وصادفت المقصد، وإن لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل، فلابدّ لك من التقليد، وعلمت أنّك من جملة العامّة، وإن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان. "[585]

- العربي الجامع لفنون البلاغة العربية.

---

[582] – الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 171

[583] – المصدر نفسه ، ص 171

[584] المصدر نفسه ، ص 191

[585] – المصدر نفسه ، ص 195

فهذا الصنف قد أوتي بديهة أحاطت العلوم، و قريحة أتقنت الفنون ،و دربة أحسنت إنزال مقامات الكلام أبلغ المنازل فأضحت ملكة باهرة تدبّرت معاني القرآن أكمل التدبّر و تذوّقت حلاوته، و وقفت عند كمال جلاله و كمال جماله، قال الباقلاني معلّقا على هذا الصنف:" تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها، فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة ، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميّز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميّز بين الشعر الجيد والرديء والفصيح والبديع النادر والبارع والغريب. "[586]

- القرآن الكريم بين الإعجاز و الصرفة.

- الصرفة في اللغة و الاصطلاح.

- الصرفة في اللغة:

يرجع معنى لفظ صرف عند أهل اللغة إلى الرجوع والتحوّل والتقلّب، والمنع من جهة إلى جهة أخرى، و تفصيل ذلك كما يلي:

❃ – مقاييس اللغة:

قال ابن فارس:" "صرف" معظم بابه يدلّ على رجوع الشيء، من ذلك صرفتُ القوم صرفًا وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعُوا ، والصَّرف في القرآن: التوبة؛ لأنّه يُرجع به عن رتبة المذنبين، قال الخليل: الصَّرف فَضْل الدّرهم على الدرهم في القيمة، ومعنى الصَّرف عندنا: أنّه شيء صُرف إلى شيء، كأنّ الدِّينار صُرف إلى الدّراهم، أي رُجع إليها، إذا أخذت بدَله ،ومنه اشتُقّ اسم الصَّيرفي لتصريفه أحدهما إلى الآخر، وصَرْف الكلام تزيينه والزِّيادةُ فيه، وإنّما سُمّي بذلك ؛ لأنّه إذا زُيّن صَرَف الأسماعَ إلى استماعه."587

❃ القاموس المحيط:

---

[586] – الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 171

587 – معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة " صرف " ط **1** ، **1411**هـ،**1991**م ، **3** ، **342**

قال الفيروز آبادي:" الصَرفةُ: منزلة للقمر نجمٌ واحدٌ نيّرٌ يتلوا الزُبْرَةُ، سُمّي بذلك: لانصراف البَرد عند طلوعها ، وصَرْف الحديث: أن يُزاد فيه ويُحَسَّن ، من الصَرف في الدراهم وهو فَضْلُ بَعضه على بعضٍ في القيمة ، وكذلك صَرْفُ الكلام."588

❋ اللسان:

قال ابن منظور: "الصَّرف :ردُّ الشيء عند وجهه ، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فانصَرَف ، وصَارَف نفسه عن الشيء: صَرَفها عنه ، وقوله تعالى:" ثم انصرفوا " أي: رَجَعُوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل: انصرفوا عن العمل بشيء مما سَمِعُوا "صرف الله قلوبهم": أي أضلّهم الله مُجازاةً علي فِعْلهم ، وقوله عز وجل: "سأصرف عن آياتي" أي: أجْعَلُ جزاءَهُم الإضلال عن هِداية آياتي ، وقوله عز وجل:" فما يستطيعون صرفًا ولا نصرًا" أي: ما يستطيعون أن يَصْرِفُوا عن أنفسهم العذاب، ولا أن ينصُرُوا أنفسهم، والصّرفُ: التقلُّبُ والحيلةُ، ومنه: التصرُّفُ في الأمور ، وصرّفنا الآيات: أي بيّناها ، وتصريف الآيات: تبيينها، و الصرّفُ: أن يَصرفَ إنسانًا عن وَجْهٍ يُريدُه إلي مَصرفٍ غير ذلك ، وصرّفَ الشيء: أعملَه في غير وجهٍ ، كأنه يصرفُه عن وجهٍ إلى وجه ، وتصرّف هو، وتصريف الرياح : صَرْفُها من جهةٍ إلي جهةٍ."589

❋ المفردات في غريب القرآن:

قال الراغب الأصفهاني: " الصرْف: ردُّ الشيء من حالة إلى حالةٍ أو إبدَالُهُ بغيره ، يُقال: صرفتُهُ فانصرف ، وقوله عز وجل:" وإذ صرفنا إليك نفرا من الجنّ" معناه أي: أقبلنا بهم إليك وإلى الاستماع منك ، والتّصريف: كالصَّرف إلا في التكثير ، وأكثر ما يُقال في صرف الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ ، ومن أمرٍ إلى أمرٍ، وتصريف الرياح هو صَرفْها من حالٍ إلى حالٍ قال تعالى:" وصرفنا فيه من الوعيد"، ومنه تصريف الكلام وتصريف الدراهم وتصريف النّاب، يُقال: لنا به صريفٌ، وقيل لكل خالص عن غيره صِرفٌ كأنه صُرف عنه ما يشُوبه."590

❋ معجم ألفاظ القرآن الكريم:

588– القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ط 1399هـ ، 1979، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 3، 156

589 – ابن منظور ،لسان العرب، مادة " صرف " ، 4 ، 2434 .

590 – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 279

الصريف: السعف اليابس، والصّرف: ردّ الشيء من حال إلى حال، ومن الردّ تجيء استعمالات كثيرة: كصرف النقود أي تغييرها، والصرف بمعنى إخلاء السبيل، وصرْف القلوب: تحويلها عن الهداية، والمصْرِف: المعدِل، والتصريف: كالصرف مع التكثير، فتصريف الأمور، والرياح ، والسحاب: تحويلها من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال، والانصراف مطاوع الصرف."591

و بعد استعراض لفظ الصرفة من خلال المعاجم نخلص إلى المعاني التالية:

- رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبدالُه بغيره 592 قال تعالى:" فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ 593 لا يقدرون أن يصرفوا أنفسهم عن النار، و قيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التغيير.594

- الميل و التقلّب، والحيلة، والتوبة، وبيع الذهب بالفضة.595

- كوكب نيّر، سمّي بذلك لانصراف الحرّ عند طلوعه مع الفجر من المشرق وذلك أول الخريف، وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس وذلك أول الربيع.596

- الصرفة ناب الدهر لانصراف البرد وإقبال الحر، و فتوره بين الفترتين 597 و قديما قالت العرب:" إذا طلعت الصرفة بكرت الخُرفة وكثرت الطرفة، وهانت للضيف الكلفة. "598

- خرزة من الخرز التي تذكر في الأُخذِ يستعطف بها الرجال يصرفون بها عن مذاهبهم ووجوهه599 قال تعالى: "وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم

---

591 – معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط 2 ، 1970 ، الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ، 2 ، 70

592 – انظر السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي ،1–3

593 – الفرقان ، 19

594 – الأصفهاني، المفردات، مادة صرف، ص 279

595 – ابن منظور، لسان العرب، مادة صرف ، 9– 190

596 – القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق ، ط1، 1987، 2–177

597 – ابن منظور، لسان العرب، مادة صرف 9 – 189 ، و ابن قتيبة ، أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4، 1963 ، المكتبة التجارية ، القاهرة، ص 75 ، و القلقشندي، صبح الأعشى، 2– 177

598 – السيوطي، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق فؤاد علي منصور، ط 1،1998 ،دار الكتب العلمية، بيروت، 2،446

599 – ابن منظور، لسان العرب، " مادة صرف " ، 9 ، 189

مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ 600 و قوله عز و جل : " وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ 601 و قوله سبحانه :" وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ 602،فقد يكون دعاء بالهلاك أو إخبارا به تلميحا و إشارة.

- الصرفة في الاصطلاح 8

و قصد أصحاب الصرفة أنّ الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن ، وكانت في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاءوا بمثله.603

- مصدر القول ببدعة الصرفة.

يرجع القول ببدعة الصرفة إلى حركة الترجمة الواسعة في بدايات الدولة العباسية ،و التي شملت عقائد و فلسفات الحضارات الشرقية القديمة حيث كان " معظم المشتغلين بالعلم والفلسفة نصارى ، وصابئة، وكان من الطبيعي أن يعنى بالفلسفة أولئك الذين كانوا من المشتغلين بها قبل دخولهم في الإسلام، وكان أغلبهم من السريان، والصابئة، ولقد كتب كثير من اليهود، والنصارى ، والصابئة ، مؤلفات باللسان العربي بعد انتشار الإسلام، واستقرار قواعد الدولة الإسلامية "604 ، و كان من عوار جديد الترجمات أن بهر ضعاف القلوب فتلقّفوا منه سقيم أفكاره و ضعيف آثاره ،و ركنوا إلى غريب أخباره، فأسروا بأغلاله، فكان من آصاره ضلالة الفيدا 605 عند البراهمة في كتابهم المقدّس الذي يقوم على عقيدة أنّ البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله لأنّ صنم الهندوس "براهما" صرفهم عن أن يأتوا بمثل الفيدا قال البيروني:" إنّ خاصّتهم يقولون إنّ في

600 – آل عمران ، **152**

601 – هود ، **8**

602 – التوبة ، **127**

603 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج**2** ص **93** ، و السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج**2** ص **118**.

604 – أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب، عدد **26** .

605 – محمد غلاب، مشكلة الألوهية ، ص**97**.

مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنّهم ممنوعون عن ذلك احتراما لها "606 ، فأخذ أهل الضلال عقيدة الفيدا فقالوا: إنّ العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ،ما كان عجزهم لأمر ذاتي من مباني نظمه البليغ ،و لا من معاني إعجازه العظيم ،بل لأنّ الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله."607

- الصرفة و الإعجاز القرآني.

لقد اختلف العلماء في نسبة الإعجاز إلى الصرفة على مذاهب منها:

1 - مذهب القائلين بالصرفة.

اختلف القائلون بالصرفة في بيان حقيقتها اختلافا تباينت أقوالهم حتى تعارضت فكانت ثلاثة هي:

❋– القول الأول: أنّ الله تعالى صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة، فكلما همّوا بها، وجدوا في أنفسهم صارفا عن المعارضة، لا لعدم قدرتهم عليها ،بل لأنّ المقتضي فيهم كان تاما، غير أنّ الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر، ولولا ذلك لأتوا بمثله، و قال بهذا المذهب كل من:

أ – أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانيء النظام.608

قال أبو الحسن الأشعري:" وقال النظام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأمّا التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أنّ الله منعهم بمنعٍ وعجز أحدثهما فيهم "609، و هذا من المسائل التي انفرد بها عن غيره من المعتزلة 610، و عدّ عبد القاهر بن طاهر البغدادي قول النظام من الفضائح.611

ب – أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي الجاحظ:

لقد تباينت أقوال الجاحظ حول إعجاز القرآن فوردت على وجهين:

---

606 – نقلا عن عرفة بسيوني، فكرة النظم في تطورها وأهدافها، ص 35 نقلا عن كتاب ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني

607 – أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص 69

608 – انظر ترجمته من الأعلام للزركلي 1،43 ، والفرق بين الفرق، البغدادي ص 113 ، وتاريخ بغداد 6 ،97 .

609 – انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ،ط 1 ،1392 هـ 1972،الهيئة المصرية العامة، 1 ،296

610 – انظر الملل والنحل للشهرستاني، ،تحقيق محمد سيد كيلاني، ط 1396 هـ 1976، مصطفى الحلبي،1 ،56

611 – انظر الفرق بين الفرق، البغدادي، تحقيق محي الدين إبراهيم، عيسى الحلبي ، ص 143

- الوجه الأول: إعجاز القرآن الكريم في نظمه البديع ، وتركيبه البليغ.612
- الوجه الثاني: إعجاز القرآن الكريم في صرف الله تعالى نفوس العرب عن المعارضة613 قال الرافعي:" أمّا الجاحظ فإنّ رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية...غير أنّ الرجل كثير الاضطراب ، فإنّ هؤلاء المتكلّمين كأنّما كانوا من عصرهم في مُنْخُل، ولذلك لم يَسْلم هو أيضا من القول بالصرفة، و إن كان قد أخفاها و أومأ إليها عن عرض ، فقد سرد في موضع من كتاب " الحيوان " طائفة من أنواع العجز ، وردّها في العلّة إلى أنّ الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم ،ثمّ عدّ منها،" ما رَفَع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه."614

ت – أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني.

و حصر إعجاز القرآن في وجهين:615

- الوجه الأول: إعجاز القرآن الكريم في نظمه البديع.
- الوجه الثاني: إعجاز القرآن الكريم في صرف نفوس الناس عن المعارضة.

ث – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي.616

قال الخطابي:" وذهب قوم إلى أنّ العلّة في إعجازه الصرفة، أي صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كان مقدورًا عليها "، ثمّ مثّل لفكرته في الصرفة فقال:" ولو كان الله عزّ وجلّ بعث نبيًّا في زمان النبوات ، وجعل معجزته في تحريك يده ، أو مدّ رجله في وقت قعوده بين ظهراني قومه ،ثمّ قيل له: ما آيَتُك ؟ فقال: آيَتِي أن أُحَرّك يدي، أو أمُدَّ رجلي، ولا يمكن أحدًا منكم أن يفعل مثل فِعْلي، والقوم أصحَّاء الأبدان لا آفة بشيء من جوارحهم، فحرّك يده أو مدّ رجله ، فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه ، كان ذلك آية دالة على صدقه ، وليس يُنظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبيّ ، ولا إلى فخامة منظره، وإنّما تعتبر

---

612 – انظر الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط 2 ،1385هـ 1966م، مكتبة مصطفى الحلبي،4، 90.

613 – انظر الحيوان، الجاحظ ، 4 ، 86

614 – انظر إعجاز القرآن، الرافعي، ص 146 ،و النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ط 4،1977م، دار القلم، الكويت، ص62

615 – انظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، 4 ،12 .

616 – انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، 3،205 ، وطبقات الشافعية، السبكي ،1، 150، و وفيات الأعيان، ابن خلكان ، 2،97

صحتها بأن تكون أمرًا خارجا عن مجاري العادات، ناقضًا لها، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها "617

ج – أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّانِيُّ المعتزلي.618

حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة منها الصرفة فقال:" أما الصّرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبّوة. "619

ح – ابن حزم الأندلسي.

و حصر إعجاز القرآن الكريم في وجهين:

- الوجه الأول: نظمه البليغ.
- الوجه الثاني: إخباره بالغيب، ثمّ تساءل فأجاب فقال:" فإن قالوا: هل القرآن موصوف بأنّه في أعلى درج البلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله التوفيق: إن كنتم تريدون أنّ الله قد بلغ به ما أراد فنعم، هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين ؟ فلا؛ لأنّه ليس من نوع كلام المخلوقين ، لا من أعلاه ، ولا من أدناه ، ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أنّ إنسانا لو أدخل في رسالة ، أو خطبة ، أو تأليف ، أو موعظة ، حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأنّ الله تعالى منع الخلق عن مثله ، وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق "620، ثمّ حكم على مخالفه فقال:" وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال."621

خ – أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني.

---

617 – انظر بيان إعجاز القرآن، للخطابي ، ص 20 .

618 – انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي 5 ،280 ، وشذرات الذهب، ابن العماد 3 ، 109 ، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ، 11 ، 16 ، وطبقات النحويين، الزبيدي ، 55 ، و بغية الوعاة ، السيوطي ، 344

619 – انظر النكت في إعجاز القرآن ، ص 101

620 – انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ، 3 ، 18 ، 19 .

621 – المصدر نفسه ، 3 ، 16

قال صاحب شرح المواقف:" وقيل: إعجازه بالصرفة على معنى أنّ العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة لكنّ الله صرفهم عن معارضته، و اختلف في كيفية الصرف، فقال أبو إسحاق منّا، والنظام من المعتزلة، صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها خصوصا عند توفر الأسباب الداعية في حقّهم كالتقريع بالعجز ، و الاستنزال عن الرياسات ، والتكليف بالانقياد ، فهذا الصرف خارق للعادة ، فيكون معجزا."622

❋– القول الثاني: أنّ الله جلّ و علا سلبهم العلوم الموصلة إلى حقيقة المعارضة، و لولا هذا السلب لأتوا بمثل القرآن، و قال بهذا المذهب كل من:

أ – علي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى.

و فسّر مذهبه في الصرفة فقال:" إنّ الله عز وجل صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ، فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات."623

ب – ابن سنان الخفّاجي.

تردّد مذهبه بين وجهين من الصرفة:

♋ الوجه الأول: صرف العرب عن المعارضة ، وأنّها كانت في مقدورهم لولا الصرف، فقال: "إنّ الصحيح أنّ وجه الإعجاز في القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وأنّ فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصرف...وهذا هو المذهب الذي يعوّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم."624

♋ الوجه الثاني: سلب العلوم التي تمكّنهم من المعارضة ،و لقد علّق على تقسيم الرماني للكلام، فقال:" وأمّا قول الرماني إنّ القرآن من المتلائم في الطبقة العليا، وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الأمر علي ذلك، ثمّ يقول: ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه، ولعلّ أبا الحسن – الرماني – يتخيّل أنّ الإعجاز في القرآن لا يتمّ إلاّ بمثل هذه الدعوى الفاسدة...وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم

---

622 – القاضي عضد الدين الإيجي، شرح المواقف ، ج8 ص 246 .

623 – انظر الملل والنحل ، 1 ، 143 .

624 – انظر سر الفصاحة ، الخفاجي ، ص 109 ، 265 .

التي بها كانوا يتمكّنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك، وإذا كان الأمر علي هذا فنحن بمعزل عن ادّعاء ما ذهب إليه."625

❋– القول الثالث: أنّهم كانوا قادرين على المعارضة ،ومجهّزين بالعلوم اللازمة لها ،ولكن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة ،مع كونهم قادرين، فتقهقروا عند المعارضة لغلبة القوة الإلهية ،626 و قال بهذا المذهب:

أ – يحيي بن حمزة العلوي.

و لقد قسّم العلوي الصّرفة إلى أنواع ثلاثة:627

أ – سلب دواعي إلى المعارضة .

ب – سلب العلوم المساعدة على المعارضة.

ت – سلب المعارضة بالجبر والقسر ،ثمّ جعل حاصل الأمر أنّ العرب قادرون على معارضة القرآن إلا أنّ الله تعالى منعهم قسرا.

2 – مذهب المعارضين للصرفة.

القرآن الكريم أعظم المعجزات هو الحجة الماضية، و الآية الباقية مدى الدهر ذاك لأنّه " نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومُضيِّ الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون وظلّت آياته تلقف ما يَأْفِكون، فوقع الحقّ وبطل ما كانوا يعملون "628، و يكفي فساد فرية الصّرفة شهادة ناقد من بيئة أهلها قال الزمخشري:" ودع عنك حديث الصرفة، فما الصرفة إلا صفرة[629]من النظّام وطفرة منه في الإسلام، ولقد ردّت على النظام صفرته، كما ردّت عليه طفرته، ولو صحّ ما قاله لوجب في حكمة الله البالغة، وحجته الدامغة، أن يترله على أرك نمط و أنزله، وأفسل أسلوب وأسفله، وأعراه من حلل البلاغة وحليها، وأخلاه من بهيّ جواهر العقول وثريّها، ثمّ يقال لولاة أعلى الكلام طبقة وأمتنه، ولأرباب آنقه طريقة

---

625 المصدر نفسه ، ص 109 ، 265 .

626 – العلوي، الطراز ، ج3 ص291. وانظر العماري، حول إعجاز القرآن، سلسلة الثقافة الإسلامية، عدد 44 ، و الخالدي، البيان في إعجاز القرآن ، ص 83،82.

627 – انظر الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، ط 1980 م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3 ص392

628 – انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص 31

629 – الصفرة لمن يعتريه الجنون لأنهم كانوا يمسحونه بشيء من الزعفران. الجوهري، الصحاح ، 2 ، 714

وأحسنه هاتوا بما ينحو نحوه، و هلمّوا بما يحدوه، فيعترضهم الحجز، ويتبيّن فيهم العجز، فيقال قد استصرفهم الله عن أهون ما كانوا فيه ماهرين، وأيسر ما كانوا عليه قادرين، ألم ترهم كيف كانوا يعنقون [630] في المضمار فوقفوا، وينهبون الحلبة بخطاهم فقطفوا [631]،ولا يقال الله قادر على أن يأتي بما هو أفصح وأفصح، و أملح لفظا ومعنى وأملح، فهلاّ أتى بذلك المتناهي في الفصاحة والمتناهي في الملاحة، فإنّ الغرض اتّضاح الحجّة وقد اتّضحت، وافتضاح الشبهة وقد افتضحت ،وإذا حصل الغرض فليس وراءه معترض "[632]، و الصّرفة و إن درن أصلها، و خبث مقصدها، فقد آل البحث في الإعجاز القرآني بسببها إلى ذروة عطائه و جذوة حجاجه، و" أدّت إلى إنشاء علوم البلاغة في ظل القرآن، فاتّجه الكاتبون إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب المبين المنزّل من عند الله الحكيم قرءانا عربيا، فكان هذا الباطل سببا في خير كثير، وكما يقول المثل السائر" ربّ ضارّة نافعة "،فقد تولّد عن هذا الباطل دفاع حكيم ولدت منه علوم البلاغة العربية، وكما تولّد عن الخطإ في تلاوة آية " علم النحو " تولّدت علوم البلاغة العربية عن الخطإ في القول بالصرفة في إعجاز القرآن "[633]، ولقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ الصرفة بكل صورها وهم وخيال لا تعمد إلى سند قوي ،و لا تتّصل بدليل معتبر، و اتفق المعارضون على فسادها، فرفضوا اعتبارها وجها من وجوه الإعجاز القرآني و استدلوا على مفاسدها بما يلي:634

أ – قوله تعالى:" قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ "635، فدلّ النصّ على ثبوت عجزهم مع بقاء قدرهم، ولو سلبوا القدرة لكان في ذكر اجتماعهم اللغو عينه، فلا يكون من وصف اجتماعهم مقصد لأنّهم في حكم الموتى، وليس في عجز الموتى ما

---

[630] – يقنقون العنق ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير سريع كقول الراجز: يا ناق سيري عنقا فسيحا.انظر الصحاح : **4،1533** .

[631] – يقال قطف إذا قارب بين خطواته بسرعة ، والقطوف من الدواب البطيء ، انظر الصحاح : **4/1417** .

[632] – الزمخشري ،إعجاز سورة الكوثر ، **61** ، **62**

[633] – محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي ،بيروت ، ص **81**

634 – انظر المغني ، القاضي عبد الجبار ، **6**، **325** ،و الرسالة الشافية ، عبد القاهر الجرجاني " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ص **133** ، و إعجاز القرآن ، الباقلاني ،ص **29** ، و البداية والنهاية، ابن كثير **6**، **69** ،**81** ، و الإتقان ، السيوطي، **4**،**7**، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، **4**، **76**، و إعجاز القرآن ، الرافعي ، ص**145** ، و التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص **15** ، و النبأ العظيم ، درّاز ، ص**86** ،و المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ص **79**، و مناهل العرفان للزرقاني ، **2**،**277** .

635 – الإسراء **88**

يزكّي تحدّيا قال السيوطي شارحا الآية السابقة:" فإنّه يدلّ على عجزهم مع بقاء قدرتهم ،و لو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمترلته مترلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أنّ الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز."636

ب – إجماع العلماء على إضافة الإعجاز إلى القرآن و عليه فكيف يوصف بالإعجاز تعريفا و يسلب منه حقيقة ليكون المعجز الله تعالى ؟ و دليل الإجماع أنّ وجوه الإعجاز القرآني كثيرة غير متباينة، و متعددة غير متعارضة 637، أنّ متدبّر القرآن لو تأمّله أدرك أنّ وجوه إعجازه لا تنحصر في وجه دون آخر لأنّه حمّال حقائق و رقائق قد يظهر للمتدبّر منها ما لا يظهر لغيره فيفتح الله له من وجوه الإعجاز ما لا يفتح لغيره، و من هذا فإنّ " القرآن لانهاية لوجوه إعجازه "638، و سبحان من أخبر عن كلامه فقال:"قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ 639،و قال عزّ و جلّ:" وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ "640

ت – إنّ القول بمذهب الصرفة يقتضي ضرورة ذهاب حقيقة التحدّي و زمنه لأنّ إثباتهما لازمه وصف الله تعالى بالعبث و هذا خلاف أصل التتريه في العقيدة قال تعالى:"أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ "641، و عليه فإذا سقط فعل التحدّي بزمنه سقط وصف الإعجاز عن القرآن و عندئذ لا يصلح لأن يكون حجّة في إثبات صدق الرسالة قال محمد أبو زهرة:" لو قلنا إنّ الذي منع العرب عن الإتيان بمثله هو الصرفة ما كان القرآن هو المعجز، وإنّما يكون العجز منهم، ولم يكونوا عاجزين، وإنّما يكون قد أعجزهم الله، ولم يعجزهم

---

636 – السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،2،106.

637 – انظر إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط1، 1989، دار الأنبار، العراق ، ص226

638 – انظر معترك الأقران ، السيوطي ، 1 ، 35

639 – الكهف 109

640 – لقمان 27

641 – المؤمنون ، من 115 إلى 118

القرآن ذاته، وقد كان القرآن هو معجزة النبي صلى الله عليه و سلم، والقول بالصرفة ينفي عنه خواص الإعجاز."642

ث- لو كانت المعارضة من المشركين ممكنة و كانت الصرفة مانعا و عارضا لسقطت منزلة الكلام الإلهي، و لاستوى بمن دونه في القدر و المنزلة لكونه لم يعجز خصومه بذاته بل بمنع الله تعالى لهم قال الباقلاني:" لو كانت المعارضة ممكنة وإنّما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع معجزاً؛ فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه."643

ج – لازم مذهب الصّرفة يقتضي وجوب ثبوت ما يضاهي القرآن من نقول خصومه شعرا و نثرا، و لو ثبت افتراضا لدلّ قطعا على انتفاء انفراد القرآن بالبلاغة العالية، و الفصاحة السامية.

ح – القول بالصرفة لازمه إنقاص منزلة العرب البيانية و قدرهم البلاغية التي دلّت عليها الرواية المتواترة و أثبتها الواقع التاريخي، فالعرب " هم الذين قد خُصُّوا من البلاغة والحِكم ما لم يخصّ به الله غيرَهم من الأمم، وأوتُوا من ذَرابةِ اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فَصل الخطاب ما يقيّد الألباب، جعل اللهُ لهم ذلك طبعاً وخِلقة، وفيهم غريزةً وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويُدلون به إلى كل سَبب، فيخطُبون بديهاً في المقامات و شديد الخَطْب، ويرتجزون به بين الطَّعن والضَّرب ،..ولهم في البلاغة الحُجّة البالغة، والقوة الدامغة، و القدح الفالج، والمَهيع الناهج، لا يشكُّون أن الكلام طوع مُرادهم، والبلاغة ملكُ قِيادهم، قد حَوَوْا فُنونها، واستنبطوا عُيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلَوْا صرحًا لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفنّنوا في الغثّ والسَّمين، وتقاولوا في القُلّ والكُثْر ، وتساجَلوا في النظم والنثر، و مع بلوغهم إلى هذا الحدّ من صناعة الكلام، و وصولهم إلى ذروة البيان إلاّ أنّه لم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهضٌ من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصَى البطحاء ، وأوفر عددا من رمال الدهماء ، ولم يَنْبض منهم عرق العصبيّة مع اشتهارهم بالإفراط في المُضادّة و المضارّة، و ركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن آتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ، وإن رماهم بمأثرة رمَوْه بمآثر، وقد جرّد لهم الحجة أولا، والسيف آخرا، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، وما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على الكواكب، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب...وحيث عجز عرب

642 – محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى، 61

643 – إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 18

ذلك العصر، فما سواهم أعجز في هذا الأمر، وقد مضى ــ إلى الآن ــ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، ولم يُوجد أحد من معاديه البلغاء إلا وهو مُسلّم، أو ذو استسلام، فدلّ على أنّه ليس من كلام البشر، بل كلام خالق القُوَى والقُدَر، أنزله تصديقًا لرسوله، وتحقيقًا لمقوله."644

خ – القول بالصرفة إبطال للأحداث التاريخية:

قال الجرجاني :" لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنّه معجز في نفسه لكان لأن أدخل عليهم العجز عنه وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم على الجملة حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتّسع له لكان ينبغي أن لا يتعاظمهم ، ولا يكون ومنهم ما يدلّ على إكبارهم أمره وتعجبهم منه ،وعلى أنّه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم و لكان التعجّب للذي دخل من العجز عليهم ولما رأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا وأن سد دونه باب كان لهم مفتوحا.."645

د – لقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على أنّ إعجاز القرآن ذاتي قبل أن تظهر بدعة القول بالصرفة ناقش ذلك القرطبي في جامعه فأبطل الصرفة و نقل الإجماع فقال:" الإجماع قبل حدوث المخالف: أنّ القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إنّ المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك علم أنّ نفس القرآن هو المعجز، و أنّ فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلمّا لم يكن كذلك مألوفا معتادا منهم دلّ على أنّ المنع والصّرفة لم يكن معجزا."646

ذ – القول بالصرفة إبطال لرسالات الأنبياء و المرسلين، فلقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبياءه بالمعجزات الربّانية تحقيقا لدعوتهم الرسالية في إصلاح أقوامهم ، و تصديقاً لنبواتهم الإلهية في إقامة الحجة على منكريهم قال الله تعالى يصف معجزة صالح عليه السلام:"وَيَـٰقَوۡمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ

---

1 – انظر القاسمي جمال الدين ،محاسن التأويل ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي،2 ، 75 ، 76

645 – الجرجاني ،دلائل الإعجاز، 391

646 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص75، و انظر قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين، عبد الفتاح محمد سلامة، ط 1980م ، دار التوفيقية للطباعة ، الأزهر، القاهرة ، ص 154 .

ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ 647،و معجزة موسى عليه السلام لفرعون الجاحد: "وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ 648،ومعجزة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل :" قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ 649،ومعجزة محمّد صلى الله عليه و سلم بالقرآن الخالد الذي أنكره المشركون:" وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ "650. فقد أجمعوا على تحدّي الرسول صلى الله عليه و سلم بتنزيل الآيات الكثيرة – على قراءة نافع ،وأبي عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم على الجمع –كآيات الأنبياء الحسية 651 تعجيزا له، و غفلوا عن حقيقة زوالها لتعلّقها بالزمان و المكان و الإنسان 652 ،فأنزل الله عز و جل القرآن – المعجزة الباقية و الحجة الباهرة – في أعلى درجات البيان متحدّ لهم به لمناسبتين:653

---

647 – هود من 64 إلى 68 .

648 – الأعراف من 104 إلى 108.

649 – آل عمران ، من 47 إلى 49.

650 – العنكبوت ، من 50 إلى 52.

651 – زاد المسير 3، 123

652 – تفسير النسفي، 2، 234

653 – محمد أبو زهرة ، القرآن المعجزة الكبرى، ص 67

ﮪ أولهما: الوقوف على دلالة خرق المعهود عندهم فقد أعجز فصحاءهم، و أخرس بلغاءهم – بفصيح لفظه، وعجيب نظمه، وصدق خبره ، وصحّة وعده و وعيده – 654 مع قيام وصف المشابهة في لغة الخطاب فكان " كل مقدار من مقادير إعجازه آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فإنّ آيات القرآن زهاء ستة آلاف آية، ومقدار كل ثلاث آيات مقدار مُعجز، فيحصل من القرآن مقدار ألفي معجزة ، وذلك لم يحصل لأحد من رسل الله.."655

ﮪ ثانيهما: إرادة خلوده لعموم شريعته، و بقاء رسالته ،و ذلك يستلزم كثرة الأتباع مع قيام مانع زوال المعجزات الحسية بموت أصحابها، فاقتضت الحكمة الإلهية إنزال المعجزة العقلية المحقّقة لوصف الخلود و مقصد النزول روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "656 ،و في رواية له:" مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. "657

---

654 – الماوردي ، النكت و العيون ، 2، 179

655 – ابن عاشور ،التحرير و التنوير ،1، 89

656 – الجامع الصحيح ، البخاري ، رقم 4598

657 – الجامع الصحيح ، البخاري ، رقم 6732

الباب الثاني: التغاير القرائي و وجوه الإعجاز القرآني.

و فيه الفصول التالية:

- الفصل الأول : التغاير القرائي بين الإعجاز الصوتي و الإعجاز النحوي.
- الفصل الثاني : التغاير القرائي و الإعجاز العقائدي.
- الفصل الثالث : التغاير القرائي بين إعجاز نظم القرآن و إعجاز بلاغته.
- الفصل الرابع : التغاير القرائي بين إعجاز الرسم القرآني و الإعجاز التصويري.
- الفصل الخامس: التغاير القرائي بين الإعجاز التشريعي والإعجاز المقاصدي.
- الفصل السادس: التغاير القرائي بين الإعجاز النفسي و الإعجاز التربوي.
- الفصل السابع: التغاير القرائي و الإعجاز العلمي.

الفصل الأول : التفاير القرائي بين الإعجاز الصوتي و الإعجاز النحوي.

- التغاير القرائي و الإعجاز الصوتي.
- دلالة الأصوات على المعاني .
- الدلالة الصوتيّة المطردة." الإبدال نموذجا . "
- الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي " التنغيم نموذجا."
- التغاير القرائي و الإعجاز النحوي.
- ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها و بيان أهميتها.
- الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي و الوظيفة الدلالية.

– التناغم القرآني و الإعجاز الصوتي:

– دلالة الأصوات على المعاني :

الألفاظ حوامل المعاني ترسم في النفس إيقاعا جماليا إفرادا و تركيبا658 ، و تنقش في العقل بيانا شافيا من خلال ما تنشئه من المعاني الأصلية دلّ عليها الوضع و تبعية دلّ عليها السياق ، وقد تميّز بناء الألفاظ في لغة العرب بضرب من التأليف بين كمال المعنى و جمال المبنى ، فالانسجام الصوتي المتولّد من تلاؤم الأجراس الإيقاعية للحروف في اللفظ المفرد 659 ، أو بين سياق الألفاظ في التركيب يشير إلى دلالات معينة ، ومقاصد مقررة 660 ، و انطلاقا من قاعدة مراعاة دلالة الحسّ لاحظت العرب ظاهرة أثر دلالة الأصوات في حسن انتقاء الكلم فعنيت بذلك في بناء خطابها ،فكثر في لسانها أبنية ما استسهلته في نطقها 661 قال الرماني:" أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة ، فهو مدرك بالحسّ ، و موجود في اللفظ ، فإنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام "662 ، و" الفائدة من التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، و تقبّل المعنى له في النفس ، لما يرد عليها من حسن الصورة ، و طريق الدلالة "663 ، و لقد تنبّه علماء اللغة قديما إلى دلالة الألفاظ الصوتية و إيحاءاتها الإيقاعية عند كلامهم عن فصاحة اللفظ و بلاغته ،664 فوجدوا أنّ للألفاظ قيما تأثيرية جمالية ترتبط بإيقاع الكلمات إفرادا و تركيبا ، فجعلوا عذوبة الذوق السليم و فراسة الحسّ المرهف علامة الفصاحة ، فاتّخذوا ذلك حكما في بيان حسن الكلام

---

658 – النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ،نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية، بغداد ،**1978** ،ص **231**

659 – جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ص **285**

660 – مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، دار المعرفة ،ط**1** ، **1961**م ص**267** ،و طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، إبراهيم أنيس ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، **1967**، ص**5**

661 – ينظر عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق طه الحاجري ، ومحمد زغلول ، المكتبة التجارية الكبرى ، **1956** ص **14** ، و الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، **1990** ،**1**، **65** ، **66** ، و سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ،تحقيق: عبد المتعال الصعيدي ،ط **1969** ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ،ص**54** ، **55** ، والمثل السائر: **1**،**245** ــ **288**، و منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة ، ط **1966** ،دار الكتب الشرقية ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ص**222** .

662 – النكت في إعجاز القران ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول ، دار المعارف بمصر، ص **72**

663 – النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، ص **88**

664 – أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة، ص **455**

وقبحه 665، ولقد تتبّع ابن جنّي ظاهرة محاكاة اللفظ للمعنى ، فتحدّث في باب:" إمساس الألفاظ أشباه المعاني " فاستقصى الظاهرة بدقّة عالية ، و استقرأها بدراسة وافية فقال :" إنّ كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر عنها ، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس ، وخضم في الرطب، و ذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف "666 ، و روى السيوطي أنّ رجلا كان يدّعي العلم بدلالة اللفظ من وقع رنين الكلمة " فسئل ما مسمّى الإدغاغ ، و هو بالفارسية الحجر، فقال أجد فيه يبسا شديدا و أراه الحجر667 ، فصوت اللفظ و إن لم يدل قطعا على المعنى ، فإنّه يدلّ دلالة إيحائية قوية تثير في النفس طمأنينة راجحة لقبول المعنى المقذوف فيها، 668 و إشارة بيانية واضحة تنشئ فيها حركة شعورية تدرك بها ظلال المعاني المرسومة 669 ، وقد يوحي وقع الصوت إلى النّفس معنى تدرك صحّته دون أن تقف عليه سالفا، وقد تتحسّس دلالة الكلمة من وقعها الصوتي لجامع المناسبة بينهما، أو لمقام السياق أو غيره 670 قال العلوي:" فالألفاظ في سهولة تركيبها و عثورته ، وسلاسته

---

665 – قال أبو هلال العسكري :" و شهدت قوما يذهبون إلى أنّ الكلام لا يسمى فصيحا حتى يجمع من هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة." انظر الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق مفيد قمحة ،ط**1** ، **1951** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص**17** ، و اشترط الخطيب القزويني براءة اللفظ من إنكار السمع له "...بأن تمج الكلمة ، ويتبرأ من سماعها ، كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة ، فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، منها ما تستلذّ النفــس سماعه ، ومنها ما تكــره سماعه." انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، ط **1** ، **1999**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ص **4** ، وقال العلوي :" إنا نراهم في أساليب كلامهم يفضلون لفظة على لفظة ،و يؤثرون كلمة على كلمة ، مع اتفاقهما في المعنى، وما ذاك إلا لأنّ أحدهما أفصح من الأخرى، فدل ذلك على أن تعلق الفصاحة، إنما هو بالألفاظ العذبة والكلم الطيبة." انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل ، يحي بن حمزة بن يحي بن إبراهيم العلوي اليمني ، دار الكتب الخديوية ، مطبعة المقتطف ، مصر ، **1** ،**131**

666 – الخصائص، ابن جني، **1**،**66** ، وقال كذلك :".. إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب ، وذلك قولهم: بحث ، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء تشبه مخالب الأسد ، وبراثن الذئب ونحوها إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث ، والبث في التراب ، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا.." انظر الخصائص ، **2**، **164** ــ **165**

667 – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، **1** ،**47**

668 – فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر ، ط **3** ، **1968** ،بيروت ، ص **261**

669 – ينظر دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ط**1** ، **1958** ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص **103**

670 – دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن السعد ،كلية الآداب جامعة البصرة،**1995**،أطروحة، ص**39**

و وعورته بمنزلة الأصوات في طنينها ولذة سماعها ، ولهذا فإنّه يستلذّ بصوت القمري ، ويكره صوت الغراب "671 ، وتتجلّى ظاهرة محاكاة الصوت للمعنى في مظهرين:

✵ – الأول: إيقاع أصوات الحروف المتآلفة في اللفظ الواحد:

الحروف أصوات جمالية متفاوتة الجرس 672 ينتج من اجتماع إيقاعاتها الصوتية إيحاءات دلالية إضافية على المعاني الأصلية 673 ، و ينشئ جرس اللفظ الداخلي ، و وحي أصوات الحروف كمال التوافق بين المبنى و المعنى674 ، وإنّ للكلمات ذات الأصوات المحاكية للمعاني مثل لفظ القهقهة لصوت الضحك ، و القعقعة لصوت السلاح حال الإفراد والتركيب سمات صوتية إضافية ،و قيما إيقاعية متجدّدة توحي بالمراد المقصود ، لهذا اشترط العلماء لفصاحة الكلم و حسنه ما يلي:

أ– تناسق مخارج الحروف و عدم تباعدها 675 ، أو تنافرها ، قال العلوي:" لابدّ من مراعاة أمور في تأليف الكلمة لتكون فصيحة،...أن لا تكون تلك الأحرف متنافرة في مخارجها ، فيحصل الثقل"676 ، فالمجاورة بين الحروف في مخارجها يضفي عليها تأليفا صوتيا يصغي له السمع ، و تطرب له النفس ، و انسجاما دلاليا في التركيب يأخذ بالألباب ، فيجتمع عند كمال الاتّساق بين رنين المحاكاة الصوتية و إيحائه جمال نغم الإيقاع ، و قوة بيان الدلالة.677

---

671 – الطراز 1 ،**104** ، و قال أبو هلال العسكري :".. فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة ، مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده.." انظر الصناعتين ص **71** ،و عيار الشعر ص**14** ، و العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وعلق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط**4** ، **1972**، **1** ،**128** ، وسر الفصاحة ص**55** ،و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ط**2** ، **1983**، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ج**1** ص**141**

672 – الفن و الأدب بحث في الجماليات والأنواع الأدبية ، ميشال عاصي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ص **122**

673 – التوجيه الأدبي ، ص**137**

674 – ينظر دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ط**1** ، **1958** ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص**75**

675 – سر الفصاحة، ابن سنان ، ص **54**

676 – الطراز، **1**،**109**

677 – المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ط**1**، **1970**، دار الفكر، بيروت، **2**، **458** ، و انظر التوجيه الأدبي ، طه حسين ، وأحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام ،محمود عوض محمد ، المطبعة الأميرية، القاهرة ، **1945**، ص **138** ، ومن أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح ، سامي منير عامر ،ط **1989**، القاهرة ، ص**28**

ب – تناسق أصوات اللفظ المفرد و انسجامها 678 قال الجاحظ:" وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان."679

❋ – الثاني: إيقاع أصوات الألفاظ المتآلفة في التركيب الواحد:

لا تتمّ الجمالية الفنية للتناغم الصوتي بين أجراس الألفاظ في التركيب إلا بعد تمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة معناه ليوحي كمال التطابق بينهما بمقصد الفصاحة 680، وكلّما توطّدت العلاقة بين الجمل اللفظية وإيقاعاتها الصوتية قويت المعاني و تقرّرت 681 قال الآمدي:"حسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا و رونقا، حتّى كأنّه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، و زيادة لم تعهد"682 ، ولقد تجسّدت ظاهرة دلالة الأصوات على المعاني في صورتين:683

– الأولى: الدلالة الصوتيّة المطردة:

و يُعمد إليها بمسلكين:

أ– الإبدال بين الوحدات الصوتية الصغيرة.

يرد الإبدال بين الحروف و الحركات لبيان معاني الألفاظ ، و الإبدال من سنن العرب في خطابها كقولهم: مدحه مدهه و فرس رفلّ و رفن ،و هو كثير مشهور684 ، و لقد خصّ العلماء مبحث الإبدال فأفردوا له

---

678 – الطراز، ص **55**

679 – البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط**5** ، **1985**، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، **1**، **67**

680 – الفصاحة مفهومها وبما تتحقق ، توفيق علي الفيل ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة**27** ، الحولية **6**، **1985**، ص **17**

681 – ينظر دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ، ترجمة كمال بشر ،ط**3** ، **1972**، المطبعة العثمانية، ص **78** ، **79**

682 – الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص **381** إنّ لاختيار الكلمة دورا في كمال المعنى و جمال المبنى قال ابن الأثير:".. وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ،فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم..." انظر المثل السائر لابن الأثير، **1**، **210**

683 – الدلالة اللغوية عند العرب، **166 ـــ 183** ، وينظر : القاري والدرس الدلاليّ في كتابه مرقاة المفاتيح، إيمان صالح مهديّ ،ص **81** .

684 – الصاحبي، ابن فارس ، **204**.

المؤلفات العلمية المستقلة مثل كتاب "القلب و الإبدال" لابن السكيت " ت 244 هـ" ، و كتاب الإبدال لأبي الطيّب عبد الواحد اللغوي الحلبي " ت 351 هـ"

- تعريف الإبدال لغة و اصطلاحا.

- الإبدال لغة.

الأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله و جعل شيء مكان شيء آخر 685 ، و أبدلت الشيء إذا " نحيت الأوّل و جعلت الثاني مكانه."686

- الإبدال في الاصطلاح:

❋ – هو:" إقامة حرف مكان حرف في موضعه في اللفظ."687

❋ – هو:" إحلال حرف مكان آخر في الكلمة نتيجة لتطور صوتي حدث على مرّ العصور بشرط الاتحاد في المعنى."688

❋ – هو:" إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة."689

❋ – هو:" وضع الشيء مكان غيره."690

❋ – هو:" أن تقيم حرفاً مقام حرف ، إمّا ضرورة ، أو صنعة ، أو استحسانا."691

❋ – هو:" هو التغيير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطوّر أحد الأصوات فيها إلى صوت أخر مع بقاء المعنى واحدا"692 ، و لقد ورثت العرب الإبدال من تغاير أداءاتها الصوتية للغة العربية "، فليس المراد بالإبدال أنّ

---

685 – اللسان لابن منظور ،"بدل" ،ج 11 ص 48

686 – المصباح للفيومي، "بدل" ص 39

687 – انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مجدي وهبة و كامل المهندس، ص 10 و الكليات لأبي البقاء العكبري ،ص 9

688 – انظر أثر القراءات في الأصوات ، عبد الصبور شاهين ، ص269

689 – الابدال، ابو الطيب اللغوي، 1،9.

690 – المخصص، ابن سيده ، 13،267.

691 – شرح المفصل، 104/10.

692 – ابو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة، ص 73.

العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنّما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقةٍ ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد."693

- فائدة الإبدال:694

للإبدال فوائد منها:

❋ – تحقيق كمال المجانسة بين المتجاورين.

❋ – تحقيق دقّة الوضوح في السمع.

❋ – حسن الوقوف على مواضع التحريف و التصحيف.

❋ – تجسيد سهولة عملية الأداء الصوتي من خلال التخفيف و اقتصاد الجهد العضلي.

- أقسام الإبدال:

و ينقسم إلى قسمين:

أ – الإبدال قصد الإدغام ، و يحدث عند تقارب الحروف و تجانسها، و يطلب في مظانّ الإدغام.695

ب – الإبدال لغير الإدغام و ينقسم إلى قسمين:696

✿ الإبدال الصرفي: و هو " إبدال حرف من غيره لضرورة تصريفية "697 ، و هذا النوع قياسي يخضع لقواعد محدّدة و ضوابط ، و حروفه تسعة جمعت في قولهم :" هَدَأْتُ موطيا." 698

✿ الإبدال اللغوي: و هو كالإبدال الصرفي إلاّ أنّ حروفه اثنان و عشرون حرفا جمعت في قولهم:" لِجَدّ صُرِفَ شَكِسٌ آمنٌ طي ثوب عِزَّتَه "699 ،و تتحدّد معالم التفريق بين الإبدال الصرفي و الإبدال اللغوي فيما يلي:700

---

693 – المزهر، السيوطي، 460/1 ،و شرح ابن الناظم على الألفية، ص 836

694 – انظر اللهجات في الكتاب لسبويه ، ص 235 ،و اللهجات العربية في التراث ،ج1 ص 348

695 – انظر التكملة لأبي علي الفارسي، ص 562

696 – انظر النحو الوافي ، ج4 ص 757

697 – انظر ظاهرة الإبدال اللغوي ، علي حسين البواب، ص 14 ،و يسمى كذلك بالإبدال الضروري و اللازم

698 – ينظر شرح ابن عقيل على الألفية ، 42/2

699 – انظر شرح التصريح على التوضيح ، ج2 ص367 ، و توضيح المقاصد و المسالك ،ج6 ص 4

★ الإبدال اللغوي مقصور على السّماع أما الصرفي فيخضع للقياس.

★ الإبدال اللغوي لا يخضع لضابط محدّد و لا لقاعدة مطّردة عكس الإبدال الصرفي.

★ رجوع أغلب صور الإبدال اللغوي إلى أداء اللهجات العربية شيوعا و ندرة عكس الإبدال الصرفي.

– الإبدال الصوتيّ:701

و يقع الابدال الصوتيّ إما بين الصوامت أو الصوائت.

أ – الإبدال الصوتيّ بين الصوامت - الحروف- :

– الإبدال الصوتي بين حرف الراء و الزاي:

و قد وقع الإبدال في لفظ " ننشزها " و " ننشرها من قوله تعالى:"أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾"702

– توثيق القراءات القرآنية و توجيهها:703

---

700 – انظر ظاهرة الإبدال اللغوي، علي حسين البواب ، ص **25**

701 – الصامت : هو صوت الحرف المحدث نتيجة احتكاكه بمخرجه، وهو الحرف الصحيح في اللغة العربية.

– الصائت : هو الصوت المحدث عند خروج الهواء بلا احتكاك ، ويقسم على قسمين:

– صائت قصير : ويراد به الحركات الثلاث" الفتحة ، والضمة ،والكسرة" .

– صائت طويل : وهو حروف العلّة في العربيّة الألف ، والواو ،والياء .

– المقطع : هو أصغر وحدة نطقية متألفة من صائت واحد ــ غالباً ما يكون قصيراً ــ مكتنف بصامت أو أكثر ، ويتمثّل بالفترة المحصورة بين عمليّتي فتح جهاز النطق للأداء وغلقه كلياً أو جزئياً. انظر: الأصوات اللغوية ص **26** و**156**، و المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب، ص **101**،**102**،والمدخل الى علم اللغة، حجازي، ص**52**–**54**، وأبحاث في أصوات العربيّة، حسام النعيميّ، ص**9**،**11**.

702 – البقرة ، **259**

703 – المحرر، **2**، **311** ، و المكررن **19** ،و الكشف عن وجوه القراءات، ج**1** ص **310** ، و التذكرة في القراءات الثمان، ص **284** ، و جامع القرطبي ج **3** ص **295** ، و تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ،ص**37** ، والكشاف ج**1**ص **295**

– مفردة "ننشزها":

قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة و الكسائي نُنْشِزُها بضمّ النون و الزاي ، و قرأ ابن عباس و قتادة و الأعمش بفتح النون و ضمّ الشين " نَنْشُزُهَا " ، و قرأ أبو جعفر بخلاف عنه بتشديد الزاي " نُنَشِّزُهَا "، و قد دلّ مجموع وجوه القراءات الواردة في هذه المفردة على المعاني التالية:

❋ – الدلالة على الارتفاع و العلو 704 ، و يشهد له قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ "705،و قوله سبحانه:" وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ "706

❋ – ثبوت الارتفاع على وجه مخصوص 707 ، و هو النشأة و النمو التدريجي لا الارتفاع بمعنى التركيب المشعر بالتجزئة و التبعيض ، و يظهر الفارق بينهما بمعهود العرب في بيان المراد بصورة المحسوس ، فقد أطلقت العرب لفظ النشوز على المرتفع من الأرض ،708 و هو الربوة فحصل من لفظ النشوز معنى الارتفاع و من لفظ الربوة معنى النمو فاجتمعا المعنيان على دلالة الارتفاع المتنامي بالتدرّج الذي يشبه نشوز الناب في البعير.709

---

704 – مفردات الأصفهاني، ص 806

705 – المجادلة، 11

706 – النساء ، 128

707 – الدر المصون ، ج2 ص 567

708 – مفردات الأصفهاني ، ص 806

709 – انظر المحرر الوجيز، ابن عطية ،ج2 ص 298

– **معاني لفظ النشوز**:710

❋ – عصيان المرأة زوجها و شاهده قوله تعالى:"ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ "711

❋ – إيثار الرجل الرجل على زوجته غيرها من النساء و شاهده قوله تعالى:" وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ "712

❋ – الارتفاع و شاهده قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ "713

❋ – الحياة و شاهده قوله تعالى:" وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ "714

– **مفردة "ننشرها":**

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يعقوب و أبو جعفر" نُنْشِرُهَا " بضمّ النّون و الراء ، و النّشور الإحياء قال تعالى:"ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ "715، والمراد به البعث716 أمّا الضمير في قوله:" ننشرها " فيعود على العظام و يشهد لدلالته من الاستعمال القرآني قوله سبحانه:"وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾"717

---

710 – إصلاح الوجوه و النظائر ، الدامغاني ، ص456

711 – النساء 34

712 – النساء 128

713 – المجادلة 11

714 – البقرة ، 259

715 – عبس ، 22

716 – انظر معاني القرآن ، الزجاج ، ج1 ص 173

717 – يس ، 78 ، 79

– **معاني لفظ النشور**:718

❁ – الحياة و شاهده قوله تعالى:"وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾" 719

❁ – البعث و شاهده قوله تعالى:" وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾"720

❁ – البسط – بسط النعمة – و شاهده قوله تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ "721،وقال تعالى:" وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾" 722، وقال تعالى:"وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ " 723 " يبسط السحاب بالريح للمطر"724

❁ – التفرّق و شاهده قوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾"725 أي تفرّقوا 726 ، و قرأ أبي بن كعب " نُنْشِيهَا " أي نخلقها.

---

718 – الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

719 – الزخرف ، 11

720 – الفرقان ، 3

721 – الشورى ، 28

722 – الكهف ، 16

723 – الفرقان ، 48، 49

724 – الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

725 – الأحزاب ، 53

726 – الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

- **صورة الإعجاز الصوتي:**

تجسّدت حقيقة الإعجاز القرآني في إحياء الرميم بحركة اجتماع أجزائه و ارتفاع بعضه على بعض لتبدأ العظام في النمو 727 " قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾" 728، فقد دلّ الإحياء الأوّل على ارتفاعها بالتدريج كنشوز ناب البعير729 ، ثمّ يقع الارتفاع الآخر الذي تدلّ عليه هيئة العظام أول مرّة لأنّ " العظام لا تحيا على الانفراد حتى يُضمّ بعضها إلى بعض "730 ليردّها إلى أماكنها من الجسد ، فيركّبها تركيباً لائقاً بها731 يؤكد هذا المعنى ورود الخطاب القرآني للمرتابين في البعث مؤسّسا على حجّة الخلق:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ 732 ، وشاهد التفسير بالمأثور ،فقد جعل الرجل " ينظر كيف يوصل بعض عظامه إلى بعض"733 ، و جاء إعجاز صوت الحروف ليدلّ على تكامل معاني وجوه التغاير القرائي بأداتين:

❋ – الأولى: أدّى تغاير التبادل الصوتي بين حرف " الراء " و" الزاي " إلى تعدّد معنى الكلمة ليُراد بها نشوز العظام بنقلها إلى مواضعها ، و رفع بعضها على بعض ، و إلى النشور بإحيائها 734 ، ثمّ تجتمع الدلالتان على تصوير مشهد بعث الخلق ، وإظهار قدرة الله تعالى على الإعداد و الإيجاد و التصيير و التحويل و فيه دلالة صريحة على إثبات البعث الذي يشمل الروح و الجسد معا.

---

727 – انظر الدر المصون ، ج**2** ص**567**

728 – يس ، **78** ، **79**

729 – انظر المحرر الوجيز ، لابن عطية ، ج**2** ص **298**

730 – انظر الكشف ، مكي، ج**1** ص **310**

731 – إرشاد العقل السليم ، **1**،**252**.

732 – الحج ، **5**

733 – انظر معاني القرآن ، النحاس، ج**1** ص**281**

734 – لسان العرب ، **5**،**206** " نشر " ، و **5**،**418** " نشز ".

❁ – الثانية: ورد حرف الشين ليبعث بتفشّيه في دلالة وجهي القراءتين امتدادا في المعاني و اتّساعا يدّل عليه تصوير انتشار الحياة و انبثاثها في الروح و الجسد و تقريره في السمع و العقل و غرسه في النفس معا ليحصل تمام المناسبة بين التفشّي – في كثرة خروج النفس بين اللسان و الحنك ثمّ انبساطه في الخروج عند النطق –[735] ، و معنى التغاير القرائي ، و ممّا يزيد معنى الإحياء شمولا و انبساطا قراءة الحسن " ننشرها " بفتح النون وضمّ الشين قال الفراء: كأنّه ذهب إلى النشر بعد الطي ، وذلك أنّ الحياة علّة البسط في التصرّف ، فكأنّه مُطوى ما دام ميتا ، فإذا عاد صار كأنّه نشر بعد طيّ[736] ، و من لطائف الجامع الصوتي – حرف الشين – بين وجهي التغاير القرائي دلالة المقارنة بين كلمة " ننشرها " و " ننشزها " في ضوء توجيه التغاير القرائي ، فإنّ القراءة بالراء بمعنى الإحياء ، والعظام لا تحيا على انفراد حتى يجتمع بعضها ببعض ، و القراءة بالزاي أولى بذلك المعنى و أرجح إذ هي بمعنى الانضمام دون الإحياء ، فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها ، ولا يقال: هذا عظم حي ، وإنّما المعنى: فانظر إلى العظام كيف نرفعها من مواضعها في الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء[737] ، و على هذا فإنّ نشوز العظام علّة في الإحياء ، لأنّ الإحياء لا يحصل إلا برفع العظام إلى بعضها البعض ، ثمّ كسوها باللحم ليدلّ وجوب اجتماع قراءة النشوز مع قراءة النشور على بيان مقصد عقدي عظيم و هو تثبيت أصل الإيمان باليوم الآخر في القلوب.

ب – الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي.

- التنغيم نموذجا -

- مفهوم التنغيم لغة و اصطلاحا:

---

735 – قال مكي:" معنى التفشي كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان و الحنك و انبساطه في الخروج عند النطق بالحرف." انظر الرعاية ،ص 135 و قد يزداد اتساع تفشّي معنى لفظ النشور و النشوز إذا حمل تكرير الراء و صفير الزاي على معنى مطلق التفشّي .انظر لطائف الإشارات ، للمرعشي ، ج1 ،ص 202 ، و أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، تعليق محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، ص 108

736 – التفسير الكبير، للرازي ج7ص32، وجامع البيان، للطبري ج3ص62،و الكشاف ، للزمخشري ج1ص303 .

737 – الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، 2، 1103، 1104.

- **التنغيم لغة:**

التنغيم من النغم ،و هو" جَرْسُ الكَلاَمِ وحُسْنُ الصَّوتِ مِنَ القِرَاءَةِ ونَحْوِهَا "738 قَالُ تَعَالَى: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ"739 ، و حقيقته " أنْ تَلْحَنَ بِكَلاَمِكَ ،أي تُمَيِّله إلَى نَحو مِنَ الأنْحَاءِ ؛ لِيَفطنَ لَهُ صَاحِبك كَالتَّعْرِيضِ وَ التَّورِيَةِ "740

قَالَ الكِلاَبِيّ:741

ولَقَد وَميتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تفهَمُوا   ولَحنتُ لَحنا ً لَيسَ بالمُرتَاب

و يقوم التَّنغِيمَ فِي اللُّغَةِ العربية على أصول ثلاثة " نَغمَة ، وجَرَس ، ولَحْن "742، ويطلق على موسيقى الكلام 743 ، و النبر الموسيقيّ.744

- **التنغيم في الاصطلاح:**

هو ارتفاع درجات صوت الكلام صعودا وهبوطا و استواء 745 ، و قيل: هو إعطاء الكلامِ ألوَانا موسِيقِيَّة عِنْد إلقَائِه ، فَتظْهَر صوره في ارتِفَاعَاتٍ وَ انخِفاضَات تَكُون ذَات أهمِّيَّة فِي تَمْيِيزِ المَعانِي المُخْتَلِفَة للجُمْلَة الوَاحِدَة عَلَى الرَّغْم مِنْ وجود عَنَاصِر تَرْكِيبِيَّة أخْرى 746 ، فَالجُملَة الوَاحِدَة قَد يَتَنَوَّع مَعْنَاها بِتَنوُّع طَرائِق النُّطْق بِها ، و لقد تناول التنغيم بالبحث والدراسة علماء اللغة و النحو 747 و البلاغة 748 و القراءات 749،

---

738 – ينظر : العين ، الفراهيدي، " نغم " ، 3،1819 ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي 1 ، 614 .

739 – محمد ، 30

740 – الكشّاف ، 1022.

741 – ذَكَرَه صَاحِب اللسان في مادة " لحن " ، 13،380 ، والقرطبي في الجامع ، 16،167 .

742 – ينظر التَّنغِيم اللُّغَوي في القُرآن الكَرِيم،ص 25 ، والدِّرَاسات الصوتية عِنْدَ علماء التَّجويد، 568.

743 – ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ،ط 1961 م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،ص 176 .

744 – ينظر المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربيّة، عبد العزيز الصيغ ،ص 263

745 – مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ط 1974 م ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ،ص 134

746 – ينظر علم الأصوات ، كمال بشر ،ص 533، و الدِّرَاسات الصوتية عِنْدَ علماء التَّجويد ،ص 106

747 – ينظر الكتاب ، سيبويه ، 1،/339 ، ومعاني القرآن ، الفراء 2 ، 343 ،و 3 ، 105 ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، ابن خالويه ، ص 119 ،132 ، و الخصائص ، ابن جني 2 ، 372 ـــ 373 .

748 – ينظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، 88 ، 89 .

749 – ينظر التمهيد في التجويد ، الهمذانيّ ، 119 ، 120 ، وروح المريد في شرح العقد الفريد ، السمرقنديّ ، ص 139 ، 141 ، نقلاً عن الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد غانم قدوريّ 567، 568 .

فقد روى الزّبيدِيّ أنَّ رَجُلاً مَرَّ بأبي بَكْرٍ رضي الله عنه وكَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ ثَوب ، فقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَتبيعُهُ ؟ فَقَالَ: لاَ، رَحِمَكَ اللهُ. فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَو تَسْتَقِيمُونَ لَقَوَّمْتُ أَلْسِنَتِكُم ، هَلاَ قُلْتَ :لاَ، وَ رَحِمَكَ اللهُ ، و رُوي كذلك أنَّ المَأمُونَ سَأَلَ يَحيَى بنَ أَكْثَم عَنْ شَيْءٍ فقَالَ: لاَ، وَ أَيَّدَ اللهُ أَمِيْرَ المُؤْمِنينَ ، فقَالَ المَأمُونُ: مَا أَظْرَفَ هَذِهِ الوَاوِ ومَا أَحْسَنَ وَقعها 750، وذكر سِيبَويه فِي بَاب النُّدبَة و الاسْتِغَاثَة " أنَّ المَندُوب مَدْعُوٌّ، ولَكِنَّهُ مُتَفَجَّعٌ عَلَيهِ ، فَإنْ شِئتَ لَمْ تُلحِقْ ،كَمَا تُلحِق فِي النِّدَاءِ ،وَ اعلَمْ أنَّ المَنْدُوبَ لاَ بُدَّ أنْ يَكُون قَبْلَ اسْمِهِ " يَا "، أو " وَا " 751 ، ولقد أحسن أَبُو عُبَيْد القَاسِمُ بنُ سَلاَّم توجيه قِرَاءَةِ " مَلِكَ يَوْمِ الدِّينِ "752 توجيها صوتيا بنصب "مَالِكَ"753 ، فقال:" نُصِبَ عَلَى النِّدَاءِ ،وقَدْ تُحذَفُ يَاءُ النِّدَاءِ ، مَجَازُهُ يَا مَالِكَ يومِ الدِّينِ ؛ لأَنَّهُ يُخَاطِبُ شَاهِداً ، ألاَ تَرَاهُ يَقُولُ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، فَهَذِهِ حُجَّةٌ لِمَنْ نَصَبَ، ومَنْ جَرَّ قَالَ: هُمَا كَلاَمَانِ "754 ، و لقد أتقن ابن جنّي تفسير ظاهرة التنغيم تفسيرا صوتيا بالبيان فقال: " وقَدْ حُذِفَتْ الصِّفَةُ ، ودَلَّتِ الحَالُ عَلَيهَا ، وذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ صَاحِبُ الكِتَابِ فِي قَولِهِم:" سِيْرَ عَلَيهِ لَيْلٌ "، وهُمْ يُرِيدُونَ: لَيْلٌ طَوِيلٌ، وكَانَ هَذَا مِمَّا حُذِفَتْ فِيهِ الصِّفَةُ لِمَا دَلَّ مِنَ الحَالِ عَلَى مَوضِعِهَا ، وذَلِكَ أَنَّكَ تَحُسُّ فِي كَلاَمِ القَائِلِ لِذَلِكَ مِنَ التَّطْوِيحِ وَ التَّطْرِيحِ ، وَالتَّفْخِيمِ وَ التَّعْظِيمِ مَا يَقُومُ مَقَامَ قَولِهِ: طَوِيلٌ، أو غَيْرِ ذَلِكَ، وَ أَنْتَ تَحُسُّ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ ، وذَلِكَ أَنْ تَكُونَ فِي مَدْحِ إِنسَانٍ وَالثَّنَاءِ عَلَيهِ، فَتَقُول: كَانَ وَاللهِ رَجُلاً ، فَتَزِيدُ فِي قُوَّةِ اللَّفْظِ بِـــ" الله " هَذِهِ الكَلِمَة ، وتُمَكِّنَ فِي تَمْطِيطِ اللاَّمِ ، أو إِطَالَةِ الصَّوتِ بِهَا أو عَلَيهَا، أي: رَجُلاً فَاضِلاً ، أو شُجَاعاً، أو كَرِيماً، أو نَحْو ذَلِكَ، وكَذَلِكَ تَقُولُ: سَأَلنَاهُ فَوجَدنَاهُ إِنسَاناً ؟ و تُمَكِّنُ الصَّوتَ بإنسان وتُفَخِّمُهُ، فيسْتَغْنِي بذَلِكَ عَنْ وَصْفِهِ بقوله: إنسانا سَمِحاً ، أو جَوَاداً ، أو نَحْو ذَلِكَ ، وكَذَلِكَ إِذَا ذَمَمْتَهُ ، و وَصَفْتَهُ بالضِّيْق ، قُلْتَ سَأَلْنَاهُ وكَانَ إِنسَاناً ، وتَزوِي وَجْهَكَ وتُقَطِّبُهُ فَيُغْنِي ذَلِكَ عَنْ قولك: إنسانا لَئِيماً ، أو لَحِزاً ، أو نَحْو ذَلِكَ " 755 ، وقَالَ السَّمرقندي فِي قَصِيدَتِهِ: " العِقْدُ الفَرِيدُ "756

---

750 – ينظر طبقَات النَّحويين واللُّغويين ، 21، والتَّنغيم اللُّغوي في القُرآن الكَريم ، 32.

751 – الكِتَاب ، 2،225

752 – الفاتحة ، 4

753 – نُسبت هَذِهِ القراءة إلى أبي هريرة، وعمر بن عبد العَزيز ينظر مختصر شواذ القراءات، 9، ونسبها القرطبي إلى محمد بن عبد السميع . ينظر الجامع لأحكام القُرآن ، القرطبي ، 1،148

754 – مجاز القُرآن ، 1،22– 23.

755 – الخَصَائص ، 2، 150

756 – روح المريد ، 198.

إذا " مَا " لنفي أو لِجَحدٍ فَصوتُها ارْفَعَنْ و لِلاسْتِفهامِ مَكِّنْ وعَدِّلا
وفِي غَيرِ اخفِـــضْ صَوتَهَا والَّذِي بِمَا شَبِيةٌ بِمَعناهُ فَقِسْهُ لِتَفضُــــلا
كَهَمزَةِ الاستِفهَامِ مَعَ مَنْ وأنْ وإنْ وافْعُل تَفضِيل وكَيْفَ وهَلْ ولا

ثمّ شرح فقَالَ: " مثالُ ذَلِكَ: "مَا قُلتُ "، و يرفع الصَّوت بـــ "مَا" يُعْلَمُ أنَّهَا نَافِيةٌ ، وَإذَا خفضَ الصَّوت يعلم أنَّهَا خَبَرِيَّةٌ ، وَ إذَا جعَلْتَهَا بَيْنَ بَيْنَ يُعلمُ أنَّهَا استِفْهَامِيَّةٌ ، وهَذِهِ العَادَةُ جَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ الكَلاَمِ ، وفِي جَمِيعِ الأَلْسُنِ."757

و لقد توصلت دقّة مناهج الدراسات الصوتية لموضوع التنغيم إلى قياس التردّد الصوتي له ، و تحديد مستوياته ، واستنباط درجاته 758، فذهب فريق من الباحثين إلى أنّها ستّة درجات759 ، و ذهب فريق آخر إلى أنّها أربعة760 ، وذهب فريق ثالث إلى أنّها ثلاثة صاعدة ، و مستوية ، وهابطة 761 ليتشكّل التنغيم في صور صوتية متفاوتة.

- درجات التنغيم:762

ينقسم التنغيم من حيث دلالته صوته إلى درجات متفاوتة هي:

❋ - النَّغْمَةُ الصَّاعِدَةُ: وتَعْنِي وُجُود دَرَجَةٍ مُنْخَفِضَةٍ فِي مَقْطَعٍ أو أكْثَرَ ، تَلِيْهَا دَرَجَة أكثَر عُلواً مِنهَا ، وتَتَمَثَّلُ فِي الأَمْرِ، وَ التَّرْغِيب، وَ التَّعجُّب، وَ الإثَارَةِ ، وَ الغَرَابَةِ ، وَ الإهَانَةِ ،وَ النَّهِي المَحْض 763 ، ويَكُونُ فِيهِ ارتِفَاعُ دَرَجَةِ الصَّوتِ مِنْ أسْفَلَ إلَى أعْلَى حَتَّى المَقْطَعِ الأَخِيرِ.764

---

757 – روح المريد، **198**، و ينظر المدخل إلى عِلْم أصوات العَرَبِيَّة ، **261**.

758 – ينظر مناهج البحث في اللغة ، **198** ، **199** ، والتشكيل الصوتيّ في اللغة العربيّة، سلمان العانيّ، **193** ، **194** ، و في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل عمايرة ، ص **173** ،والتنغيم واللغويّ في القرآن الكريم ، **63** ، **83** .

759 – ينظر مناهج البحث في اللغة ، ص **199** ، والتنغيم اللغويّ في القرآن الكريم **157** .

760 – ينظر دراسة السمع والكلام ، سعد مصلوح **258** ، **260** .

761 – في نحو اللغة و تراكيبها ، **173** .

762 – التنغيم اللغوي في القران الكريم **157**. المدخل إلى عِلْم أصوات العَرَبِيَّة: **258**

763 – ينظر التَّنغِيم اللُّغَوي في القُرآن الكَرِيم: **157**.

764 – ينظر الدّلالَة الصوتية في القُرآن الكَرِيم: **179**.

❋ – النَّغْمَةُ الهَابِطَةُ: وتَعْنِي وجُود دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ فِي مَقْطَعٍ أو أكْثَرَ تَلِيهَا دَرَجَة أكثَر انخِفَاضاً، وتَتَمَثَّلُ فِي التَّمَني ، وَ التَّهكُّمِ ، وَ إِظْهَارِ الأَسَفِ وَالحُزْنِ 765 ، ويَكُونُ فِيهِ انْخِفَاضُ الصَّوتِ مِنْ أعْلَى إلَى أسْفَلَ حَتَّى المَقْطَعِ الأَخِيرِ.766

❋ – النَّغْمَةُ المُسْتَوِيَةُ: و هو اتّحاد درجات الصوت في عَدَدٍ مِنَ المَقَاطِعِ ، وقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الدَّرجَاتُ قَلِيلَةً أو مُتوسِطَةً أو كَثِيرَةً عِنْدَ وقُوفِ المُتَكَلِّمِ قَبْلَ تَمَامِ المَعْنَى 767 ، وتَتَمَثَّلُ بِالتَّقْرِيرِ وَ الخَبرِيَةِ ، وَالنُّصْحِ وَالإِرْشَادِ، وَالنِّدَاءِ المَحْضِ.768

– مقاصد التنغيم:

أساس إتقان اللغة العربية معرفة أصواتها بتحقيق مخارجها و صفاتها، و فهم دلالاتها و معانيها، إذ هو منطلق كل دراسة جادة ، و بما أنّ العربية لغة القرآن الكريم فقد أوجب الشرع تلاوته على الوجه المبين وفق قواعد الأداء الصحيح ، لأنّ الانحراف عنه يوجب الاختلاف في المعاني و الدلالات فينبني على ذلك سوء فهم القرآن بالتأويل الفاسد ، وتضييع مقاصده بسوء التنزيل.

إنّ التنغيم أداة التعبير عن الحالات النفسيّة و المشاعر العاطفية للنفس الإنسانية ، فالتغيّرات الصوتيّة تأخذ أشكالا متعدّدة ، و صورا متفاوتة باختلاف المواقف الانفعاليّة قوة و ضعفا769 ليدلّ بدرجاته المتنوّعة على الحبّ و الإعجاب ، أو الاحتقار و السخرية ، أو الخوف و التهويل 770 ، والإنسان عندما " ينطق بلغته لا يتّبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، لأنّ الأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت ، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها...ويمكن أن نسمّي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية "771 ، و بما أنّ " التنغيم ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام "772 ، فإنّ ارتباطه

---

765 – ينظر التَّنغِيم اللُّغَوي في القُرآن الكَرِيم: 157

766 – ينظر الدّلالَة الصوتية في القُرآن الكَرِيم: 179.

767 – ينظر الدّلالَة الصوتية في القُرآن الكَرِيم: 179.

768 – ينظر التَّنغِيم اللُّغَوي في القُرآن الكَرِيم: 157.

769 – علم اللغة ، مقدّمة للقارئ العربيّ ، 211 .

770 – علم الأصوات ، 209 .

771 – الأصوات اللغوية ، ص 176 .

772 – مناهج البحث في اللغة ، ص 164.

بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية أوكد ، إذ كلّما زاد عدد الاهتزازات كانت ذات سرعة وكان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح ، لأنّها تجري على طبيعة صوتية واحدة.773

إنّ التنغيم فيصل الحكم على نوع الجملة و دلالتها774 ، وميزان التفريق بين المعاني المختلفة للجمل ، فللجملة الاستفهاميّة نغمة صوتية تختلف عن نغمة الجملة الخبريّة ، و نغمة الجملة المنفيّة مختلفة عنها في المثبتة 775 ، وهذا من القرائن الصوتية العجيبة 776 التي يقوم التنغيم فيها بوظيفة دلاليّة بما يصاحبه من ملامح حاليّة كإشاحة الوجه وتجهّمه ، أو بإقباله وانفراج أساريره 777، فيصيب طيفه السحري الجملة الثابتة في مبناها ومعناها، فيلقي عليها بظلال التغاير ، فتتسع المعاني الكثيرة لتفيض على المباني القليلة ، و يزداد الاتّساع طولا و عرضا باجتماع أسبابه كالمقام و السياق 778 ، و تواطؤها على ذلك مواطأة تكشف مراد المتكلم تحقيقا لا تقديرا ، و تسفر عن وجه مقاصد خطابه يقينا لا تخييلا ، و إذا كانت علامات الترقيم في الكتابة العربية محدّدة للمعنى الوظيفيّ للجملة فإنّ إيقاعات التنغيم الصوتية أوفى بالبيان الدلاليّ من علامات الترقيم ،779 و لقد تفطّن سيبويه العبقري لدور التنغيم في التفريق بين دلالات الأساليب اللغويّة، فاستقصى الظاهرة محللا منقّحا ، و مدقّقا مستنبطا ، فقال معلّقا عن قول جرير:780

أعبداً حلّ في شعبي غريبا　　　ألؤماً لا أبا لك و اغترابا

" وأمّا عبداً ، فيكون على ضربين: إن شئت على النداء ، و إن شئت على قوله: أتفتخر عبداً، ثمّ حذف الفعل"781 ، فالوقوف على القرائن المفسّرة للبيت الشعري – صورة أداء المتكلّم الحالية و صورة انسجام المعاني السياقية – هي الأداة المحدّدة لصورة التركيب ونوع دلالاته ، فقد تنقّلت بسياق البيت الشعريّ و أسلوبه بين النداء والاستفهام ، و قد أضاف ابن جنّي في الموضوع إشارات علمية دقيقة في باب بيان المعاني

---

773 – البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ط 1412 هـ – 1993 م ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص 263

774 – التفكير اللغويّ بين القديم والجديد ، كمال بشر ، 152 .

775 – المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ ، 106 ، و ينظر الدلالة اللغويّة عند العرب ، 178 .

776 – اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ،ط 1973 م ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،ص 228 .

777 – الدلالة اللغويّة عند العرب ، 178 .

778 – علم اللغة العامّ " الأصوات " ، 212 ،و النحو والدلالة ، محمّد حماسة ، 118 .

779 – اللغة العربيّة معناها و مبناها ، 226 ، 227 .

780 – ديوانه ، 96.

781 – الكتاب ، سيبويه ، 1 ، 339 .

التركيبية بأداة تمديد الكلام ، أو تمطيط الحركات أو تقوية الصوت ، كقول العرب في المدح: كان والله رجلاً " فتزيد في قوّة اللفظ بـــ "الله" في هذه الكلمة لتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً، وتمكّن الصوت بـــ" إنسان " وتفخّمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً."782

أمّا التنغيم عند المحدثين فقد برعوا في بحثه و أجادوا فوقفوا على حقائق علمية دقيقة تحقّقت من خلال تحاليل المخابر الصوتية ، فقد يتفنّن المتكلّم في تنويع نغمات الأداء فتتغير المعاني وفقا لهذا التعدّد في الأداء فترد " استفهاماً إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، و تكون خبريّة إذا نطقت بنغمة مستوية ، وتوكيديّة إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة ، وترتيب الكلمات في الجملة الأولى و الثانية و الثالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كلّ جملة."783

إنّ مقصد التّنْغِيم يكمن " فِي تَصْنِيفِ الجُمَلِ إِلَى أَنمَاطِهَا المُخْتَلِفَةِ ، مِنْ إِثبَاتِيَّةٍ ، أو اسْتِفهَامِيَّةٍ ، أو تَعَجُبِيَّةٍ..؛ إِذْ تَصْلُحُ وَاحِدَةٌ مِنهَا وفْقًا لِلَونِ مُوسِيقِي مُعَيَّنٍ مِمَّا قَدْ تَحتَوِيهِ الجُمْلَةُ مِنْ أَدَوَاتٍ صَرفِيَّةٍ مِنْ شَأنِهَا أنْ تُسَاعِدَ عَلَى تَحدِيدِ نَوعِهَا ،كَأدَوَاتِ الاستِفْهَام ،وصِيغَتَي التَّعَجُّب ،وفِي كَثِيرٍ مِنَ الأحيَانِ يَكُونُ التَّنْغِيمُ وَحْدَهُ هُوَ الفَصْلُ فِي الحُكْمِ عَلَى نوعِ الجُمْلَةِ كَمَا يَحْدُثُ – مَثَلاً – حِينَ تَخْلُو الجُمَلُ الاسْتِفهَامِيَّةُ مِنْ أدَوَاتِ الاسْتِفهَامِ ، أوحِينَ تَكُونُ الجُمْلَةُ مُشْتَمِلَةً عَلَى أدَاةِ اسْتِفهَامٍ لَكِنَّهَا خَرَجَتْ عَنْ أصلها."784

– التنغيم و دلالة التفريق بين الخبر بالنفي و الإنشاء بالنفي.

و مِنْ تَطْبِيْقَاتِ التَّنْغِيْمِ عَلَى آياتِ الأحكَامِ الشرعية ما ورد من التغاير القرائي في قوله تعالى:" الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ." 785

---

782 – الخصائص ، ابن جني ، 2 ، 373 .

783 – التنغيم ودوره في التحليل اللغويّ : عبد الحميد السيد 77 ـــ 78 (بحث) .

784 – التَّفكير اللُّغوي ، كَمَال بِشْـــر ، 152، 153.

785 – البقرة ، 197.

- التوثيق القرائي:

أ – قرأ عاصم و ابن عامر و حمزة و الكسائي و نافع و الأعرج و الأعمش " فلا رفثَ[786] ولا فسوقَ[787] ولا جدالَ[788] في الحج " بالفتح في الثلاثة.[789]

ب – قرأ أبو جعفر و الحسن البصري و جبلة و الكسائي كلاهما عن المفضل عن عاصم " فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحجّ " بالرفع و التنوين في الثلاثة.[790]

ت – وقرأ أبو رجاء العطاردي الآية بوجهين:

✸ – " فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالٌ في الحجّ " بفتح لفظ الرفث و الفسوق ، والرفع بالتنوين في لفظ الجدال.[791]

✸ – " فلا رفثاً ولا فسوقاً ولا جدالاً في الحجّ " بالفتح مع التنوين في الثلاثة[792]، و الألفاظ الثلاثة منصوبة على المصادر و العامل فيها أفعال من لفظها و التقدير: فلا يرفث رفثا و لا يفسق فسقا و لا يجادل جدالا.[793]

---

786 – الرفث : كل قول يتعلق بذكر النساء ؛ وقد يطلق على الفعل من الجماع والمباشرة ؛ قال الله تعالى: " أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ " البقرة ، 187 ، أحكام القرآن ، 1،133 .

787 – الفسوق:فيه أقوال كثيرة أصولها ثلاثة :الأول: كلّ المعاصي قال النبي صلى الله عليه و سلم: " سِبَابُ المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفر"، و الثاني: أنه قتل الصيد، و الثالث: أنّه الذبح لغير الله تعالى ، لان الحج لا يخلو عن ذبح ، وكان أهل الجاهلية يذبحونه لغير الله فسقاً ، فشرعه الله تعالى لوجهه نُسكاً ،و الصحيح جميعها. أحكام القرآن، ابن العربي 1،134 .

788 – الجدال: هو المراء مع الغضب المؤدي إلى السباب ؛ وقيل: الجدال هنا أن يختلف الناس: أيهم في موقف ابراهيم عليه السلام ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش تقف في غير موقف سائر العرب ، ثم يتجادلون بعد ذلك ؛ وقيل: الجدال هنا أن تقول طائفة: الحج اليوم ، وتقول طائفة: الحج غداً ،وقال مجاهد: الجدال المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسيء . انظر الجامع لأحكام القرآن ، ابن العربي ، 2،406 .

789 – ينظر إتحاف فضلاء البشر ،1،433، معجم القراءات القرآنية :1،152

790 – ينظر: الكنز في القراءات العشر ، 134 ، إتحاف فضلاء البشر ، 1،433 .

791 – ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، ابن العربي ، 2،405.

792 – ينظر: معجم القراءات القرآنية ، 1،153 .

793 – البحر المحيط ،2 ، 88 ، و جامع القرطبي ،2، 408

ث – قرأ ابن كثير و أبو عمرو بن العلاء ويعقوب واليزيدي و ابن محيصن " فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ في الحج " برفع الاثنين مع التنوين ، و فتح الثالث " ولا جدالَ " دون تنوين.[794]

- التوجيه القرائي:

أ – توجيه قراءة الفتح.

و اختلف العلماء في توجيه هذه القراءة على أقوال:

❋– النصب في هذه القراءة على معنى التبرئة بأداة " لا " التبرئة وهي لنفي الجنس[795] " على أنّ الجميع اسم " لا " الأولى ، و " لا " مكررّة للتوكيد في المعنى و الخبر في الحجّ "[796] ، و" الحجّة لمن نصب أنّه قصد التبرئة بـــ" لا " في الثلاثة ،فبنى الاسم مع الحرف ، فزال التنوين للبناء ."[797]

❋– أنّ المفتوح مع " لا " في موضع رفع على الابتداء[798] ، ويكون " في الحجّ " خبراً عن الجميع لأنّه ليس منه إلا العطف ، عطفُ مبتدأ على مبتدأ ،و هذا مذهب سيبويه.[799]

❋ – أنّ " لا " عاملة في ذلك الاسم النصب على الموضع وما بعدها خبر " لا " إذا أُجريت مجرى أنّ في نصب الاسم و رفع الخبر ، وعلى هذا يكون " في الحجّ " خبر " لا " ، و هذا مذهب الاخفش[800] ، و يعود معنى قراءة النصب إلى نفي مطلق الرفث والفسوق والجدال ، فتحرم بذلك المنهيات كلّها على وجه العموم في الحج لهذا وردت واضحة في دلالتها عل الحكم دون وجوه التغاير القرائي الأخرى[801] ،و قد وقف ابن

---

[794] – ينظر: البحر المحيط ، 2،88 ، و معجم القراءات القرآنية ، 1،152 .

[795] – معاني القرآن ، للفرّاء ، 1، 120 .

[796] – إملاء ما منَّ به الرحمن ، العكبري ، 1،86 .

[797] – الحجة في القراءات السبع ، 94 .

[798] – يقول الامام القرطبي : ويجوز أن يرفع " رفث وفسوق " بالابتداء ، و " لا " للنفي ، و الخبر محذوف ايضاً. انظر الجامع لأحكام القرآن، 2،405 .

[799] – ينظر: الكتاب ، سيبويه ، 2،284 .

[800] – ينظر البحر المحيط ، 2ن88 ، و الجامع لأحكام القرآن ، 2،405 .

[801] – جامع القرطبي،405/2. و الرفث الجماع أو ما يذكر بحضرة النساء مما يجانسه، أو الكلام الفاحش ، أمّا الفسوق فمطلق المعاصي ، و الجدال في الحج يطلق على المراء مع الرفقاء و الخدم، و إنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كَلبس الحرير في الصلاة ،و التطريب في قراءة القرآن .تفسير النسفي،1،101

العربي عند مدلول النفي فذهب إلى أنّه " أراد نفيه مشروعا لا موجودا ،فإنّا نجد الرفث فيه و نشاهده ، و خبر الله تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره، فإنّما يرجع النفي إلى وجوده مشروعا لا إلى وجوده محسوسا ...و هذه الدقيقة هي التي فاتت العلماء فقالوا إنّ الخبر قد يكون بمعنى النهي و ما وجد ذلك قطّ و لا يصحّ أن يوجد ،فإنهما يختلفان حقيقة و يتضادان وصفا "[802] ،و قد اجتمع الوجهان فقد رفع الله تعالى الجدال في الحالتين بين الخلق إلى القيامة ؛ ولهذا قرئ لفظ الجدال بنصب اللام على التبرئة دون ما قبله .[803]

ب – توجيه قراءة الرفع والتنوين في الثلاثة.

❋ – أداة " لا " بمعنى " ليس "[804] فارتفع الاسم بعدها ، لأنه اسمها ، والخبر محذوف تقديره: فليس رفثٌ في الحج ، وليس فسوقٌ في الحج دلّ عليه " في الحجّ "، وهو تقدير لهما ، أما الخبر الظاهر في الآية فهو من نصيب " ولا جدال " ، فيكون التقدير في الكلام: فليس رفثٌ في الحج ، وليس فسوق في الحج ، وليس جدال في الحجّ.[805]

❋ – أداة " لا " غير عاملة و رفع ما بعدها بالابتداء ، والخبر عن الجميع هو قوله " في الحجّ "[806] ، و يعود معنى قراءة الرفع إلى عموم النهي عن الرفث و الفسوق و الجدال ، فتحرم كلها قطعا في الحج لأنّها جاءت على نسق واحد[807] ، و المعنى: فلا يكوننّ رفثٌ و لا فسوقٌ و لا جدالٌ في الحج[808] ، أو " فلا يكن فيه رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج."[809]

---

802 – ابن العربي ، أحكام القرآن ، 1 ، 134

803 – أحكام القرآن :135/1 .

804 – قال أبو حيان معلقاً على كلام ابن عطية في إعمال " لا" عمل ليس: وهذا الذي جوّزه وجزم به ابن عطية ضعيف لأن إعمال لا إعمال ليس قليل جداً لم يجئ منه في لسان العرب إلاّ ما لا بال له ...و كله يحتمل التأويل و أن يُحمَل على ظاهره... بحيث تبنى عليه القواعد فلا ينبغي أن يحمل عليه كتاب الله.." البحر المحيط ، 2،88 .

805 – الجامع لأحكام القرآن ، 2،405 .

806 – ينظر إعراب القرآن ، 1،245–246 ، البحر المحيط ، 2،88 .

807 – ينظر: معاني القراءات ، 73 .

808 – ينظر: الكشاف ، 1،243–244 .

809 – إعراب القرآن ، 245/1–246 .

ت – توجيه قراءة نصب الأول و الثاني و رفع الثالث.

نصب الأول و الثاني على التبرئة و رفع الثالث منوّناً على إنّه اسم " لا " ، و يحمل معنى " فلا رفثَ ولا فسوقَ " على حكم النهي ؛ أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ، و معنى " ولا جدالٌ " على دلالة النفي ، فلمّا اختلفا في المعنى خولِفَ بينهما في المبنى[810]، و يعود معنى قراءة " فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالٌ في الحج " إلى التقدير : لا ترفثوا ولا تفسقوا في الحج ، ولا يكن بينكم جدال عن الحج ، وَ اختلف لفظ الجدال عمّا سبقه لأنه يحتمل أكثر من معنى ، عكس الرفث والفسوق.

ث – توجيه قراءة رفع الأول و الثاني و نصب الثالث.

رُفِعَ الأول و الثاني على أنّه اسم " لا " ، و الخبر مقدّر دلّ عليه قوله:" في الحجّ " ، و قوله :" و لا جدال " إما على النفي و التبرئة ، أو على إنّه مبتدأ ، أو على إنّه خبر " لا "[811] ، و يعود معنى قراءة " فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ في الحجّ " " حملا الأولين على معنى النهي ، كأنّه قيل: فلا يكوننّ رفث و لا فسوق ، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنّه قيل: ولا شكّ ولا خلاف في الحجّ "[812] ، أو لا شك في فرض الحج ؛ أو لا جدال و أنتم محرمون[813]،أو قد يؤكّد بمعنى:" فلا يكون ممّن فرض الحج رفث و لا فسوقٌ ، ثمّ يبتدئ بنفي الجدال فيه فينصبه ويبنيه "[814] ، و يظهر كمال الاتّساع في معاني النص القرآني من خلال فنية التنويع في الأداء الصوتي لوجوه التغاير القرائي بين شمول النفي لوجوه التغاير و بين الجمع بين النفي و النهي لتجتمع دلالة النفي و النهي على قاسم عموم الإنكار 815 على الفاعل بقرينة ورود النكرة في سياق النفي لتشتمل على نفي مطلق الرفث والفسوق ، ونفي الجدال كلّه بكل أنواعه و أجزائه ، و بكلّ مواضعه و مواقعه ،و بكلّ أوقاته و أزمنته ،و بكلّ أدواته و الذرائع الموصلة إليه ، و لقد جَاءَتْ أداة " لاَ " فِي النص القرآني نَافِيَةً لِلْجِنْسِ ، وَالأَصْلُ فِي الجُمَلِ المُتَعَاقِبَةِ " لاَ رَفَثَ ولاَ فُسُوقَ و لاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ " أنْ

---

810 – انظر الجامع لأحكام القرآن ، 406/2 .

811 – ينظر: إعراب القرآن ، 245/1-246 ، و شرح ابن عقيل ، 12/2 .

812 – الكشاف ، 243/1-244 .

813 – إملاء ما منّ به الرحمن ن 86/1 .

814 – الحجة في القراءات السبع ، 94 .

815 – نظم الدرر ، 215،7 – 216 . و انظر كمال الدين عبد الواحد بن الخطيب الزملكاني ، المجيد في إعجاز القرآن المجيد، تحقيق شعبان صلاح، ط1،1989 ، دار الثقاف العربية ، القاهرة ، ص 122

تَكُونَ خَبَرِيَّةً ، وهَذَا النَّفيُ لو نُطِقَ عَلَى الأَصْلِ ، فَإِنَّهُ يُنْطَقُ بِنَغْمَةٍ هَابِطَةٌ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهَا خَبَرِية [816]، و لَكِنَّ النَّفِي ورد بِمَعْنَى النَّهيِ[817]، ونَغْمَةُ قِرَاءَتِه مُتَصَاعِدَةٌ.

- التنغيم و دلالة التفريق بين الخبر و الاستفهام.

و مِنْ تَطْبِيْقَاتِ التَّنْغِيْمِ عَلَى آيَاتِ القصص القرآني ما ورد من التغاير القرائي في قوله تعالى:" وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ "[818]

- التوثيق القرائي:[819]

و قد اختلف القرّاء في قراءة قوله:" إِنَّ لَنَا لَأَجْراً " على وجوه هي:

أ – قرأ نافع و ابن كثير و حفص عن عاصم و أبو جعفر و ابن محيصن بهمزة واحدة على معنى الخبر.

ب – قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم بتحقيق الهمزتين على الاستفهام.

- التوجيه القرائي:

أ – القراءة بهمزة واحدة على الإخبار بمعنى " أنّهم ألزموا فرعون أن يحمل لهم مالاً إن غلبوا ، فقال لهم فرعون : نعم إنّكم لمن المقرّبين " [820] ، و عليه فإنّ " بطريق الإخبار ثبوت الأجر و إيجابه ، كأنّهم قالوا لا بدّ لنا من أجر عظيم حينئذ.." [821]، و كأنّ الاستفهام أظهر في صورة الخبر لإبراز التفاؤل الذي ملأ قلوب السحرة لفرط ثقتهم في الغلبة ،فتيقنوا عظيم الأجر.

ب – القراءة بهمزتين على الاستفهام التقريريّ بحذف الهمزة [822] على معنى أنّهم استخبروا فرعون هل يجعل لهم أجراً إن غلبوا ، أو لا ، وقد ذهب إلى هذا التوجيه جمع من المفسّرين [823] بحجّة أنّ السحرة

---

816 – ينظر الدِّرَاسات الصوتية عِنْدَ علماء التَّجويد ، 567.

817 – ينظر الكشّاف ، 120.

818 – الأعراف ، 113

819 – التذكرة في القراءات الثمان ، 343 ، و الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ، 88

820 – الجامع لأحكام القرآن ، 7 ، 258 .

821 – إرشاد العقل السليم ، 3 ، 259

822 – إرشاد العقل السليم ، 3 ، 259

823 – ينظر : جامع البيان 9 ، 18 – 19 ، والتبيان في تفسير القرآن ، 4 ، 498 ، و مجمع البيان 2 ، 460 ، و زاد المسير في علم التفسير،ابن الجوزي ، 3 ، 239 – 240 ، و ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم 2 ، 237 .

يستفهمون عن الأجر ، و لم يقطعوا أنّ لهم الأجر و الثواب يؤيّد هذا التعليل الشاهد القرآني في موضوع القصّة القرآنية الواحدة قوله:" فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ "[824]

و من خلال فنية التنويع في الأداء الصوتي – التنغيم – لوجوه التغاير القرائي ترتسم صورة إعجاز الجمع بين وجوه التغاير القرائي بوجهي الأداء التنغيمي – الخبر بالنغمة الهابطة و الاستفهام بالنغمة الصاعدة – في مشاهد متعددة أنّ قراءة الخبر تجلت من خلالها صورة ثقة السحرة في الغلبة و لازم ذلك ثبوت الأجر على سبيل التقرير الذي يومئ و كأنهم حكموا لأنفسهم بذلك على جهة التأكيد و يدل على هذا التعليل شواهد قرينة السياق اللفظي قال تعالى:" إمّا أن تلقي و إمّا أن نكون نحن الملقين "[825] ،فأشارت إلى فرط الثقة جملة من القرائن منها :

✵ – دلالة التخيير على الإلقاء من قبل السحرة.

✵ – دلالة الضمائر البارزة الدالة على الشأن و العظمة.

✵ – دلالة السياق اللاحق " فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس و استرهبوهم و جاءو بسحر عظيم "[826] في تصوير السحر مقيدا بوصف الإرهاب و العظمة.

- التغاير القرائي و الإعجاز النحوي:

لقد ظهر النحو العربي ليرفع مفاسد العجمة عن اللسان العربي، و لقد كان مقصد الحفاظ على النصّ القرآني العلّة الأولى في ذلك ليتحقّق مقصد الهداية الربانية بحسن الوقوف على مراد الله تعالى من خطابه ، و كمال إدراك معاني كلامه سبحانه 827، و لقد قسّم النحاة الفعل ثلاثة أقسام: " ماضٍ و هو ما دلّ على الزمن الماضي ، ومضارع وهو ما دلّ على زمن الحاضر أو المستقبل ، وجعلوا القسم الثالث وهو الأمر يدخل ضمن الدلالة على زمن المستقبل "828 ، و منطلقهم في ذلك أنّ الفعل " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء

---

[824] – الشعراء ، 41

[825] – الأعراف ، 115

[826] – الأعراف ، 116

827 – النحو و الدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ط1، 2000 ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص 26

828 – أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ،فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط 1977م،ص 229 ،و لقد سار كل العلماء على هذا التقسيم انظر شرح ابن عقيل 1، 24 ،و أوضح المسالك،1 ،21 ،و ابن مالك، تسهيل الفوائد،4 ،و حاشية الصبان،1 ،45 ،و حاشية الخضري،1، 17 .

، وبنيت لما مضى ، ولما يكون و لم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع "829 ، و" خصّوا كلّ زمن بصيغة معيّنة هو معناها في حالة الإفراد و التساوق على السواء " 830 ،و لقد اجتهد بعض العلماء في فهم الظاهرة الزمنية في النحو من خلال أدوات تفسيرية فأضافوا بعض الحدود العلمية لفهم التراكيب اللغوية في إطار مسارات الأفعال الزمنية فقالوا: الماضي ينصرف إلى الحال بالإنشاء ، و إلى الاستقبال بالطلب ، و يحتمل المضي و الاستقبال بعد حرف التحضيض مثلا ، و المضارع إذا تجرّد عن القرائن أفاد الحال ، و إذا اقترن بأدوات التنفيس أو أسند إلى متوقع تخلّص للاستقبال ، و إذا سبق ببعض الجوازم – لم و لمّا الجازمتان ولو الشرطية – انصرف للماضي ، والأمر للمستقبل أبدا.831

لقد شملت ظاهرة الإعجاز القرآني الحقائق القرآنية كلّها 832 حتى استوعبت آفاق الزمان و امتداد المكان ، ولا نغالي إن قلنا إنّ الإعجاز في الزمن قد ظهر في الأفعال إفرادا و تركيبا ، بل إنّه قد تنوّع بتنوّع الأساليب النظمية في ظروفها الزمنية قال ابن أبي الفضل المرسي: " جمع القرآن علوم الأولين و الآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلاّ واهبها و المتكلم بها ، ثمّ رسول الله صلى الله عليه و سلم خلا ما استأثر به سبحانه ، ثمّ ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة و أعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، و ابن مسعود و ابن عباس حتّى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله."833

---

829 – الكتاب، 12/1.

830 – أقسام الكلام العربي، 231.

831 – انظر المقتضب ، المبرد ،4، 81، وتسهيل الفوائد ص5 .

832 – قال ابن خلدون:" إعجاز القرآن إنما هو في وفاء الدلالة منه لجميع مقتضيات الأحوال منطوقه و مفهومه و هي أعلى مراتب الكلام مع اكتمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها و جودة وصفها و تركيبها.." المقدمة، ص 407

833 – السيوطي ، معترك الأقران، 1 ، 17

- القرآن و تأصيل مفهوم الزمن[834]

الزمن نوعان:

- زمن خلقه الله تعالى معيّنا بمقادير جري الشمس و منازل القمر تكميلا لنسق حركة الوجود قال تعالى:"وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ "[835]، و رعاية لمصالح الخلق في دنياهم قال تعالى:"يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ"[836]،فإذا استوى أمن المكلفين تحقّقت حكمة الهداية الربّانية في المعاش ، وظهر مقصد الحساب الزمني في المعاد قال تعالى:" وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىۡءٍ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلًا وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِى لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا "[837]

---

834 – الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، والجمع أَزمُنْ، وأزمان، و أزمنة، و أَزْمَنَ الشيء طال عليه الزمن ،و أَزْمَنَ بالمكان إذا أقام به زمنا. انظر جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، **3**، **199** مادة زمن ، و لقد التبس مفهوم الزمن على المفكرين فاختلفوا في حقيقته لكنهم ربطوا بينه وبين الحركة والتغير في الأشياء، فالزمان يعتمد على هذه الحركة فتقاس بالفواصل القصيرة والطويلة التي تتعاقب فيها الأشياء ،وقد عرّف الزمان بأنه مقدار حركة الفَلَك ،أو هو ساعات الليل والنهار الطويلة منها والقصيرة ،أو هو حركة الأرض حول الشمس، وحول نفسها. انظر حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، ط **1**،**2005**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص**169**، و بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر ،**1957**م، ص**12** ، و محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط**1**، **1960** ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، ص**9** ، و يحيى جبر، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ، سلسلة أسفار العربية ، ط**1** ، نابلس، فلسطين المحتلة ،ص**72** ، و نبيل نايف، الزمن أعقد المفاهيم، مقالة ، الموقع الإلكتروني **www.Alhewar.org**

835 – يس، **37**

836 – البقرة ، **189**

837 – الإسراء ، **12 – 15**

- زمن عند الحقّ سبحانه قال تعالى:" وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ "838 ،و قال تعالى:" يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ "839

- أهمية الزمن في القرآن الكريم:

الزمن من المباحث التي اهتمّ بها التفكير الإنساني تفسيرا و تعليلا لكونه ظاهرة مجرّدة غير ملموسة يشعر بها الإنسان و يوظّفها في تقدير الأمور ، و لقد أظهر القرآن الكريم أهمية الزمن العظيمة في آيات قرآنية كثيرة ، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى به فقال:"وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ"840 ، و العصر اسمٌ للدهر841 ، وأقسم به تعالى للدلالة على العبر البالغة ، و الإشارة إلى تفردّه سبحانه بالألوهية بعد تفرّده بالتصرف في الوجود ، 842 كما أقسم الله سبحانه وتعالى بمكوّنات الزمن و أجزائه إشعارًا منه بقيمته وتنبيهًا على أهميته 843 ، فأقسم بالليل و النهار ، و بالفجر و الصبح ، و بالشفق و الضحى مثال ذلك قوله جلا و علا:"وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ "844 ،وقوله تعالى:"وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ "845 وقوله سبحانه:"وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ "846 ، و تتّضح أهمية الزمن في القرآن الكريم في كونه مقياسًا لتوضيح المدة التي تعلّق بها الوجود المسخّر قبل التكليف الرباني منها قوله تعالى:"ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"847 ، بل فصّل القرآن الكريم هذه الحقيقة الكونية في مشاهد

---

838 – الحج ، 47
839 – السجدة ، 5
840 – العصر ،1 ، 2
841 – محمد محمود حجازي التفسير الواضح ، ط 10 ، 1968، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ، ج 30 ص77
842 – عبد الفتاح أبو غدة ، قيمة الزمن عند العلماء، ط 10 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ص20
843 – المرجع نفسه ، ص20
844 – الليل، 1 ، 4
845 – الضحى، 1
846 – التكوير، 17 ،18
847 – السجدة، 4

تصوّر القدرة الإلهية مّما يدعو إلى التأمّل و التدبّر في حكمة الوجود و عظمة الودود ، ففي تعاقب الليل والنهار استقامة الحياة وعونٌ للإنسان على تحديد الزمن ، والتأريخ للأحداث و الوقائع ، فإذا سقط التعاقب بين الليل المظلم والنهار المشرق توقفت الحياة الإنسانية ، وتلاشى الإحساس الإنساني بحقيقة الزمن و غايته ،848 قال تعالى:"إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ"849 ، وقال تعالى:"إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ" 850 ، ومن أعظم الدلائل على الحكمة الإلهية في خلق الزمن دقّة تسخيره ، و كمال ارتباطه بمعظم أحكام التشريع الإسلامي المؤقتة بالمواعيد الزمنية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية ،851 قال تعالى:"أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا "852 ،كما ارتبطت أجزاء الزمن بتصريف شؤون الحياة الإنسانية مّما يُحتِّمُ على الإنسان فهم الوقت و كمال احترامه ، و حسن تقسيمه و اغتنامه قال تعالى:" ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ "853،وقوله تعالى:" وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"854 كما ربط القرآن الكريم بين الزمن ومصير الإنسان في الآخرة في مواضع عديدة من خلال حركة العمارة بالصلاح في الحياة الدنيا.

- الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم:

لقد قسّم النحاة الفعل وفق معيار تقسيم الزمن القائم على حركة الوجود المنضبطة بتعاقب الليل و النهار ، و يتلخّص المفهوم عندهم في أنّ الأفعال " صيغ تدلّ على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط

---

848 – زغلول النجار الليل والنهار في القرآن الكريم ،مجلة حراء ، علمية ثقافية فصلية، عدد5 ، 2006 م، القاهرة.

849 – آل عمران ، 190

850 – يونس ،6

851 – حسين الشامي، قيمة الزمن في القرآن الكريم ، صحيفة الأضواء أسبوعية تصدر في هولندا الموقع الإلكتروني www.aladwaa.net

852 – الإسراء، 78

853 – غافر ، 61

854 – الروم ، 23

ارتباطا كليّا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم"، 855 فخصّوا كل زمن بصيغة معينة– الماضي والحاضر والمستقبل – ، ثمّ صحّحوا القسمة فأصّلوها فقالوا:" الفعل لا يقع إلاّ في زمان و الأزمنة ثلاثة قال الله تعالى:" له ما بين أيدينا " فدلّ على زمان المستقبل ، ثمّ قال:" و ما خلفنا " فدلّ على الزمان الماضي ، ثمّ قال:" و ما بين ذلك " فدلّ على زمان الحال ، و يوضّح ذلك أنّ الفعل حركات الفاعلين ، و الزمان حركات الفلك " ،856 فأصبح للفعل دلالتين واحدة باعتبار الحدث ، و الأخرى باعتبار الزمن ، فتعقّدت فكرة الزمن في النحو بين البصريين الذين يأخذون بالقسمة الثلاثية و الكوفيين الذين أسقطوا الحال فلم يذكروه إلا على سبيل الوصف لدقته ، و لطافته857 ، و من هذا لم تستوعب القسمة النحوية كل الحالات اللغوية إذ نسيت الجوانب العميقة الذاتية للغة العربية فوقع التفريق مثلا بين حالة الإفراد و التركيب858 ، و عليه فإنّ طبيعة الفرق بين مقرّرات القواعد و مطالب مقامات السياق تفرض علينا نسبة الزمن الصرفي إلى الميزان الصرفي ، و الزمن النحوي إلى مطالب السياق و التركيب859 ، و عليه فإنّ منهج إدراك المعاني حسن الوقوف على نظم المباني مع اعتبار نوعين من الزمن هما:860

أ – الزمن الصرفي: وهو الذي دلّت عليه صيغة الإفراد خارج التركيب و هو السياق.

ب – الزمن النحوي: وهو الذي دلّت عليه صيغة النظم التركيبي بقرائنه اللفظية أو الحالية 861 ، و عليه فإنّ " مجال النظر في الزمن النحوي هو السياق ، و ليس الصيغة المفردة ، و بناء الجملة العربية أخصب مجال لهذا النظر ، بينما لا يكون مجال النظر في الزمن الصرفي إلا في الصيغة منفردة خارج السياق "862 ، و عليه فإنّ تفسير النصوص القرآنية يرتفع عن مفهوم الصيغة الزمنية التي تواضع عليها البشر لأنّ الزمن الدنيوي المخلوق لا يفي بالتعبير عن حالات خارج حدوده ، و عليه فإنّ المنهج في الوقوف على أسرار إعجاز القرآن

---

855 – في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي ،ط2، 1406هـ،1986م ،بيروت ، 145

856 – الحيدرة اليمني ،كشف المشكل ،ص 199

857 – انظر المفصل، ابن يعيش، 7 ،4

858 – أقسام الكلام العربي ، 231.

859 – انظر تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 243

860 – انظر اللغة العربية معناها ومبناها، 240 ، و الزمن واللغة ، 83، و أقسام الكلام العربي، 235–236.

861 – الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1،1422هـ –2001م، ص 50.

862 – انظر أقسام الكلام العربي ، 237، و الزمن واللغة، 82

الكريم أن يكون القرآن هو منطلق الدراسة و أصل التقعيد ليظهر نحو المعاني الذي طبّقه الجرجاني في نظرية إعجاز النظم القرآني.

لقد دلّ البحث بالتتبّع أنّ ورود الأفعال في سياق التركيب القرآني يأبى اتّباع الحدود النحوية المألوفة في أزمنة الفعل ليعجز اللفظ و زمنه بالقيد النحوي في التعبير عن الحدث الماضي بالمضارع ، و عن الحدث المستقبلي بالزمن الماضي قال ابن الأثير:" واعلم أنّ الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأنّ الفعل المستقبل يوضّح الحال التي يقع فيها ، و يستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي"863 ، فلا تقع المطابقة بين أزمنة الأفعال في التركيب الواحد بل إنّ إعجاز الأسلوب القرآني يؤثر صيغ التحوّل بين أزمنة الأفعال لأسرار ربانية ، و حكم شرعية ، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثمّ يتحوّل سياق النظم القرآني إلى الفعل الماضي أو العكس ، أو يقع الحديث عن الفعل في المستقبل بالحدث الماضي ليدفع التحوّل المخاطب إلى إعمال العقل بالتأمل في تلك الظاهرة للكشف عن تزاحم الأزمنة في ظاهر المباني مما يدفع المتلقّي للانتباه إلى أسرار النصوص وأزمنتها في البنية العميقة "، 864 و يقول ابن الأثير: " اعلم أيّها المتوشّح لمعرفة علم البيان أنّ التحوّل عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة و البلاغة الذي اطّلع على أسرارها ، وفتّش عن دفائنها ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنّه من أشكل ضروب علم البيان ، وأدقها فهماً و أغمضها طريقاً "،865 و يمثّل لهذه الظاهرة النحوية الإعجازية فعل " أتى" في قوله تعالى:" أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ "866 ، فقد دلّ بصيغته الصرفية على الماضي المنقضي بإطلاق ، غير أنّه دلّ على معنى الاستقبال بدلالة سياق النظم القرآني أشارت إلى ذلك القرينة اللفظية " فلا تستعجلوه "، و بهذا اجتمعت دلالتان صرفية و نحوية إفرادا و تركيبا ليدلّ المقام بلفظه و نظمه على " توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمّنة معنى المضيّ وموظفة له في الوقت

---

863 – المثل السائر ، 2،194.

864 – تحوّلات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري ، دار الحضارة، القاهرة، مصر، ص 320.

865 – المثل السائر ، 2،193

866 – النحل، 1

نفسه ، فكأنّ مقصود الآية : سيأتي أمر الله لا محالة مجيئاً مقطوعاً به ، بل هو في حكم ما وقع و أتى بالفعل."867

- الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية:

لقد وظّف القرآن الكريم أفعالا في أزمنة دلّ عليها تقسيم النحاة للأفعال العربية إلاّ أنّها خرجت من ضيق حدود التقعيد النحوي إلى سعة الزمن و رحابته ، فأظهرت معجزتها التي أبهرت العقل الإنساني فلم يحط بها خبرا ، و أعجزت التنظير النحوي فلم يستطع لها طلبا قال تعالى:" وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " 868 لتنفي بالتحدّي المعجز "لَّمْ تَفْعَلُوا " فعلهم بالقلب في آباد الأزمان الماضية ، و بالنظم المبهر" لن تفعلوا " في آفاق زمن المستقبل الممتد ليدلّ الخلود القرآني على معجزة خلود الزمن في الأفعال القرآنية ، و لقد تجلى هذا المشهد الإعجازي من خلال تحوّل الأفعال في الأزمنة المتغايرة وفق الصيغ الآتية:

1- التحوّل من الماضي إلى الأمر:

مثاله ما ورد في قوله تعالى:" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ "869

- التوثيق القرائي:

لقد جاء فعل " اتّخذوا " على قراءتين:870

- قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، على الخبر بالفعل الماضي.
- قرأ الباقون بكسر الخاء على الإنشاء بفعل الأمر.

---

867 – الإعجاز الصرفي ، 52–53.

868 – البقرة ، 23 ، 24

869 – البقرة 125

870 – انظر الداني ، التيسير في القراءات السبع ص 76 ، و ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر 2، 222 ،و إتحاف فضلاء البشر 147 ، وغيث النفع ، الصفاقصي ، 30 .

- التوجيه القرائي:

❋ – قراءة الفتح : فتح الخاء يدلّ على أنّه فعل ماض أريد به الإخبار عمن كان قبلنا من المؤمنين أنّهم اتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو معطوف على قوله تعالى:" و إذ جعلنا على إضمار إذ كأنّه و إذ اتّخَذوا 871 ، و التقدير:" واذكر يا محمّد صلى الله عليه و سلم إذ اتّخذ الناس من مقام إبراهيم عليه السلام مصلّى ، و اذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم.،. فكلّه خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لِما كان ، فحمل ما قبله على ما بعده ليتّفق الكلام و يتطابق.872

❋ – قراءة الكسر: والقراءة بالكسر فيها معنى الأمر ، وهو على إرادة القول أي و قلنا اتّخذوا منه موضع صلاة تصلّون فيه873 ، وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب874 ، وقيل إنّ ذلك عطف على الأمر الذي يتضمّنه "جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ" لأنّ المعنى ثوبوا و اتخِذوا 875 ، ولقد اختلف المفسرون في المخاطب بالأمر على أقوال:

– الأول: أنّ المخاطب به الأمّة على أنّه كلام اعترض في خلال قصّة إبراهيم عليه السلام، والتقدير: أنا لما شرّفناه و وصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا ، فاتخذوه 876 – أنتم– قبلة لكم ، و الواو و الفاء قد تذكر كل واحدة منهما في هذا الوضع ، وإن كانت الفاء أوضح 877، ويؤيد هذا المعنى ما جاء عن عمر رضِي اللّه عنْه قالَ:" وافَقْت ربِّي فِي ثَلَاثٍ ، فُقلْت: يا رسولَ اللّهِ لو اتَّخَذنا مِن مَقامِ إِبراهِيم مصلّى فَترَلتْ " وَٱتَّخِذُواْ

---

871 – أبو علي الفارسي ، الحجة للقراء السبعة ، ج **2**، ص **220**

872 – مكي بن أبي طالب القيسي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، ج **1**،ص **263** .

873 – و الوقف على" أمنًا "وقف تام لأنه وقف على كلام تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى. انظر الداني ، المكتفى في الوقف و الابتدا، ص **175** ،و لقد جاءت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم لتفيد معنى القراءة. انظر مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم **2** ،**887**

874 – الزمخشري ، الكشاف ، ج**1** ، ص**31**

875 – ابن عطية ،المحرر الوجيز ، ج**1**ص **480**

876 – انظر الكشاف ،**1** ، **263** ؛و تفسير ابن كثير **1** ، **169** .

877 – تفسير الرازي، ج **2**، ص **402**

مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ "878 قال ابن خالويه:" فالحجّة لمن كسر أنّهم أُمروا بذلك و دليله قول عُمر: أفلا نتّخذه مصلى؟ فأنزل الله ذلك موافقاً به قوله." 879

– الثاني: أنّ المخاطب به بنو إسرائيل 880، فيكون واتّخذوا عطفًا على قوله تعالى:" يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ "881، و التقدير: اذكروا نعمتي و اتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى.882

– الثالث: أنّ المخاطب به سيّدنا إبراهيم عليه السلام و أتباعه ، و الأمر من جملة الكلمات المبتلى بهنّ ، و التقدير: إنّي جاعلك للناس إمامًا و اتّخِذوا.883

– الرابع: أنّ المخاطب به ولد إبراهيم عليه السلام ، و يجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلاّ أنّه تعالى أضمر قوله ونظير هذا الأسلوب القرآني قوله تعالى:" وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ"884 ، فيفهم منه أنّ الآمِر لهم هو أبوهم إبراهيم عليه السلام ، ولولا حديث عمر رضي الله عنه لكان لهذه الأقوال التفسيرية التوجيه الأمثل في الدلالة القرآنية.

– الراجح من الأقوال:

الصحيح أنّ المخاطب به - على هذه القراءة - هي الأمّة المحمّدية وكان يمكن أن يقال إنّ الأمم السابقة قد أُمرت به كما أُمرت به هذه الأمة ، ولا تعارض ، ولكنّ نزول الآية موافقة لرأي سيّدنا عمر رضي الله

---

878 – رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ،كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة ، 1، 105 ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ، ج 1، ص 534

879 – ابن خالويه، الحجة 87 ،و حديث عمر رضي الله عنه نص صريح في أنه سبب نزول الآية بقراءة الأمر. انظر ابن حجر العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ،تحقيق فواز أحمد زمرلي ، ط 1 ،2002 ، دار ابن حزم، بيروت، 193 ،و حديث عمر رواه مسلم في صحيحه ،كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم، رقم 1218 ،2،886 ، و أبو داود في سننه ،كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه و سلم ، رقم 1905 ،2 ،182 ، و ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه و سلم، رقم 3074 .

880 – الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 535

881 – البقرة ، 122

882 ينظر الأخفش، معاني القرآن ، 1 ، 147 .

883 – المحرر الوجيز، ابن عطية ، ج 1، ص 480

884 – الأعراف ، 171

عنه يدلّ على أنّ الأمر على قراءة كسر الخاء يتعلّق بهذه الأمّة ، و أمّا القراءة بفتح الخاء فهي صريحة في أنّ المراد به من سبقنا من الناس ، أي من متّبعي إبراهيم عليه السلام ، ولا تعارض بين القراءتين ، بل إنّ كل قراءة أفادت معنى أراده الله تعالى، وذلك أنّ النّاس من أتباع إبراهيم الخليل عليه السلام اتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وأُمرنا نحن أتباع محمّد صلى الله عليه و سلم أن نتّخذه مصلى اقتداءً بهم ،885 و بهذا أضفى التحوّل عن الفعل الماضي "جعلنا " إلى فعل الأمر " اتّخذوا " من خلال مسلك فنية العدول شدّ انتباه المتأمّل في النص القرآني لمتابعة القصص لتحقيق مقصد الامتثال للتوجيه الإلهي الذي يُظهر عقيدة التوحيد الخالص ، و يجلّي حقيقة الاتّباع بين السابقين و اللاحقين ،886 و قد دلّ التغاير القرائي بوجهيه على أفضلية الأمّة المحمّدية بمسلكين:887

- الأوّل: التكليف فقد ظهرت الأفضلية بكمال الاتباع و الامتثال.
- الثاني: التشريف فقد ظهرت الأفضلية بالتوصيف من خلال الإخبار ، و عليه فإنّ التغاير القرائي قد أشار إلى صفة الخلود القرآني الذي تجلّت مشاهده في الامتداد الزمني بين الماضي و المستقبل ، و في الاستيعاب الأفقي بين عموم المكلفين في الماضي المخبر عنهم و المخاطبين إلى قيام الساعة ،و في كمال المنزلة في كمال اتّباع التوحيد.

2 – التحول من المضارع إلى الأمر.

مثاله ما ورد في قوله تعالى:" أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"888

---

885 – انظر مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد 10 ، 1993 ،طرابلس، ليبيا ، ص 41

886 – تحولات البنية في البلاغة العربية ، 327.

887 – ابن خالويه ،الحجة في القراءات السبع ،87.

888 – البقرة ، 259

- التوثيق القرائي:

لقد جاء فعل " أعلم " بالتغاير على قراءتين هما:889

❋ – الأولى: قرأ الجمهور بقطع الألف و الرفع ، وفاعل قال ضمير يعود على الرجل.

❋ – الثانية: قرأ حمزة و الكسائي بوصل الألف و الجزم ، و فاعل قال يعود على الله تعالى.

- التوجيه القرائي:

❋ – قراءة المضارع:

أفاد خطاب الإخبار بالعلم ما يلي:

– دلّت قراءة الرفع أنّ الرجل لمّا شاهد صورة البعث و النشور أبصر عظمة القدرة الإلهية ، فعلم علما يقينيا مؤصّلا بالآيات الإلهية في النفس و الآفاق فأقرّ للقادر سبحانه ، و أذعن له و استسلم 890 ، فوجّه الخطاب لنفسه اعتذاراً عن مقالته التعجبية " أنّى يحيي هذه الله بعد موتها " التي استبعدت تعلّق القدرة الربانية بالمشهد حصرا دون غيره ،891 فرفع الفعل بالإخبار عنها 892 ليخبر غيره علم عين اليقين الذي لا تعتريه الشبهة ، ولا يطرأ عليه الريب.893

❋ – قراءة الأمر:

أفاد خطاب الأمر بالعلم ما يلي:

---

889 – معاني القرآن واعرابه ، **1**، **193**، ،الكشف ، **312،1** ،و التيسير في القراءات ، **82** ، البحر المحيط ، **205،2**.

890 – الحجة في علل القراءات السبع ، **383/2**،و الكشف عن وجوه القراءات ،**312،1** ،و تفسير المراغي،ط**1**، **1946** ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة، ج**3**،ص **25**

891 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ط**1**، **1995**، دار الكتب العلمية، بيروت، **59،4**

.

892 – انظر معاني القران ،لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط **2** ، **1980** م، عالم الكتب، بيروت، **174،1**، و معاني القرآن، للأخفش ، **1**، **183**، و التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري ،تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل ببيروت، ط**2**، **1407**هـ – **1987**م ، **211،1**.

893 – انظر الموضح ، **1**ن**343** ،و الحجة لأبي علي الفارسي ، **383،2**، و الحجة لأبي زرعة ،**144**، **145**.

✽ – صدور خطاب الأمر من الله تعالى إلى الرجل خاصة ، و على هذا ففاعل " قال اعلم" هو الله تعالى فحصر العلم في المار دون غيره إمّا على سبيل التدبر و الاعتبار ، أو التحقّق و التثبت ، أو التدرّج باليقين ،894 فعلم الرجل ضربا من العلم لم يعلمه من قبل و لم يعلمه غيره ،895

لكنّ مكّي القيسي استبعد أن يكون الأمر بالعلم من الله جلّ ذكره لأنّه أظهر له تفرّده بالقدرة ، و بيّن له وحدانيته ، فأيقن العبد صحّة ما شاهده ، وأقرّ بالخضوع لقدرة من أماته ثمّ نشره، فخاطب نفسه آمرا لها بالعلم اليقيني.896

✽ – صدور خطاب الأمر من الله تعالى إلى الرجل خاصّة ، و على هذا ففاعل" قال اعلم" هو الله تعالى ، و إلى الموجودين في زمان الرجل 897، و إلى الخلق عامّة ليتحقّق مقصد القصص القرآني في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ، و تثبيت أصولها الصحيحة في النفس البشرية ، و عليه فقد جاء الأمر لتذكير النفوس البشرية بالقدرة الربّانية المطلقة على البعث و النشور يؤكد دلالة التذكير القرينة اللفظية لأفعال الأمر للسياق السابق " انظر إلى طعامك " و" انظر إلى حمارك " و " انظر إلى العظام. "898

✽ – صدور خطاب الأمر من الملك إلى الرجل.

✽ – صدور خطاب الأمر من الرجل إلى نفسه ، و على هذا ففاعل " قال اعلم" هو الرجل ، فقد أنزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبي المنفصل ، و التقدير: لمّا تبيّن له البعث عين اليقين قال لنفسه: اعلمي يا نفس هذا العلم اليقيني الذي لم تكوني تعلمينه ، و عليه يؤول معناه إلى معنى الخبر ، كأنّه يحقّق عند نفسه هذا العلم ،899 و يسمَّى هذا بالتجريد.900

894– انظر التفسير الكبير ، الرازي ، 7، 33، وجامع البيان ، 3،56، و الكشاف ، 1،303.

895– الجامع لأحكام القرآن ، 2، 4 و 11.

896 – المصدر نفسه ، 2، 4 و 11.

897 – حاشية القُونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، ط1 ،2001 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 5،418 ،و تؤكده دلالة القراءة الشاذة " أعلم " من أعلَمَ الرباعي " أي: أعلم غيرك بما شاهدته من قدرة الله تعالى." انظر تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العلوي الهرري ، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط1 ،2001 ،دار طوق النجاة، بيروت ،4، 42

898 – انظر الكشاف 1،312 ، و دراسة الأعمش دراسة لغوية نحوية ، 180

899– الموضح ، 1، 343 ،و حجة أبي علي الفارسي ، 2،383، وحجة أبي زرعة ، 144،145.

900 – العكبري، التبيان في إعراب القرآن ، 1،211.

- مسالك الجمع الإجمالي بين وجهي التغاير القرائي:

لقد أفادت قراءة الأمر جزم القلب على كمال اليقين – بعد مشاهدة صورة البعث و النشور – بعد الجمع بين وجهي الإيمان بالبعث ، و التعجّب منه ، و يؤكد معنى هذه القراءة أمران:

❋– الاستعمال القرآني في دلالة أمره تعالى لإبراهيم عليه السلام في قصّة إحياء الطيور:" و اعلم أنّ الله عزيز حكيم " ، فليس الذي دخل القرية بأفضل من الخليل عليه السلام.901

❋– دلالة قراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه " قيل له اعلم "، 902 ثمّ جاءت قراءة الرفع إخبارا عن حالة الخضوع و الاستسلام برؤية صورة مشهد اليقين 903 بعدما " تبيّن له ما كان على شكّ فيه أخبر عن نفسه بالعلم اليقين"، 904 ثمّ بلّغ غيره فائدة علمه لتدلّ القراءتان على أنّه علم وعلّم ، فجمع فضل العلم والتعليم ،905 و لقد دلّ الجزم النحوي على دلالة وجوب الجزم العقدي بتفرّد الله تعالى بالقدرة المطلقة ، و القطع بتفرّده سبحانه بالبعث و النشور ، فحصل بذلك وجه المطابقة بين القاعدة النحوية الإعرابية و الدلالة القصصية القرآنية ، و تجلّت صورة التطابق في نقل مشهد المعلوم المدسوس في النفس إلى حقيقة اليقين في صورة المحسوس في الكون لتدلّ القراءتان على درجتين من العلم: الأولى علم اليقين و الثانية عين اليقين.

---

901 – البقرة ، **260**،و انظر معاني القرآن ، الفراء ، **1**،**173**،و الكشف **1**،**312**،و معاني القرآن ،الأخفش **1**،**183**.

902 – انظر معاني القرآن ، الفراء ، **1**،**173**.

903 – انظر الحجة في علل القراءات ، **312** ، و معترك الأقران ، **3**،**28** .

904 – مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف ، **1**،**312**–**313**.

905– البقاعي، نظم الدرر ، **1**،**507**.

الفصل الثاني: التغاير القرائي و الإعجاز العقائدي.

- التغاير القرائي و إعجاز القدرة الإلهية:

" خلق عيسى عليه السلام نموذجا"

- التغاير القرائي والإعجاز في بيان الغيب:

" البعث و النشور نموذجا "

- التفاير القرآني و الإعجاز العقائدي:

- العقيدة لغة و اصطلاحا:

- العقيدة لغة:

يطلق لفظ العقد على الربط والشدّ بين الطرفين قال ابن فارس:" عقد العين والقاف والدال أصل واحد يدلّ على شدٍّ وشدَّةٍ وتوحّد ، و إليه ترجع فروع الباب كلها906، وعقَدَ الحبل والبيع والعهد يعقده إذا شدّهُ 907، و العقد نقيض الحل قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ "908 ، قيل هي العهود وقيل هي الفرائض التي ألزموها، ومنها التكاليف والأحكام و ما يعقدونه من عقود الأمانات والمعاملات.909

- العقيدة اصطلاحا:

اختلف العلماء في تعريف علم العقائد على ما يلي:

✵ – تعريف ابن أبي الشريف المقدسي:" العلم بالأحكام الشرعية الأصلية، أي الاعتقادية." 910

✵ – تعريف أبي حامد الغزالي:" و إنّما مقصوده – علم الكلام – حفظ عقيدة أهل السنّة وحراستها عن تشويش أهل البدعة "911 ، وحصره في مذهب أهل السنة، ولم يتجاوز به إلى غيرهم من المخالفين كالجهمية والمعتزلة .

✵ – تعريف التفتازاني : و عرفه بوجهين :

---

906 – أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط**2**، **1420**، **4**،**86**

907 – الفيروز آبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، ط القاهرة،**1371** ه،**1952** م، ص **383** .

908 – المائدة ، **1** .

909 – انظر ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت **1956** ، ط **1**، **3** ، **296** ، **297** ، و إسماعيل حقي البروسي ، تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، تحقيق محمد علي الصابوني ، دار القلم، ط **2** ، **1409** هـ،**1989** م، **1** ، **402**

910 – ابن أبي شريف، المسامرة شرح المسايرة ، ص **31** .

911 – الغزالي أبو حامد ، المنقذ من الضلال ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، دار القادسية، بغداد ، ص **17** .

- أحدهما: " العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة."912

- ثانيهما:" العلم بالعقائد الدينية عن الأدلّة اليقينية."913

- تعريف ابن خلدون: "علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة."914

- تعريف الجرجاني: و عرّفه بوجهين :

- أحدهما: "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ و المعاد ، على قانون الإسلام."915

- ثانيهما:" العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة."916

- تعريف محمد عبده:" علم يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب أن يثبت له من صفات ، و ما يجوز أن يُوصف به ، وما يجب أن ينفى عنه ، وعن الرسل لإثبات رسالاتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن ينسب إليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم."917

- تعريف محمد فريد وجدي:" علم يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التي صرّح بها رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، و إثباتها بالأدلة العقلية ، ونصرتها وتزييف كل ما خالفها "918 ، و من هذه التعاريف

---

912 – ينظر التفتازاني ، شرح النسفية ، ص 8 ، 9 .

913 – التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين ، شرح المقاصد في علم الكلام ، ط 1 1305 هـ ،مطبعة الحاج محرم أفندي البسنوي ، 1، 27 .

914 – ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدّمة ، دار الكشاف ، بيروت ، ص 458 .

915 – الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط 2002 ، 1، 24، وبهذا اتفق الجرجاني مع التفتازاني على البحث في هذا العلم بقيد قانون الإسلام حتى يتميّز عن الإلهيات عند الفلاسفة. انظر عبد الله ، محمد رمضان ، الباقلاني وآراؤه الكلامية ، مطبعة الأمة ، بغداد، 1986 ، ص21 .

916 – المصدر نفسه ، ص 150 .

917 – محمد عبده ، رسالة التوحيد ، دار إحياء العلوم ، بيروت، ط 7، 1412 هـ 1992 م ، ص 43 .

918 – دائرة معارف القرن 14 هـ ، 20 م ، ط 3 ، 1971 م ، بيروت، 6 ، 620 .

يتّضح أنّ علم العقيدة يعتمد البحث الدقيق، والنظر العميق في إقامة الحجّة على صحّة العقائد الإيمانية الثابتة بالوحي القرآني، و أصل هذا العلم الإيمان بتوحيد الله تعالى في ذاته و أفعاله و صفاته.919

- الإيمان لغة:

يطلق لفظ الإيمان على التصديق مطلقاً 920 ، و منه قوله تعالى:"قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧" 921 أي بمصدّق لنا.922

- الإيمان اصطلاحا:

وله تعريفات كثيرة أهمّها:

✵– " التصديق بالقلب، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان "923 ، و الإجماع أنّه: لو صدق واعتقد بقلبه و شهد بلسانه، ولكنّه امتنع عن العمل بجوارحه فهو فاسق عاص لله تعالى ولرسوله، ومن لم يعتقد وإن شهد بلسانه وعمل بجوارحه فهو منافق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر.924

✵ – " الإيمان قول وعمل و معرفة ، يزيد بالطاعة ،و ينقص بالمعصية."925

---

919 – ينظر التفتازاني، شرح المقاصد ،1، 179 ، 180 ؛ رشدي محمد عليان وقحطان الدوري، أصول الدين الاسلامي ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ط 3، 1406 هـ ،ص 26 ، 27 .

920 – ينظر الباجوري ، شرح الجوهرة، ص 279 ، و ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج1 ص 60 ؛و ابن سلوم محمد بن علي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ،ط 1، 1386 هـ ،1996 م ،ج1 ص403 ؛ وابن أبي العز علي بن علي بن محمد أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، المكتبة الاسلامية ، ط 1430 هـ ،2009 م، بيروت ، ص 332 ؛ و الجرجاني ، التعريفات، ص 43 .

921 – يوسف ، 17 .

922 – ابن أبي العز، شرح الطحاوية ، ص 337 .

923 – انظر التفتازاني ، شرح المقاصد في علم الكلام ، ج 5 ص 179 ؛ و ابن أبي العز، شرح الطحاوية،ص 331، 332 ؛ و العسقلاني، فتح الباري ، 1 ، 61 .

924 – ينظر ابن أبي العز شرح الطحاوية ، ص 333 ؛ الجرجاني ،التعريفات ، ص 43 .

925 – الصابوني أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن، ثلاث رسائل عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ط 1990 م، مكتبة التراث ، بغداد ، ص 67 ، و ابن تيمية ،شرح العقيدة الواسطية ، ط 2 ،1417 هـ 1979 م ، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ص 13

– التغاير القرائي و إعجاز القدرة الإلهية: "خلق عيسى عليه السلام نموذجا"

و مثّلت له بقوله تعالى: " قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ "926

– التوثيق القرائي:

قرئ قوله تعالى:" فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ " على وجهين:

- ۞ – كسر الميم من " مِن " فهو حرف جرّ و الضمير في الفعل يرجع على عيسى أو جبريل.927
- ۞ – فتح الميم من " مَن " بمعنى الذي الفاعل و يرجع على عيسى أو جبريل أمّا " تحت " فظرف مكان.928

926 – مريم ، 35 ، 36

927 – قراءة نافع و حمزة و الكسائي وحفص عن عاصم و هي قراءة البراء بن عازب و ابن عباس و زيد بن علي و الضحاك و روح و خلف و ابن محيصين و الأعمش. انظر الإتحاف 298 ، التبصرة 586 ، السبعة 409 ، الكشف عن وجوه القراءات،2، 86 ، المكرر 79 ، التذكرة في القراءات الثمان ، 2، 425 ، روح المعاني، 16، 82

928 – قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبي عمرو و أبي بكر عن عاصم و زر بن حبيش و مجاهد و اليزيدي. انظر الإتحاف 298 ، التبصرة 586 ، السبعة 409 ، الكشف عن وجوه القراءات ،2، 86 ،المكرر 79 ، التذكرة في القراءات الثمان،2 ، 425 ، روح المعاني ، 16 ، 82

- التوجيه القرائي:

❋ - توجيه قراءة الجر:

قراءة الجرّ على أنّ "مِنْ " حرف جر، و" تَحتِ"929 اسم مجرور ، و"نادى" فعل، والفاعل مضمر تقديره "هو"930 ، والمفعول به مريم عليها السّلام، و التقدير: فناداها هو مِن تحتِها،

وشبه الجملة " مِن تَحتِها " إمّا حال أو ظرف 931 ، والهاء ضمير متّصل عائد على مريم عليها السلام.

❋ - دلالة قراءة الجر:

أفادت تعيين موضع صدور النداء، سواء أكان المنادي عيسى عليه السلام932، أو جبريل عليه السلام 933، و دلّت عبارة القراءة " مِنْ تحتِها " أنّها موضع جلوس مريم عليها السلام دون إفادة معنى الوعاء يقول ابن خالويه:" جعلها حرفاً خافضاً للظرف لأنّه اسم للموضع، و الظرف في الحقيقة الوعاء ، فلذلك جعل المكان ظرفاً ، لأنّ الفعل يقع فيه فيحويه "934 ، و قد قصدت قراءة الجرّ بيان المكان فأضمرت الفاعل.

❋ - توجيه قراءة النصب:

قراءة النصب على الظرفية 935، و"مَن" – فاعل– اسم موصول بمعنى الذي 936 ، والتقدير: فناداها الذي تحتَها ، والهاء ضمير متّصل عائد على النخلة.937

❋ - دلالة قراءة النصب:

929– يقول ابن عقيل: ما وقع منها مجروراً نحو سرت في يوم الجمعة وجلست في الدار على أن في هذا ونحوه خلافاً في تسميته ظرفاً في الاصطلاح .انظر شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، 2،191 .

930 – ينظر الحجة في القراءات السبع ،237 ، إملاء ما منَّ به الرحمن، 2،112 ، تفسير النسفي ، 3،32 .

931– إملاء ما منَّ به الرحمن ، 2،112 .

932– ينظر جامع البيان ، 16،69 ، معاني القراءات 283 .

933 – ينظر معاني القرآن للفرّاء ، 2،165 ، الجامع لأحكام القرآن 11،89 .

934– الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، 237 ، و الإتحاف ،298 ، و أبو حاتم السجستاني و الدراسات القرآنية، يسرى محمد ياسين الغباني ، رسالة ماجستير،1409 هـ ،كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 195

935– ينظر: إعراب القرآن ،2،309–310 ، الحجة في القراءات السبع 237 .

936– انظر إملاء ما منَّ به الرحمن،2/112 ، تفسير النسفي، 3،32 ، البحر المحيط، 6،183 .

937 – تفسير النسفي ، 3،32 .

أفادت تعيين المنادي ، ومعنى الظرفية المتضمّنة ذات المنادي ، و اسم الموصول" مَنْ "مستقر في الظرف، و الكون مشتمل على الفعل فانتصب الظرف لأنّه مفعول فيه 938، و قد قصدت قراءة النصب بيان المنادي فأظهرت الفاعل.

و لقد اختلف المفسّرون في تعيين المنادي في وجهي القراءتين على قولين:

– الأول: المنادي جبريل عليه السّلام ، فقد أخبرها بما يدلّ على التوجيه الرباني.939

– الثاني :المنادي عيسى عليه السلام 940 ، و يؤكد رجحانه ما يلي :

1– اجتماع سياق الضمائر السابقة و اللاحقة في العود على عيسى عليه السلام، و هي نوعان:

أ– ضمائر السياق السابق:

❁ – ضمير الرفع المنفصل" هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ "

❁ – ضمير النصب المتصل " وَلِنَجْعَلَهُۥ " و " فَحَمَلَتْهُ "

❁– ضمير الرفع المستتر " وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا "

❁ – ضمير الخفض المتصل "فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ"

ب – ضمائر السياق اللاحق:

❁ – ضمير الخفض المتصل " فَأَتَتْ بِهِۦ" و " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ "

❁ – ضمير النصب المتصل " تَحْمِلُهُۥ"

2 – دلالة قاعدة عود الضمير على أقرب مذكور ، 941 و أقرب مذكور سابق ضمير قوله:" فحملته " ، و الحمل وصف يعتري البشر لا الملائكة.

---

938 – الحجة في القراءات السبع ، 237 .

939 – القرطبي 11 ، 93 ، و تفسير الرازي 21 ،529.

940 – انظر تفسير الطبري 18، 174 ، و البحر المحيط 6 ،173 ، و تفسير عبد الرزاق، تحقيق مصطفى مسلم محمد ،ط1، 1989 ، مكتبة الرشد ،الرياض ، السعودية ، 2– 6

941 – القاعدة التفسيرية تقول: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له. انظر قواعد الترجيح عند المفسرين ، 1، 312

3 – دلالة سياق القصّة القرآنية في قوله:" كيف نكلّم من كان في المهد صبيا " على أنّ قوله:" فأشارت إليه " مرادها من الإشارة إعلامهم بقدرته على الخطاب، و تشير إليه قرينتان:

❃ – أنّ إحالتهم عليه بالإشارة هو إحالة على معلوم سابق و هو كلامه و إلاّ لكانت إحالة على مجهول بعده هلاك محقّق.

❃ – أنّ الإشارة منها أنبأت عن موقف فيه كمال اليقين و الاطمئنان ، و تمام الحجّة والبرهان بعد مشاعر نفسية توحي بالخوف من مواجهة قومها و شاهده " قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا " ، فأبدل – العطف بالتعقيب دون مهلة – الخوف أمنا، و القلق اطمئنانا بكلام ابنها " فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي "

4 – أنّ جوابهم" كيف نكلّم من كان في المهد صبيا " دلّ على ثلاثة وجوه من المعاني:

❃ – أنّهم فهموا من إشارة مريم معنى قدرة ابنها على الكلام ، وقد دلّ إجماع العقول على أنّ العيان أقوى من الخبر، لأنّ الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام.942

❃ – أنّهم نفوا المفهوم من الإشارة – الكلام – عن عيسى عليه السلام ، فوجّهوا سؤالهم لمريم عليها السلام عن كيفية 943 التكلّم مع عيسى عليه السلام و هو في المهد " قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً "، غير أنّ الإجابة صدرت من المسئول عنه لا من المسئول، فأظهر الأسلوب القرآني بإعجازه من خلال صورة الجواب العوار بين ظاهر سؤالهم و فساد مقصدهم ، فكان الأولى ألاّ يتطابق الجواب – من مريم عليها السلام – مع السؤال لخفاء صورة الكيفية المقصودة من السؤال.

❃ – دلالة القراءة المتواترة – " مَن تَحتَها " بفتح الميم و التاء على أنّ من اسم موصول بمعنى الذي فدلّ على تعيين المذكور تحتها عند الوضع – على إعجاز كلام عيسى في المهد ليدلّ على معجزة ميلاده عليه السلام.

---

942 – القرطبي ، الجامع ،11– 89 و نقل عن المهلب قوله:" وقد تكون الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام مثل قوله عليه الصلاة والسلام:" بعثت أنا والساعة كهاتين.." نعرف قرب ما بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السبابة.

943 – الأصل في " كيف " أن ترد للاستفهام بمعنى الحال و هو الغالب فيها و قد ترد لتفيد معنى الشرط. انظر مغني اللبيب ، 271،270 ، و الكتاب، سيبويه ، 2ن 128،و 4 ،233.

5 – دلالة التصوير القرآني لمشاعر مريم عليها السلام النفسية – عند ردّها تهمة قومها – في اكتفائها بالإشارة الموحية دون العبارة المؤذية يشير إلى رباطة قلبها ، و يقين نفسها ، و ثبات موقفها ، وصواب قرارها إذ علمت أنّ كليهما – جبريل و عيسى – وقع منه الكلام صراحة، و دلّ عليه القرآن تصريحا بالتغاير القرائي ، لكنّ براءتها متعيّنة في شهادة من انتفى وصف الكلام عنه عقلا و عرفا لا من تمثّل لها بشرا سويا ، و أنّ الحجّة خرجت من بين جنبيها ، و تكلمّت بين يديها ، لا ممن خالفت جنسها فصلحت أن تكون عليها ، و الله أعلم و أحكم.

6 – دلالة التفسير النحوي على الإعجاز العقائدي:

لقد دلّ حرف العطف الفاء 944 في قوله تعالى:"قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي" على التعقيب الزمني بين قولها و ندائه ، و جعل قولها علّة لندائه 945 ، و" أن " من قوله:" أَلَّا تَحۡزَنِي" مفسّرة بمعنى أي و التقدير: لا تحزني على ولادتي، فدلّ التفريع بالعطف على صورة الإعجاز العقائدي من جهتين:

❋ الجهة الأولى: إظهار معجزة الولادة بمعجزة الكلام و الإفادة ، و لقد تجلّت معجزة الكلام في مشاهد ثلاثة هي:

✿ – مشهد الحمل ليزيل عنها مشقة الانتباذ " فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا " روى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت حدّثني عيسى وكلّمني وهو في بطني وإذا كنت مع النّاس سبّح في بطني وكبّر."946

✿ – مشهد الوضع ليزيل عنها حرج ضيق النفس" قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا " روى الطبري عن ابن عباس:" قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا " قال:" لم أخلق ، و لم أك شيئا "947 ،

---

944 – الأصل في الفاء التعقيب ، وتختص بأوصاف ثلاثة هي: التعقيب الزمني للشيئين اللذين لا يتعلق أحدهما بالآخر عقلا، والتعقيب في القول ، والحذف في مقام المحاورات. انظر شرح ابن يعيش ، 8 ،95.

945 – و يسمى بالتفريع ، وهو ما وقع قبل الفاء كان علّة لما جاء بعدها أمّا التعليل فهو وقوع ما بعدها علةّ لما قبلها، انظر الكواكب الدرية ،2،94.

946 – تفسير القرآن، ابن أبي حاتم ،تحقيق محمد أسعد الطيب ،ط 1 ،1997 ، مكتبة نزار الباز ،مكة المكرمة ،7 ،2402.

فرفع عنها الحزن من النفس ، و أسكن قلبها القرار و الأنس948 ، و أمرها بواجب الأكل و الشرب لحفظ مقصد النفس ، و أرشدها إلى بيّنة قاطعة تدفع تهمة الإنس" فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا.."

– مشهد الانتصار من الظالمين ليردّ عن أمّه بهتان الكاذبين " قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا..". فظهر بهذا المشهد إعجاز القرآن في ترتيب مقاصد الحقوق في الشريعة الإسلامية على الوجه الآتي:

– تقديم الحقوق الإلهية على الحقوق الإنسانية.

بعد أن قدّم عيسى عليه السلام حقّ الله تعالى على حقّ أمّه و هي أحوج إلى البراءة رتّب الحقوق الربانية ، فبدأ عليه السلام بإثبات ألوهية ربّه سبحانه فقدَّمها بذكر عبوديته له جلّ و علا ، فأبطل بذلك شرك النصارى و دعوى الربوبية فيه ، ثمّ بشّر برسالته إلى قومه ، ثمّ بوظيفته 949 فيهم ، ثمّ أرشد إلى شريعته و أحكام دينه.

– تقديم حقوق الوالدين:

بدأ بإظهار براءة أمّه بقوله:" و برّا بوالدتي " ، و أعظم حقّها عليه أن يردّ عنها التهمة و البهتان ، فجعل الله سبحانه كلام عيسى في المهد معجزة عظمى فيها إعجاز عظيم أخرج " دليل البراءة من دليل الاتّهام

---

947 – الطبري ، 18 ،174

948 – روى ابن الأنباري عن الأصمعي معنى "وقرّي عيناً"، ولتبرد دمعتك لأنّ دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارّة، واشتقاق "قرّي" من القَرور ، وهو الماء البارد. انظر زاد المسير، 4،267

949 – قوله تعالى:" و جعلني مباركا أينما كنت " قال سفيان بن عيينة : معلما الخير و البركة تعليم الناس الخير و أعظم الخير بركة العلم الموروث عن الرسل و هو العلم بالوحي الرباني قال تعالى:" و هذا كتاب مبارك أنزلناه" الأنبياء ، 50 و بالحكمة النبوية قال تعالى: " و جعلني مباركا أينما كنت " فاجتمع خير العلم و الهداية و العبادة في بركة القرآن و السنة. انظر مفتاح دار السعادة ، ص 190 ، و بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية ، جمع و مراجعة يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي ، ط 1 ، 1428 هـ ، دار ابن الجوزي ، الدمام، السعودية ،2 ، 171

لينقض الاتّهام من أصله، و يأتي على قواعده ليفاجئهم بالبراءة، و برهانها الذي لا يأتيه الريب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه في نسكها و عبادتها."950

- بيان حقوق النفس: فحدّث بنعمة ربّه عليه فقال:" وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا "

❋ الجهة الثانية: إظهار معجزة القدرة الربانية بمعجزة الميلاد:

لقد دلّت الفاء على توالي الأحداث و تعاقبها من غير فاصل ، فأشارت إلى عظمة قدرة الله جلّ و علا بخرق سنن الوجود ، و مما يظهر ذلك و يؤكده رأي ابن عباس أنّ مدّة الحمل كانت ساعة واحدة ، فقد روى الطبري عنه قوله:" ما هي إلا أن حملت فوضعت " 951 و أشارت إلى ذلك القرائن التالية:

- أنّ الحمل و الوضع تواردا متقاربين على الفور دون مهلة " فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا "، وشاهد التوارد دون مهلة دلالة القراءة الشاذة " فاجأها " من المفاجأة.952

- أنّ القصّة سيقت لبيان المعجزة الإلهية من وجهين:

– معجزة ميلاد المسيح عليه السّلام.

– معجزة كمال قدرة الربانية في خرق النواميس الكونية.

- دلالة القياس القرآني في وصف الخلقة بين آدم و عيسى عليهما السلام " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ " 953 ، فظهر بالفاء التعقيبية – التي أفادت الاستئناف – 954 من قوله: " كن فيكون " كمال المعنى و دلّ عليه أمران:

---

950 – محمد أبو زهرة ،محاضرات في النصرانية ،ط 4 ، 1404 هـ ،طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد، الرياض، السعودية ، ص 20

951 – الطبري ،جامع البيان، 18 ، 178

952 – و هي قراءة حماد بن سلمة عن عاصم و شبيل بن عزرة و مجاهد بن جبر. انظر البحر المحيط 6 ، 182 ، و المحتسب 2 ، 29 ، و إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز ، ط1 ، 1996 ، مطبعة عالم الكتب ، 2 ، 44

953 – آل عمران 59 ، و وقف الزركشي عند تقديم لفظ التراب على الطين معلقا فقال:" إنّما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف، وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفها لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادّعى ذلك ؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمسّ في المعنى من غيره من العناصر." انظر البرهان في علوم القران، الزركشي، 3،239.

954 – المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، علي توفيق الحمد و يوسف جميل الزعبي ، ص 219

– إثبات كمال القدرة في حدوث الخلق دون مهلة "إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ" 955، فخلق آدم عليه السلام من تراب، ثمّ قال له كن فكان، والمسيح لم يخلق من تراب بل خلقه ابتداء بقوله: كن، فكان فخرق الله تعالى به العادة فكوّنه ، فكان المسيح آية من آيات الله تعالى بيّن به عموم قدرته سبحانه، و شمول قوته جلّ و علا 956، فانظر بارك الله فيك إلى إعجاز القدرة الإلهية كيف أظهرت صورة الإعجاز في حمل مريم عليها السلام ، و في قولها عند هزّ الجذع ، و في ولادة المعجزة، و كلامها في المهد.

– سقوط مهلة الزمن لتدلّ على شرط ظهور المعجزة بنقض عادة الحمل.

7– الحوار القرآني و تصوير المشاعر النفسية:

لقد صوّر القرآن الكريم النفس البشرية في مشاهد قصصية متنوعة مرتبة مع أداة الحوار المتنوّع كالتالي:

أ – الحوار الخارجي و البشارة بالطهارة.

و تجلّى من خلاله:

❋ – مشهد وصف طهارة النفس، و تصوير صلاح القلب، و بيان محاسن الخلق قال تعالى:" واذكر في الكتب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتّخذت من دونهم حجابا " مشهد الفتاة الطاهرة المصطفاة ، الناشئة في بيت النبوة و الرسالات ، المنتقاة بالنذر للطاعات ، المتقبّلة من ربّ الأرض و السماوات "وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ" 957 عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ."958

ب – الحوار الخارجي من الغريب و تصوير المشاعر:

و تجلّى من خلاله:

955 – يس 82، 83

956 – تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله و القرآن كلام الله ، ابن تيمية ، ط1 ، 1992 ، دارالصحابة ، طنطا، مصر، ص34

957 – آل عمران ، 42

958 – البخاري رقم 3159 ، و مسلم رقم 4459

- مشهد مفاجأة الغريب قال تعالى:" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " مفاجأة عنيفة ذات هزّة قوية جسّدت لنا حالة الرعب والخوف التي كانت عليها السيّدة مريم عليها السلام حينما تمثّل لها روح القدس على هيئة بشر 959 لتظهر نفسية الانتفاضة باستثارة وازع التقوى 960 " قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا "، فقد أظهرت المفاجأة " عفافها و ورعها أنّها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة في الحسن " 961 ، و إنّما اشترطت في التعوّذ منه أن يكون تقيّا لأنّ التّقي إذا " تُعوّذ بالرحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " علمت أنّ التقي ينهاه التقى عن المعصية "962 ، و من لطائف المفاجأة في هذا الحوار القصصي جلاء صورة التوافق التام بين صلاح السريرة و العلانية بين التعبّد حال الانتباذ و طهارة معدن النفس بعد مفاجأة الغريب.

- مشهد الخوف على العرض و الفزع من مفاجأة الخلوة ، و يظهر ذلك لمّا بشرها بالغلام فقال: " إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاما زكيا " ، فجسّدت المفاجأة مع الحوار حالة الرعب والخوف في السيّدة العذراء ليصبح الخوف دهشة و تعجّبا ، ثمّ يولّد ثبات الموقف في قوّة و انتفاضة ، و صراحة القول في بيان الحقّ بذكر وجهي الولادة نكاح أو سفاح ، فأظهر حوارها الصريح شدّة تعجبها ، وعظمة دهشتها من البشارة لتجردّها من مسلك مقصد حفظ النسل ، و من معول فساده 963 ، وكان يكفيها قولها:" ولم يمسسني بشر " لتفيد النكرة بعمومها الحلال و الحرام لكنّها جمعت بخطابها الصريح ما يفيد دفع الشبهة والتهمة معا ليصوّر مشهد وقفة الثبات منزلة شخصية المرأة العفيفة الثائرة على الرذيلة.964

- مشهد إعجاز المفاجأة الكبرى في تصوّر معجزة القدرة الربّانية في خرق النواميس الكونية لبيان توحيد الألوهية " قال كذلك قال ربّك هو علي هيّن ولنجعله آية للنّاس ورحمة منّا وكان أمرا مقضيّا."

ت - الحوار الداخلي و تصوير المشاعر:

---

959 - انظر فتح القدير ، 327:3.
960 - انظر التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 196
961 - البحر المحيط ، 6، 180 .
962 - مجمع البيان ، الطبرسي ، 4 ، 116 .
963 - ينظر زاد المسير ، 5 ، 153.
964 - انظر الفتح الأنعم في براءة عائشة و مريم ، علي أحمد عبد العال الطهطاوي ، ط1، 2005 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ص 174

لقد استقصى الحوار الداخلي وقائع حمل السيّدة مريم عليها السلام فاستنطق مشاعرها النفسية المتعددة و أحاسيسها، فظهرت في مشاهد إعجازية رائعة كالتالي:

- مشهد الشعور بالحمل " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا "، فرسمت مفاجأة الحمل صورة نفسية المتواري عن القوم ، و صورة مشاقّ الاختفاء عنهم.

- مشهد المفاجأة بالمخاض " فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ " فقد ألجأها " و في تقديم لفظ الإجاءة عن الإلجاء " معنى شدّة الموقف، و عسر الاضطرار ما ليس في كلمة " ألجأها " بما تفيد من معنى الملجأ و الملاذ بصريح آياتها الثلاث في الكتاب المحكم "[965]، و أظهرت مفاجأة المخاض المؤكّدة بالقراءة الشاذّة 966 كذلك مشاعر أتعاب الوضع الجسدية ، و مشاقّه النفسية المصحوبة بهواجس الخوف من المجهول ، و مشاعر توقّع مصير الهلاك في المستقبل 967 " قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا "

ث – الحوار الخارجي من القريب:

و تجلّى من خلاله:

- مشهد المفاجأة بالمعجزة " فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ "، فأظهرت معجزة الكلام مشاعر الفرح ، فنسخت به أتراح الحزن، و رسمت على صفحات الوجه نضرة وسرورا بعبرة باردة تزيل دمعة الحزن الحارّة ، وتصوّر بهجة القلب و انشراحه ، وكمال يقينه في ربّه تعالى بظهور الحجّة " فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا.."

ج – الحوار الخارجي العام:

---

965 – هكذا فسرها ابن عباس و استشهد بشعر حسان بن ثابت: إذ شددنا شدة صادقة...فأجأناكم إلى سفح الجبل. انظر الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق، بنت الشاطئ ، ص 324

966 – و هي قراءة حماد بن سلمة عن عاصم و شبيل بن عزرة و مجاهد بن جبر. انظر البحر المحيط 6 ، 182 ، و المحتسب 2 ، 29 ، إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، ط1 ، 1996 ، مطبعة عالم الكتب، بيروت ، 2 ، 44

967 – للمفسرين في قوله تعالى:" نسيا منسيا" خمسة أقوال: أولها يا ليتني لم أكن شيئا قاله الضحاك عن ابن عباس، و ثانيها دم حيض ملقاة قاله مجاهد و سعيد بن جبير، وثالثها السقط قاله أبو العالية ، و رابعها معنى يا ليتني لا يدرى من أنا قاله قتادة ، و خامسها الشيء التافه يرتحل عنه القوم فيهون عليهم فلا يرجعون إليه قاله ابن السائب. انظر زاد المسير 5 ، 421 ، و تفسير الضحاك ، جمع و دراسة محمد شكري أحمد الزاويتي ، ط 1،1999 ، دار السلام ، القاهرة ، ص 556

و تجلّى من خلاله:

– مشهد المفاجأة بالقذف " فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا "،فقد صوّر حرف الباء الملابسة التامّة ، و الملاصقة الكاملة بين مريم و ابنها ، فأضفت الباء على مدارج السياق مشاهد الارتباط الوثيق، و التعلّق الدقيق بين الأمّ و وليدها ، ليدلّ المشهد على البراءة ، و يؤكّد تعمّد القوم إتيان البهتان ، فصوّر السياق مشاعر مشاهد البراءة في مريم و ابنها ، و مشاعر الإيذاء في سرابيل السخرية و الاستهزاء في قومها " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا "، فلمّا ضاق حالها ، وقصر مقالها ، و انحصر مجالها بانت مشاعر التسليم و التفويض بالاتكال على ذي الجلال.

– مشهد المفاجأة الكبرى على المعجزة الكبرى للدلالة على الحقائق الكبرى" قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ " فأظهر الحوار في مشهد الحضور العام بمعجزة الكلام معجزة الميلاد ،فخرقت معجزة الميلاد نواميس الكون في العادة لتنبلج معجزة القدرة الإلهية لتدلّ بحقائقها على معجزة توحيد الألوهية "مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ "، فصوّر الحوار مشاهد انتصار الحقّ المتعالي الشامخ ، و مشاعر المعيّة الإلهية للمؤمنين بالعزّة و التأييد، و بهذا حقّق القرآن مقصد التنزيل بتصوير الحقائق العقدية – بيان التوحيد و إبطال الشرك – عن طريق القصّة القرآنية في لوحات حوارية ، و يزداد المقصد العقائدي وضوحا إذا اجتمعت القراءتان المعجزتان – كلام جبريل و عيسى عليهما السلام – على الهداية و البيان قال مكّي بن أبي طالب:" وكون الضمير لعيسى في القراءة بفتح الميم أقوى المعنى وكون الضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى ، ويجوز في القراءتين أن يكون لعيسى وأن يكون لجبريل عليهما السلام "968 ، و لقد دلّت معجزة كلام عيسى عليه السلام في مهده من خلال شاهد قوله:" وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا "مع شاهد

---

968 – الكشف ، **2** ، **87**

قوله:"وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ"969 على عودته قبل يوم القيامة 970 ، و هذه معجزة فيها البشارة بمعجزة النصر.

– التغاير القرائي و الإعجاز العقائدي:" البعث و النشور نموذجا "

و مثّلت له بقوله تعالى: " وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ"971

– التوثيق القرائي:972

أ – قرأ الجمهور بضمّ الصاد و سكون الراء من صار يصور صورا بمعنى الضمّ و التوجيه و الإمالة ، 973 تقول: صرت هذا الأمر إذا ملت إليه ، و إنّي إليكم لأصور أي مشتاق مائل و منه قول الشاعر: الله يعلم أنّا في تلفّتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صور 974

---

969 – آل عمران ، 46

970 – انظر النحو في ظلال القرآن الكريم ، ص 56

971 – البقرة ، 260

972 – انظر معاني القرآن و إعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ،تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، 1988 ، عالم الكتب ، بيروت، 1، 345 ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ،و زاد المسير في علم التفسير، ط4، 1987 ، المكتب الإسلامي ، بيروت،1، 314 ، وجامع الطبري 3 ،36 ،و الإتحاف 136 ،و معاني القرآن، سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش ، تحقيق فائز فارس ،ط 1، 1979 ،المطبعة العصرية ،الكويت، ص183 ، و إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن بندار الواسطي القلانسي ، تحقيق عمر حمدان الكبيس، ط1، 1984 ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ص 248 ، و مجالس العلماء ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط2، 1984 ، طبعة وزارة الإعلام ، الكويت، ص 184 ، و المكرر 19 ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق عبد الحليم النجار، ط2، 1966 ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،1، 136 ،و التذكرة في القراءات الثمان 284 ، وابن مجاهد ،كتاب السبعة في القراءات ، ص190 ، و ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ،ج1، ص101 ، و الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ ، تحقيق دريد حسن أحمد ، ط 1، 2002 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ص 141

973 – محمد ابن محمد بن محمد الغزي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق خليل محمد العربي، ط1،1985 ، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة، 1،402، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج1،ص316، و البيضاوي ، أنوار التتريل وأسرار التأويل، ج1،ص 563 ، و الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، ص 269 ، والكشف 1،313 ، والبحر 2،300

و قول الشاعر الطرماح:

عفائف إلاّ ذاك أو أن يصورها هوى و الهوى للعاشقين صروع 975

ب – قرأ حمزة و أبو جعفر و رويس و قتادة 976 بكسر الصاد 977 من صار يصير بمعنى الذبح و القطع و التشقيق و التمزيق .978

ت – قرأ ابن عباس و عكرمة بضمّ الصاد و تشديد الراء من صرّ يصُرُّ بمعنى الجمع مع الشدّ.

ث – قرأ ابن عباس و عكرمة بفتح الصاد و تشديد الراء مع الكسر بمعنى التصرية.979

ج – قرأ ابن عباس بكسر الصاد و تشديد الرّاء من الصرير بمعنى التصويت و الصياح.

- التوجيه القرائي:

أ– دلالة الوجوه و النظائر على الإعجاز العقائدي.

لقد أظهر مسلك علم الوجوه و النظائر– من خلال لفظ السعي – 980 صورة الإعجاز في مشهد بيان القدرة الربانية على البعث و النشور من خلال ملمحين: 981

---

974 – انظر الطبري جامع البيان ،**3**، **152** ، و ابن جني ، الخصائص،**1** ، **42** ، وابن منظور، لسان العرب ،**4**، **474**،المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق محمد الخراط، ط**2**، **1985** ، دار القلم، دمشق، ص **107**

975 – انظر الأضداد ،ابن الأنباري، ص **28**

976 – هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز البصري، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه ، مات بواسط في الطاعون، سنة ثماني عشرة ومائة للهجرة ، انظر سير أعلام النبلاء ، **5**،**269**.

977 – و قرأ بها كذلك خلف وطلحة وشيبة وابن جبير والأعمش وقتادة وعلقمة وابن وثاب وابن عباس. انظر محمد سالم مكرم ، المهذب في القراءات العشر، ط **2**، **1389** ﻫ/ **1978** م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، **1**، **102** ،و احمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج**1**، ص **450**.

978 – و في الكلام تقديم وتأخير تقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن ، فيكون إليك من صلة خذ. انظر ابن زنجلة ، حجة القراءات ، ص **145**

979 – و التصرية جمع و ضمّ لكنّه جمع أخصّ مما دلّت عليه قراءة الضم عند الجمهور على قاعدة الزيادة في المبنى زيادة في المعنى و الله أعلم .

980 – الأصل في معنى لفظ السعي الإسراع في المشي الذي دون العدو. انظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، ابن الجوزي ، ص **349**

981– انظر الزمخشري ، الكشاف ،**1**، **392**

❋– العدول عن صفة الطيران إلى سعي الإنسان ليترّل الطير مترلة المكلّف العاقل ، وقد دلّ لفظ السعي من الطير على كمال الطاعة بوجهين:

✿ – كمال المبادة إلى الأمر بالصدق في النية و الجدّ في العزيمة ، و يشهد لهذا أنّ من وجوه معاني لفظ السعي المبادرة بالنية و العزم 982، و يترّل على هذا المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى :" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ " 983 أي بادروا بالنية والجدّ، 984 واستجيبوا لله تعالى.985

✿ – كمال العمل ، و به يتحقّق مقصد الامتثال ، و يشهد لهذا المعنى أنّ من معاني لفظ السعي العمل986 ، و يترّل على هذا المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى:" وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩"987 ، و بهذا فإنّ كمال العمل و حسنه معلّق على كمال القصد و صدق العزيمة.

❋– تقييد فعل الإتيان بوصف السعي – من خلال الجمع بين الطيران و المشي– يفيد بيان ما يلي:

✿ – استفراغ الجهد في إجابة الدعوة ، و دلّ عليه ورود لفظ السعي على معنى المشي بمرتبتين:

– المشي العادي 988 ، و يشير إلى مطلق الامتثال إلى الأمر ، و يشهد له من الاستعمال القرآني قوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ "989

– المشي المسرع 990 ، و يشير له الجمع بين لفظ الإتيان و السعي إمّا تأكيدا للفعل أو حالا للفاعل، و يشهد له من الاستعمال القرآني قوله تعالى:"وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ " 991

---

982 – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، ابن الجوزي ، ص 349

983 – الجمعة ، 9

984 – تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة، ص 465

985 – التفسير الكبير ،الرازي ، 30– 8

986 – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، ابن الجوزي ، ص 350

987 – الإسراء ، 19

988 – و المراد به المضي على قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه انظر مالك، الموطأ، رقم 220 و البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى:" وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ "

989 – الجمعة ، 9

، و كذلك قوله:" وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ "992 ، و من الاستعمال النبوي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ "993 ، و مما يرجّح هذا المعنى ورود لفظ السعي بوجهين من التركيب هما:

– حالا مقدرة بمشتق أي ساعيات 994 ، و بهذا صوّر الزمخشري مشهد حال الاستجابة ببيان حال إتيان الطير جامعا بين معنى السعي و الطيران ليفيد معنى استفراغ الوسع في الإسراع فقال:" ساعيات مسرعات في طيرانهن أو مشيهن " ، و استظهر هذا المعنى أبو حيان الأندلسي فقال:" جعل سيرهن سعيا إذ هو مشية المجدّ الراغب فيما يمشي إليه لإظهار جدّها في قصد إبراهيم ، و إجابة دعوته "995 ، والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنّها لو طارت لتوهّم متوهّم أنّها غير تلك الطير، وأنّ أرجلها غير سليمة.996

– مصدرا مؤكدا فالسعي و الإتيان متقاربان 997، فتتأصّل الدلالة بالأوّل و تتأسّس، و تتأكّد بالثاني و تتقرّر ، و بهذا يتواطؤ اللفظان على بيان كمال المعنى وتمام تصويره.

❋ – إظهار الطير بوصف العبد المجدّ ، فمن معاني السعي المشي في الجدّ و الطلب إذا ورد في سياق العبادة 998 قال عدي بن زيد :

---

990 – ابن منظور ، اللسان، مادة سعى ، ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،509

991 – يس ، 20

992 – القصص ، 20

993 – مسلم عن أبي هريرة رقم الحديث 945 ، و في رواية أخرى له كذلك عنده برقم 946: " إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا " و رواية أخرى له كذلك عنده برقم 947 :" إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَسْعَ إِلَيْهَا أَحَدُكُمْ وَلَكِنْ لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ صَلِّ مَا أَدْرَكْتَ وَاقْضِ مَا سَبَقَكَ " و في رواية أخرى له عند البخاري برقم 600 " إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا" فيتلخص من هذه الروايات أنّ الأمر بالمشي هو نهي عن العدو و أنّ النهي عن الإسراع هو أمر بالسكينة فيتولد من الأمر و النهي معنى السعي الذي هو الإسراع في العدو.

994– المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، ص96

995– انظر أبو حيان، البحر المحيط ، 2 ،311

996 – ينظر تفسير البغوي ، 1،324.

997 – إعراب القرآن العظيم ، زكرياء الأنصاري ، تحقيق موسى علي موسى مسعود ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ،2001 ، ص 195

متكـــئا تخفق أبـــوابه		يسعى عليه العبد بالكوب.999

و الشاهد من الحديث "و إليك نسعى و نحفِد "1000 ، فقد فسّر الحفد بمعنى السعي فيطلق على معنى الخفّة في العمل و الخدمة 1001 ، و يراد كذلك بالإتيان معنى الإقرار و الطاعة 1002 كما في قوله تعالى:" إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا "1003، وبهذا يجتمع الإتيان والسعي من الطير على معنى الخضوع للداعي.1004

✵ – بيان كمال صورة البعث و النشور بين يدي إبراهيم عليه السلام بعد كمال صورة الإماتة بين يديه ، لتتحقّق حكمة السؤال، فيضيف إلى عقيدة الإيمان حقيقة الإيقان ، و رقيقة الاطمئنان برؤية العيان ،1005 لأنّ الأدلّة إذا تظاهرت على البيان تضافرت على زيادة الطمأنينة ، قال المازوني صاحب الدرر المكنونة:" سئل بعضهم عن الحكمة في قوله تعالى: "يأتينك سعيا " مع أنّ الطير إنّما شأنها الطيران فلِمَ قالت الآية سعيا ولم تقل طيرانا فأجاب: الحمد لله إنّما قال سعيا ولم يقل طيرانا لأنّه قد لا يثبت نظره لاجتماع تلك الأجزاء

---

998 – انظر مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي ، تحقيق محمد أيوب الإصلاحي، ط1،2002، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ص 195

999 – معجم البكري ، ص 752 ، البلدان، 5 – 451 ، و جمهرة الأشعار، ص 129

1000 – و الحديث بأكمله رواه ابن أبي شيبة في المصنف من طريق ابن مسعود و أبي بن كعب " اللهم إنا نستعينك و نستغفرك ونؤمن بك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق." انظر المصنف 2– 201 و 213 و السنن الكبرى للبيهقي، 2،210 ، ومصنف عبد الرزاق، 3 ،110، و تهذيب الآثار للطبري 6،137 ،وصحيح ابن خزيمة 4،247 ، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي 3،178

1001 – أصل الحفد مداركة الخطو، ثمّ جعلت المداركة في معنى الإسراع، ثمّ استعملت في معنى الخفّة في العمل و الخدمة عموما. انظر العين 1 ،207 ،المخصّص 1 ،277 ، الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري،1 ،31 ،غريب الحديث ، أبو عبيد ،3 ، 374 ، غريب الحديث، ابن قتيبة، 1 ،17 ، وتهذيب اللغة، الأزهري،2 ، 75 ،

1002 – إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، ط3 ،1980 ، دار العلم للملايين، بيروت، ص 15

1003 – مريم ، 93

1004 – و يزداد الخضوع بيانا إذا قرن حصول الإتيان سعيا بغلبة وصف النفور في الطير من الإنسان .انظر تفسير المنار، رشيد رضا ، ط 2 ،1947 ، دار المنار ، القاهرة ،3 ،55

1005 – انظر العز بن عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن، تحقيق سيد رضوان علي، دار الشروق، ط2 ،1982، جدّة السعودية، ص 273

بعضها لبعض فعدل إلى سعيا ليكون أثبت له في النظر كيف ترجع تلك الأجزاء بعضها إلى بعض و الله أعلم ".[1006]

قلت: لا يمنع من اجتماع الطيران بالسعي مانع [1007] بل إنّ مقام بيان القدرة الإلهية يرجّح ذلك و يؤكده ، بل و يؤسس عليه دلالة اختلاف الحياة الثانية عن الأولى لرفع توهّم عدم حصول الموت بعد مجيئها طيرانا و الله أعلم [1008] ، و نزيد على ذلك بأنّ السرعة في السعي أفادت سرعة النشور و سهولته و أفاد الطيران سقوط شبهة توهّم الحيلة في الإحياء.[1009]

ب – دلالة الوقف و الابتداء على الإعجاز العقائدي:

ترتبط القراءات القرآنية ارتباطًا وثيقًا بعلم الوقف و الابتداء، فلها أثر في بيان نوع الوقف وحكمه ، فقد يكون الوقف على الكلمة القرآنية على قراءة ما واجبًا ، وعلى قراءة أخرى جائزًا أو ممنوعًا ، يدلّ على هذه الصلة الوثيقة قول ابن مجاهد:" لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءات عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التي نزل بها القرآن "[1010]، و " إنَّ لاختلاف القراءات أثرًا على الوقوف من ناحية المعنى ، فالوقف تابع للقراءة المتلوّة ، فإذا ما قرأ قارئ القرآن الكريم آية فيها وجه من وجوه القراءات فعليه أن يراعي في قراءته مواطن الوقف فيها ، تبعًا لذلك الوجه من القراءات ؛ لأنّه بالقطع أو الائتناف يكشف عن معنى للآية التي يتلوها مغايرًا للمعنى الناتج عن مراعاته للقراءة الأخرى."[1011]

1006 – الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، نسخة مكتبة الحامّة ،ورقة **292**

1007 – فقد ذكر ذلك رشيد رضا في تفسيره انظر تفسير المنار ،**3**، **55**

1008 – و أضاف البغوي حكما أخرى منها: دفع شبهة توهم اختلاط الطيور بغيرها، و عدم سلامة أرجلها. انظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط**4**، **1997** ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة **1** ، **322** ، و انظر محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط**1**، **1957** ، **4**، **675**

1009 – انظر إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ، عبيد بن عبد الله سليمان الجابري ، ط **1** ،**2000**، ،مكتبة الفرقان ،عجمان ، الإمارات العربية المتحدة، **1** ،**226**

1010 – النحاس أحمد بن محمد ،القطع و الائتناف ، ص **32**

1011 – صالح عبد الكريم، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، ط**1**، **2006**، دار السلام، القاهرة، ص**340**

وتقوم البراعة العلمية الرائدة على حسن الفهم ، و علامة ذلك كلّه الإصابة في اقتناص المعاني القرآنية بمسلك الوقف و الابتداء ، و " لّما لم يمكن القارئ السورة أو القصّة في نفس واحد وجب اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وتحتّم أن لا يكون ذلك مّما يخلّ بالمعنى، ولا يخلّ بالفهم إذ بذلك يحصل الإعجاز ويحصل القصد ، ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه و معرفته "1012 ، و على هذا فقاعدة الفهم الثابتة توجب تحرّي المعنى التام بالوقف الوجيه إذ " ليس كلّ ما يتعسّفه بعض المعربين، أو يتكلّفه بعض القرّاء ، أو يتأوّله بعضُ أهل الأهواء مّما يقتضي وقفاً أو ابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه ، بل ينبغي تحرّي المعنى الأتمّ والوقف الأوجه ، وذلك نحو الوقف على " وارحمنا أنت " و الابتداء "مولانا فانصرنا" على معنى النداء ، ونحو "ثمّ جاؤوك يحلفون" ثم الابتداء " بالله إن أردنا " و نحو " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك " ثمّ الابتداء " بالله إنّ الشرك " على معنى القسم "1013 ، و انطلاقا من هذا التأصيل قصدنا مسلك الوقف لاستنباط أسرار المعاني الدالة على لطائف الإعجاز القرآني من خلال الوقوف التالية:

✸- الوقف على قوله: "فخذ أربعة من الطير" يوحي بحصول التمكّن من جمع الطيور وضمّ بعضها إلى البعض ، وهذا معنى قراءة الضمّ في صرهنّ.

✸ - الوقف على قوله: " فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك " توحي فائدة الأمر بالأخذ الجمع بين الضمّ و التوجيه و الإمالة،1014 – لدلالة السياق عليه– ليتحقّق كمال التأمّل في أشكال الطيور، وتمام المعرفة بهيئاتها ، فلا تلتبس عليه بعد الإحياء 1015 ، و دلّ حرف " الفاء " على دلالة الاتّصال و الاستمرار 1016 من غير انقطاع بين الفعلين " خذ " و " صرهنّ ".

✸– الابتداء بقراءة الكسر يفيد معنى القطع استقلالا بدلالة اللفظ ، و معنى الذبح تبعا بدلالة اللازم.

✸– وصل السابق " فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك " بقوله " ثمّ اجعل على كل جبل منهن جزءا " يفيد – بقرينة لفظ الجزئية – معنى التكثير بالتقطيع و التمزيق يؤكده المأثور من التفسير منه قول ابن عَبَّاسٍ:"

1012 – النشر، ابن الجزري، تصحيح، علي محمد الضباع ، 1،224–225.

1013 – النشر، ابن الجزري، تصحيح، علي محمد الضباع ، 1،231.

1014 – محمد ابن محمد بن محمد الغزي ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق خليل محمد العربي ، ط1، 1985، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة، 1،402 .

1015 – مفاتيح الغيب ، الرازي. 3،480

1016 – انظر شرح المفصل ، 8،92 ، وشرح قطر الندى، 333 .

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ " قَطِّعْهُنَّ "1017 ، وعن مُجَاهِدٍ قال:1018" فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ " تَنْتِفُهُنَّ وَمَزِّقْهُنَّ " ، وقال كذلك:" انْتُفْهُنَّ بريشهنّ ولحومهنّ"1019 ، و عَن قتادة قال: "صُرْهُنَّ إليك" فَصِّلْهنّ.1020

❋– الوقف على قوله:" جزءا " يفيد اتّساع المكان لاتّساع فعل التقطيع و التمزيق يرجّح ذلك القرائن التالية:

- – قرينة اللفظ الدالة على العموم و شاهدها قوله:" كل جبل."
- – قرينة الزمن لحرف " ثمّ " فقد دلّ على:

– اتّساع الزمن لفعل الجعل " ثمّ اجعل على كل جبل منهنّ جزءا "، و بين النداء " ثمّ ادعهنّ يأتينك " من خلال دلالة المهلة والتراخي.

– إتيان الطيور بوصفين مجتمعين الأجزاء المقطّعة ، و السعي الحثيث من خلال دلالة حرف العطف على التشريك بين المتعاطَفين لفظا و حكما، و بهاتين الدلالتين تكون الرؤية أبلغ في دفع مفسدة التباس أشكال الطيور على إبراهيم عليه السلام ، ويحقّق مقصد الطمأنينة بعد كمال تثبّته من رؤية مشهد الإحياء بالعيان.1021

- – قرينة القراءة القرآنية ، فقد قرأ أبو بكر عن عاصم " جزءا " بضمّ الزاي.

1017 – الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،تحقيق علي محمد عوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط 1 ،1997 ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1 ،514

1018 – هو مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي المقري المفسر الحافظ سمع سعداً وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، وعبد الله بن عمر وابن عباس ولزمه مدة، وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم، روى عنه جمع غفير من التابعين وغيرهم، توفى سنة ثلاث ومائة وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة، انظر: تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 1419هـــ 1998م ، 1، 93.

1019 – النكت و العيون ،الماوردي 1 ، 334

1020 – الثعالبي ، الجواهر الحسان، 1 ، 515

1021 – انظر تفسير ابن عجيبة ، 1،220 ،و تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2 ، 1999 ، دار طيبة للنشر و التوزيع، المدينة المنورة، 1 ، 688

ﮪ – قرينة الرواية و التفسير ، قال مجاهد:" كل جبل "1022 ، و قال أي على كلّ جبل من كل واحد جزء و ذلك أعظم في القدرة 1023 ، بل أمر الله تعالى خليله أكثر من ذلك أن يخلط الدماء بالدماء و الريش بالريش ثمّ يجعل على كلّ جبل منهنّ جزءا.1024

ت – الفاصلة القرآنية و إفهام المعاني الإعجازية:

تتجلّى قيمة الفاصلة القرآنية في حقيقة الإفهام ، و بيان مراد المخاطِب من الكلام ، فكلّها " بلاغة و حكمة لأنّها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة " 1025 ، و معرفة إيقاع المناسبة بين مقاطع الكلام و أواخره وفق تأمّل لبيب يوجب استخراج المشاكلة الدلالية بين مواقع الكلام ، و ينحصر هذا التآلف الدلالي و التشاكل المعنوي في الصور البلاغية التالية – التمكين والتوشيح و التصدير و الإيغال – ، و الفيصل بينها أنّ لفظ الفاصلة إن تصدّر الكلام سمّي تصديرا ، و إن وردّ بعد الصدر فهو توشيح ، و إن أفاد معنى إضافيا بعد الكمال سمّي إيغالا ، و إن اجتمع التصدير بالتوشيح فدلالة الأول لفظية و الثاني معنوية ، 1026 و تفصيلها على النحو الآتي:

❁– التمكين: هو اجتماع ممهّدات البناء التركيبي على استقرار الفاصلة، و تمكّن معناها لتعلّق كمال الفهم بها 1027 ، فقراءة " صرهنّ " بالضمّ بمعنى الجمع و الإمالة مهّد لها قوله:" أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ" ،فالجمع لا يقع إلاّ على متعدّد ، أمّا القراءة بالكسر بمعنى الذبح والقطع و التفريق 1028 ، فقد مهّدت لقوله:"ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنۡهُنَّ جُزۡءًا" ، فالتجزئة لازم التقطيع ، و عموم الجبال لازم التفريق ، و قوله:"يَأۡتِينَكَ سَعۡيًا " – بعد إفادته الخفّة في الاستجابة و الإسراع إليها– مهّد لاستشراف حكمة التناسب بين اسم العزيز و الحكيم ببيان

1022 – انظر النكت و العيون ، الماوردي ،**1** ، **336**

1023 – مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث، دمشق، **1**،**110**

1024 – انظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين، ط**1** ،**199**، دار المآثر، المدينة المنورة ، **1**،**372**

1025 – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ،**97**

1026 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، **1**، **78** ،و من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض ، ط **1982**، ص**39**

1027 – الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، **1**– **78** و يظهر حسن الفهم بكمال التعلّق إذ لو أهمل وأسقط لاضطرب المعنى و لساء الفهم.

1028 – الأضداد، ص **268**

مزيد الاختصاص فيهما بالغرض المقصود ، و قد دلّت قاعدة التقديم بالطبع في الفطر ، و مبدأ تقديم السبب على المسبب أنّه لا عزّة إلاّ بعد حكم 1029 ، فدلّ معنى تقدّم اسم العزيز على كمال الملك لكمال التصرّف ، فمن ملك الإحياء بعد العدم و الإماتة بعد الوجود فقد ملك كمال الحكم الذي يقوم على مقتضى الحكمة ، 1030 فظهر بهما كمال العزّة.1031

❃– التصدير:1032 هو تقدّم لفظ الفاصلة القرآنية صدر الكلام ، و يرد على ثلاثة أقسام:

– موافقة لفظ الفاصلة أوّل لفظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" أوّل صدر الكلام "وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ "، لأنّ إطّلاع الغير على إحياء الموتى بالمشاهدة لا يحيط به إلاّ قوي مقتدر ، و لا يحصل ذلك إلاّ لعزيز حكم.

– موافقة لفظ الفاصلة آخر لفظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " آخر لفظ صدر الكلام " ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا " لأنّ الإسراع في الاستجابة للأمر يقتضي عظمة عزّة الآمر ، وشمول حكمه.

– موافقة لفظ الفاصلة بعض ألفاظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " قوله:" قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ " ، فتمكين إبراهيم عليه السلام من الطير المتعدّد المتنوّع فيه إشعار بقوته سبحانه ، و إيحاء إلى دلالة قوله تعالى:" أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ"1033 ، و قوله جلّ و علا "أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي

1029 – ابن القيم وحسّه البلاغي ، **100** ، و أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ،محمود السيد شيخون،**81** .

1030 – ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان ، ط**1**، **1996**، **2**، **239**.

1031 – التحرير والتنوير، **25** ، **27–28** ، ومن أوجه البلاغة الدالة على عظمة هذا المقام إيثار وصف العزيز في هذا الموضع لما يدل عليه جذره من وجوه عديدة تتناسب مع الموضوع و السياق منها:أنّ العزة تطلق على الغلبة قال تعالى:" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " المنافقون ،**8** ، ومنها: الرفيع الممتنع ، فالعزة رفعة و منعة قال تعالى:" أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" المائدة ، **54** ، و منها القوي ، فالعزّة قوّة و شدّة قال تعالى:" فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ " يس ، **14**. انظر اشتقاق أسماء الله ، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي، **414** ، و المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق أحمد بن فهد الحلي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط**1** ،**1430**هـ،**1** ،**73**.

1032 – و هو عند البلاغيين ردّ العجز على الصدر انظر ابن المعتز ، البديع ص **47** ، ومعترك الأقران ، السيوطي **1** ، **49** ، و الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط**2** ،**2000** ، دار عمار ، عمّان الأردن، ص**289**

1033 – الملك ،**19**

ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ "1034 ، فإذا ثبت عجز الخلق عن الإمساك ، و هو أخفّ فكمال عجزهم على البعث أولى لأنّه أشقّ ، فدلّ التمثيل بالطير بيان عظمة القدرة الإلهية ، و ضرورة الإيمان بالبعث ، و أنّه لا يقوى على ذلك إلاّ القدير الحكيم العزيز.

✵– التوشيح:1035 أن يتصدّر الكلام ما يستلزم الفاصلة القرآنية فتنزّل منزلة الوشاح الذي يغطّي العاتق و الكشح 1036 ، و لقد ورد في صدر الكلام ما يستلزم الفاصلة في مواضع ثلاثة هي:

– إحياء الموتى يقتضي القدرة ، و الاطّلاع عليه بالمشاهدة وقت طلبه" أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ "يستلزم الإحاطة بالحكم ، و التناهي في العزّة "وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

– الطمأنينة راحة نفسية تغمر القلب ، و سكينة تنزل عليه" قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي"، و القلوب بين أصبعين من أصابعه سبحانه يقلّبها كيف يشاء ، 1037 فلا يقدر عليها إلا هو سبحانه ، و وصف القدرة يستلزم الإحاطة بالحكم ، و التناهي في العزّة "وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"

– الإسراع في الاستجابة للأمر – مشيا و طيرانا – "ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا " فاستعمل المصدر استعمال الوصف ، لأنّ الأصل في الحال أن يكون وصفًا[1038]، فإذا جاء الحال مصدرًا فقد تمّ استعمال المصدر استعمال الوصف حتى يصلح لأن يكون حالا[1039]، فـــ " سعيًا " حال من فاعل يأتينك ، أي يأتينك ساعيات مسرعات في طيرانهنّ أو في مشيهنّ على أرجلهنّ[1040]، و هذا يستلزم ذلّ المأمور و عبوديته ، و عزّة الآمر و سيادته " وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ".

1034 – النحل ، **79**

1035 – هو عند البلاغيين الإرصاد و التسهيم. انظر معجم المصطلحات البلاغية،**392،2** و دلالة التوشيح معنوية. انظر معترك الأقران ، السيوطي ،**49،1**.

1036 – الزركشي ،البرهان في علوم القرآن،**1– 95**

1037 – انظر صحيح مسلم، الحديث رقم **4798**

1038 – ينظر اللمع ، **62** ، و المفصل ، **89** ، و شرح ابن عقيل ، **2،253** ، وشرح قطر الندى، **234**.

1039 – ينظر البيان في روائع القرآن، **1،56**.

1040 – ينظر الكشاف، **1،337**.

❋– الإيغال: هو انفراد الفاصلة القرآنية بجديد المعاني في تعلّقها بما قبلها من الكلام لتتعدّى ظاهر المعاني إلى منتهاها ، 1041 و قد دلّ صدر الآية " وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ" من خلال مشهد التصوير على التوسّع بالإيغال في نقل وقائع البعث و النشور من عالم الغيب المدسوس إلى عالم الشهادة المحسوس "قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ... يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ"، و نقل حقيقة البعث في القلوب من صورة عقيدة الإيمان إلى حقيقة الاطمئنان برؤية العيان " قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى "، و لقد أوغل مشهد النقل بالتصوير في بيان منتهى القدرة الإلهية التي تقتضي كمال الحياة و القيّومية ، و الذي لازمهما كمال العزة، و تمام الحكم" وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "

ث– تواطؤ المناسبة و الموضوع على بيان الإعجاز العقائدي:1042

إنّ قصّة إبراهيم عليه السلام مشهد من مشاهد التصوير التشخيصي الذي تبرز جانباً من جوانب التصوّر الإسلامي ، ويؤصل لمبادئ العقيدة الإسلامية ، و لقد جاء موضوع البعث و النشور في مشاهد تصويرية متعدّدة رتّبت أحداثها ترتيبا منطقيا تسلّم له العقول الصحيحة، و تدرّجا برهانيا تخضع له الفطر السليمة ، فقد تآلف عندها النظم على كمال البيان ، و تواطأت الدلالات على جمال التصوير ، فاجتمعت المباني و المعاني على إخراج موضوع البعث و النشور في وقائع قصصية ، و أمثال حسيّة تطابقت فيها حقائق الكون المنظور مع معاني القرآن المسطور، و توافقت مرتّبة وفق الوجوه الآتية :

❋ – مشهد الحوار بين الجحود و الإيمان – بين إبراهيم عليه السّلام و النمرود– حول البعث و النشور بالحجّة الواقعة في الأنفس إلى البرهان الواقع في الآفاق ، و تجسّد في صورة الإحياء و الإماتة في الإنس ، وشاهده قوله تعالى:"إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ" 1043

1041 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،1، 96

1042 – المناسبة في اللغة اتصال شيء بشيء تحقيقا لمعنى المقاربة و المشاكلة ، وفي الاصطلاح علم يعرف به علل اختيار النظم ، ومسالك الكشف عن ترتيب أجزائه. انظر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 1993 ، ، دار ابن كثير، بيروت، 2، 77 ، و أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت، دار الجيل،5، 32 ، و برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق عبد الرزاق، غالب المهدي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1415 هـ، 1995 ، 1،5.

1043 – البقرة ، 258

❋– مشهد المتعجّب من البعث و النشور بالتساؤل النفسي والاستفسار الباطني ، و تجسّد في صورة الإحياء و الإماتة في الإنس و الحيوان ، وشاهده قوله تعالى:" وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًاۚ ..."1044

❋ – مشهد طلب الاطمئنان بعد الاستيقان للبعث و النشور برؤية العيان ، و تجسّد في صورة الإحياء و الإماتة في الحيوان ، و شاهده قوله تعالى:" قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ" 1045

❋ – مشهد الإخبار عن البعث و النشور بالمثل في صورة الإحياء و الإماتة في النبات ، و شاهده قوله تعالى:"مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ "1046

❋ – مشهد الإخبار عن البعث و النشور في الأعراض في صورة الإحياء و الإماتة في الأعمال ، و شاهده قوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ " ، فيتمحّض من مجموع المشاهد كلّها تثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والنشور بالإشارة إلى كمال القدرة الإلهية، وآثارها على المشاهد الكونية كلّها – عالم الأجرام السماوية ، وعالم الإنسان ، و عالم الحيوان ، وعالم الطيور ، و عالم النبات – من خلال مناهج دعوية إصلاحية متعدّدة – تحاور العقل ، و تنبّه الروح ، وتصلح النفس – مجتمعة على تثبيت قاعدة الإيمان باليوم الآخر ، وسرّ الافتتاح بالاستفهام في بعض مشاهد الحديث عن اليوم الآخر أنّ جماله ينبئ بحركية أحاسيس المخاطب و مشاعره إلى استحضار الصورة الموحية ، واستعداد المتلقّي لتصوّر مشهد الأحداث بفاعلية التلقي ، فالاستفهام التعجبي 1047 و البيان التمثيلي و الحوار الجدلي كلّه تعليم ربّاني يظهر به قوّة حجّة الحق ، و خوار أسطورة الباطل.1048

ج– بلاغة الإيجاز بالحذف و الإعجاز العقائدي :

لقد وقع الإعجاز بالإيجاز من خلال صور الحذف التالية:

1044 – البقرة ، 259

1045 – البقرة ، 260

1046 – البقرة ،261

1047 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، 1 ، 136

1048 – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، 1 ، 434

❁– حذف الحروف:

لقد حذف حرف النداء " يا " 1049 ليشير إلى حقائق عقائدية صوّرها الإعجاز بالإيجاز من خلال اللطائف التالية:

– دفع توهّم البعد في حرف النداء لقرينة الدلالة الزمنية احتراسا بالحذف، لأنّ حرف النداء "يا " لا ينادى اسم الله جلّ و علا إلاّ بها ، و كونها موضوعة لنداء البعيد حقيقة أوحكما ، أو للقريب توكيدا 1050 ، فهو من باب استعمال اللفظ في غير ما وضع له لأغراض بلاغية 1051، فيدفع هذا التوهّم لهذا الاختصاص.

– المناسبة بالمطابقة بين مقام الحذف و مقام الحال في سياق القصّة، لأنّ حرف النداء "يا" مختوم بألف ففيه إمكان مدّ الصوت بها ، والعرب يستعملونها " إذا أرادوا أن يمدّوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم ، والإنسان المعرض عنهم الذي يرون أنّه لا يقبل عليهم إلا بالاجتهاد ، أو النائم المستثقل "1052 ، و هذا يخالف مقام حال سياق القصّة إذ مقتضى الكلام يشير إلى درجة التكريم و منزلة الزلفى ، و عدم الحذف يوهم خلاف ذلك.

– دلالة الحذف على سرعة الطلب في مشاهد منها:

1049 – و هي أم حروف النداء وأصلها و أغلبها استعمالا. انظر: توجيه اللمع 320، والمقرب، ابن عصفور علي بن مؤمن، تحقيق احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، ط 1986، مطبعة العاني، بغداد، 192، و البحر المحيط 1،231، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت،ط6 ،1985،488، والأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط1، 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 3،222 –223 ،و معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط2، 1986 ،مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ،92، و شرح عيون الإعراب، أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، تحقيق حنا جميل حداد ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1985 ، 275،و شرح جمل الزجاجي ، ابن عصفور الاشبيلي ، تحقيق صاحب أبو جناح ، ط 1980 ، مؤسسة دار الكتب ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية ،2،82، و شرح الكافية الشافية، ابن مالك ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي ، ط1،1982 ، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة ،1،412.

1050 – انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية ،دمشق ،2،451، والغرة المخفية في شرح الدرة الألفية ، ابن الخباز أبو العباس أحمد بن الحسين، تحقيق محمد العبدلي، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1،1990، 2،512 ، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، ط1،1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ،2،27.

1051 – الكتاب 2،230، وشرح ابن الناظم على الفية ابن مالك بدر الدين محمد بن محمد بن مالك ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط1، 2000 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،401، و شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط1، 2000 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2،206.

1052 – الكتاب 2،230

– سرعة النداء "ربّ أرني "، وسرعة الجواب دلّ عليه سؤال الإيجاب1053 في قوله:" أولم تؤمن" ، و الأصل في الفاء العاطفة التعيّن مع لفظ القول لتدلّ على التعقيب ، لكن حذفت اختصاصا لورودها في مقام المحاورات.

– سرعة رؤية البعث بالعيان لأنّه أسرع في تحقيق الاطمئنان لهذا كان جواب الخليل عن الاستفهام التقريري 1054 " أولم تؤمن" بقوله " بلى ولكن ليطمئنّ قلبي" ، فجاءت بلى جوابا للتصديق بإبطال مضمون النفي ليوافق التصديق التقرير ، و يدلّ على أنه أراد " أن ينتقل من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين "1055 لينبئ ذلك عن كمال الإيمان و زيادته.1056

– سرعة الموافقة بالمناسبة النحوية في قوله: " فخذ " لتفيد سرعة الخليل في قبول طلب خليله ، و هو ثمرة الخلّة.

– دلالة الحذف على سرعة الجواب و دقّته بقوله:" بلى" ، فيحصل الإيجاز لكفاية الوقف عليها 1057 ، و أمّا الوقف على قوله:" ليطمئنّ قلبي " ، فهو أكفى منه 1058 ، و أفضل في كمال المعنى لأنّه إيجاز جمع الجواب و علّته 1059 ، و ردّ توهّم الشكّ و ريبته ، و لقد أشار الجواب " ببلى" دون " نعم " إلى بلاغة الإعجاز ببراعة الإيجاز ، فتجلّى ذلك في مشهدين:

1053 انظر الماوردي، النكت و العيون و قال:" وليست الألف في قوله :"أَوَ لَمْ تُؤْمِن" ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب كقول جرير :ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح " 1 ،334

1054 – و ذهب البعض إلى أنّ الهمزة ألف إيجاب لا استفهام . انظر مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، 2 ، 992

1055 – تفسير ابن رجب الحنبلي، جمع و تعليق طارق عوض الله بن محمد ،ط 1 ،2001 ، دار العاصمة، الرياض، ،1 ، 192 ، و يؤكد المعنى المذكور ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قوله:" ليس الخبر كالمعاينة." انظر فتح الباري ،العسقلاني ، 1 ، 11

1056 – انظر الإكليل في استنباط التتريل، السيوطي، ص 46

1057 – الداني ، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص 190 و نقل القسطلاني الخلاف في ذلك و قال المنع هو المختار. انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق عامر السيد عثمان و عبد الصبور شاهين ، ط 1972 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، 1،258

1058 – الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء ، ص 190

1059 – قال أبو زهرة :" النفوس و لوكانت مؤمنة تتمتع بكثرة الدليل لتزداد إيمانا و إن كان أصل الإيمان قائما فزيادة الإيمان تزيد المؤمن إيمانا " انظر القرآن المعجزة الكبرى ،دار الفكر العربي، القاهرة، ص 177

– أنّ نفي النفي إثبات و التقدير بلى آمنت 1060 بخلاف نعم فهي لإثبات المنفي ، فحقّق الجواب ببلى زيادة سكون القلب و طمأنينته.

– اجتماع علم الضرورة و علم الاستدلال و تظاهرهما على تحقيق السكينة و زيادة اليقين.1061

– دلالة الحذف على المعاني العقدية المتّصلة بالبعث من خلال ما يلي:

– بيان عظمة منزلة المنادى" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ "1062 ، و قد سأله خليله رؤية البعث فأعطاه ، فدلّ على رفعة المنادي و فضله عند ربّه جلّ في علاه ، و يرى الباحث أنّ الحذف الوارد على أداة النداء و أداة العطف " الفاء "عند المحاورات قد قلّصت حتى فارق الزمن في التعقيب ليشير إلى كمال الاستجابة بين الخليل و خليله و الله أعلم و أحكم ، و لقد دلّت الفاء التعقيبية على هذا المعنى نظما ، و أكّده المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله:" ليطمئنّ قلبي" بقوله:" أعلم أنّك تجيبني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك "1063 ، فيوافق المأثور تفسيرا المنقول نزولا " وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا " 1064 ،و قوله جل و علا " إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ " 1065

– بيان عظمة قدرة المنادى بسعة علمه " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ "1066 إذ لازم كمال العلم كمال القدرة على البعث و النشور.

– حذف جملة العطف:

فقد أظهر الحذف مكوّنات أسلوب العطف في وجهي القراءتين على النحو الآتي:

1060– الكشاف، الزمخشري ،1 ،391.

1061 – الكشاف ،الزمخشري ، 1 ، 275

1062 – البقرة ، 186

1063 – انظر الطبري جامع البيان ،3 ،152

1064 – النساء ،125

1065 – النحل ، 120 – 122

1066 – ق ، 16

ﮩ – قراءة الضمّ أفادت معنى الجمع و الإمالة تصريحا ، و معنى الذبح و القطع تلميحا ، و التقدير: أملهنّ فقطّعهنّ "ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا "، فحذفت جملة المعطوف عليه.1067

ﮩ – قراءة الكسر أفادت معنى الذبح و القطع تصريحا ، و معنى الجمع و الإمالة تلميحا ، و التقدير: أملهنّ فقطّعهنّ " ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا "، فحذفت جملة المعطوف1068، وعلى هذا فإنّ اجتماع معاني التغاير القرائي أولى و أرجح 1069 إذ به ظهر المحذوف من وجهي القراءتين ليرسم فروق الدلالات ، و يصوّر تفاصيل وقائع الإماتة بين حدّ البداية بقوله:" فخذ "و حدّ النهاية بقوله:" ثمّ اجعل" ، و ليدلّ على تفاصيل وقائع البعث بكمال تصويره "ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا "، ثمّ ليختم مشهد البعث و النشور بصورة جمال المقابلة بين دلالة الحياة في معنى قراءة الجمع و دلالة الموت في معنى قراءة القطع بمسلك صورة إيجاز الضدين – على مذهب من قال أنّ قوله" صرهنّ " من ألفاظ الأضداد 1070 – في لفظ واحد متوافق مع مقام السياق فلفظ " صرهنّ " إذا نظرت إلى دلالة السياق السابق " فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ " كان معنى الجمع أولى به ، و إذا نظرت إلى دلالة السياق اللاحق" ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا " كان معنى التقطيع أولى به ، فبان ببلاغة الإيجاز الضدّي عظمة القدرة الإلهية في جمع الضدين – الحياة و الموت – على المخلوقات عموما و الله أعلم و أحكم.

1067 – الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن ، القاهرة ،ص 140 و يشهد له من الاستعمال القرآني قوله تعالى:"فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ " الشعراء، 63 ، وتقدير المحذوف: فضرب فانفلق وكقوله تعالى: " ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ " النمل،28 ، وتقدير المحذوف: فذهب و ألقى الكتاب. انظر البحر المحيط ، 2 ، 300

1068 – و مما تختص به الفاء العاطفة جواز حذفها مع مدخولها انظر النحو القرآني، جميل أحمد ظفر، ط2، 1998 ، مطبعة الصفا، مكة المكرمة، ص 479

1069 – و هذه قاعدة جليلة يفهم بها التغاير القرائي ليدرك كمال فهم القرآن. انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 13 ، 391 ، و مكي بن أبي طالب ،الكشف عن وجوه القراءات السبع،1 ، 224 ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب ،3 ، 165 ،و أحمد بن يوسف السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، ط 1 ،1406 هـ ، دار القلم، دمشق،3 ،555 ، و عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، ط2 ،1406 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت،2 ، 632

1070 – انظر الأضداد ،ابن الأنباري، ص 28

الفصل الثالث : التغاير القرائي بين إعجاز نظم القرآن و إعجاز بلاغته.

- النظم القرآني حقيقته ، مستوياته إعجازه.
- إعجاز النظم القرآني " تصوير النعيم نموذجا
- إعجاز النظم القرآني " تصوير النفس نموذجا "
- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير

" قصة آدم نموذجا "

- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير

" نقض الشرك نموذجا "

- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف

" قصة موسى مع المرأتين نموذجا "

- التغاير القرائي و إعجاز النظم القرآني:

- القرآن الكريم و اللغة العربية:

لقد بلغت اللغة العربية منزلة عظيمة غداة نزول القرآن الكريم ، فقد أتت الفصاحة منتهاها ،و أضحت البلاغة مولاها فأسرت قلوب البلغاء ،و ملكت نفوس الفصحاء ، حتى قال بليغ إحدى القريتين الوليد بن المغيرة: " فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدهِ مني ، ولا بأشعار الجن مني ، و الله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، واللهِ إنّ لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، و إنّه ليعلو ولا يعلى ، وإنّه ليحطم ما تحته "1071 كيف لا تعلو العربية و القرآن الكريم نور كلماتها ، وبيان معانيها قال تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ "1072 كيف لا تصفو العربية ، و الكمال الإلهي المطلق مصدرها قال تعالى:"وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾"1073

و لقد جاء بيان القرآن حجّة من طريقين:1074

1071 – انظر تفسير القرآن ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد ، الرياض،ط1 ، 1410هـ ، 2،328، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ابن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الفكر ، بيروت ،ط 1408هـ ،1988م، 17،30 و 29،156، و دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط2 ، 1410هـ، 1989م ، ص 388، 581، و البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ،كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاوي ، تحقيق خديجة الحديثي، و أحمد مطلوب ،مطبعة العاني ، بغداد ،ط1، 1394هـ، 1974م ، 56، و البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، خرّج حديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1408هـ ، 1988م،2،118–119، و المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهين، 345/2.

1072 – المائدة، 15.

1073 – الشعراء ،من 192 إلى 195

1074 – انظر مقدمتان في علوم القرآن ، نشر آرثر جفري ، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ط2 ، 1392هـ ،1972م ،23، و أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، القاهرة، ط3 ، 1983م، 125– 126.

أ- ظاهر القرآن فهو حجّة قاطعة على بلغاء العرب - بفصيح لفظه ، وعجيب نظمه -،فقد أجمعوا على كمال فصاحته ، و جمال بلاغته ، و تنزّهه عن كل عيب.1075

ب- باطن القرآن فهو حجّة قاطعة على علماء العجم - بصدق خبره وصحة وعده - أجمعوا على كمال علومه ، و جلال أحكامه ، و تنزّهه عن كل ريب.

لقد ملك اللسان العربي بالقرآن القلوب مطلقا ماضيا ، و حاضرا ، و حقّ له سيادة الألسن قاطبة مستقبلا 1076 قال تعالى:" وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾"1077 ، و من عظيم لغة القرآن أن تتواطأ قواعدها و وجوه خطابها على استنباط الأحكام الشرعية ، فقد ذكر ابن هشام أنّ " الرشيد كتب ليلة إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قوله:

فإن ترفقي يا هند فالرفــق أيمن — وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم

فأنت طالق والطلاق عزيمــــــة — ثلاث، ومن يخرق، أعقّ وأظلم

فقال: ما يلزمه إذا رفع الثلاث ونصبها ؟ قال أبو يوسف: فقلت: هذه مسألة نحوية فقهية ، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي ، فأتيت الكسائي وهو في فراشه ، فقال: إن رفع "ثلاث" طلقت واحدة ، لأنّه قال: "أنت طالق" ثمّ أخبر أنّ الطلاق التام ثلاث ، وإن نصبها طلقت ثلاثا ، لأنّ معناها أنت طالق ثلاثا ، وما بينهما جملة معترضة ، فكتبت بذلك إلى الرشيد، فأرسل بجوائز ، فوجّهت بها إلى الكسائي."1078

1075 - انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد، و علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1413هـ، 1993م ، 366/6، و المزهر 345/2، و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ، دار العلم للملايين ، ط2 ، 1978م ، 540/8، و أثر القرآن الكريم ، الباقوري ، 39، 54، و أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ،محمد سمير نجيب البدري ، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط1 ، 1398هـ 1978م، 65 -66 ، و العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ،ط 1988م،16.

1076 - انظر قضايا قرآنية في ضوء الألفية ، عبد الفتاح الزين ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، 44-45، من الدراسات القرآنية ،عبد العال سالم مكرم ، المطبعة العصرية ، بالكويت ، 1398هـ، 1978م،52.

1077 - البقرة، 23 - 24

1078 ــ انظر مغني اللبيب، ابن هشام ، 54،1 .

- النظم لغة و اصطلاحا:

- النظم لغة:

– النظم عند ابن منظور: " النظم: التأليف..، و نظمت اللؤلؤ أي جعلته في السلك..، و النظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ، و الانتظام: الاتّساق."1079

– النظم عند الجوهري:" نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ، و التنظيم مثله..، و الانتظام :الاتّساق" 1080 ، و" نظمت العقد و الشعر إذا ألفت بين مفرداته "1081 ، و" المنظوم من كل شيء: ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد "1082 ، و بحسن التخلّص نقول: أصل النظم ما دلّ على التأليف مطلقا 1083 ، و أشار تاريخ اللغة إليه بدرجتين هما:

أ – أنّ لفظ النظم وضع في معهود خطاب العرب للدلالة أصالة على المعنى المادي المحسوس كنظم اللؤلؤ مثلا.

ب – أنّ لفظ النظم نقل بالاستعمال للدلالة تبعا على المعنى المجرّد المدسوس كنظم الشعر مثلا و الدرجتان مقيّدتان بقيدين لا تصلح حقيقة النظم إلا هما:

أ – أنّ التأليف ضمّ و جمع وقع على منوال التوافق.

ب – أنّ التأليف ترتيب و تنظيم وقع على منوال الانسجام و الاتّساق.

- النظم اصطلاحا:

نظرية النظم عند الجرجاني فكرة علمية رائدة جمعت قواعد منهج الفهم الصحيح للخطاب العربي – و الذي تجسّد في ميلاد علم المعاني – للوقوف على حقائق النظم القرآني المعجز، فطالب " دليل الإعجاز من

1079 – لسان العرب ، مادة نظم ، 12 – 578

1080 – الجوهري ، إسماعيل بن حماد ،تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ،ط1 ، 1956 ، 5 – 2041 ، القاهرة ، و محمد بن أبي بكر الرازي ،مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ط 1995 ، مكتبة لبنان ، بيروت ص 278 ، و الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 641 ، و الجرجاني ، التعريفات ،ص 310

1081 – المناوي محمد بن عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ، ط1 ، 1400 هـ ، ص 689

1082 – المعجم الوسيط ، 2 – 933

1083 – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة نظم

نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو ، وأحكامه و وجوهه وفروقه ، ولم يعلم أنّها معدنه وموضعه ومكانه وأنّه لا مستنبط له سواها، و ألاّ وجه لطلبه فيما عداها غارٌّ نفسه بالكاذب من الطمع ، ومسلم لها من الخدع.."1084 ، و من استقراء النصوص تلخّصت لدينا معالم نظرية النظم في النقاط التالية:

أ – النظم علاقات متناسقة بين المعاني ، و معلوم أنّ النظم " ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض "1085 ، فهذا التعلّق يدرأ فساد التأويل ، و يتعيّن به سداد الفهم ، فيحصل بذلك جمال الفصاحة وكمال البلاغة "وجملة الأمر أنّا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها."1086

ب – النظم حركة ترتيب عقلية بين المعاني استقلالا ، و بينها و بين المباني اجتماعا ، وترتيب الألفاظ في النطق يتبع ترتيب المعاني في النفس لأنّ اللفظ " تبع للمعنى في النظم ، وأنّ الكلم تترتّب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس "1087 ، و " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل "، 1088 و أكّد الشريف الجرجاني قيد العقل في استقامة النظم فعرّفه بأنّه:" الألفاظ المرتّبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل."1089

ت – الألفاظ مغلقة على معانيها ، مؤصدة على مقاصدها ، فلا يسفر عن مراد المتكلّم و غايات خطابه إلاّ بالانتظام المحكم ، والاتّساق الملهم ، و" لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها...إنّ قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي أراد المتكلّم أن يثبته أو ينفيه."1090

ث – سلامة فهم النظم بتتبّع قواعد النحو لأنّ كمال النظم " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه و أصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها "1091 ، و قد تعين قواعد

1084 – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 403–404 .

1085 – المصدر نفسه ، ص 55

1086 – المصدر نفسه ، ص 402.

1087 – الجرجاني، الدلائل ص 49

1088 – المصدر نفسه ، ص 50.

1089 – الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص 216

1090 – الجرجاني ، الدلائل ، ص 258.

1091 – المصدر نفسه ، ص 81.

النحو على إدراك الملكة الاجتهادية من خلال ملكة الوقوف على الاستنباط الفقهي فقد روى الزبيدي مناظرة وقعت بين الكسائي النحوي و أبي يوسف الحنفي قال : " دخل أبو يوسف على الرشيد و الكسائي يمازحه فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرغك وغلب عليك ، فقال: يا أبا يوسف إنّه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي، فأقبل الكسائي على أبي يوسف فقال: يا أبا يوسف هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أم فقه ؟ قال: بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثمّ قال : تلقي على أبي يوسف فقها ! قال: نعم ، قال : يا أبا يوسف ، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إن دخلت الدار طلقت. قال: أخطأت يا أبا يوسف ، فضحك الرشيد ، ثمّ قال :كيف الصواب ؟ قال: إذا قال " أن " فقد وجب الفعل ، و إن قال " إن " فلم يجب ولم يقع الطلاق. قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي."[1092]

ج – النحو وقوف على قواعد معاني الخطاب العربي ، فحقيقته" أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ، ورعاية ما يكون من الهيئات."[1093]

ح – وجوه الخطاب في معهود كلام العرب متنوّعة ، منها علم الصرف الذي يحدّد دلالة المفردات في التركيب ، وعلم النحو الذي يرتّبها ، ويحدّد وظيفتها بناء على دلالتها الصرفية والمعجمية [1094] ، و بهذا يدرك " سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره ،كالتثنية والجمع ، والتحقير والتكسير و الإضافة ، والنسب ، والتركيب وغير ذلك "[1095] ، و من أنكر هذا فقد ردّ الحسَّ و تجبّر، وغالط النفس بالكدر ، وقدّم العرر على الغرر" فلا ترى كلاما قد وصف بصحّة النظم أو فساده ، أو وصف بمزيّة وفضل فيه إلا و

1092 ــ انظر طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ، ص 127 .

1093 – السكاّكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، ط 1348 ،دار التقدم ، القاهرة، ، ص33

1094 – التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة ، ط 2005 ، دار النشر للجامعات، القاهرة، ص 117

1095 – ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط 1952 ،دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1ص34

أنت تجد مرجع تلك الصحة و ذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو و أحكامه ، و وجدته يدخل في أصل من أصوله ويتّصل بباب من أبوابه."1096

خ – الإعجاز بالنظم " إذا كان التركيب النحوي له معنى أوّل يدلّ على ظاهر الوضع اللغوي ، وله معنى ثان ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول ، و هذا المعنى الثاني ، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد و الهدف للبلاغة."1097

- نظرية النظم عند الجرجاني: "معنى المعنى"

المعنى عند الجرجاني نوعان :

أ– المعنى: و هو" المفهوم من ظاهر اللفظ المتبادر ، و الذي تصل إليه بغير واسطة."1098

ب– معنى المعنى: و هو" أن تعقل من اللفظ معنى ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"1099 ، و دلالات المعاني الإضافية المتولّدة من مجموع الدلالات اللغوية المتناسقة لا يدرك طيفها المتّسع إلاّ بعد التأليف المترابط ، و النظم المتماسك كعقد فريد تتابعت درره لترسم مشهد زينة يأخذ بالألباب ، أساسه التدبّر العميق و التأمّل الدقيق 1100 ، و روحه حسن تتبّع سياق مشاهد التصوير " و إنّما الشعر صياغة وضرب من التصوير"1101 ، و التصوير مداره على الأدوات البيانية – كالكناية و الاستعارة و التشبيه – التي تسفر عن بناء مرصوص من اتّساق لبنات المعاني ، و تسربلها حلل سندسية من جمال الفصاحة ، و حسن البلاغة1102 وفق صراط نحوي مستلهم من ملاحظة منهج العرب في معهود الخطاب 1103 ، فترشد دلالات الألفاظ اللغوية –

1096 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ط2 ، 1989م ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ص 64 ــ 65

1097 – عبد الفتاح لاشين ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار المريخ ، الرياض ،ص4

1098 – الجرجاني، الدلائل ص202–203.

1099 – المصدر نفسه ، ص 263

1100 – و قصدت من الجمع بين التدبر والتأمل تحقيق مآلات المعاني بالنظر الصحيح تحقيقا و بالتثبت الجازم ترجيحا. انظر تاج العروس مادة " دبر" ج3ص200 ، و التعريفات للجرجاني ص36

1101 – درويش الجندي ، نظرية عبد القاهر في النظم ، ص117.

1102 – أحمد مطلوب ،عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ص109.

1103 – و أقصد بالنحو نحو المعاني أي علم المعاني الذي فصّل مباحثه – القصر و الاستفهام و الوصل و الفصل.. – الجرجاني في الدلائل انظر دلائل الإعجاز للجرجاني ص 108 و 185

التي طريق معرفتها التوقيف والتقدّم بالتعريف – إلى دلالات المعاني أحسن إرشاد و أوضح بيان 1104 بوساطة حسن مأخذها ، ودقّ مسلكها ولطفت إشارتها ، فيغدو النص الواحد "يحوي مدلولات متنوعة متناسقة..كلّ مدلول منها يستوفي حظّه من البيان و الوضوح دون اضطراب في الأداء ، أو اختلاط بين المدلولات ؛ وكل قضية وكل حقيقة تنال الحيّز الذي يناسبها بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى"1105 ، وتقوم نظرية معنى المعنى في إعجاز النظم القرآني على فنية التصوير المفتوح الذي يمنح العقل سعة التخيّل في رحابة آفاق التفكير لينتقل إلى تصوير المعاني المجردّة المدسوسة في مباني مجسّمة محسوسة ، وصياغة النظم بالتصوير كصياغة الذهب بالإبداع ، و إتقان نظم الكلام وكمال تصوير معانيه كنسج حسنت خيوط حريره ، و برعت آيات تطريزه.

– مستويات النظم عند الجرجاني:

للنظم مستويات متفاوتة:

أ– النّظم الأدنى:

ممّا لابدّ أن يعلم أنّ النظم في هذه المرتبة لا يحتاج واضعه " إلى فكر ورويّة حتى انتظم ، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك لا يبتغي أكثر من أن يمنعها التفرّق ، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة ، بل ليس إلاّ أن تكون مجموعة في رأي العين ، وذلك إذا كان معناك معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئاً غير أن تعطف لفظاً على مثله.،. فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه ، أو بمتون ألفاظه دون نظمه وتأليفه "1106 ، و عليه فإنّ النظم بهذه الحقيقة قد انضبط بما يلي:

✺ – استقامة اللسان ومجانبة الألحان.

✺ – مجرّد التركيب ومطلق الترتيب.

✺ – سطحية الفكر و بساطة التناول.

ب – النّظم العالي:

1104 – الجرجاني، الدلائل ص **97**

1105 – الظلال ، سيد قطب ج**3** ص **1787**

1106 – دلائل الإعجاز ، ص **98** .

التّظم العالي أن يبلغ في كل جزء من أجزائه ذروة الحسن كأنّه لفظة واحدة "سهلة ليّنة، ورطبة مواتية ، سلسلة النظام ، خفيفة على اللسان، حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد "1107 ، ومثل الناظم فيه" كمَثَل من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضّة ، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة "1108 ، و مثل مزيّة أجزاء محاسنه " كالأجزاء من الصِّبْغ تتلاحق وينضمّ بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك لا تُكْبِر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحذق و الأستاذية وسَعَة الذَّرْع وشدة المُنَّة ، حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات ، وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتك من أبيات البحتري" 1109 ، و النظم إذا جوّد في سلاسة ، و صيغ في صورة ماسة ، فقد أصاب سهمه بنات الأفكار ، و أسر سيفه ألباب الأنظار، فتنقاد له النفس اختيارا و اضطرارا ، و يسلّم له العقل إقرارا و إصرارا ، و لقد وقف الجرجاني من خلال قراءة نقدية لبعض نصوص الجاحظ الأدبية على ضوابط النظم العالي1110 و هي:

❁ – التفكير التأمّلي الدقيق ، و التروّي المتّزن العميق.

❁ – الملكة الإبداعية في صناعة النظم.

❁ – الاستقراء الريادي في استنباط حقائق المعارف ، ودقائق اللطائف.

ت – النّظم الأعلى:

التّظم الأعلى أن يبلغ كل جزء من أجزائه ذروة الحسن و الجمال ، ثمّ يضاف إليه من تآخي الأجزاء ضرب آخر أسمى من ضروب الحسن و الشرف ، فيؤول الكلام بمجموع أجزائه إلى مقام تمام الحسن و كماله ، فكل بيت من الشعر مثلا " إذا أفرد قام بنفسه ، واستقل معناه بلفظه ، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد ، بحيث يعتقد السامع أنّهما إذا انفصلا تجزَّأ حسنهما ، ونقص كمالهما ، وتقسَّم معناهما ، وهما ليسا كذلك ، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والاختراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع

1107 – البيان والتبيين ، الجاحظ ، **89/1** .

1108 – الدلائل ص **412–413** .

1109 – المصدر نفسه ص **88** .

1110 – المصدر نفسه ص **98** .

"1111، و قال شاعر لأحد الشعراء: "أنا أشعر منك " قال: " وبم ذلك؟ " فقال:" لأنّي أقول البيت وأخاه ، ولأنّك تقول البيت وابن عمّه"1112 ، و عليه فكلّما اجتمعت الأجزاء على كمال الحسن تضافر حسنها ،و تعاضد جمالها ، و كان نظمها " متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "1113 ، و كلّما أصابت البراعة الإبداع في نظم الأجزاء أتقنت كمال صناعة الحسن ، و الأصل في توخي المعاني " أن تتّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض و يشتدّ ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث و رابع يضعها بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره وقانون يحيط به فإنّه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة."1114

– مراحل بناء نظرية النظم عند الجرجاني1115

تقوم نظرية النظم عند الجرجاني وفق المراحل التالية.

❋– بناء المعاني في النفس: باختيار ما يوافق أداء مقصد المتكلّم و غرضه.

❋– انتظام المعاني في قوالب المباني: باختيار الألفاظ المناسبة للمعاني المحدّدة.

❋– ترتيب النظم المركّب: فمقصود الخطاب التواصل و الإفادة ، فلابدّ من ترتيب المعاني وفق قواعد الرتبة في النحو لإفادة الغرض.

❋– التعليق عن النظم بالبيان: من خلال إيصال بيانه في صورة متطابقة بين المعاني و المباني.

و لقد نبّه الجرجاني – عند بناء نظريته – على السير وفق الدرجات التالية:

– ضرورة مراعاة المعنى في صناعة التركيب.

– ضرورة اتّساق دلالة التركيب مع الفكرة.

1111 – تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق حفني محمد شرف، دار إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، **425**

1112 – الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ط **1966**م ، **90/1** .

1113 – البيان والتبيين ، **89/1**، و العمدة ، **261/1**.

1114 – دلائل الإعجاز ، ص **93** .

1115 – تمام حسان ، مقالات في اللغة و الأدب ، ط**1** – **2006**، عالم الكتب، القاهرة، ص **332**

- ضرورة كمال المطابقة بين مقام المقال و مقام الحال.

إنّ الألفاظ خدم للمعاني ، ومعرفة المعاني مقامها الأول ، ثمّ تأتي مطابقة الألفاظ لها ، ثمّ ترتيبها في النفس ، ثمّ ترتيب الألفاظ بما يوافق الفكر و يناسقه.1116

- التغاير القرائي و إعجاز النظم القرآني:

لقد برز الإعجاز في النظم القرآني من خلال اتّساع المعاني القرآنية بأداة التغاير القرائي ، و مصطلح الاتّساع شجاعة عربية أصيلة لها تعلّق بالتطور الدلالي للمفردة العربية في إطار علاقة التطوّر بمقاصده و مظاهره 1117 ، و لقد أشارت النقول اللغوية إلى أصالة المصطلح و دقته، فالعرب مثلا كانت تسمّي الخروج إلى الميلين بريدا لا سفرا، ثمّ توسّعت فأطلقت لفظ السفر على البريد 1118، و لا تقف معرفة العرب بالاتّساع عند بيان معاني المفردات بل تعدّته إلى:

أ – الاتّساع بالأضداد ، و العرب إنّما أوقعت " اللفظتين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتساعهم في كلامهم.."1119 ، فإذا وقعت الكلمة " على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثمّ تداخل الاثنان على جهة الاتّساع ، فمن ذلك الصريم يقال لليل صريم و للنهار صريم لأنّ الليل ينصرم من النهار، و النهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد و هو القطع."1120

ب – الاتّساع بالحذف و الإيجاز كقاعدة التضمين في الفعل و الأداة قال سيبويه:" و ممّا جاء على اتّساع الكلام و الاختصار قوله تعالى:"وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

1116 – الجرجاني، دلائل الإعجاز 54،56

1117 – انظر علم الدلالة ، أحمد عمر مختار،ط5 ، ط 1998 ، عالم الكتب ، القاهرة، ص243 ،والتطور الدلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن ، عودة خليل أبو عودة ،ط1 ،1985 ،مكتبة المنار الزرقاء ، الأردن ، ص 56 .

1118 – انظر شرح الزرقاني على موطّأ الإمام مالك ،محمد عبد الباقي الزرقاني، ط1 ،1411 هــ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ،ص 424 .

1119 – انظر الأضداد في اللغة ،أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1960 ، دار المطبوعات و النشر، ص 8.

1120 – المصدر نفسه ،ص 9.

﴿٣٣﴾ "1121 ،و إنّما المعنى بل مكركم في الليل و النهار...و مثله في الاتّساع قوله عز و جلّ:"وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ "1122 ، فلم يشبّهوا بما ينعق و إنما شبّهوا بالمنعوق به ،و إنّما المعنى مثلكم و مثل الذين كفروا كمثل الناعق و المنعوق به الذي لا يسمع ، و لكنّه جاء على سعة الكلام و الإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى."1123

ت – الاتّساع بالمجاز " و إنّما يقع المجاز و يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة و هي: الاتّساع و التوكيد و التشبيه ، فإن عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلّم في الفرس هو البحر ، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه أمّا الاتّساع فلأنّه زاد في أسماء الفرس ...حتّى إنّه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتّساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء و لكن لا يفضى إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة..، و أمّا التشبيه فلأنّ جريه يجري في الكثرة مجرى مائه ، و أمّا التوكيد فلأنّه شبه العرض بالجوهر ، و هو أثبت في النفوس منه ، و الشبه في العرض منتفية عنه."1124

ث – الاتّساع بتعدّد الاحتمال في اللفظ و قوة التأويل في المعنى و رحابة النظم في التركيب " قال الأصمعي: خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة..، و إنّما الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمل – مع فصاحته و كثرة استعمال ألفاظه و سهولة تركيبه و جودة سبكه – معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدّة ، و ترجيح ما يترجح منها بالدليل "1125 ، و مثّل بعض أهل البديع بذلك فقالوا:" أن يتّسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه بحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني "1126 ، و منه أن يأتي المتكلّم في نظمه أو نثره "بلفظ فأكثر يتّسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله من المعاني كقوله تعالى:" وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ "1127، فقد اتّسع التأويل في

1121 – سبأ 33

1122 – البقرة 171

1123 – الكتاب ،سيبويه، ج1 ،ص 212 .

1124 – الخصائص ، ابن جني، ج2 ،ص 442 .

1125 – تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري ،تحقيق حفني محمد شرف،دار إحياء التراث الإسلامي،القاهرة ،ص 455 .

1126 – خزانة الأدب و غاية الأرب ،أبو بكر تقي الدين ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، ط1،1987 ،دار الهلال بيروت ،ج 2، ص 403

1127 – الفجر 3

هاتين اللفظتين لثلاثة و عشرين قولا "1128 ، و من هذا فإنّ الاتّساع إجادة صناعة النظم بحسن الإبداع في استنباط المعاني القريبة و البعيدة و جمال اختيار المباني البليغة إذ " لا يتصوّر أن يعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظٌ ترتيباً ونظماً ، وأنّك تتوخّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تمَّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وتقوّت بها آثارها ، و أنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني ، وتابعة لها ولاحقة بها ، و أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق "1129 ، و تجلّى الإعجاز باتّساع النظم في صورتين من خلال نموذجين:

- الصورة الأولى: إعجاز اتّساع معاني النظم عند وصف النعيم الأخروي.

و من الآيات القرآنية التي أسفرت عن وجه إعجاز النظم القرآني فصوّرت حقائق معاني المعاني قوله تعالى:" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾1130

- التوثيق القرائي:

لقد جاء لفظ أخفي في الآية على قراءتين:1131

1128 – أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر ، ط**1** **1969** ، دار النعمان، النجف ، العراق ،ج **6** ،ص **56** .

1129 – الدلائل،الجرجاني، ص**53**.

1130 – السجدة ، **15** ،**16**، **17**.

1131 – قرأ حمزة ويعقوب أخفي بإسكان الياء – لفعل مضارع مبني للمعلوم مرفوع بالتجرّد و فاعله ضمير مسند إلى الله تعالى – والباقون بفتحها – بالماضي المبني للمجهول – انظر السبعة ص **516** ،و النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي ، مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية، بيروت **2**– **347** ،و المكرر فيما تواتر من القراءات السبع و تحرر ، لأبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري المعروف بابن النشّار ، مراجعة طارق فتحي ، المكتبة التوفيقية ،القاهرة ص **287** ، و المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص **354** ، و الموضح في وجوه القراءات و عللها ،أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي – دكتوراه– ج**1** ص **1021**، و التذكرة في القراءات الثمان لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون الحلبي ، تحقيق أيمن رشدي سويد ،طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ج**2** ص **341** ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر

– الأولى: جاء الفعل فيها ماضيا – مبنيا للمجهول – يشير إلى تحقّق حصول النعيم مقيّدا بوصف الخفاء مع استقرار المتحقّق و الوصف و ثباهما.

– الثانية: جاء الفعل فيها مضارعا – مبنيا للمعلوم – و الأصل في المضارع الدلالة على الحركة المتجدّدة 1132، و هذه قرينة نحوية توحي بتجدّد إعداد النعيم مقيّدا بوصف الخفاء و زيادهما ، و أكّدت معنى التجدّد و زيادته المتدرّجة قرينة السياق اللفظي السابق الذي جمع أفعال المضارعة على المناسبة الزمنية ، و على هذا فإنّ العدول النحوي إذا وقع بين القراءتين من الماضي إلى المضارع فقد أفاد تجدّد الثابت و زيادته ، وإن وقع من المضارع إلى الماضي فقد أفاد ثبات المتجدّد وعدم نقصانه ، و بمجموع القراءتين أفاد التجدّد المستمر و الثبات المستقر استقلالا و اجتماعا ، و لقد دلّ ظاهر النظم القرآني أصالة على نفي العلم بالنعيم وإخفائه أصلا و فصلا عن عموم كل نفس مخلوقة بقرائن منها:

أ – نفي مادة العلم بأداة النفي " لا " ليفيد انقطاع عموم العلم عن كل نفس.

ب – ورود لفظ النّفس نكرة في سياق النفي 1133 ليفيد عموم كل نفس مخلوقة.

ت – الإحالة على المستحيل بالتخييل ، فالقرآن ينثر بين يدي المسلم رسائل الجمال فتنعكس محاسن الرسائل على مرآة النفس المتدبّرة عقلا و قلبا و روحا و حواسّا وخيالا فتستجيب النفس للجمال فتطير نحو آفاق النظر الفسيح ، و رحابة التأمّل الواسع لترسم المعاني الإضافية للتركيب و تصوّر حقائق الجمال الموعود.1134

ث – دلالة قرينة السياق اللفظي اللاحق " مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم " ،و يشهد له ما يلي :

୭ – ظاهر النظم إذ لو كان المقصود من لفظ النفس من أعّد لهم النّعيم و لما وقع العدول من صيغة المفرد " نفس" إلى الجمع "لهم ".

المسمى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات لأحمد بن محمد البنّا ،تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ،ط1 –1407 – 1987 ،ج2ص367 ،و إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ص 758

1132 – انظر السكاّكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور،ط2 ،1407 ، دار الكتب العلمية بيروت، ص 208

1133 – انظر المحصول في علم الأصول ، فخر الدين الرازي ، تحقيق طه جابر العلواني ، ط3 –1418 –1997 ،مؤسسة الرسالة، بيروت ، و شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي" ابن النجّار" دار الفكر ، دمشق 3– 137 ،و إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ،ط 1979 ، دار المعرفة ، بيروت، ص119

1134 – انظر في البلاغة القرآنية ،أسرار الفصل و الوصل، صبّاح عبيد درّاز، ط1، 1986 ،مطبعة الأمانة، القاهرة،ص69

ﷺ – باطن النظم إذ لا عبرة بقرّة العين – و على قراءة أبي هريرة قرّات أعين – 1135 إذا وقع الخفاء عن المنعم عليهم دون غيرهم بل غرّة الفقرة ، و درّة العبرة أن يعمّ الخفاء كل نفس ليتحقّق وصول عموم التشويق إلى التّعيم كل نفس مخلوقة ، ثمّ يزال الخفاء عن أهل النّعيم ليقع توفيقهم لما فضّلوا به عن غيرهم لتفضيلهم محابّ محبوبهم و تقديمها عن كل من دونه " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ " ، و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ "1136 ، أمّا إعجاز النظم في معنى المعاني فهو ذهاب المخاطب بفكره في تخيّل النعيم المخفي مذهب الاتّساع ، واستنفاذ وسعه بالتفكير في تصوّر حقيقة النعيم ، فيتقوّى دلالة اختلاف القراءتين بمسلكين:

- المسلك التوجيهي للقراءتين:

و دلّ توجيه التغاير القرائي على أنّ:

1– حذف فاعل الإخفاء – على قراءة الجمهور – يوحي بسعة خيال النفس في تقدير الوعد الإلهي ، وفي هذه الحالة الحذف أبلغ في موضعه من الذكر " لأنّ النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب ، و لو ذكر الجواب لكان مقصورا على الوجه الذي تناوله الذكر."1137

2 – ذكر فاعل الإخفاء – على قراءة حمزة ويعقوب – يوحي بسعة خيال النفس في تقدير حقيقة النعيم و تدلّ على ذلك وجوه البيان التالية:

1135 – روى البخاري في الجامع الصحيح قال حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ." قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ. رقم الحديث **4407**

1136 – صحيح مسلم ،رقم الحديث **5059**

1137 – الرماني، النكت في إعجاز القرآن ،ص**77**

أ – تصوّر النّعيم مع قيام وصف الإخفاء.

ب – تصوّر النّعيم مع قيام وصف الإخفاء مقترنا بقيد زمن الغيب.

ج – تعمّد الإبهام في اسم النّعيم وحقيقته – بالعدول عن قاعدة الاستعمال القرآني في الترغيب بالجنّة 1138 – ممّا أضفى بظلال الخفاء على حقيقة النّعيم فاتّسعت آفاق تخيّله ، وبرزت حكمة الإبهام في المقاصد التالية:

– بيان عظمة منزلة المنعم و عظمة النّعيم ، و من لطائف القراءتين أنّ أهل النّعيم لمّا أخلصوا أعمالهم لله تعالى وحده بإخفائها عن مشاهدة كل نفس مخلوقة أخفى الله تعالى تعيين النّعيم الموعود به لهم عن كل نفس مخلوقة " فلا تعلم نفس "1139 ، و لمّا اجتهدوا في إخفاء حظّ مشاهدة أنفسهم الأعمال الخالصة جاءت إحدى القراءتين لتخفي فاعل إخفاء النّعيم ، و لمّا كان مقصودهم من إخفاء أعمالهم تعظيم ربّهم و توحيده جاءت القراءة القرآنية الأخرى لتظهر فاعل الإخفاء.1140

– رجحانه في الفضل رتبة قال سيد قطب : " تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم ؛ وتولّيه بذاته العليّة إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة ، ممّا تقرّ به العيون، هذا المذخور الذي لا يطلع

1138 – لقد دلّ الاستقراء أنّ القاعدة القرآنية في الاستعمال القرآني عند الترغيب في الجنة تقوم على بيان تفاصيل النعيم وفق قاعدة الاشتراك في الأسماء دون المسمّيات لقوله تعالى:" و أتوا به متشابها " إلاّ أن الآية النموذج خرجت عن قاعدة الاستعمال القرآني.

1139 – روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال : قال:" قال الرب عز وجل : يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقص بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة " قال : فدخلت على يزداد فحدثنا بمثل هذا الحديث ، قلت له : فإن ذهبت الحسنة ؟ قال : " أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا " – وقرأ إلى قوله – " يوعدون " قلت له : أفرأيت قوله عز وجل:" فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين." قال:" العبد يعمل سرّا أجره على الله عز وجل فلا تعلم به الناس فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين." انظر المستدرك، 4–252 ،رقم الحديث 7749 – قال الحسن البصري:" أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم." أخرجه البخاري في التاريخ الكبير 7–113 ، والطبري في تفسيره، ج 18 ص 623 ، و أبو نعيم في الحلية ، 3–91 ، والبيهقي في الشعب 4–354 ، و الذهبي في السير 12– 340

1140 – فقد جاء فاعل الإخفاء ضميرا مستترا على قراءة حمزة ويعقوب ، وضميرا للشأن والعظمة على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه الشاذة ، و قاعدة الشرع تؤكد أنّ العبد إذا عظّم ربه تعالى عظّم الله منزلته في الآخرة وأنّ من ذلّ نفسه لله تعالى محبة وقربة رفع الله مرتبته بين العالمين و أعلى درجته في الجنان بين المقربين لهذا عرض الله أوصاف أهل دار السعادة تصريحا بنص وحيه فقال:" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ قال الضحاك : " هم قوم لا يزالون يذكرون الله إما في الصلاة و إما قياما و إما قعودا و إما إذا استيقظوا من منامهم هم قوم لا يزالون يذكرون الله." انظر تفسير الضحاك ، جمع و دراسة و تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي ، ط1 ، 1419 ،1999 ،دار السلام ، القاهرة، ج2 ص671 ،و عرضّ بذكر أحوال أهل دار الشقاوة ببيان سبب النزول فقد نقل الطبري أنّ قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة. انظر جامع البيان ، ابن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1 ،2001، دار هاجر، القاهرة ج18 ص608 ، و تفسير ابن جريج ،جمع و دراسة علي حسن عبد الغني ،ط1، 1413 ،1992 ،مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ص282

عليه أحد سواه ، والذي يظلّ عنده خاصّة مستورا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه...، وإنّها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله ، يا لله ! كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ! وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله ! ومن هم- كائنا ما كان عملهم وعبادتهم وطاعتهم وتطلعهم – حتى يتولّى الله جلّ جلاله إعداد ما يدّخره لهم من جزاء في عناية و رعاية وودّ و احتفال ؟ لولا أنّه فضل الله الكريم المنان !?
1141"

– تفاوت درجاته ، وتفاضل أهله 1142 ، فإنّ ذكر لفظ العين – قرّة أعين – في سياق الإكرام يوحي بأنّ الله تعالى أكرمهم بقدر حضور جوارحهم مع أعمالهم الخالصة إذ سياق الآية السابق يؤكد ذلك 1143 ، فالاتّعاظ بآيات الله تعالى يوجب استحضار عظمته عزّ و جلّ ، و من لوازمه البكاء ، وشاهده قوله صلى الله عليه و سلم :" و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.."1144 ،كما أنّ التهجّد الذي استوفى شرط الخوف منه تعالى ، و الطمع في نعيمه سبحانه من لوازمه البكاء ، و شاهد حال النبي صلى الله عليه و سلم يؤكد ذلك وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأبيّ بن كعب: " إنّ الله عزّ و جلّ أمرني أن أقرأ عليك "، قال: آلله سمّاني لك ؟ قال: " الله سمّاك لي " ، قال فجعل أُبيّ يبكي "، وفي رواية:" إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا" 1145 قال: وسمّاني لك؟ قال: "نعم" قال: فبكى، 1146 و يقرّره كذلك أنّ

1141 – سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج3 ص **1787**

1142 – روى مسلم بسنده عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عن الرسول صلى الله عليه و سلم قَالَ: سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ ادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ قَالَ رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ قَالَ وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ }الْآيَةَ ، صحيح مسلم ، رقم **276**

1143 – قال ابن زمنين : قوله تعالى:" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ – عن عبادة الله – ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ .قال الحسن :يعني قيام الليل – يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا – من عذابه – وَطَمَعًا – في رحمته يعني الجنة – وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ – الزكاة المفروضة – فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ -على قدر أعمالهم."

1144 – صحيح البخاري

1145 – البينة، **1**.

1146 – مسلم ،كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحُذّاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ، برقم **245** و **246**.

المنفق في سبيل الله تعالى حريص على سرّية صدقته ، و شاهده قوله صلى الله عليه و سلم :" و رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.." بل أكثر من ذلك فإنّ زمن التهجّد ناسب الإخلاص و الإسرار – التناسب النظمي– فعن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل ذكرت فيه صلاة النبي صلى الله عليه و سلم بالليل و أنّه بكى مرات ، قالت:" فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً ؛ لقد نزلت عليَّ الليلة آية ويل لمن قرأها و لم يتفكّر فيها " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ... " [1147]

– و دلّ بمعناه مع لفظ " أخفي" بقراءتيه على تصوير مشهد سعة خفاء النعيم الذي وعد الله تعالى به عباده الصالحين.

- المسلك النحوي للقراءتين:

و يتجلّى النحو القرآني لإعجاز نظم التغاير القرائي في الصورتين التاليتين:

1 – أن تكون " ما " من قوله تعالى:" مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم " استفهامية [1148] ،وحقّ الاستفهام الجواب عنه ، فتذهب النّفس ساعية في استفراغ جهدها بحثا عن الجواب بتخيّل النّعيم.

2 – أن تكون "ما " مرفوعة بالابتداء [1149] – وأخفي لهم خبرها – ومن حقّ المبتدأ بيانه بالإخبار عنه ، وحقيقة الخبر غائبة فتطلب النفس بسعة التخيّل حقيقة النّعيم المخفي سعة زمن تحقّقه ، وسعة مكان وجوده.

– الصورة الثانية: إعجاز اتّساع معاني النظم عند القصص القرآني.

و من أمثلة التغاير القرائي الذي أظهر إعجاز النظم بالاتساع قوله تعالى:"وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ

1147 – آل عمران، 190. و الحديث رواه ابن حبان في صحيحه، برقم 620، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: " إسناده صحيح على شرط مسلم "، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 86:" وهذا إ سناد جيد ."

1148 – إملاء مامنّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، ص 279

1149 – المصدر نفسه ،ص 279

وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ 1150

- التوثيق القرائي:

– لفظ الثمر و وجوه قراءاته:1151

أ– قرأ عاصم و أبو جعفر و الحسن و جابر بن زيد و رويس عن يعقوب و ابن محيصن بفتح الثاء و الميم و الثمر اسم جمع لثمرة و المراد به المأكول.1152

ب – قرأ ابن عامر و ابن كثير و نافع و حمزة و الكسائي بضمّ الثاء و الميم و يراد به النخل و الشجر بما فيها ،1153 و شاهده قوله تعالى:"وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾1154

ت – قرأ أبو عمرو و الأعمش و أبو رجاء و الحسن و اليزيدي بضمّ الثاء و سكون الميم اسم جمع على فعيل سكنت عينه للتخفيف ، و الثمر بالإسكان المال.1155

- التوجيه القرائي:

لقد ورد لفظ الثمر في الآية نكرة في سياق الإثبات فأفاد اتّساع اللفظ عموم المعاني و تنوّع الدلالات دلّ على ذلك ما يلي:

1150 – الكهف ، من **32** إلى **36**

1151 – النشر ج**2** ص **310** ، و الكشف عن وجوه القراءات ،ج **2** ص **59** ، و الحجة لابن خالويه ،**147** ، و التذكرة في القراءات الثمان ،ج **2** ص **413**،و الحجة للفارسي، ج **5** ص **143** ،و البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص**192**

1152 – طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي ،ط **1**،**2006**،دار العقيدة ،القاهرة، ص**112**

1153 – إتحاف فضلاء البشر **2** – **214** ، و مشكل إعراب القرآن، مكي بن أب طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ج**2** ص **42**

1154 – الأنعام ، **141**

1155 – طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي، ص**112**

أ – دلالة مشهد الصورة القرآنية على كثرة الثمار بكثرة الأشجار و تعدّدها ، و يشهد له ثلاثة أمور:

- دلالة الشاهد اللغوي في أنّ حدّ الجنّة مقترن بوصف الكثافة و الستر ، و عليه فالجنّة تشمل كل حديقة أو بستان تكاثرت أشجارها فتكاثفت ، و اشتّد التفاف أغصانها فسترت الأرض.1156

- القرينة اللفظية للسياق اللاحق في قوله:"أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا " وقوله كذلك:" قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا "، و أوحى التغاير القرائي مع دلالة السياق إلى أنّ كثرة الثمار هو الوصف الغالب على الأشجار المتنوّعة.

- التغاير القرائي لضمائر الألفاظ في السياق في قوله تعالى:"وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ 1157 ، فقد قرئ لفظ " منها " بالإفراد و التثنية 1158 ليدلّ الحديث عن الجنّة بالصيغة المفردة بالشكل العام على بيان كفر النعمة ، وبصيغة الجمع على بيان صفة الكثرة .1159

- شواهد الاستعمال القرآني لنظائر التغاير القرائي للفظ الثمار مع تغاير صيغه الصرفية كقوله تعالى:" إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ 1160 فقد قرئ " لفظ " ثمرة " بالإفراد و الجمع.1161

ب – دلالة كمال التوافق بين معاني وجوه التغاير القرائي المتّسعة من جهة ،و كمال التناسق بين المفردة القرآنية ، و مقاصد الموضوع القرآني من جهة أخرى ، و منه فقد دلّ لفظ الثمر بوجوه قراءاته على كثرة أصناف المال و تعدّده ، و دلّ موضوع الآية القرآنية على الاغترار بزينة الحياة الدنيا لتسهم مشاهد تصوير

1156 – انظر مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص **105** ، و حقائق التأويل، الشريف الرضي، ج**5** ،ص **246** .

1157 – الكهف ، **36**

1158 – قرأ أبو عمرو و عاصم و حمزة و الكسائي و خلف و سهل و يعقوب بالإفراد بعود الضمير على الجنة المدخولة " و دخل جنته " و قرأ نافع و ابن كثير و ابن عامر و غيرهم بالتثنية بعود الضمير على الجنتين في قوله " كلتا الجنتين " انظر الكشف عن وجوه القراءات ج **2** ص **60** ، و التذكرة في القراءات الثمان ،ج **2** ص **530**

1159 – انظر الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ عثمان الورفلي، ط**1** ،**2008** ،منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ،ليبيا، ص**224**

1160 – فصلت ، **47**

1161 – قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم و يعقوب و خلف و غيرهم لفظ الثمرات بالإفراد للدلالة على الكثرة و قرأها نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم و أبو جعفر و غيرهم بالجمع. انظر الكشف عن وجوه القراءات ، ج **2** ص **59** ،و التذكرة في القراءات الثمان ،ج **2** ص **529**

النعم الطبيعية المزخرفة في رسم لوحة ألوان تشكيلية متعدّدة و متنوّعة – يعضدّها تعدّد ذكر الأعناب و الزروع و النخيل المحيط و النهر الممتدّ بينهما– لينسجم مشهد التصوير الواسع مع مشهد اتّساع دلالات وجوه التغاير القرائي في بيان الموضوع القرآني بدقة عالية ، و براعة فائقة قال تعالى:" إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ"1162

ت – دلالة تعدّد الفروق الدلالية لوجوه التغاير القرائي على اتّساع معاني لفظ " ثمر" كالتالي:1163

- – أموال مثمرة نامية ، لأنّ اشتقاقه من فعل ثمّر الشيء إذا تموّله.
- – ما تحمله الأشجار من الفاكهة ، و منه قوله تعالى:"هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾"1164
- – الأولاد الصغار، و منه قوله تعالى:" وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾"1165
- – الذّهب و الفضّة على الخصوص.

و لقد دلّ الوجه الأول للتغاير القرائي على المعنى القريب المتبادر الذي أشار إليه ظاهر اللفظ ، و قرينة سياقه – هو ما تحمله الأشجار – ، و دلّ الوجه الثاني للتغاير القرائي على المعنى البعيد الذي أشارت إليه

1162 – فصلت ، من 47 إلى 51

1163 – انظر إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ، تحقيق علي بن سليمان العبيد ،ط1 ، 1997 ، مطبعة التوبة، الرياض ، ج2 ص 11 ، و إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، ص 94 ،و إبراز المعاني ص 569 ، و إتحاف فضلاء البشر ، 2 – 214

1164 – النحل ، 10، 11

1165 – البقرة ، 155

مستتبعات النظم القرآني – و هو المال عموما و الذهب و الفضة خصوصا– ، فأفضى تغاير وجوه القراءات إلى توّسع الدلالات الذي أظهر إعجاز نظم الآيات القرآنية في بيان الأحكام الشرعية و المقاصد القرآنية.

و لقد دلّ الإعجاز التصويري القرآني في عرض مشاهد النعم الربّانية مرتّبة الأجزاء لتجتمع في سياق تركيب واحد فتكوّن نظما مشاهدا يأبى التفكّك و التبعيض حيث بدأ بذكر النعم آحادا معطوفة فقال:" جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ " ، ثمّ عطف فقال:" وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ" ثمّ عطف فقال:" وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا " ثمّ عطف فقال:" كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا"،ثمّ عطف فقال:" وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا " ، فحبكت الثمرات المذكورات في نظم معجز باهر دلّت عليه بلاغة العطف ليتناسق جمع النعم بالذكر في صورة طبيعية بهية مع جمع المفردات بالعطف في صورة إعجاز نظم بليغ ، و لقد دلّ على المشهد الأول من الإعجاز الوجه الأول من التغاير القرائي و هو قراءة ضمّ الثاء و الميم ، ثمّ جاء المشهد الثاني بذكر النّعم الربّانية الأخرى ليتّسع مشهد النعم بدلالة معنى السياق عليه في قوله تعالى:" وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا "، فعدل التركيب عن ذكر لفظ الثمر إلى لفظ المال و الذرية – و هما معنيان ثابتان اتّسع لهما لفظ الثمر لغة و الوحي في الاستعمال القرآني من خلال مسلك النظائر و الوجوه – ، ليدلّ العدول اللفظي على اتّساع لفظ الثمر في المشهد الثاني إلى معنى الوجه الثاني من التغاير القرائي و هو قراءة ضمّ الثاء و سكون الميم ، و من لطيف الإعجاز في هذا النظم توسّط لفظ الثمر مشهدي القراءتين ، فدلّ السياق القبلي لمشهد ذكر النعم على قراءة ما حملته الأشجار ، و دلّ السياق البعدي لمشهد ذكر النعم على قراءة المال و الذرية ، و لقد أضفت أداة التمثيل القرآنية مسحة بلاغية في باب الاتّساع الدلالي على مستوى التغاير القرائي للمفردة القرآنية ، و على مستوى الموضوع القرآني.1166

1166 – و يعدّ التمثيل من أدوات التوسّع و التصرّف في الكلام عند العرب. انظر بلاغة التمثيل من : الوساطة بين المتنبي و خصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، ط 1966 ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، ص 428 ، و اللباب في علل البناء و الإعراب ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله النبهان، ط 1 ،1995 ، دار الفكر، دمشق، ج 1 ص 153

- التغاير القرآني و الإعجاز البلاغي:

- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير

- مقاصد التقديم والتأخير.

و من المقاصد الدلالية التي يعدل إليها أسلوب التقديم والتأخير ما يلي:

أ – التقديم قصد الاهتمام.

و منه قوله تعالى:" وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩" 1167 ، فقدّم المجرور اهتماماً به و إفهاماً ؛ لأنّ العلم وصف مختص به 1168، فهو المحيط علماً وقدرة بالسريرة و العلانية و الظاهر و الباطن.

ب – التقديم قصد التعظيم.

و منه قوله تعالى:" وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١"1169 ، فقدّم الجار بياناً لمنافع الشراب اختصاصا ، وتعظيماً لمنافعها عموما حتى كأنّ غيرها عدم.1170

ت – التقديم للعلم به.

و منه قوله تعالى:" ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ " 1171 ، فقدّم جلّ وعلا مفردة " البر" لعلم الإنسان به ، و أكثر ملابسة له ، وأخرّ مفردة " البحر" لأنّ إحاطة العقل بأحواله أقل ، وإن كان الحسّ قد دلّ على عجيب أمره و عظيم مخلوقاته ، فقرّب بالمحسوس في البر العظيم المعقول في البحر.1172

ث – التقديم للتخصيص.

1167 – الأنفال، **39**.

1168 – نظم الدرر ، **281/8**.

1169 – المؤمنون ، **21**.

1170 – نظم الدرر ، **127/13**.

1171 – الأنعام ، **59**.

1172 – ينظر نظم الدرر ، **136/7**.

و منه قوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ "1173 ، قال البيضاوي:1174 " إنّ كنتم تخصّونه بالعبادة " 1175 ، و منه قوله تعالى:" ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ " 1176 ، قدّم الجار تخصيصاً له لغيره كالمعدوم ،" فالذي قدر على تمييز النار من الماء والخشب و خبء النار فيهما ، لا النار تعدو على الخشب فتحرقه ، ولا الماء يعدو على النار فيطفئها قادر على تمييز تراب العظام من تراب غيرها."1177

ج- التقديم للاختصاص و مراعاة لحسن النظم.

و منه قوله تعالى:"إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ "1178 ، فقدّم مفعول " نعبد " و " نستعين " قصد الاختصاص 1179 ، ومعناه نخصّك بالعبادة فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بغيرك 1180 ، فلا تصحّ العبادة إلا له سبحانه ، ولا تجوز الاستعانة إلا به جلّ و علا1181 ،و جوّز صاحب الطراز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص ، و المشاكلة في التقديم مراعاة للمبنى و المعنى على السواء ، و عليه فالاختصاص أمر معنوي ، والمشاكلة أمر لفظي.1182

ح – التقديم لبيان شمول الإحاطة.

1173 البقرة ،: **172** .

1174 – هو قاضي القضاة أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، من بلاد فارس صاحب المصنفات و عالم أذربجان ، ولي قضاء شيراز، وكان إماماً بارعاً مصنفاً، فريد عصره، ووحيد دهر، أثنى على علمه وفضله غير واحد، من مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، توفى سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقيل: خمس وثمانين، انظر طبقات المفسرين، السبكي، **155/8**، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ،**83/2**.

1175 – الإيضاح ، **1** ، **111** ، وينظر الكشاف ، **1** ، **240** ، وتفسير البيضاوي ، **1** ، **119** .

1176 – يس ، **80**.

1177 – نظم الدرر ، **182،16**.

1178 – الفاتحة ، **5 ــ 6** .

1179 – ينظر الكشاف ، **1** ، **56** .

1180 – الإيضاح،**1** ، **111**، و البرهان ، **3** ، **236** ، وجواهر البلاغة ن **173**

1181 – ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، **32** ، **33** ،و التعبير القرآني ، **48**، ومعاني النحو ، **2** ،**509** .

1182 – الطراز ، **2** ، **62** .

ومنه قوله تعالى:" وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾"1183 " لمّا ذكر سبحانه وتعالى نفس الخروج وما فيه من الفساد ، وذكر ثمرته الخبيثة ، وهم عازمون على تحديد ذلك في كل وقت ، فلمّا كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم هلهلاً وبنياهم واهياً ، فإنّها من عمل الشيطان ، وكل عمل لا يكون لله إذا صدم بما هو لله اضمحلّ ، بذلك سبحانه وتعالى أجدى سنته ولن تجد لسنّته تحويلا ، فإنّ العاملين عبيد الله سبحانه ، وهو محيط بكل عمل سواء أكان ظاهراً أم باطناً ، فقدّم الجار والمجرور لشمول إحاطته بأعمالهم ، فلا شاغل له عنها و لا صارف."1184

خ – التقديم لبيان الأبلغ.

و منه قوله تعالى:" لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾"1185 قال البقاعي: " والرأفة شدّة الرّحمة فقدّم الأبلغ "1186 ، فسيرحمهم أعلى الرحمات فيسبغ عليهم أعظم النعم ، ويدفع عنهم الرزايا و النقم ، قال الطوسي:" الرّأفة أشدّ مبالغة من الرحمة ؛ ليجري – على طريقة التقديم بما هو أعرف – مجرى أسماء الأعلام ثمّ إتباعه بما هو دون منه ؛ ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه "1187 ، فدلّ تقدّم الرأفة على المبالغة ، و دلّ اجتماع دلالتي الاسمين على منتهى القوة.1188

د – التقديم للتشنيع.

و منه قوله تعالى:" قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ " 1189 ، فقد جاء في بيان النص القرآني أنّ الشرع الذي هو العقول ، بيّن كذب ادّعائهم في أنّهم أبعد الناس عن مطلق الكذب ، فصرّح القرآن أنّ الله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم في شيء من ادّعائهم

1183 – الأنفال ، 47.

1184 – نظم الدرر ، 8،297-298.

1185 – التوبة ، 117.

1186 – نظم الدرر ، 9،38.

1187 – التبيان ، 2،11، و البحث الدلالي في التبيان: 258.

1188 – ينظر البحث الدلالي في التبيان ، 258 ، و الفروق في اللغة ، 190

1189 – يونس ، 59.

، قال البقاعي:" وتقديم الجار للإشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث إنّهم أشدّ الناس تبرّء من الكذب وقد خصّوا الله ــــ على تقدير التسليم لهم ــــ بأن تعمّدوا الكذب عليه."1190

ذ – التقديم لبيان الأولى.

و منه قوله تعالى:" وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ "1191 ، فقدّم ذكر الأرض وأخّر ذكر السماء ، و ذلك لبيان الأولى ؛ لأنّه سبحانه لا يغيب عنه مثقال ذرة لا أصغر من ذلك و لا أكبر ، و ترك الجمع اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس.1192

ر –التقديم للتنبيه.

و منه قوله تعالى:" وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ " 1193 ، ولمّا كانت الدلالة بالنّجم أنفع الدلالات و أوضحها براً وبحراً ليلاً و نهارا نبّه الله تعالى على عظمها و كثير منافعها دون غيرها بتقديم الجار ، و أشار التقديم إلى أعظم من ذلك ، و هو عظمته سبحانه و وحدانيته.

ز – التقديم مراعاة لنظم الكلام.

و منه قوله تعالى:"خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ "1194 ، و وقع التقديم لرعاية الفاصلة.1195

س – التقديم لإرادة التبكيت و التقريع.1196

ومنه قوله تعالى:" وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ "، فقدم المفعول الثاني " شركاء " على المفعول الأول " الجنّ "، و الأصل " الجنّ شركاء " لأنّ المقصود توبيخ فاعل الإشراك و تقريعه ، وتقديم لفظ الشركاء أفلح في حصول المقصد و أصلح.1197

1190 – نظم الدرر ، **148،9**

1191 – يونس ، **61**.

1192 – ينظر ، معاني القرآن للفراء ، **317،1**، و نظم الدرر، **151،9**.

1193 – النحل ، **16**.

1194 – الحاقة ، **31** ، **32** .

1195 – ينظر وجواهر البلاغة ، **172** ، و المعاني في ضوء أساليب القرآن ، **169** .

1196 – ينظر البرهان ، **3** ، **236** ، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني ، **239** .

ش – التقديم لردّ سوء الفهم بسبب الاشتراك.

فقولك:" زيداً عرفت " لمن اعتقد أنّك عرفت زيداً وعمراً ، وتقول لتأكيده: زيداً عرفت وحده 1198،

ومنه قوله تعالى:" أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾"1199، فهنا لا ينكر عليهم ابتغاء الحكم ، وإنّما الذي ينكر عليهم هو ابتغاء حكم معين هو حكم الجاهلية بالذات.1200

ص – التقديم للعناية و التأنيس:1201

و منه قوله تعالى:" لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ "1202 ، و قدّم لفظ الإناث لجبر خاطرهنّ و رفع اللوم عنهنّ " ببيان أنَّ الخلق بمشيئة الله تعالى لا على وفق غرض العباد "1203 ،كما دلّ التقديم على الاهتمام بأمرهنّ و التوصية بهنّ و تأنيسهنّ " لأنهنَّ موضع الإنكار"1204، و اللطيفة الكبرى من التقديم هي التنبيه على أنّ الأنثى نعمة عظيمة ، و أنّ نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر بل قد تزيد عليها ،1205 فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال:" من يُمنِ المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ، لأنَّ الله تعالى بدأ بالإناث."1206

ض – التقديم لبيان الأهمية.

ومنه قوله تعالى:"۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ

1197 – ينظر البرهان ، **3** ، **236** ، و دلائل الإعجاز ، **222** ، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني ، **240** ، و إعراب القرآن ، الزجاج ، **2** ، **689**

1198 – ينظر مختصر المعاني ، **111** ، و المطول ، **198**.

1199 – المائدة ، **50** .

1200 – ينظر من أسرار اللغة ، **312** .

1201 – البرهان ، **252/3** .

1202 – الشورى ، **49**

1203 – المصدر السابق ، **252/3** .

1204 – المصدر السابق ، **252/3** .

1205 – نظم الدرر ، **17**، **354** .

1206 – نظم الدرر، **453/17** و ينظر جامع البيان، **25**،**27** ،و الكشاف، **3**،**475** ، أنوار التتريل،لبيضاوي،**2**،**366**

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ "1207 ، فبدأ بتقديم الأهمّ فالأهّم 1208، ومنه كذلك قوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ " 1209 قال البقاعي:" ولّما خصّ أشرف العبادة عمّ بقوله: وَاعْبُدُوا أي بأنواع العبادة رَبَّكُمْ المحسن إليكم بكل نعمة دنيوية و دينية...و لّما ذكر عموم العبادة ،أتبعها ما قد يكون أعمّ منها للأهمية "1210، ومنه كذلك قوله تعالى:"وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ " 1211 قال البقاعي:" وغيّر السياق فلم يقل: ولا تحسنون إلا إلى الوالدين ، إفهاماً لأنّ الإحسان إليهما يشركهما من بعدهما ، وجبر فوات هذا الحصر بتقديمهما إيذانا بالاهتمام "1212 ، و قال أبو حيان:" وكان تقديم الوالدين لأنّهما آكد في البرّ والإحسان ، و تقديم المجرور على العامل اعتناء بمتعلّق الحرف وهما " الوالدين " و اهتماما بأمرهما."1213

- الإعجاز البلاغي بتقديم المفعول به و تأخيره.

الأصل في الجمل المتكوّنة من الفعل والفاعل والمفعول به أن يتقدّم الفاعل ويتأخّر المفعول ،ليتزّل الفاعل من الفعل مترلة الجزء وكذلك المفعول 1214 ،و قد شاع عند العرب من خلال استقراء الكلام عندهم كثرة تقدّم المفعول على الفاعل ، و أكّد ذلك الاستعمال القرآني الكثير حتى أصبح قسما قائما برأسه يسابق الأصل في تكوّن الجملة العربية ،1215 و يعتبر سيبويه أوّل النحاة الذين فتحوا لعلماء الإعجاز باب الوقوف

1207 – البقرة ، **177**

1208 – التسهيل، ابن جزي، **69/1** .

1209 – الحج ، **77**

1210 – نظم الدرر ، **13**،**99 – 100** .

1211 – البقرة ، **83**

1212 – نظم الدرر ، **2**،**2** ، و انظر الكشاف ، **1**،**292** ، وانوار التتريل ، **1**،**72** .

1213 – البحر المحيط ، **1**، **283** .

1214 – انظر الأشباه و النظائر: **79/2**.

1215 – انظر ابن جني، الخصائص: **296/1– 299**.

على المعاني البلاغية و عللها ، و على الأسرار البيانية و مسالكها [1216]، و قد وقفت على الإعجاز في هذه الصورة من خلال نموذجين من التغاير القرائي:

1 – دلالة التغاير القرائي على الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير في مجال القصص القرآني.

و مثّلت له بقوله تعالى" فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾"[1217]

– **التوثيق القرائي:**[1218]

– قرأ ابن كثير بنصب آدم و رفع كلمات.

– قرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات.

– **التوجيه القرائي:** [1219]

– قراءة ابن كثير: أسندت الفاعلية إلى الكلمات و المفعولية إلى آدم عليه السلام ، فأفادت أنّ الكلمات التي ألهمها الله تعالى آدم عليه السلام ليدعوه بها فيغفر له هي التي تلقته وكانت سببا في نجاته وتوبته ، فالكلمات هي الفاعلة وآدم عليه السلام هو المستَنْقَذ بها.

– قراءة الجمهور: أسندت الفاعلية إلى آدم عليه السلام ، و المفعولية إلى الكلمات، فأفادت أنّ آدم عليه السلام هو الذي تلقّى هذه الكلمات بنفسه من ربه تعالى ، فاستقبلها بالفهم ، و أخذها بالحفظ ، فآدم عليه السلام هو القابِل لهذه الكلمات ، والكلمات هي المقبولة ، و قد نجمع بين القراءتين فنقول: [1220] لمّا

1216 – انظر سيبويه، الكتاب: 1/34، و الجرجاني ، دلائل الإعجاز: 84–85.

1217 – البقرة 37

1218 – انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ،2–159 ، وغيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي، ص38 ، والكافي في القراءات السبع ، أبو عبد الله محمد بن شريح، تحقيق جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ص62 ،و أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي ، العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد وخليل عطية، دار عصمي للنشر و التوزيع ،القاهرة، ص69

1219 – انظر حجة القراءات ، ابن زنجلة، ص 95، و الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب،1 – 237، والحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، ص75

1220 – و يطلق لفظ التلقي على الاستقبال ،و على التعرّض للقاء على صيغة التفعّل ،و على الأخذ و القبول ،و على التعليم و التعلّم. انظر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار ، تحقيق محمد علي آذرشب، ط1 – 2008 ، مركز البحوث و الدراسات ، طهران ،1– 298

علم الله تعالى حرص آدم عليه السلام استقبال الكلمات الشرعية بالتوبة 1221 ، و صدق تلقيه لها عزما بالأوبة اصطفاه إلى الخير فاجتباه ، و ألهمه العلم النافع ، و إلى العمل هداه ، فأضحت الكلمات حبل القبول 1222 ، وتجسدّت صورة التوبة النصوح بوصف الله تعالى له : " قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ 1223 ، وظهر مشهد التوفيق الإلهي بتلقي كلماته الكونية ،1224 توبة عبده الشرعية "ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ "1225

- الإعجاز بين بلاغة التقديم و التأخير وأثر أحكام التجويد:

لقد اجتمعت فنية بلاغة التقديم و التأخير و دلالات مباحث التجويد – من خلال حكم الإخفاء في النون الساكنة و التنوين – على بيان المعاني الخفية المبثوثة في التغاير القرائي ، فقد دلّ التقديم و التأخير – بمجموع القراءتين – مع حكم الإخفاء – في لفظ كلمات رفعا و نصبا – على خفاء التوبة بين العبد و ربّه ،و يؤكد هذه الحقيقة القرائن التالية:

أ– دلالة لفظ التلقّي على مطلق الفهم و الفطنة ، فالفهم سرّ دقيق خفي على من استوى علمهم ، و قدر زائد راجح على من تكافأت معارفهم ، و الفطنة دقّة النظر في الأمور1226 ، و على هذا فإنّ مقام التوبة سرّ خفيّ لا يتحقّق إلا باجتماع الفهم و الفطنة ، فالفهم حضور العقل بعد غيابه عند المعصية ، و الفطنة صحوة بعد غفلة قاتلة ، و قديما قالوا:" التدبّر والتفكّر يبحثان عن الفطنة ويكشفان الحزم."1227

1221 – الكلمات الشرعية هي كلمات الاستغفار – الواردة مفعولا– و التي وقع الخلاف في تفسيرها دون ترجيح، و التي منها تمثيلا قوله تعالى:" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ الأعراف ، **23**

1222 – انظر أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ،ص**95** ،و أبو القاسم النويري ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، عبد الفتاح سليمان أبو سنة ، المطابع الأميرية ،القاهرة ،**4–20** ، قال الطبري: " فلقّى الله آدم كلمات توبة فتلقّاها آدم من ربّه وأخذها عنه تائباً فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه." انظر جامع البيان ، **1–317**

1223 – الأعراف ، **23**

1224 – الكلمات الكونية هي الكلمات – الواردة فاعلا – و التي ينبني عليها مبحث القضاء و القدر و هي المقصود من عموم قوله تعالى:" قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ سورة الكهف الآية **109**

1225 – طه ، **122**

1226 – أبو عبيد ، غريب الحديث **4– 409**

1227 – التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون، **1– 379** ،

ب- دلالة لفظ " كلمات" على مطلق الخفاء ، و تقرّره جملة من المسالك :

- ورود اللفظ نكرة في سياق الإثبات لإفادة عموم الإبهام.1228

- دلالة الإيماء في لفظ التلقّي تشير إلى بُعد آدم عليه السلام ، وعليه فإنّ المعصية توجب الهجر و الإبعاد ، و لازم الإبعاد الإخفاء.1229

- دلالة التقديم و التأخير بصورة التغاير القرائي تظهر جمال التقابل الوظيفي الخفيّ بين عناصر الجملة العربية 1230 – فالمقدّم مؤخّر و المؤخّر مقدّم – ففعل تلقّى من الأفعال التي الفاعل فيها مفعول ، و العكس صحيح بحيث لا يتغيّر المعنى عند تغيّر الإسناد كقول العرب: نلت خيرا ، و نالني خير1231 ، و منطلق هذا التقابل أصل الحمل عل المعنى 1232 و قاعدته استصحاب مقام معهود العرب عند الخطاب ، و منه أفضى جمال التقابل بين اللفظين إلى تحقيق أسلوب القصر بالتخصيص المشعر بخفاء الاصطفاء 1233 قال تعالى: "ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ "1234.

- اتّساع الخلاف في تفسير لفظ الكلمات شاهد نقلي قوي على معنى الخفاء ، فقد نقل أبو حاتم لوحده في تفسيرها ستة وجوه 1235 ، و علّق أبو حيان على الخلاف فقال:" واختلفوا في تعيين تلك الكلمات على أقوال ، وقد طوّلوا بذكرها ، ولم يخبرنا الله بها إلا مبهمة "1236 ، و قلّل ابن عاشور من ثمرة الخلاف

1228 – انظر المسألة و الخلاف فيها من : كشف الأسرار للبخاري، 2،11 ، و تنقيح الأصول مع التوضيح والتلويح، 55 – 66 ، و التمهيد للأسنوي 93 ، و أصول السرخسي 158 – 159 ، و المنخول 146 ، والمسودة 103 .

1229 – تفسير الألوسي، 1 ، 237

1230 – إن المقصد من مراعاة التقابل الوظيفي بين اللفظين الوقوف على علل التقديم و التأخير بالإيضاح و البيان فلو " كان كل فن من العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلم و لا خفي و لا جلي لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها فالخير يعرف بالشر و النفع بالضر و الحلو بالمر والصغير بالكبير و الباطن بالظاهر.." ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن،ص87 و انظر الجرجاني، التعريفات، ص 185 ، و ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط4- 1972، دار الجيل، بيروت ،2- 12

1231 – انظر الأزهري ، معاني القراءات ،ص49 ، و ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص28 ، وأبو علي الفارسي، الحجة ،2- 40 ، و الكرماني، مفاتيح الأغاني في القراءات و المعاني، ص101

1232 – انظر مباحثات لسانية ، ص145

1233 – و القصر بالتقديم والتأخير مبحث لغوي جليل ، ولون بلاغي دقيق بيّن مقاصده كبار النحاة و البلاغيين أمثال سيبويه والسكاكي، و فتق الجرجاني بنات أفكاره بالتفصيل. انظر السكاكي، مفتاح العلوم ، 133 ، و الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 143 .

1234 – طه ، 122

1235 – تفسير ابن أبي حاتم ، 1 ، 90

1236 – تفسير أبي حيان ، 1 ،372

فقال:" ولهم في تعيين هذه الكلمات روايات أعرضنا عنها لقلّة جدوى الاشتغال بذلك ، فقد قال آدم الكلمات فتيب عليه، فلنهتم نحن بما ينفعنا من الكلام الصالح و الفعل الصالح."1237

ت – الدلالة على سرّ اللطف الإلهي للملتقّى– على قراءة تقديم المفعول – بشمول الرعاية الربانية ، و على علوّ مقامه عند الله تعالى بعد التوبة بعظيم الاهتمام به يؤكد هذا الملمح البلاغي استقراء دلالة الاستعمال القرآني كقوله تعالى:" وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾1238 ، فإذا دلّ التقديم في آية إبراهيم عليه السلام على زيادة الاهتمام بالمبتلى بعد العلم بالمبتلي1239 ، فقد أشارت قراءة تقديم وصف الفاعلية لآدم عليه السلام حرصه على التلقّي الذي كان سببا في التوبة من خلال دلالة الفاء على التفريع 1240 في قوله تعالى:" فَتَابَ عَلَيْهِ "، و إلى قوّة الاهتمام بتوبة المبتلى، وتصوير ملامح نفسيته 1241 ، وألمحت إلى تقديمه في الرتبة ، و تشريفه بعلوّ المنزلة من خلال إضافة ضمير المفعول المتقدّم إلى لفظ الربوبية الدالّ – من ربّه – على كمال الرعاية الربانية ، و تمام التكريم الإلهي.

ث– الدلالة – بمجموع القراءتين – على تفرّد الحقّ سبحانه بسرّ كمال التوفيق إلى كمال التلقّي والقرينة اللفظية " من ربّه " تقرّر ذلك ، و تشير إلى اختفاء المشروط – كمال التوفيق – لخفاء الشرط – كمال التلقّي – يقرّر هذا – مرجع الضمير في الأفعال المذكورة إلى الذات المقدّسة – قوله تعالى:"ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ "1242.

1237 – تفسير ابن عاشور ،1 ، 187

1238 – البقرة ، 124

1239 – ابن عطية ، المحرر الوجيز، 1– 347 ، وحسين بن أبي العز الهمذاني ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تحقيق محمد حسن النمر و فؤاد علي مخيمر ، دار الثقافة ، قطر، ط1، 1411، 3، 368 ، وأبو حيان ، البحر المحيط،1، 375

1240 – و التفريع ما وقع قبل الفاء و كان علّة لما جاء بعدها أمّا التعليل فهو وقوع ما بعدها علّة لما قبلها .انظر الكواكب الدرية ،2– 94

1241 – و الآية 23 من الأعراف تبيّن ذلك و توضّحه ، فقد اعترف، واستلطف .

1242 – طه ، 122 و في لفظ الكلمات دلالات على جبر نقيصة المعصية الصغيرة بعظيم النوال. انظر إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، تحقيق علي بن سليمان العبيد، ط1 ،1997 ،مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ج1 ص93

ج – دلالة صيغة تفعّل في لفظ التلقّي يستشّف منها قصد التعمّد من آدم عليه السلام على استقبال الكلمات 1243، وعزيمته على حفظها ، وظهر ذلك بشدّة إقباله – عليه السلام– على الندم بالإقرار ، وعظمة إقدامه على التوبة بالإصرار" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ 1244، وقديما قالوا: "إجالة الفكر و استخراج الفطنة تتبّع الإساءة بالندم ، وتتبّع الندم بالإقلاع. "1245

و لّما حصل من آدم عليه السلام كمال الفهم و حسن التلقّي صانه ربّه سبحانه بكمال الحفظ و الرعاية ، و وفّقه لكمال الهداية 1246 ،قال تعالى: " وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ 1247

2 – دلالة التغاير القرائي على الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير في مجال العقيدة.

و مثّلت له بقوله تعالى :"وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ 1248

– توثيق التغاير القرائي و توجيهه.

أ – لفظ الجنّ و وجوه قراءاته:

1243 – البستان في علوم القرآن ،أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني، رسالة ماجستير،كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ص **114** .

1244 – الأعراف ، **23**

1245 – الطرطوشي ، سراج الملوك ،**1 – 171** ،

1246 – و يظهر كمال الحفظ في افتتاح قوله تعالى :" إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" بأن المؤكدة ثمّ عرف الخبر و وسط ضمير الفصل لقصر التوبة على الله تعالى وحده و تأكيد الحصر له دون غيره ثم جيء بهما على صيغة المبالغة لتأكيد قبول توبة العاصي، و في حصر الوصفين بالجمع وعد للتائب بالعفو و الاحسان. انظر تفسير البيضاوي ، **1– 144**

1247 – التوبة ، **118**، فقد ضاقت الأرض عليهم همّا و غما مع سعتها ، و ضاقت أنفسهم عليهم كربا و وجدا فلم يجدوا أنسا و لا سرورا. انظر الطبري، جامع البيان ، **14– 542** ، و تفسير ابن عادل ، **2–490**

1248 – الأنعام ، **99– 100– 101**

لقد تعدّدت أوجه التغاير القرائي للفظ "الجنّ" فقرئ بالتثليث – المتواتر و الشاذ – على الوجوه التالية:1249

✵– قراءة النصب:1250 ولها أربعة أوجه في التعليل:

– بدل من شركاء 1251 ، و قد ضعّف هذا القول لعدم كمال المراد من الخطاب عند قيام البدل مقام المبدل 1252 ، بل قد يدلّ البدل على نفي عموم الاتّخاذ ، و هذا معنى مراد من التقديم و التأخير.

– عطف بيان من شركاء 1253 ليدلّ على عظيم ما اختلقوا ، و على حقارة ما عبدوا.

– منصوب بفعل مضمر مقدّر تقديره: "أعني".1254

– مفعول به أوّل مؤخر وشركاء مفعول به ثان مقدّم1255.

✵– قراء ة الرفع:1256

ولها وجهان في التعليل:

– لو وقع الاقتصار على" وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ " لصحّ أن يراد به الجنّ والإنس و الحجر ، فجاء تقدير السؤال – ليبرز ما دلّ عليه موضوع الآية – ومَنْ أولئك الشركاء ؟ فقيل: الجنُّ.1257

– تقدير مبتدأ محذوف " هم الجنُّ. "1258

1249 – انظر أثر التغاير الإعرابي في فهم الخطاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تقديم وفهرست حسن حمد وإميل بديع يعقوب ، ط1، 1998 ،دار الكتب العلمية، بيروت ،2،471.

1250 – قراءة الجمهور انظر معاني الفراء ، 1– 348 ، و إعراب النحاس،1– 570

1251 – ينظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب،ط3، 1409هـ–1988 ، 25/2، والزمخشري ،الكشاف، 52/2، و أبو البقاء محب الدين العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ،بيروت ، 255/2.

1252 – ينظر تفسير الرازي ، 114/13.

1253 – ينظر الكشاف، 52/2، وتفسير الرازي ، 114/13.

1254 – معاني القرآن للفرّاء ، 348/1، وينظر البحر المحيط ، 193/4، وقطف الأزهار في كشف الأسرار ، 919/2.

1255 – ينظر إعراب القرآن للنحاس ، 525/2، والكشاف ، 52/2.

1256 – قراءة أبي حيوة و يزيد بن قطيب و أبي المتوكل و أبي عمران و الجحدري. انظر البحر المحيط 4 –193 ، و زاد المسير ،3– 96 ، ومختصر ابن خالويه ، 39

1257 – تفسير الرازي ، 114/13.

1258 – وهو قول الكسائي. ينظر مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط 1395هـ–1975 ،دار الحرية للطباعة ، بغداد، 264/1.

❁– قراءة الخفض: 1259 و لها وجه واحد في التعليل:

– الإضافة للتبيين ، والمعنى المقدّر أشركوهم في عبادته.1260

ب – لفظ " خرّقوا " و وجوه قراءاته:

لقد تعدّدت أوجه التغاير القرائي للفظ " خرّقوا " فقرئ كما يلي:1261

❁– قراءة الجمهور بالتخفيف دلّت على قليل الشرك المختلق وكثيره.

❁– قراءة نافع بالتثقيل – التشديد – دلّت على التكثير الحاصل بتمام المطابقة بين المبنى و المعنى بوجهين:

– كثرة الشرك المخترق.

– كثرة فاعل – المشركين – فعل التشديد 1262 ، فالمشركون قالوا الملائكة بنات الله ، و قالت اليهود عزير ابن الله ، و قالت النصارى المسيح ابن الله 1263 ، فأجمعوا على اختلاق الشرك الكثير ، و اجتمعوا على افتراء الكفر العظيم ، و جملة " وخرّقوا له بنين و بنات " بالقراءتين تفسير لفعل الجعل فقد أفادت جملة العطف التفسيرية انتفاء مطلق الشرك و الشركاء.

– دلالة التغاير القرائي على الإعجاز البلاغي بالنظم القرآني:

للنظم القرآني تصرّف بلاغي من خلال فنية ترتيب الكلام – التقديم والتأخير – لتحقيق أغراض دلالية أهمّها قاعدة الاحتراز للمعنى فقد تصرّف النظم القرآني في أجزاء الجملة من قوله تعالى: " وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ " غاية التصرّف و أكمله ، و منتهى التفنّن و أحسنه، فأصل الكلام أن ترد الآية وفق الرتبة التالية " وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ "، فيقدّم المفعول به الأول " الجنَّ " ، ثمّ المفعول الثاني "شركاءَ" ، ثمّ شبه الجملة "لله" ، لكنّ بلاغة إعجاز النظم عدلت عن رتبة مراعاة الأصل في الكلام إلى معنى مقصود بالاحتراز ، فجاء النظم

1259 – قراءة شعيب بن أبي حمزة و أبي حيوة. انظر البحر المحيط **4** –**193** ، و الكشاف **1**– **520** .

1260 – ينظر الكشاف **52/2**، وتفسير الرازي **114/13**.

1261 – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ،ج **1** ص **143**

1262 – ابن أبي مريم ، الموضح في وجوه القراءات و عللها ، ج **1** ص **490**

1263 – الحجة للقراء السبعة ،أبو علي الحسن الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي و بشير جويباتي، ط**1** ، **1987** ،دار المأمون للتراث، دمشق ، **3** – **656** ، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي،ط **1** ، **1999**، مكتبة السوادي ، جدّة، السعودية، ص**264**

على قوله: "وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ" ؛ ولو جاء النظم على الأصل – "وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ" – "لم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنّهم عبدوا الجنّ مع الله ، أمّا إنكار المعبود الثاني على الإطلاق فلا يكون في اللفظ دليل عليه مع تأخير الشركاء ، و ذلك أنّ التقدير في التقديم هو: أنّ شركاء مفعول أوّل لجعل و لله في موضع المفعول الثاني و يكون الجنّ على تقدير آخر و هو كأنّه قيل: فمن جعلوا شركاء لله؟ فقيل: الجنّ" 1264 ، فيترتّب على هذا التقديم ما يلي:

أ– وقوع الإنكار يقينا على وجه الإطلاق دون قيد الاختصاص على جاعل الشريك لله تعالى.

ب– الدخول الكلّي لمطلق الشركاء من غير الجنّ في حكم الإنكار.

ت– دفع توهّم معنى فاسد بالاحتراز للمعنى الصحيح فإذا قيل: "وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ" كان الجنّ مفعولا أول و الشركاء مفعولا ثانيا فيكون الشركاء مخصوصا غير مطلق لاستحالة أن يجري الخبر على الجنّ ثمّ يكون عاما فيهم و في غيرهم، فبقي احتمال أن يكون المقصود بالإنكار هو جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم...فيحتاج في نفي هذا الاحتمال إلى أن يقال: " وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ "1265

ث– أنّ النفي و الإنكار يشتركان في الحكم الواحد 1266 ، و على هذا فإنّ النكرة إذا تجرّدت ثمّ تعلّقت بالنفي أفادت وقوع عموم الإنكار ، فحصل من ذلك أنّ اتخاذ الشريك من غير الجنّ قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجنّ.1267

ج– التنبيه بالتقديم والتأخير في متعلقات الإسناد 1268 على كمال الاهتمام بمطلق المعنى المقصود ، و تمام العناية به من وجهين :

1264 – الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، ط**1**، **1992**، ص**222**

1265 – المصدر نفسه ،ص**222**

1266– نظم الدرر ، **215/7** – **216** ، و انظر كمال الدين عبد الواحد بن الخطيب الزملكاني ، المجيد في إعجاز القرآن المجيد، تحقيق شعبان صلاح، ط**1**–**1989** ، دار الثقاف العربية ، القاهرة ، ص **122**

1267 – انظر البغوي ، معالم التنزيل: **165/2** ، والنيسابوري، غريب القرآن **203/7** ، و السيوطي، الدر المنثور: **37/3** ، و الشوكاني، فتح القدير: **147/2**.

1268 – و أقصد بالمتعلقات ما اصطلح عليه بالفضلة كالمفاعيل والحال والتمييز والتوابع...إلخ انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني، مطبعة المقتطف، مصر **1914** م ،ج**2**ص**69** ، و من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب ، بيروت، ط **2** ،**1984** م، ج**1**ص**269**، و الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، فاضل صالح

- تقديم اسم الله– المفعول الثاني – على الشركاء – المفعول الأول– " لاستعظام أن يتّخذ مع الله شريك سواء كان ملكا أم جنّيا أم إنسيا أم غير ذلك."1269

- تقديم لفظ الشركاء لاستعظام فضاعة الإشراك ، و بيان منتهى شناعته.1270

- دلالة تغاير الوقف و الابتداء على الإعجاز:

لقد جاء الوقف في الآية على درجات ثلاث:

أ – الوقف على لفظ شركاء من قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ " فينتهي المعنى بذلك و يكتمل على رأي السكّاكي لينصبّ حكم الإنكار على الشركة أصالة ، فيتحقّق بذلك مقصد عقائدي صرف عنوانه كمال التنزيه ، و يكون لفظ الجنّ على قراءة الرفع كلام مستأنف إمّا جواب شديد الإنكار لسؤال عن الشريك المتّخذ ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم الجنّ.1271

ب – الوقف على لفظ الجنّ من قوله تعالى:" وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ "، فيكون المعنى كافيا 1272 مع تعلّقه بما بعده ، و يكون التقدير مع التقديم على مذهب الجرجاني " أنّ شركاء مفعول أول لجعل و لله في موضع المفعول الثاني ، ويكون الجنّ على كلام ثان على تقدير أنه قيل: فمن جعلوا شركاء الله تعالى؟ فقيل الجن وإذا كان التقدير في شركاء أنّه مفعول أوّل و لله في موضع المفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء ، وحصل من ذلك أنّ اتخاذ الشريك من غير الجنّ قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن."1273

السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد، 1998 م ،ص 6 ،و الزركشي، البرهان، ج1ص386 ، و الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان، ط5 ،1980 م،ص207 .

1269 – الزمخشري ، الكشاف ، 2 ، 380

1270 – نظم الدرر ، 7/215 – 216، و انظر ما قيل في الآية عند البغوي ، معالم التتريل، 2/165 ، و النيسابوري، غريب القرآن ، 7/203 ، و السيوطي، الدر المنثور ، 3/37 ، و الشوكاني، فتح القدير: 2/147 .

1271 – السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 133 ، وحلمي مرزوق ،النقد و الدراسة الأدبية، ط1– 1982 ،دار النهضة العربية، بيروت ،ص 133

1272 – المكتفى في الوقف و الابتدا ، لأبي عمرو الداني ، ص 257

1273 – الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 131

ت – الوقف على لفظ خلقهم من قوله تعالى:" وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ " يدلّ على حصول الشرك منهم في ربوبيته سبحانه بعد دلالة صدر الآية على حصوله منهم في ألوهيته ، و يشهد لهذه الدلالة ثلاثة مسالك :

- إذا تعلّق الخلق بالجاعلين له الشركاء كان المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ، و إن رجع إلى الجنّ كان المعنى: والله خلق الجنّ ، فكيف يكون الشريك لله مُحدِثا؟ 1274
- تعلّق معنى لفظ " وخلقهم " بما قبله و بما بعده ، و عليه فقد أفاد تحقّق وقوع فعل الخلق منه سبحانه عليهم يقينا لثبوت الفارق بين الخالق و المخلوق.1275
- دلالة واو الحال على استصحاب وقوع وصف الخلق عليهم عند الردّ عليهم على تقدير: جعلوا لله شركاء وهو خلقهم ليتّسع فعل الخلق اتّساع معنى الضمير في عوده على مسمّى الجنّ و الجاعلين ، 1276 و بهذا ظهر الكمال الإلهي ، وبطلت الشركة بوجهين:

– بطلان استحقاق الشركاء حكم الشركة في الألوهية ، لوقوع وصف الخلق عليهم، فيسقط بذلك حكم التسوية بينهم و بين الخالق.

– بطلان إصدار حكم الجعل و الخرق من المشركين بدلالة نفي العلم عنهم.

– دلالة التغاير الصوتي على الإعجاز البلاغي:

صفة حرف الخاء الانفتاح ينساب الهواء عند النطق بها ، و يساعد طول مخرجه على سعة الانسياب ، فيحدث تماوج صوتي يأخذ منحى الشدّة و القوة عند اجتماعه مع حرف الراء المكرّر ، فيجتمع تموّج الخاء مع تكرّر الراء ليحدث المضاعفة 1277 ، و تظهر هذه المضاعفة في معاني لفظ الخرق الذي يدور معناه في أصل الوضع على دلالة القطع المتّسع مع تعيّن وصف الفساد و انتفاء وصف التدبّر1278 ، فاجتمعت بذلك

1274 – ابن الجوزي، زاد المسير، **2** ،**385**

1275 – و هذا التحقّق أفادته " قد" – التي يشترطها النحاة لثبوت جملة الحال للماضي القريب– لكن دلّ الاستعمال القرآني على حذفها ليفيد جملة الحال التي توغّل فعلها في الزمن الماضي فيشير إلى أنّ وصف الخلق قد عمّهم و شمل غيرهم في الزمن الموغل في الماضي، و أن الله انفرد بخلقه إياهم، و هذا من ملامح إعجاز النحو القرآني .انظر نحو القرآن، أحمد عبد الستار الجواري، ط **1974** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ص **96**

1276 – التسهيل لعلوم التنزيل **2** ، **143**

1277 – انظر التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ص**100** ، و الكتاب ،سيبويه ،**4**– **136**

1278 – الأصبهاني، المفردات، ص **279** ، و الزمخشري، الكشاف،**2**– **53** ،و ابن عاشور، التحرير و التنوير،**7**– **407**

دلالات أصوات المباني و اشتقاقات المعاني على تصوير بشاعة الاختلاق و شناعة الاختراق في نسبة الشركاء إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف.[1279]

اختلف العلماء في إطلاق لفظ الحذف و الزيادة على القرآن و الذي نراه ظاهرا و الله تعالى أعلم أنَّ مصطلحَ الحذفِ و الزيادة و إن عُرِف عند أهل النحو و البلاغة ، فإنّه لا يتناسبُ مع الحقيقة القرآنية ، و لا ينسجم مع دقّة الاصطلاحات الشرعية ، ذاك لأّن الله تعالى وصف كلامه بالكمال فقال:"ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ "[1280]، و نزّهه عن اللغو و النقصان فقال سبحانه:"إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ [1281]، و انطلاقا من هذه المسلّمات فإنَّ القرآنَ الكريمَ أصلٌ قائم بذاته ، والحذفُ خلافُ الأصل، و الكلام إذا دار بين الحذفِ وعدمِه كان الحملُ على عدمِه أولى و أرجح ، لأنَّ الأصلَ عدمُ التغيير ،[1282] و عليه فكل ما في القرآن من تراكيب معينة فإنّها الأصل الذي لا يقبل الوصف بالحذف المشعر بالإسقاط و الطرح ،[1283] و هذا من حسن الفهم عن الله تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و سلم إذ يجب على من تصدّى لفهم القرآن " أنْ يتجنَّبَ إطلاقَ لفظِ الزائدِ في كتابِ الله تعالى ، فإنَّ الزائدَ قد يُفهم منه أنّه لا معنى له ، وكتابُ الله منزَّهٌ عن ذلك ، ولذا فرَّ بعضُهم إلى التعبير بدَلَه بالتأكيد والصلة "[1284] ، فما من حرف في القرآن ذُكر إلا وله مقصد و تظهر أسرار هذا التقعيد جليّة ظاهرة عند البحث الإعجازي على مستوى مباحث معاني الحروف مطلقا ، و تظهر الخصوصية في علم الرسم القرآني فمثلا " في رسمِ الألف في مائة

1279 – لفظ الحذف و إن ذكرناه فهو من باب الدلالة على المعهود عند أهل العلم بالعلوم العربية.

1280 – الزمر 23

1281 – فصلت ،42

1282 – البرهان ،3 ، 104 ،و ينظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ، تحقيق خالد العطار ،1 ، 237 .

1283 – البرهان 103:3.

1284 – الإتقان ، 535:1.

وعدمها في فِئة سِرٌ ، وفي زيادة الياء في بأييد و بأيّيكم سِرٌّ ، وفي سموات سِرٌّ فكلٌّ ذلك لأسرارٍ إلهيةٍ..و إنَّما خَفِيَت على الناس لأنَّها أسرارٌ باطنيةٌ لا تُدرَك إلا بالفتح الربانيِّ."1285

- أثر التغاير القرائي في بيان دلالة المحذوف.

الذكر والحذف مبحث " دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر "1286 امتاز به اللسان العربي ، و لقد تركّز البحث فيه على قاعدة أصل الوضع – التي يقوم عليها معهود العرب في الخطاب – و تتركّب القاعدة من مسند إليه ومسند إذ بهما يقوم أصل الكلام ، و كل ما استغني عنه مما يكمّل الخطاب فهو في حكم الفضلة ، و هذا ضرب من الاتّساع 1287 الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بإدراك المخاطب لمراد المتكلم " فجرى بمنزلة المثل كما تقول لا عليك و قد عرف المخاطب ما تعني."1288

- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف في القصص القرآني.

و لقد مثّلت لأثر التغاير القرائي في بيان صورة الإعجاز عند حذف المفعول به بقوله تعالى:"وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾1289

- توثيق التغاير القرائي و توجيهه.

❃ – قراءة " يَصْدُر " قرأ بها أبو عمرو و ابن عامر و أبو جعفر بفتح الياء وضمّ الدال 1290 " و القراءة لفعل صدر اللازم – فدلّ وصف اللزوم على اقتصار الفعل بفاعله – المسند إلى الرعاء و تقدير الكلام : حتى يَصْدُر الرعاء من موضع سقيهم أي حتى يرجعوا من المورد الذي يسقون فيه المواشي "1291 ، و القراءة

1285 – مناهل العرفان في علوم القرآن ، 376:1. وينظر: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح، 276-277

1286 – الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص 67

1287 – أبو بكر بن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1- 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت،2-255

1288 – سيبويه ، الكتاب، 1- 224

1289 – القصص، 23

1290 – وقرأ بها كذلك شيبة و الحسن وقتادة انظر الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي، ط1 ،1999، مكتبة السوادي، جدة، ص238، والتذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون،2 ، 484

1291 – الموضح في وجوه القراءات و عللها ، ابن أبي مريم 3 – 980

على معنى اكتفاء الفعل بفاعله وتمام معنى الحدث به دون المفعول ، و" لمّا لم يذكر مع الفعل المفعول عُلِمَ أنّه غير واقع ، وأنّه يَصدُر الرعاء بمعنى ينصرفون عن الماء "1292 ، والحكمة في الاستغناء بلفظ الإصدار عن ذكر المفعول 1293 بيان كمال الإيجاز في العناية بإثبات الفعل لفاعله ،1294 و يسمّى الحذف الواقع في هذه القراءة بالاقتصار.1295

✵– قراءة " يُصْدِرَ " و قرأ الباقون بضمّ الياء وكسر الدال 1296 بصاد خالصة ، و أشمّ حمزة والكسائي وخلف و رويس الصاد زايا و رقّق ورش الراء1297 ، و القراءة لفعل أصدر المتعدّي فدلّ وصف تعدّي الفعل إلى المفعول على تمكّن الوقوع عليه ، و كمال التباسه به لا مطلق الوجود في نفسه 1298 ، و تمكّن الفعل من المحذوف بالتعدّي يوجب تعمّد الحذف ، والتقدير: "حتى يُصْدِرَ الرعاءُ ماشيَتَهم "1299 ، و لقد وقع الحذف في أربعة مواضع من القصة ، والمعنى المقدّر من مجموع الحذف في القراءتين هو:" وجد عليه أمّة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما " 1300 ، و يسمّى الحذف الواقع في هذه القراءة بالاختصار، و السرّ في وقوع الحذف على المفعول دون الفعل لدلالة الاهتمام بالمذكور دون المحذوف ، ولأنّ مقصد الكلام لا يصحّ إلا بتركه ،1301 – ولو ذكر لوقع الإطناب في صورة اللغو الذي يجب أن يتره عنه الكلام الإلهي–، و لتتّسق مباني التركيب في سياق الاهتمام بمعانيه ، و ليستقلّ

1292 – أبو زرعة ، حجة القراءات ، **543** .

1293 – ينظر النحاس، إعراب القرآن **3** ، **234** ، و معاني القراءات للأزهري، **2– 250** .

1294 – البرهان للزركشي، **3 – 162** ، و السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ط **1983** ،دار الفكر العربي، بيروت ، **1– 309**

1295 – الزركشي، البرهان ،**3–262** ،و السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، **1–309** .

1296– وقرأ بها كذلك الأعرج وطلحة والأعمش و ابن أبي إسحاق انظر ابن مجاهد ، السبعة ، **492** ص **238** ،و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادي ، جدة ،ط**1** –**1999** ،ص **238**.

1297 – انظر المكرر فيها تواتر من القراءات السبع و تكرر، ابن النشّار، ص**271**

1298 – القزويني ، الإيضاح ، ص**61**

1299 – أبو زرعة ، حجة القراءات ، **543** .

1300 – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص **124**

1301 – الحذف البلاغي في القرآن ، مصطفى عبد السلام أبو شاذي ، مكتبة القرآن، القاهرة، ص **20**

النظم بكمال المراد – دون الفضلة – فتتجسّد صورة بلاغة الحذف في التركيب1302 ، و لقد تقرّر هذا الإعجاز بجملة من الأدوات اللغوية منها:

✵ - دلالة الأداء الصوتي التجويدي:

فقوله تعالى:" قَالَتَا لَا نَسۡقِى حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ " جملة يحسن السكت على لفظ الرعاء منها، لأنّ ما بعده منقطع معنى و لفظا ،1303 و في تقديم السكت على الوقف لطيفتان:

– قصد إرادة ذهاب الرعاء لا المواشي لأنّ عدم إصدارهم سبب في ترك السقي ، و ذريعة توجب مفسدة الاختلاط ، فدلّ السكت على أنّ حفظ العرض هو المقصود ابتداء ، و أنّ ذريعة فتحه و تحقيقه متوقّفة على إصدار الرعاء.

– أنّ قوله:" وَأَبُونَا شَيۡخٌ كَبِيرٌ " بيان لعلّة الخروج ، و تعريض بالاستعانة ،1304 فدلّت الضرورة التي نطق بها النّص على وصف العليّة في تعيّن حكم الخروج للسقي.

✵ - دلالة أحداث السياق القصصي:

إنّ ملاحظة النسق القرآني في آيات القصص يقف على مبدأ النظم القرآني في إيثار قاعدة الإيجاز بالاستغناء عن المفعول به ، لأنّ مقام القصص يقتضي العناية بالحدث الذي تقوم عليه مقاصد القصّة الممتزجة به امتزاج الأعضاء1305، فلو وقع الفصل أو الحذف في هذا المشهد لاختلّ مقصد نسق ترتيب القصص في هذه السورة ، ثمّ لسقط مقصد السورة كلّه من القصص ، و بما أنّ أساس مقصد قصّة موسى عليه السلام مع المرأتين بيان صفات الصلاح الفردي و الأسري المؤهلان للإصلاح الاجتماعي فإنّ ذكر المرأة في القصص القرآني قيد معتبر في باب الدعوة إلى الخير و التنفير من الشرّ 1306 من أجل هذا اقتضى المقام ما يلي :

1302 – ينظر الفراء ، معاني القرآن ، 4 ، 139 .،و النحاس ، إعراب القرآن ، 3 ، 234 ،و مكي ، الكشف ، 2 ،172 ، وانظر المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي ، تحقيق علال الغازي، ط1، 1980، دار المعارف، الرباط، ص202

1303 – أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، تحقيق محمد بن عبد الله العيدي، ط2 ،2006 ، مطبعة الرشد، الرياض، ج2 ص 776

1304 – ابن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، ج2 ص 777

1305 – بدائع الإضمار القصصي ، ص 27 و على هذا فإنّ منهج القصة في القرآن يقتصر من الحوادث على ما يتعلق به مقصد القصة.

1306 – الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ،ص70

- انتقاء الأحداث القصصية التي تخدم المقصد ، فقد وقع حذف مفاعيل الأفعال في خمسة مواضع من القصة وهي: يسقون و تذودان ، و لا نسقي ، و يصدر ، و فسقى ، و مقصود الحذف كلّه بيان قوّة موسى عليه السلام و أمانته ، و إظهار طهارة المرأتين و حيائهما.1307

- ضرورة الحذف مسايرة لقاعدة المناسبة بين المقصد القرآني و الحدث القصصي.1308

- الدقّة في انتقاء الألفاظ – إصابة المعنى – التي تحمل دلالات عميقة عمق مقصد القصّة ، فكلمة تذودان قد بيّنت أنّ الفتاتين كانتا تحبسان الغنم ، و تبذلان وسع الجهد في منعها عن مخالطة أغنام الرعاء 1309 ، و توحي ظلال الكلمة بمشاهد الحالة النفسية التي كانت عليها المرأتان ،و صورة الأخلاق التي عليها المجتمع من خلال مشهد الورود.

*- دلالة مقاصد القصص القرآني:

إنّ تغاير القراءتين في لفظ الإصدار ما هو إلا مدخل قصصي يمهّد لمقصد حفظ العرض ، و أثر تربية المرأة على الأخلاق الفاضلة في التغيير الحضاري المنشود ، و يشهد لهذه الحقيقة الكبرى دلالة السياق اللاحق من قوله تعالى:" فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ 1310 ، فدلّ الوقف و الابتداء على كمال الاستحياء قولا و فعلا و حالا من خلال ما يلي:

- الوقف على قوله:" فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ" فالوقف على لفظ الاستحياء وقف في موضع الحال و التقدير: جاءت مستحيية.

1307 – انظر كذلك حلمي مرزوق ، النقد و الدراسة الأدبية، دار النهضة العربية ،ط **1982**، بيروت ص**90** ، و مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص **293** .

1308 – بدائع الإضمار القصصي ، ص **37** فالمناسبة بين الحدث القصصي و مقصده إما في الحكم أو الموضوع أو العبرة أو المعنى أو اللفظ.

1309 – انظر الطبري، جامع البيان ،**20**– **55** ، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط**1**– **1995**، دار القلم ، دمشق ،**2**– **816** ، و السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، تفسير القرآن ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط**1**– **1997** ، دار الوطن ، الرياض ،**4**- **131** ،

1310 – القصص ، **25**

ﷲ – الوقف على قوله:" فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي" ، ثمّ الابتداء بقوله:" عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ " يفيد أنّ قولها كان على حياء 1311 ، و يرجّح صحّة اجتماع المعنيين الآتي:

– حذف مفعول – الغنم – فعل الذود اختصارا 1312 لعلة الاهتمام بالحدث و العناية به.

– دلالة لفظ الذود من قوله تعالى: وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ " فقد دلّ الفعل على معنى مشقّة معالجة الغنم حبسا و منعا و كفّا تحقيقا لإصدار الرعاء 1313 ، فتدفع مفسدة الاختلاط لتظهر فضيلة العفة الجالبة لمقصد حفظ العرض.

و على هذا فإنّ التغاير القرائي قد أسفر على تفسير قرينة حالية – في موسى عليه السلام و المرأتين – تحيل على مقصد حفظ النسل و هي أمانة العفّة التي يتوقّف عليها صلاح النكاح و الفلاح يشهد لهذه الحقيقة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم:" إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض."1314

✵- دلالة قواعد البلاغة القرآنية:

إنّ العرب في معهود خطابها تسعى نحو بلاغة الاتساع بالإيجاز و الحذف مناطه إذا دلّ على إصابة المعنى بالإضمار 1315 على شريطة التفسير.1316

1311 – انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، 12– 269 ، و انظر الداني ، المكتفى في الوقف و الابتداء، تحقيق يوسف المرعشلي، ط 2 – 1987 ، مطبعة الرسالة ، بيروت، ص 436 .

1312 – ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق إبراهيم محمد رمضان ،ط 1 ، 1991 ، دار الهلال ، بيروت ،ص 282

1313 – انظر البغوي ، معالم التنزيل ،3– 441 ،و ابن عطية أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط1– 1993 ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،4– 283 ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 13 –268 ، و البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة، دار الفكر ، بيروت، 4– 288 ، و النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد ، مدارك التنزيل و حقائق التأويل، مطبوعات محمد علي صبيح ، ميدان الأزهر، القاهرة ،3 – 232 ، و ابن جزي الغرناطي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل ، ط4 – 1984 ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،3 – 104

1314 – انظر سنن الترمذي ، رقم 1004 و 1005 ،و البيهقي ، السنن الكبرى، 7 – 82

1315 – ابن مضاء القرطبي ،كتاب الرد على النحاة ، تحقيق شوقي ضيف، ط3 –1988، دار المعارف ، القاهرة، ص 92 ،و أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط 1978 ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، ص 165

1316 – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 74

- الفصل الرابع: التغاير القرائي بين إعجاز الرسم القرآني و الإعجاز التصويري.

- إعجاز الرسم القرآني: حقيقته ، مقاصده.

" تصوير النعيم نموذجا "

- الإعجاز التصويري: حقيقته ،مقاصده ،مسالكه.

" النفس الجاحدة نموذجا"

- التغاير القرائي و إعجاز الرسم القرآني.

- الرسم لغة و اصطلاحا:

- الرسم في اللغة:[1317]

الرسم الأثر و المراد أثر الكتابة في اللفظ قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   و رسم عفّت آياته منذ أزمان.

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت   كخطّ زبور في مصاحف رهبان.[1318]

و رسم الدار ما لصق بالأرض من آثارها ، و رسم له إذا امتثل له ، ورسم على الورق إذا كتب ، و يقاربه في المعنى لفظ الرقم و هو أقوى منه في المعنى ، و الخط و الهجاء و الكتاب و الإملاء و الزبر و السطر و الرشم.[1319]

– الرسم في الاصطلاح:

هو تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به ، و الوقوف عليه لتتحوّل اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية [1320] ، و هو على ثلاثة أنواع:

أ– الرسم القياسي: هو رسم اللفظ بحروف هجائية غير أسماء الحروف مع تقدير الابتداء و الوقف.[1321]

ب – الرسم العروضي: هو رسم اللفظ بالحركات كما عند العروضيين من خلال وزن الأبيات في نظمها ونسبتها إلى بحورها الشعرية.

1317 – مختار الصحاح ،ج1ص102، ولسان العرب، ج 12ص242، مادة "رسم" و أساس البلاغة ، مادة رسم ص 339 ، و ابن دريد ، الجمهرة ، ج 2 ،ص 336 .

1318 – ديوان امرؤ القيس، ص 89

1319 – انظر بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مطبعة بغداد ، ص 242 ،335، 347، 410

1320 – الشافية في علم التصريف ،أبو عمر جمال الدين بن عمر الدويني المعروف بابن الحاجب ، تحقيق حسن أحمد العثمان، ط 1 ، 1415 هـ، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ص 138

1321 – السيوطي ،همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ،2 ، 305

ت – الرسم الاصطلاحي: هو مرسوم القرآن الكريم ، أي حروفه التي رسم بها عند الجمع الأول له على عهد الرسول صلى الله عليه و سلم مع اعتبار قيد العرضة الأخيرة.

- تعريف الرسم القرآني العثماني:

❋ – هو رسم الكلمات القرآنية وفق الجمع الأول مع اعتبار قيد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، فعرف ذلك ليغدو علما تدرك به مخالفات خطّ المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي.1322

❋ - هو الهيئة المخصوصة التي كتب بها القرآن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم.

❋ - هو " الوضع الذي ارتضاه الصحابة على عهد عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه."1323

❋ - هو أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطيّة.1324

- قواعد الرسم القرآني.

تتجلّى أهمية الرسم القرآني في كونه علما مستقلا بذاته قائما بنفسه تجتمع فيه قواعد الآثار و مقاصد الأسرار ، فيتلخص أمره في ستة قواعد هي:1325

❋ - الحذف و الزيادة قال ابن القاصح: " و يحتاج القارئ إلى معرفة الرسم في ذلك فيقف بالحذف على ما رسم بالحذف و بالإثبات على ما رسم بالإثبات "1326 ، و يمثّل له بحذف الألف في " يأيها " ، و الياء في "باغٍ ".

❋ – قاعدة الزيادة: كزيادة الألف في " تفتؤا "،و الياء في " بأييد ".

❋ – قاعدة الهمز: ككتابتها حال سكونها بحرف حركة ما قبلها "ائذن ، اؤتمن ".

❋ – قاعدة البدل: ككتابة الألف واواً للتفخيم في لفظ " الصلوة "، وكتابة التنوين ألفاً في نون التوكيد

1322 – علي إسماعيل سيد هنداوي ، جامع البيان في معرفة رسم القرآن ،ط 1410 هـ ،دار الفرقان ، الرياض، ص 9

1323 – دراسات في علوم القرآن فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص315.

1324 – المقدمة ، ابن خلدون ، ج1 ص 791

1325 – انظر الضبط المصحفي نشأته و تطوره ، عبد التواب مرسي الأكرت ،ط1 ، 2001 ،مكتبة الآداب، القاهرة، ص 58

1326 – مرسوم خط المصحف ، إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، تحقيق محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنايني ، ط 1 ، 2009 ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ص 12

المخففة " لنسفعاً " ، و هاء التأنيث تاء مفتوحة في نحو " رحمت ".

❋– قاعدة الوصل والفصل: كوصل "أن" بــ "لا" ، و "عن" ، و"كل" بــ "ما" .

❋– قاعدة ما فيه قراءتان: فيكتب برسم إحداهما ، نحو" يخدعون" ، و "غيبت" .

- مزايا الرسم العثماني و فوائده:

للرسم العثماني مزايا كثيرة و فوائد عديدة أبرزها ما يلي:1327

أ – الدلالة على ما في الكلمة من أوجه القراءات المتعددة ، فقد روعي في رسم اللفظ تحمُّله لأوجه القراءات المتعددة ، إمّا موافقة تحقيقية ، أو احتمالية.

❋ - الموافقة التحقيقية: هي التي يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في بعضها موافقة صريحة ، وهذه الموافقة لها ثلاث صور:

ﷺ – الصورة الأولى: أن يكون للكلمة وجه واحد في القراءة موافق للرسم وهذا يشمل جميع المفردات القرآنية التي قرئت بوجه واحد.

ﷺ – الصورة الثانية: أن يكون للكلمة في اللفظ أكثر من قراءة ، ويحتملها رسم واحد كتبت به ، و منها ما لا يحتمله رسم واحد ،1328 نحو قوله تعالى:" وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ " 1329 ، فقد رسمت في المصحف المكي والكوفي والبصري بواو قبل السين ، و رسمت في المصحف المدني والشامي بغير واو 1330 ، وكل هذه الأوجه موافقة لرسم المصحف موافقة حقيقية.

1327 – انظر البسط في القراءات العشر ، سمر العشّا ،ط 2005 ، دار البشائر ، دمشق، ص 35 ، و السالم بن محمد محمود بن أحمد الجكني الشنقيطي، أبحاث في القراءات ، ص 11 ، و رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ص 61

1328 – انظر مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، السنة 10 ، العدد 56 ، محرم 1425هــ مارس 2004 م، ص89، محمد خازر المجالي، " ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية ".

1329 – آل عمران ، 133

1330– انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، 2 ، 242.

❧ – الصورة الثالثة: أن يكون للكلمة أكثر من قراءة ، ولكنّها لم ترسم إلا على وجه واحد من الوجوه المتعددة المقروء بها ، فتكون القراءات وفق هذا الرسم في حكم الموافقة التحقيقية، و القراءات الأخرى على غير الرسم في حكم الموافقة الاحتمالية مثاله قوله تعالى:" ملك يوم الدين."1331

❁ - الموافقة الاحتمالية: مثاله قوله تعالى: " ملك يوم الدين" ، فقد رسمت الكلمة في كلّ المصاحف بغير ألف1332 ، وهذه هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبي عمرو ، وحمزة ، وأبي جعفر ، و هي موافقة للرسم تحقيقا ؛ أمّا القراءة بالألف فهي لعاصم ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف1333 ،و هي موافقة للرسم احتمالاً حيث حذفت الألف اختصاراً 1334 ،و هذا مراد العلماء بقولهم في أركان القراءة موافقة الرسم ولو احتمالاً.

ب – اتّصال السند بالرسول صلى الله عليه و سلم صدرا و سطرا و تتجلى مقاصد السند المتصل في ما يلي: 1335

❧ – جمع القرآن بمعرفة مخارج الحروف و الصفات و الأحكام.

❧ – حفظ القرآن من صور التغيير و طرائق التبديل.

❧ – إظهار عظمة القرآن وكمال العناية به.

❧ – استمرار ثبوت تواتر القرآن الكريم صدرا و سطرا.

ت – دلالة إعجاز الرسم القرآني على بيان الأعراف الفاسدة قال تعالى:"وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣"1336 ، فحرف "على" يرد على ثلاثة " اسما و فعلا و حرفا فالفعل قولك: علا فلانٌ يا زيد ، والحرف قولك: على زيدٍ مالٌ ، والاسم قولك: جئتُ من عليه ، لمعنى " من فوقه"، وتجئ في مكان " مِنْ " قال الله تعالى:"وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا

1331 – الفاتحة ، **4**

1332 – انظر النشر ، **1**، **11**، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي ، ص**53**.

1333 – انظر إتحاف فضلاء البشر ، ص**151**.

1334 – النشر ، **11/1**.

1335 – انظر دراسات في علوم القرآن ، الرومي ، ص**343**، و المدخل لدراسة القرآن ، لأبي شهبة ، ص**315**.

1336 – المطففين ، **2**

كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾"1337 أي من الناس"1338 ، و ذهب إلى هذا أبو عبيدة 1339 ، و ابن الجوزي 1340 ، و استعرض سيّد قطب هذه الظاهرة اللسانية ليستقرئ منها حالة اجتماعية ذات جاهلية فقال:" كان ذوو النفوذ لهم سلطان على الناس بسبب من الأسباب يجعلهم يستوفون المكيال منهم والميزان قسراً ، وليس المقصود أنّهم يستوفون حقاً لهم ؛ إنّما المفهوم أنّهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقّهم ، ويستوفون ما يريدون إجباراً ، وإذا كالوا أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس "1341 ، و عليه فإنّ القرآن قد أشار إلى مفاسد الاستكبار و الاستعلاء بالظلم من خلال دلالة حرف على.

ث – الدلالة على ظاهرة صوتية معتبرة قال إبراهيم السامرائي:" لولا خطّ المصحف لكان الرسم " فما تغني النذر" ، بالياء في " تغني" ، وخطّ المصحف في حذف الياء هذه كان لغرض صوتي ، هو أنّ المدّ الطويل الذي تحقّقه الياء يُحدث ضربا من الثقل عند وصل الفعل بالفاعل " النذر "، فكأنّ اتّصال الكسرة بضمّة النون هو اتصال منسجم لا يتحقّق لو رسمت الياء، فاقتضت ما تستحقّ من المدّ."1342

ج – الدلالة على بعض لطائف المعاني الدقيقة ، و أسرار الحقائق الرقيقة كزيادة الياء في كلمة " أيد" من قوله تعالى:"وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾"1343 ، فقد كتبت بياءين إشارة إلى تصوير مشهد عظمة قوّة الله تعالى في خلق السماء ، فدلّت زيادة المبنى على زيادة المعنى1344 ،و كحذف الواو في بعض آي القرآن كقوله تعالى:" وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ "1345 ، و قوله سبحانه:" وَيَمْحُ ٱللَّهُ"1346 ، و قوله عزّ و جلّ:" يَدْعُ ٱلدَّاعِ "1347 ،

1337 – المطففين ، **2**

1338 – حروف المعاني ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تحقيق علي توفيق الحمد ، ط **2** ،**1986**، دار الأمل، مؤسسة الرسالة ، ص**23**.

1339 – مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تعليق محمد فؤاد سزكين ، ط **1** ،**1954** ، مطبعة محمد الخانجي ، مصر، ج**1** ص**14** .

1340 – زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ط **1** ،**1968** ، المكتب الإسلامي، بيروت، ج **9** ص**52**.

1341 – في ظلال القرآن ، سيد قطب ،ج **6** ص**3855**.

1342 – من بديع لغة التنزيل ، إبراهيم السامرائي ، ط**1**، **1404**هـــ **1984** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، دار الفرقان، عمان ،ص **286**.

1343 – الذاريات ، **47**

1344 – مناهل العرفان ، **1**، **367**.

1345 – الإسراء ، الآية **11**.

1346 – الشورى ، الآية **24** .

1347 – القمر ، الآية **6**.

و قوله جلّ و علا:" سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ "1348 للتنبيه على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدّة وقوع المنفعل المتأثر به في الوجود ، أمّا " وَيَدْعُ الإنْسَانُ "، فيدلّ على أنّه سهل عليه و يسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل إثبات الشرّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، وأمّا " وَيَمْحُ اللَّهُ الباطِلَ " ، فللإشارة إلى سرعة ذهابه و اضمحلاله ، وأمّا " يَدْعُ الدَّاعِ "، فللإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة المدعوين ، وأمّا الأخيرة فللإشارة إلى سرعة الفعل و إجابة الزبانية وشدّة البطش.1349

ح – الدلالة على تعدّد المعاني القرآنية ، و تنوّع فروق الدلالات بطرق متفاوتة و ذرائع متعدّدة مثل قطع " أمْ " في قوله تعالى: " هَٰأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ "1350 ، ووصلها في قوله تعالى:" أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ "1351 بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتها ميماً واحدة مشدّدة ؛ فقطع " أمْ " الأولى في الكتابة للدلالة على أنّها " أمْ " المنقطعة التي بمعنى " بل "، و وصل " أمْ " الثانية للدلالة على التغاير فيما بينهما.1352

خ – الدلالة على أصل الحركة ، ككتابة الكسرة ياء في قوله تعالى:" و إيتاءى ذي القربى" 1353 ،وكذلك الدلالة على أصل الحرف ، نحو كتابة الصلاة والزكاة بالواو ، هكذا الصلوة ، الزكوة للدلالة على أنّ الألف فيها منقلبة عن واو.1354

د – إدراك علّة التفضيل القرآني لجيل الصحابة رضي الله عنهم من خلال الوقوف على سعة علمهم و سداد فهمهم و كمال حكمتهم في كتابة القرآن على الرسم الذي يستوعب التغاير القرائي الثابت بدليل العرضة الأخيرة قبل موت الرسول صلى الله عليه و سلم قال أبو عمرو الداني:" وليس شيء من الرسم ، ولا من

1348 – العلق ، الآية **18**.

1349 – عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، ط**1**، **1990**،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص **88** و **89** .

1350 – النساء ، **109**

1351 – الملك ، **22**

1352 انظر المدخل لدراسة القرآن ،أبو شهبة ، ص**315**، **317**، ومناهل العرفان ، الزرقاني ، **1**،**376**.

1353 – النحل ، **90**

1354 – مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد **13** ، العدد **2** ،جوان **2005** ،الجامعة الإسلامية، غزة، ص **59**

النقط اصطلح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحّة و الصواب ، وقصدوا به طريقاً من اللغة والقياس ؛ لموقعهم من العلم ، ومكانهم من الفصاحة ؛ عَلِمَ ذلك مَنْ علمه وجهله مَنْ جهله ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم"1355 ، فالصحابة أوّل من تلقى القرآن و سمعه ، و أوّل من دوّنه و رسمه ، فلم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقّق."1356

ذ – إدراك عظمة منزلة المتكلم و كلامه سبحانه و تعالى ، و الوقوف على جمال أسرار الوحي و كمال أحكام التشريع ، و جلال منهج ربّ العالمين ، و أثر التغاير القرائي في بيان أسرار التغاير في الرسم القرآني ، فالنبي صلى الله عليه و سلم يوم نزل عليه القرآن الكريم أمر الصحابة رضي الله عنهم " أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف أو نقصانها ؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سرّ من أسرار هذا الكتاب العزيز دون سائر الكتب السماوية ، وكما أنَّ نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز ، فكيف تهتدي العقول إلى سرِّ زيادة الألف في " سعوا " في قوله تعالى:"وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝"1357 ، وعدم زيادتها في قوله تعالى:"وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝"1358 ،فللقرآن أسرار لا تستفاد إلا بهذا الرسم ، فمن كتبه بالرسم التوقيفي فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك فقد أداه ناقصاً ، ويكون ما كتبه إنّما هو من عند نفسه لا من الله."1359

ر – التمييز بين ما وافق رسم خط المصحف من القراءات القرآنية مع المتواتر والموافق للغة فيقبل و يقرأ به ، وما خالف الرسم القرآني فيردّ و يترك ذاك لأنّ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا شرط من شروط قبول القراءة.

ز – الدلالة على بعض اللغات الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم قال الداني معلّقا على تعمّد ترك نقط المصحف:" و إنّما أخلى الصدر منهم المصاحف من ذلك و من الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات و الفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها و القراءة بما شاءت منها فكان

1355 – المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق عزة حسن، ط 2 ،1997 ، دار الفكر، دمشق، ص 196.

1356 – لطائف الإشارات ، القسطلاني ،ج1 ،ص 285

1357 – الحج ، 51

1358 – سبأ ، 5

1359 – الإبريز، عبد العزيز بن مسعود الدباغ ، ص 60 ،و انظر المدخل في دراسة القرآن ، ص320 ، ومنهج الفرقان في علوم القرآن ، محمد علي سلامة ، ص 146.

الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها و شكلها "1360 ، مثاله كتابة كلمة "رحمة " في بعض المواضع بالتاء المفتوحة كقوله تعالى:" إنّ رحمت الله قرب من المحسنين " للإشارة إلى لغة طيء .1361

س – توحيد الرسم القرآني من أهمّ عوامل توحيد الأمّة الإسلامية في الفهم و العمل و السلوك و ما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلاّ دليل قوي على ذلك المقصد الشرعي الضروري ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال:" إنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وكان يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَام فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْش ؛ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ؛ حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ."1362

ش – الحفاظ على مقصد التوثيق الكامل للقرآن الكريم من خلال إلزام الناس بتلقّي القرآن الكريم من أفواه القرّاء دون الاعتماد على الرسم القرآني لوحده خاصّة فيما دلّ الدليل على تعيّن السماع و العرض فيه ، و كذلك فيما تعلّق وصف صحّة النطق عليه كمبحث الروم والإشمام و التسهيل والإمالة1363 ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" قال لي النبي صلى الله عليه و سلم:" اقرأ عليّ القرآن. قلت: أقرأ عليك و عليك أنزل؟ قال: إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري." قال بن بطال:" يحتمل أن يكون أحبّ أن يسمعه من غيره

1360 – المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص3

1361 – مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد 13 ، العدد 2 ، جوان 2005 ، الجامعة الإسلامية، غزة، ص 59

1362 – رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ،رقم 4987.

1363 – البسط في القراءات العشر ، سمر العشّا ، ص 36

ليكون عرض القرآن سنّة "1364، وروى أبو عمرو الداني بسنده عن ابن وهب قال:" سمعت مالكا يقول: إنّما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم."1365

ص – درء مفسدة التحريف و التصحيف من خلال منع تلقّي القرآن من المصاحف، قال عبد الملك بن مروان: " الإعراب جمال للوضيع و اللحن هجنة على الشريف "1366 ، و روي أنّ حمّادا الراوية قرأ قوله تعالى:" و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلى عن موعدة وعدها إياه " 1367 ، فجعل " أباه" عوض " إياه"، فقرأها بالباء الموحدة 1368، و قرأ حمزة الزيّات قوله تعالى:" ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه"، فقرأها: لا زيت فيه ، فقال له أبوه: دع المصحف وتلقى عن أفواه الرجال1369 ، و روى إسماعيل بن محمد البسري قال:" سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ:" وجعل السقاية في رجل أخيه " فقلت له:" ما هذا ؟ قال: تحت الجيم واحدة.

1370

ض – الوقوف على علل الرسم و قواعد توجيهه ، فقد علّل ابن الجزري بعض مسائل الرسم بقوله:" فانظر كيف كتبوا " الصراط "1371 ، قال تعالى:" أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾"1372 بالصاد المبدلة عن السين ، وعَدَلوا عن السين التي هي الأصل ؛ لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة ؛ ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك ،

1364 – فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ، ج **9** ،ص **93**

1365 – المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، لأبي عمرو عثمان بمن سعيد الدائي ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، مصر ، ص **18** ،و الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج **1** ص **20**

1366 – العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ج**2** ص **480**

1367 – التوبة ، **114**

1368 – القراءات القرآنية، سالم مكرم ، ص **17**

1369 – المصدر نفسه ، ص **18**

1370 – تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، السيوطي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج **2** ص **175** ، و الذي أراه أن المنقول عن الأئمة الثقات من التحريف و التصحيف لا يقبله عقل راجح و لا واقع حالهم الذي دلّت عليه تراجمهم ، و قد أنكر هذا التحامل الحافظ ابن كثير فقال:" وما ينقله كثير من الناس عن عثمان بن أبي شيبة أنه كان يصحف قراءة القرآن فغريب جدا لأن له كتابا في التفسير و قد نقل عنه أشياء لا تصدر عن صبيان المكاتب.." انظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ابن كثير ، تحقيق أحمد شاكر، ط**1**، ،**1983**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص**166**

1371 – الفاتحة ، **6**

1372 – الطور ، **37**

وعدَّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ؛ ولذلك كان الخلاف المشهور في "أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾" 1373 دون " بسطة" 1374 ؛ لكون حرف البقرة كتب بالسين ، وحرف الأعراف بالصاد." 1375

ط – لقد جُمع القرآن الكريم في خلافة عثمان رضي الله عنه وفق طريقة خاصة في رسم الحروف و المفردات القرآنية و قد اعتمدوا في الأغلب على طريقة الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي توافق ما أقرّ عليه النبي صلى الله عليه و سلم كتبة الوحي على عهده ، و لقد اتّصف الرسم القرآني بوصفين: 1376

✵ - أولهما: انفراده بالإملاء الخاص في كيفية كتابة بعض الحروف و الكلمات في باب الهمز و الحذف و الزيادة و الذي جعل اللسان القرشي فيصل الترجيح عند الاختلاف كما دلّ على ذلك أمر عثمان رضي الله عنه لأعضاء اللجنة المكلّفة بجمع القرآن الكريم.

✵- ثانيهما: تجرّد رسم المصاحف عن النقط الذي تتميّز به الحروف و عن الشكل الذي يظهر الإعراب و مع ذلك فإنّ سلامة النطق بالقرآن اعتمد فيها المسلمون على طريقتين هما:

- الأولى: فصاحة اللسان العربي سليقة ، فقد دلّت على انتفاء اللحن و إدراك المعاني.

- الثانية: التلقّي و المشافهة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:" حفظت من في رسول الله صلى الله عليه و سلم بضعا و سبعين سورة "1377 ، فدلّ ذلك على ثبوت الضبط في الصدور و وضوح الكتابة في السطور ، ثمّ صحّة الفهم و النظر في العقول.

1373 – الأعراف ، **69**

1374 – البقرة ، **247**

1375 – النشر ، **12،1** ، و انظر الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،ص**18**.

1376 – انظر الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، و محي الدين ديب مستو، ط **2** ،**1998** ، دار الكلم الطيب، دمشق ، ص **98**

1377 – صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ، ج**6** ص **102** ، و صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، **4** ،**1912**

ظ – الوقوف على ملامح الإعجاز القرآني الذي أودع الله تعالى سرّه في كتابه العظيم لفظا و معنى ،و من ألوان إعجاز لفظه لطائف رسمه ،و عليه فقد وجب تلمّس أبعاده و مقاصده و استشفاف معانيه و دلالاته ، و تفقّد حقائق أمره و استخراج مكنوناته الروحانية وأسراره البديعة.1378

مذاهب العلماء في رسم القرآن:

الرسم العثماني منهج قويم في توثيق القرآن الكريم ، و مع إجماع العلماء على جلالته ،و عظمة منزلته إلاّ أنّهم اختلفوا هل هو توقيفي أم توفيقي؟ على ثلاثة مذاهب هي:

✸ - المذهب الأول: ذهب بعض العلماء إلى أنّ الرسم العثماني ليس توقيفيًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنّه اصطلاح ارتضاه عثمان رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول ، و جوّز أصحاب هذا الرأي تغيير الرسم وفق ما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة و ممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني و ابن خلدون.1379

✸ - المذهب الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أنّ الرسم العثماني ليس توقيفيًا بل توفيقيا فجوّزوا كتابته بقواعد الرسم الحديث لعامّة المسلمين دون خاصتهم من العلماء ، و ذهب إلى هذا القول العز بن عبد السلام و وافقه الزركشي ،1380 و مال إليه مصطفى المراغي1381 ، و رجّحه الزرقاني بقاعدة المصلحة فقال:" هذا الرأي – رأي العز بن عبد السلام – يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف وفيه إبعاد للناس عن اللبس و الخلط في القرآن الكريم، و ناحية إبقاء رسمه الأول المأثور يقرؤه العارفون و من لا يخشى عليهم الالتباس و لا شك أنّ الاحتياط مطلب ديني جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل".1382

1378 – انظر الدلالات فوق التركيبية و رسم المصحف الشريف في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد عبد التواب الفيومي ،ط 1 ،2010 ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص6

1379 – مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج1 ص 373

1380 – انظر البرهان للزركشي، ج 1 ص 379

1381 – تفسير المراغي ، ج 1 ص 15

1382 – مناهل العرفان ،الزرقاني ،ج 1 ،ص 285 و انظر لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ط 3 ، 1990 ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ص 137

❋ - المذهب الثالث: ذهب جمهور العلماء سلفا و خلفا إلى أنّ رسم المصحف توقيفي[1383] ، يمنع تغييره و تحرم مخالفته ، و حكمه في التوقيف حكم ترتيب السور و الآيات.[1384]

- تنقيح وترجيح:

لقد حرص النبي صلى الله عليه و سلم على التوثيق القرآني ، و تجلّى ذلك في صورتين:

❋ - الأولى: التوثيق الصدري و شاهد بيانه الأمر بالتلاوة لنبيه صلى الله عليه و سلم:" لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾"[1385]

❋ - الثانية: التوثيق السطري فقد كُتب القرآن الكريم بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم كما صرّح بذلك زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يملي عليّ فإذا فرغت قال صلى الله عليه و سلم: اقرأ فأقرؤه فإذا كان فيه سقط أقامه ثمّ أخرج به إلى الناس" ، و تشير بعض النصوص النبوية إلى إرشاد الرسول صلى الله عليه و سلم بنفسه كتبة الوحي إلى رسم الحروف و الكلمات فقد قال لمعاوية رضي الله عنه و كان من كتبة الوحي عنده :" ألق الدواة ، و حرّف القلم ، و انصب الباء ، و فرّق السين ، ولا تعوّر الميم ، و حسّن الله ، و مدّ الرحمن ، و جوّد الرحيم..."[1386] ،و من هذا تأكّد العمل بالرسم القرآني من وجهين:[1387]

- أولهما: الإقرار النبوي للرسم الثابت بكتابة الصحابة بين يديه صلى الله عليه و سلم زمن النزول القرآني ، و لو ثبت خلافه لدلّ عليه التنزيل.

1383 – ينظر الإتقان ، **4،145** ، والبرهان في علوم القرآن ، **1،376– 430**، و رسم المصحف " دراسة لغوية تاريخية"، غانم قدوري الحمد ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ط**1**، **1982**، **95–123**، و الجامع لما يحتاج إليه المصحف ، ابن وثيق الأندلسي ، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار الأنبار للطباعة ، مطبعة العاني ، بغداد، ط**1**، **1408**هـ—**1988**، **31–42**.

1384 – رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل ،ط **2** ،**2001** ، دار السلام، ص **63**

1385 – القيامة ، من **16** إلى **19**

1386 – تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه ، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي ، ط **2** ،**1953** ،دار الحلبي ، ص **190** ،و انظر لغة القرآن ، دراسة توثيقية فنية ، أحمد مختار عمر ، ط **2** ،**1997** ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ص **16**

1387 – انظر التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد ، أحمد بن أحمد شرشال ، حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد **20** ،**2002** ، ص **19**

- ثانيهما: عمل الصحابة رضي الله عنهم، فكيف نقبل روايتهم للتتريل و درايتهم بالتأويل و نردّ ما كان هم ألصق ، و عليه فإنّ كان الرسم القرآني توقيفا فقد وجب علينا اتباعه ، و إن كان اصطلاحا فقد رجح الأخذ به لرجحان مترلة فاعليه عدالة و علما و فهما و دعوة قال البيهقي:" من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغيّر مّما كتبوه شيئا ، فإنّهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منّا ، فلا ينبغي أن يظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم "1388، و بهذا وقع الإجماع من خير الخلق، ثمّ " أجمعت عليه – الرسم – الأمّة و تلقته بالقبول بترتيب آياته بل كلماته بل حروفه فليس لنا إلى إنكاره من سبيل...حجّة على القارئين و المقرئين إلى يوم الدين " 1389، سئل مالك بن أنس هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال: لا إلاّ على الكتبة الأولى "1390 ، وقال الداني:" ولا مخالف له من علماء الأمة "1391 ، و الأصل فيه التوقيف ،و حكم المكلفين إتّباعه قال ابن تيمية:" ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرّد رأيه بل القراءة سنّة متّبعة "، ثم قال: وسبب تنوّع القراءات فيما احتمله خطّ المصحف هو تجويز الشارع وتسويغه ذلك لهم ؛ إذ مرجع ذلك إلى السنّة والاتّباع لا إلى الرأي والابتداع "1392 ، و إنّ مما يؤكّد أصل التوقيف في الرسم تجرّده عن أشكال الكتابة العربية مع ثبوتها عند نزول القرآن فعن زياد بن أنعم قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع و تفرّقون فيه ما افترق هجاء بالألف و اللام و الميم و الشكل و القطع و ما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال: نعم. قلت: فمن علّمكم الكتاب ؟ قال: حرب بن أميّة. قلت: فمن علّم حرب بن أميّة ؟ قال: عبد الله بن جدعان. قلت: فمن علّم عبد الله بن جدعان ؟ قال: أهل الأنبار. قلت: فمن علّم أهل الأنبار ؟ قال: طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن من كندة. قلت: فمن علّم الطارئ ؟ قال: الجلجان بن الموهم كان كاتب هود نبي

1388 – ينظر شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ ،ج2ص547 رقم 2678 ، و البرهان في علوم القرآن ، 1،379.

1389 – رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص 6 و قارن مع رسم المصحف ونقطه، عبد الحي حسين الفرماوي ص 115، والجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد ص73.

1390 – الداني أبو عمرو ، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار ، ط 1 ،1940 ، دار الفكر ، دمشق، ص 9 .

1391 – الإتقان ، 4، 146، وينظر البرهان في علوم القرآن ، 1،379 .

1392 – مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ،ج 13 ص 399.

الله صلى الله عليه و سلم بالوحي عن الله عز و جل"1393،و بهذا ندرك أنّ الرسم مشروع كتابة قُصد به مخالفة قواعد الكتابة العامّة لاستيعاب جميع المقروء الثابت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال مكي بن أبي طالب: " فالمصحف كتب على حرف واحد وخطّه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخطّ هو من الستة الأحرف الباقية "1394 ، وقال البغوي:" المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العَرَضات على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف ، وصار ما يخالف خطّ المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ ما هو خارج عن الرسم."1395

- علاقة التغاير القرائي بالرسم القرآني.

إنّ قوة الوثاق بين اختلاف القراءات القرآنية و الرسم القرآني تُظهر حاجة الأمة الإسلامية إلى ضرورة معرفة قواعد الرسم القرآنية و " الحاجة إليه كالحاجة إلى سائر علوم القرآن بل أهمّ ، و وجوب تعليمه أشمل و أعمّ إذ لا يصحّ معرفة بعض ما اختلف القرّاء فيه دون معرفته "1396 ، و تتجلّى حقيقة هذه الوثاق في أنّ القرآن حتّى و إن كُتب بالرسم الإملائي فإنّه لا يتلى على حقيقته الشرعية إلا بقاعدة التلقي و السماع ، و لأنّ في الرواية كيفيات متواترة في أداء القرآن الكريم لا تدرك إلا بالمشافهة ، و لا تضبط إلا بالسماع كمقادير المدود و صيغ الإمالة و مراتب الغنّة و صفة الإشمام و الروم ،" فلا يتوصّل إلى حقيقة اللفظ بها إلا بالمشافهة من فم القارئ دون الضبط و الخط "1397 ،و لا تكتمل المشافهة إلاّ " من العالم مع رياضة و تفهّم و

1393 – انظر تاريخ الكتابة العربية من: المصاحف لابن أبي داود ، ص **4** ، وفتوح البلدان، البلاذري، ص **471** ،و الاشتقاق ، ابن دريد ، ص **223** ،و شرح شواهد المغني، السيوطي – ترجمة عدي بن زيد – ، ص**161** ، و المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، ص **26**

1394 – فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، **9**، **24**، **25**.

1395 – انظر شرح السنة ، البغوي ، **4**،**225**، و فتح الباري ، ابن حجر، **9**،**39**، و المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي، ص**144**

1396 – انظر مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام ، أحمد بن أحمد شرشال ، ط **1** ،**2002**، دار الحرمين ، القاهرة، ص **33**، نقلا عن هجاء مصاحف الأمصار ، لأبي العباس المهدوي ، ص **75**

1397 – انظر مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص **29** نقلا عن أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح ، ص **24**

تعلّم"1398 ، و إلاّ كيف يستساغ جعلُ أئمة القراءة موافقة الرسم العثماني شرطًا لقبول القراءة القرآنية 1399 ، بل أوجبوا بعد اشتراطه التزامه و الأخذ به ، فمنعوا مخالفته بالإجماع كما نقل ذلك الزركشي1400 ، و من هذا المنطلق فليس " للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنّما هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، وكما أنّ نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز"1401 ، و إنّ من مفاسد تغيير الرسم القرآني تصحيف حرف أو تحريف كلمة قال أحمد بن حنبل:" تحرم مخالفة خطّ مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك "1402 ، أو تغيير معنى قطعي، أو إسقاط قراءة متواترة ثابتة ، أو ذهاب لهجة عربية صحيحة 1403 ، و قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى:" ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً " 1404 "وقرئ " نبغ " بغير ياء في الوصل ، وإثباتها أحسن ، وهي قراءة أبي عمرو1405 ، وأمّا الوقف فالأكثر فيه طرح الياء لخط المصحف. 1406"

- إعجاز الرسم القرآني و تحوير النعيم الأخروي.

1398 – انظر مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص 29 نقلا عن أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح ،ص 137

1399 – ابن الجزري محمد بن محمد، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق علي بن محمد الضباع، ط 1 ، 1950 ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ص3

1400 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج1،ص 256 .

1401 – السلجماسي أحمد بن المبارك ، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 1961 ،القاهرة ، ص 101، والزرقاني ،مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ج1 ، ص376

1402 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1،ص 379 .

1403 – مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص 34

1404 – الكهف، 64.

1405 – قرأ "نبغ" وصلاً كلّ من نافع وأبي عمرو والكسائي وأبي جعفر، وقرأ بـــ"نبغي" في الحالين كل من ابن كثير ويعقوب ، ينظر البحر المحيط 6،147، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد البنا، تعليق محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت، 292، و معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم، و أحمد مختار عمر، ط3، 1408هـــ –1988، مطبوعات جامعة الكويت، 3،381.

1406 – الكشاف ، 2،733، وينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط 1422هـــ–2002 ، 20–21.

إنّ منهجنا في فهم الرسم القرآني ما ذكره ابن البناء المراكشي في عنوانه:" إذا بطنت حروف في الخطّ و لم تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك ،و إذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك كما إذا وصلت فلمعنى موصول ، و إذا حجزت فلمعنى مفصول، و إذا تغيرت بضرب من التغيير دلّت على تغيّر في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبّر"1407 ،و من نماذج الإعجاز في الرسم القرآني ما ثبت في قوله تعالى:"وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾"1408

- التوثيق القرائي.1409

❁ – قراءة الجمهور: حذف أداة " من" الجارّة ، و فتح تاء المفعول فيه "تحتها "،فقرئت " تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ".

❁– قراءة ابن كثير: ذكر أداة " من" الجارّة ، فقرأها " تَجْرِي من تَحْتَهَا الأَنْهَارُ "و هي كذلك في مصاحف أهل مكة.

- التوجيه القرائي.

لقد جاءت القراءتان القرآنيتان في نظم موجز بمعنى معجز تلوّنت دلالاته بأداة التغاير القرائي ليشير اختلاف الرسم القرآني بإعجازه الدقيق إلى بيان حقائق شرعية و رقائق ربانية على النحو التالي:

لقد ورد النص القرآني بإثبات حرف " من " في قولِه تعالى: " جَنَّات تَجرِي مِنْ تَحتِهَا الأَنهارُ " في أربعةٍ وثلاثينَ موضعًا في القرآن الكريم1410 ، فدلّ حرفُ الخفض " مِنْ "على ابتداءِ الغاية 1411 ،ولفظ الجنّات

1407 – عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، ص 34

1408 – التوبة ، 100

1409 – انظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد،ط 1 ، 2010 ،الدر التدمرية ،الرياض ، ص 580 ، و ابن مجاهد ، السبعة ، 317 ، و مكي ، التبصرة ، 216 .و فتح القدير، الشوكاني،ج2 ص398 .

1410 – المواضع هي: البقرة 266 ، وآل عمران 136 و195 و198 ، والنساء 13 و 57 و 122، والمائدة 12 و 85 و 119 والتوبة 72 و 89 ، و الرعد 35 ، و ابراهيم 23 ، و النحل 31 ، و طه 76، و الحج 14 و 23 و الفرقان 10، و العنكبوت 58، و الزمر 20، و محمد 12، و الفتح 17، و الحديد 12 و المجادلة 22، و الصف 12، و الطلاق 11 ، و التحريم 8، و البروج 11، و البينة 8.

على معنى البستان ، و المراد ما في الجنّةِ من الأشجارِ اليافعة و الثِمارِ اليانعة دون أرضِها لهذا قال جلّ وعلا:" تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ "1412 ، فدلّ بذلك على سعة الأنهار من خلال نسبة فعل الجري لها، وإنّما يجري الماء وحده توّسعا وتجوّزا 1413، و من هذا فإنّ مبدأ جريانِ أنهارِ الجنّاتِ إنّما هو أصولُ أشجارِها ، فهي منابع انبجاس الماء و مصادر انفجاره ليبيّن عظمة الجنّات بجعلها أصل الماء الفرات ، و أساس الريّ العذب الزلال لينبئ عن وصف الدوام في الجنّات إشارة إلى أنّ الله تعالى جعل أصل بقائها منها ، أمّا قولُه تعالى: " جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ "على قراءة حذف حرف الجر فإنّ المقصود إخفاء أصول المياه ، و إبهام منابع الأنهار ، و ما الجنان إلاّ ظرف مكاني أسفله مجرى مياه الأنهار1414 قال ابن أبي مريم:" و الوجه أنّ من أدخل " من " فقد جعل " تحت " اسما و لم يجعله ظرفا ،كما أنّ فوق قد تأتي و يراد بها الاسم قال الله تعالى:" لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ "1415 ، و المراد من أعلاهم و من أسفلهم ، فإذا دخل " من " خرج عن كونه ظرفا لأنّ دخول الجار منع من تقدير جار آخر، و من نصب " تحتها "و لم يدخل " من " جعل " تحت " ظرفا و قدّر معنى" في " و جعلها مفعولا فيه ، و الفرق بين القراءتين في المعنى أنّه إذا أُلحق "من" أفاد أنّ " الأنهار" مبدأ جريها من أسفل الجنّات لأنّ " من " لابتداء الغاية و من نصب و لم يلحق "من " أفاد أنّ الأنهار جارية من جهة أسفلها " 1416، وقال ابن الجزري:" يحتمل أنّه إنّما لم يكتب " من " في هذا الموضع لأنّ المعنى : ينبع الماء من تحت أشجارها لا أنّه يأتي من موضع ويجري من تحت هذه الأشجار ، وأمّا في سائر القرآن فالمعنى أنّها تأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار ، وتكون هذه الجنّات في الآية الكريمة معدّة لمن ذكر تعظيماً لأمرهم وتنويهاً بفضلهم و إظهاراً لمنزلتهم لمبادرتهم التصديق بهذا النبي الكريم – عليه من الله أفضل السلام وأكمل التسليم ، ولمن تبعهم بالإحسان والتكريم. والله تعالى أعلم "1417 ،و في هذا المعنى المراد دلالات:

1411 – البحر المحيط، لابن حيان ، ج **1** ص**112**

1412 – انظر جامع البيان ، للطبري ،ج**1** ص**170** .

1413 – انظر البحر المحيط، ج**1** ص**113**

1414 – انظر جامع البيان للطبري ،ج**1** ص**170** ، وزاد المسير لابن الجوزي، ج**1** ص**52** .

1415 – الزمر ، **16**

1416 – انظر الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم ، ج**2** ص**603**

1417– النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، **2**، **280**

❁– الأولى: الإشارة إلى عظمة النعيم المخصوص 1418 قال تعالى:" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ 1419 ، و لقد قصد بالحذف " زيادة اختصار حالة جري الأنهار إذ الأنهار لا تكون في بعض الأحوال تجري من فوق ، فهذا الوصف جيء به لتصوير الحالة للسامع لقصد الترقّب"1420 ، و ليس لحرف " من " معنى مع أسماء الظروف إلا التأكيد ويكون خلو الجملة من التأكيد لحصول ما يغنى عنه من إفادة التقوى بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ، ومن فعل " أَعَدَّ " المؤذن بكمال العناية فلا يكون المعدّ إلا أكمل نوعه "1421 قال الرازي:" لم يبيّن أنّهم سابقون في ماذا فبقي اللفظ مجملا إلاّ أنّه وصفهم مهاجرين و أنصارا، فوجب صرف اللفظ إلى ما به صاروا مهاجرين وأنصارا."1422

❁ – الثانية: بيان عظمة منزلة الزمرة المخصوصة التي رفع الله تعالى في الملإ الأعلى قدرها ، و أعلى في العالمين مقامها ، إذ اجتباها بأعمال مخصوصة دلّ عليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:"إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾"1423 ، و قوله عز و جل:"لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

1418– إعجاز رسم القرآن، محمد شملول، ط3 ،2010 ، دار السلام ، القاهرة، ص182 .

1419 – السجدة ، 15 ،16 ،17.

1420 – ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج 2 ص 33 .

1421 – التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ج6 ص 19 .

1422 – انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ج15، ص168

1423 – الأنفال ، 72 إلى 75

وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾"1424 ،و قوله سبحانه:"هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾"1425 قال الطبري:" الذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمانِ باللهِ ورسوله "من المهاجرين" الذين هاجروا قومهم و عشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، " الأنصار" الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم على أعدائه من أهل الكفر بالله و رسوله ،" والذين اتَّبعوهم بإحسان " الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان باللهِ ورسوله ، والهجرة من دار الحربِ إلى دارِ الإسلام "رضيَ اللهُ عنهم ورضُوا عنه."1426

✵ – الثالثة: الترغيب في الإيمان و العمل الصالح من خلال دعوة العقل الإنساني إلى السياحة في آفاق التأمّل في الجنان ، و رحاب التدبّر في القرآن من خلال فنية التخييل البديعية التي تقوم على " تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهّم أنّه ذو صورة تشاهد و أنّه مما يظهر في العيان "1427 ، فتوظيف الخيال لتصوّر مشاهد النّعيم مما يوسّع الأمل في السعي و الهمّة في الطلب قال مسروق :" الجنّة تجري في غير أخاديد ، وأنّها تجري على سطح أرض الجنّة منبسطة "1428 ، فدلّ الذكر على دخولهم في النّعيم إجمالا للدلالة على شرط التوحيد و بالحذف خصّهم بأنواع النّعيم تفصيلا للدلالة على كمال الأفضلية و جلال المترلة عند الله تعالى ، و بهذا تظهر ميزة السابقين الأولين في الإيمان و في الزمان و المكان 1429 قال صلى الله عليه و سلّم:" خير القرون قرني .." ،و قد يزداد تخيّل النّعيم سعة و روعة إذا اعتبرنا ثبوت التمايز بين السابقين و حصول التفاضل فيما بينهم ، و

1424 – الحشر ، **8** إلى **10**

1425 – الجمعة ، **2** إلى **4**

1426 – تفسير الطبري، ج**6** ص**453**

1427 – المجيد في إعجاز القرآن المجيد، كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري الزملكاني، تحقيق شعبان صلاح ،ط **1** ،**1989** ، دار الثقافة العربية ، القاهرة، ص **165**

1428 – البحر المحيط، أبو حيان ، ج**1** ص **113** .

1429 – انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج**5**، ص**321** ، و جند الله ثقافة وأخلاقا ، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط**2**، **1998**م ،ص**166**

يؤكد هذه الحقيقة ثبوت التغاير القرائي في لفظ الأنصار فقد قرأ عمر بن الخطاب و أبيّ بن كعب و الحسن و قتادة و يعقوب برفع الراء عطفا على لفظ " السابقون "1430 على معنى التشريك في السبق بين المهاجرين و الأنصار ، و قرأ الجمهور بجرّ الراء عطفا على لفظ " المهاجرين "1431 ، و كذلك لفظ " الذين اتبعوهم "1432 ، فقد قرأ عمر بن الخطاب بغير الواو صفة للأنصار ، و قرأ الجمهور بالواو عطفا على ما سبق ، قلت: إنّ السرّ في حذف " من" من الآية هو اجتماع لذات النّعيم في الجنّة في صورتي عالم الشهادة و الغيب ،– و أوتوا به متشابها – ثمّ إكرامهم بمزية انفراد حقيقة نعيمهم في الآخرة عن نعيم الدنيا ، و بما أنّ التفاضل في نعيم الجنّة ثابت فإنّ المزية في ذلك ترجع إلى التفاضل في مراتب الأعمال و منازل الرجال و لا أفضل مرتبة من مرتبة النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته و التابعين – كما ثبتت تزكيتهم في القرآن و السنّة إجمالا و تفصيلا – ، و لهذا فإنّ السبق إلى الدين و الهجرة من أجله و نصرة منهجه و إخلاص المتابعة له هي من أعظم خلال الأفضلية ، و هذا إشارة إلى منزلة أهل القرون الفاضلة في الدنيا و الآخرة و الله أعلم.

- التغاير القرائي والإعجاز التصويري:

- الإعجاز التصويري " النفس المعرضة من الحقّ نموذجا ".

و مثّلت له بقوله تعالى: " فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً "1433

- التوثيق القرائي:1434

- ✵ – قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح فاء لفظ مستَنفَرةٌ.
- ✵ – قرأ الباقون بكسرها مستَنفِرةٌ.

1430 – البحر المحيط ج5 ص92 ، و المحتسب لابن جني،ج1 ص300 ،الكشاف للزمخشري،ج2 ص55 ،و النشر ج2 ص280 .

1431 – التذكرة في القراءات الثمان، ص359 ، و معاني الزجاج، ج2 ص466 ، و الدر المصون ،ج3 ص 497 .

1432 – جامع الطبري ،ج11 ص8 ، و جامع القرطبي،ج8 ص238 ، و روح المعاني، الألوسي،ج11 ص8 .

1433 – المدّثر ، 49 – 52

1434 – انظر الإتحاف ، 562 ، والكشف 2 – 347 ، و النشر 2– 393

لقد صوّر القرآن المشركين في إعراضهم المستبشع عن القرآن واستكبارهم المستشنع عن الحقّ فبدأ مشاهد تصوير حالهم مع الوحي الكريم بالاستفهام الإنكاري ، و وصف إعراضهم بالتعجّب الإنكاري من خلال براعة الاستهلال بحسن الاستفتاح بصيغة " فما لهم " الدالة على التعجّب والإنكار– و هي في القرآن كثير – من إصرارهم على الباطل ، ومن إعراضهم عن الحقّ مع وضوح الدلائل المرشدة ، و ظهور البيّنات الهادية 1435، و يزداد الاستفهام تعجباً، والإنكار توسعا أنّ المعرَض عنه تعيّنت فيه خصال الخير كلّه فهو العظة البالغة لهدايتهم ،1436 و الوحي المعصوم لصلاحهم ، 1437 و الشرف العالي لسعادتهم في الدنيا والآخرة ،1438 و البيان الشافي لأحكام معاشهم و معادهم ، 1439 ومن هنا جاء الاستفهام يحمل وصف الإنكار التعجبي ليصوّره بهوله ، و يرسمه بفضاعته ،ليظهر الإعجاز بالتصوير البارع في الحقائق التالية:

*- الإعجاز التصويري بين التجسيم والتشخيص:

التجسيم إبراز المعاني المجرّدة المدسوسة ، و تجسيدها في أجسام متحرّكة محسوسة ، و لقد وظّف الإعجاز القرآني أداة التصوير لينقل المعاني القرآنية من التجريد إلى حياة الحركة ، أمّا التشخيص فهو تحويل مظاهر الطبيعة الجامدة و الانفعالات النفسية الباطنية إلى شخوص حيّة متحركة ، في صورة مجازية بليغة يستعمل فيها " اللفظ لغير ما وضع له في أصل اللغة لعلاقة قد تكون المشابهة ، أو السببية ، أو الزمانية ، أو المكانية "1440 لتجول الحواس في رحاب الوجود ، و تصول متدبّرة معاني القرآن المسطور بتأمّل مشاهد الكون المنظور ليفتح لها آفاق التخييل ،1441 و التصوير فيتمثّل لها المعنى في الخيال 1442 مصوّرا بصورته

1435 – التفسير الوسيط ، **15 – 270**

1436 – و الشاهد من الاستعمال القرآني قوله تعالى: "نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ "سورة ق الآية **45**

1437 – و شاهد المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى:"أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ" سورة القمر– **25**

1438 – و الشاهد من الاستعمال القرآني قوله تعالى:"وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ " سورة المؤمنون – **71**

1439 – و شاهد المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى:"أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ "سورة الأعراف ، **63**

1440 – انظر إنعام نوال عكاوي ، المعجم المفضل في علوم البلاغة ، مراجعة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،ط **1** ، **1992** ، ص**693**

1441 – انظر محمد دالي الوحدة الفنية في القصة القرآنية ، ط**1**،، **1993** أمون للطباعة و التجليد ، ص**215**

البديعة في منظر تظهر به حياة المعاني في لوحات طبيعية رائعة الجمال 1443، ولقد فتح التصوير القرآني للعقل الإنساني آفاق التأمّل في مظاهر إعراض الكافرين المتنوعة ، ثمّ استحضر وجوه لفظ الإعراض و نظائره في القرآن ليقف على وجوهه الشنيعة ، و درجاته المتفاوتة ، و مفاسده الخطيرة ، لينطلق العقل في عملية تأمّلية من خلال المقارنة السهلة بين الذوات الملموسة – الكفار و الحمر الوحشية – و الأفعال المحسوسة – الإعراض و النفور و الفرار – ليتطابق كمال الإعجاز القرآني التصويري مع المعاني المرادة من المقارنة ، و بهذا تجتمع مشاهد المباني مع حقائق المعاني في صورة كمال الحياة كاجتماع الجسد بالروح " فاللفظ جسم ، و روحه المعنى ، و ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته " 1444 ، و ممّا يزيد الإعجاز التصويري قوة و دلالة القطع بحمل التشخيص في القرآن على حقيقته دون تأويل ليكون أداة مقصودة في بيان المعاني و توضيح الأحكام ، و لاحتفائه بقرائن الفهم و الإدراك ، وبمقامات الحال المفسرة لمقاصد الخطاب ، ولما كان المقصد من التشبيه كشف المعاني و إيضاحها وجب كمال الملاءمة بين المشبّه و المشبّه به ، وحتى يتحقّق هذا المقصد شبّه القرآن أحوال الكفار و مشاهد إعراضهم بالحمر الوحشية النافرة من الحيوان المفترس 1445، فأوحى وصف الملاءمة في الصورة البيانية الرائعة بجملة من لطائف الإعجاز التصويري منها:

أ– تشبيه الكفار المعرضين بالحمر الوحشية النافرة فيه إشارة بالغة على منتهى الحمق و الخرق ، وكمال الجهالة و السفاهة 1446، و لا أدلّ على ذلك من إنكار الحقّ بعد بيانه ، و من ردّ الخير بعد ظهوره.

ب– تشبيه صورة ثبات النفور و دوامه و شدّته بسرعة عدو الحمر الوحشية حين ترى قانصها ، و بخفّتها حين تحسّ بحركة مفترسها 1447، و هذا تصوير فيه دقّة تستجلي وقائع الإعراض الطائشة ، و مظاهره

1442 – الخيال هو الملكة المولدة للتصورات الحسية بالنسبة للأشياء المادية الغائبة عن النظر، و هو نوعان: الأول تستعاد فيه الصور التي سبقت مشاهدتها، فهو تذكر و استحضار ، و الثاني يعتمد على صور سابقة لتوليد صور جديدة فهو فن و إبداع . انظر جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2 ، 1984 ، ص2

1443 – انظر الكشاف، ج 3 ص226

1444 – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و نقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد ،1 ، 124 ،و انظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح ياسين الأيوبي، ط 1 ، 2002 ، المكتبة العصرية ، بيروت،

1445– البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2 ،96

1446 – المحرر الوجيز 5 – 399

1447 – البحر المحيط 8– 372

المشينة ، كما تستنطق دقائق العناد القبيح و أعماقه الخبيثة من خلال مسلك دلالة العموم في لفظ التذكرة الذي استغرق معاني أفراده.

ت- تعميق حقيقة التصوير في الأنفس من خلال دلالة الحدود المقيّدة لمشهد التشبيه " فمن عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة ما يجعلها معبّرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض المسوقة فيه ، ولهذه القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه لا ينتبه إليها إلاَّ المعنُّي بإبراز نواحي الجمال ، وسرِّ البلاغة في الأسلوب " ، 1448 و من الأدوات التي زادت التصوير براعة و مشاهد التشخيص نصاعة قيدان:

ﷺ - وصف المشبّه به بوصف النفور " حمر مستنفرة "، والنون والفاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على التجافي و التباعد 1449 ، و اسْتَنْفر الدابة كَنفَّر، و الإِنْفار عن الشيء والتَّنْفِير عنه و الاستِنْفار كلُّه بمعنى ، والاستِنْفار أَيضا النُّفُور ، و من قرأ مستَنْفِرةٌ بكسر الفاء فالمعنى نافرة ،ومن قرأ مسْتَنْفرةٌ بفتح الفاء فالمعنى مَنفَّرةٌ أَي مذعورةٌ 1450 ، و لقد زاد التغاير القرائي التصوير دقّة ، و المعنى عمقا حينما ورد لفظ التغاير " مستنفرة " - بصيغة الفاعل و اسم المفعول- على قراءتين ،فعلى قراءة الكسر" مستنفِرة " أي نافرة 1451 يكون النفور فيها جبلّة و طبيعة، وعلى قراءة الفتح "مستنفَرة " مُنفَّرة - مدفوعة إلى النفور- يكون النفور فيها جهدا و اجتهادا ، وتزداد ظلال اللفظ إيضاحا وتجسيدا دخول حرفي السين والتاء صياغة المفردة القرآنية ليفيد المبالغة في إثبات هذا النفور1452 ، ففي " الاستقبال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرّد كأنّها تواصت بالنفور ، وتواطأت عليه"، 1453 والغالب في صيغة " استفعل" أنّ حروف

1448 – محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص407

1449 – معجم مقاييس اللغة ،5 – 459

1450 – لسان العرب، 5 – 224

1451 – مجاز القرآن ، 2 – 276

1452 – التحرير و التنوير ، 29 – 330

1453 – التفسير القيّم، ابن قيم الجوزية ، ط1،1990 ، دار الهلال ، بيروت، 503

الزيادة فيها تفيد المبالغة و كأن الحمر لشدّة العدو تطلب النّفار من نفسها ، والمعنى مشبّهين بحمر نافرة جدا.1454

ﷺ – تنكير المشبّه به للدلالة على التفخيم ، و عليه فإنّ " مجيء لفظ في القرآن معرفة ، ومجيء لفظ آخر نكرة ، ومجيء لفظ في موضع معرفة ونكرة في موضع آخر ، لم يكن مصادفة في القرآن ، إنّما هو مقصود في كل موضع ، وجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ، ويتناسق معه "1455 ،و من هذه القاعدة فإنّ تنكير لفظ الحمر أفاد لزوم صفة الوحشية للحمر فنفى التنكير عنها وصف الأهلية كما أضاف التنوين تفخيم هذه الصفة و تعظيم ما فيها من النفور مع استصحاب وصف النفور بوجهي التغاير القرائي.

ث – دلالة التقديم و التأخير على إعجاز التصوير إذ " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصريف بعيد الغاية لا يزال يفتّر لك عن بديعة ،ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مَسْمَعُهُ ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب ذلك أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان " 1456 ، و التقديم و التأخير في القرآن أسلوب مقصود و يقع " بأحد خمسة أشياء إمّا بالزمان ، وإمّا بالطبع ، وإمّا بالرتبة ، و إمّا بالسبب ، و إمّا بالفضل والكمال "1457 ، ولقد تقدّم الجار و المجرور " عن التذكرة " عن متعلّقه " معرضين "، و في التقديم دلالة على معنى الاختصاص المبينّ لإعراضهم الكبّار ليشير إلى أنّ الجار و المجرور مفعول في المعنى كما يبرز عظمة ما أعرضوا عنه ، وكشف منزلة الاهتمام بالمقدَّم و العناية البالغة به ، فيكون التقديم لواء دعوة لهم إلى الإيمان ، و دلالة تسفيه عقولهم لجرم ما اقترفوا و جهل ما تركوا.

1454 – روح المعاني ،29 – 134 و انظر النكت للرماني، ص 78 ،و إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، حفني شرف ، ط 1970 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص 339 ، و من أساليب البيان في القرآن ، محمد علي أبو حمدة، ط 1 ،1978 ، عمان ، الأردن، ص 76 .

1455 –صلاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني ، 230 .

1456 – دلائل الإعجاز ، 83.

1457 – انظر ابن القيم ، بدائع الفوائد، ص 69، و التقديم والتأخير في القران الكريم ، حميد احمد عيسى العامري، ط1، 1996، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 158.

ج – عدول لفظ الإعراض من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم " معرضين " للدلالة على ثبوتهم على وصف الإعراض و دوامهم عليه ، وكأنّ إعراضهم كفر تأصّل في قلوبهم ، و تأسّس في نفوسهم ، ليفيد عموم الذمّ ، يشهد لهذا الإيحاء ورود المفردة إيجاز قصر لتجمع كلّ معاني صورة الإعراض عن الحقّ.

* – خصائص الإعجاز التصويري:

الصورة ريشة ترسم معاني الحياة على مشاهد اللوحات ، و لقطة تضفي دلالات الحركة على المجسّدات ، فتمنح المصوّرات " الحركة و اللون و الإيقاع ، ما يجعله ربّما أجمل من واقعه ، و أكثر من ذلك أنّ المصوّر الفني يضفي من روحه و ذوقه وثقافته على الصورة الفنية ما يعجز المصوّر بالآلة عن الإتيان به ، فالصورة بالآلة تحكي شيئا واحدا، و وضعا واحدا ، و معنى واحدا ، ولحظة واحدة ، بينما تحكي الصورة الفنية أشياء ، و تتحرّك في أوضاع ،و توحي بمعان كما أنّها تنسب إلى مصورها."1458

إنّ التصوير فن عجيب و مسلك رهيب يخرج خبء المدسوس فيصيّره محسوسا ،و يلج مداخل الأنفس فيصف المشاعر و يرسم الإحساس فهو " الصورة المُحسّة عن المعنى الذهني ، و الحالة النفسية ، و عن الحادث المحسوس ، و المشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني ،و الطبيعة البشرية ، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة..، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، و إذا النموذج الإنساني شاخص حي ، و إذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية ، فأمّا الحوادث و المناظر ، و القصص فيردها حاضرة ، فيها الحياة ، و فيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل..، حتى يحيل المستمعين نظارة تتوالى المناظر ، و تتجدّد الحركات ، و ينسى المستمع أنّ هذا كلام يتلى، و مثل يضرب ، و يتخيّل أنّه منظر يعرض ، وحادث يقع...فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصوّر المعنى الذهني و الحالة النفسية ، وتشخّص النموذج الإنساني ، أو الحادث المروي إنّما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصور ، ولا شخوص تعبّر أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللّون من ألوان التعبير "1459 ، و لقد أشار الإعجاز التصويري في التغاير القرائي إلى جملة من الخصائص منها:

أ– الإعجاز التصويري و دقّة التناسق بين المشاهد.

1458 – منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي ، ط 2002 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ص149

1459 – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ط 3 ،1993، دار الشروق ، القاهرة ،ص36

لقد أظهر الإعجاز بالانتقال– من خلال مسلك القرينة النحوية "بل" في مشاهد إعراض الكفّار عن الحقّ – بين المشاهد التصويرية لطيفة إعجاز التناسق في رسم ملامح الصورة بتحقيق التلاؤم بين أجزائها المشخّصة ، وتوزيعها بانتظام بديع متجانس بعيدا على التنافر و الاكتظاظ 1460 ، فبدأ بأوّل مشهد ليرسم الصورة بالاستفهام الإنكاري بقوله: "فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ" ، ثمّ ينتقل للمشهد الثاني فيصوّر شناعة الإعراض في لوحة طبيعية مجسّمة شخّصت ملامحها وجوه التغاير القرائي بقوله:" كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ "ليحيل العقل عليها فيسبح في آفاق الخيال ليحكم بالمقارنة التأمّلية على صورة الإعراض المقيت ، ثمّ ينتقل للمشهد الثالث فيزيد الصورة نصاعة ، و المشاهد وضاحة ، و ظلال المعاني عمقا وكثافة بقوله:" فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ " لتؤول المقارنة بالعقل المتدبّر فيبصر قوّة الحقّ في شجاعة القسورة ، و ضعف الباطل في نفور الحمر ، ثمّ ينتقل للمشهد الرابع ليصوّر اجتماع الإعراض بالسخرية و العناد ليقف على علّة مرض القلوب في هجر الخشية من علاّم الغيوب فقال:"بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ "، و بهذا التناسق التصويري المعجز تتكشّف للناظر المتأمّل آفاق المعاني العميقة وراء آفاق المباني الفصيحة في حلقات متواصلة رائعة ، و دلالات موحية واسعة ، لتتفيأ ظلال التناسق الوارفة بين النظم المعجز الفصيح إلى المعنى القوي المترابط ، ومن اللفظ الدقيق المعبّر إلى التعبير المصوّر المؤثر ، ومن التصوير الطبيعي المشخّص إلى التخييل العقلي المجسّم ، ومن التفنّن في إخراج مشاهد التصوير إلى الإبداع بالإيقاع ، ومن السرد المتسلسل العذب إلى التغيير السلس الهادئ.1461

ب – الإعجاز التصويري بين واقعية الحدث ومثالية الهدف.

لقد أضفى التغاير القرائي على واقعية تصوير معاني الإعراض و العناد و الاستهزاء ظلالا عجيبة من وضوح البيان – فالإعراض يشير إلى بطر الحقّ ، و العناد يشير إلى تعمّد السوء ، و الاستهزاء يشير إلى غمط الخلق– ، و عجيب قوّة التأثير في النفس البشرية ذاك لأنّ " الصورة التي تنقل المشهد بشكله الواقعي قد تبدو أكثر تأثيرا و إمتاعا ، ولا تنقصها القدرة على استثارة المتلقي ، وتحريك مشاعره ، فإنّ مِن المشاهد

1460 – سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص92

1461 – عدنان زرزور ، القرآن و نصوصه ، ط 1980 ، مطبعة خالد بن الوليد ، الرياض ، ص308

الواقعية ما يحرك العواطف ، و يهزّ الوجدان بمجرد التعرض له "1462 ، و بهذا استطاع إعجاز التصوير القرآني مع جمال اللغة الفنية أن يبعث بالمعاني الواقعية المصوّرة إلى الوجدان الإنساني ليحرّك الفطرة الدينية ، فيحقّق في الإنسان مقصدين:

- طمأنينة نفسية ثبّتتها واقعية الموضوع.
- متعة فنية حقّقتها قوّة الأداء التأثيري ،وجمال الإبداع التصويري.

ت – الإعجاز التصويري و وظيفة التمثيل القرآني.

إنّ عناصر التصوير بالتمثيل في القرآن الكريم منتزعة من الطبيعة الواسعة التي سخّرت للعمارة البشرية ، و بسطت للحياة الإنسانية ، فوهب الخالق الإنسان معرفة مظاهر الطبيعة انطلاقا من قاعدة الاعتبار بالنظر في الكون المنظور ، فتوطّدت علاقة الألفة بين المكلّف و المسخر ، و غدت الطبيعة ميدان تصوير و صورة تمثيل يدركها الإنسان مطلقا ليتساوى الخلق في رؤية جمالها ، و فهم مقاصد توظيفها في تقريب المعاني المجردة إلى العقول في مشاهد محسوسة لها ارتباط بشؤون الحياة الإنسانية 1463 ، و الهدف من التمثيل " هو التفخيم للمعنى و التكميل ...فأنت كمن يتوسّل إليها – النفس– للغريب بالحميم ، و للجديد الصحبة بالحبيب القديم ...وكمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ، ثمّ يكشف عنه الحجاب ، و يقول: ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت "1464 ، فالمثل يضفي على الصورة الجمال الآسر ، ويلفت الانتباه إلى لطائف التشبيه المؤثر ، ومقاصد التصوير الهادف.1465

ث– الإعجاز التصويري بين رحابة الصورة و عمق التغيير.

تعتبر الصورة القرآنية أوضح المسالك الفنية لكشف المعاني العميقة ، و أعظم الأدوات الحوارية لإقناع العقول و التأثير على النفوس ، و لما كان مقصد التصوير تحقيق الهداية الربّانية تجرّد بإعجازه عن القيود العلمية للصور البيانية ، و امتطى جميع الأشكال المجازية ،1466 لتنسجم رحابة الإعجاز التصويري مع اتّساع المعاني الإعجازية ، و من دلائل ذلك عدم القدرة على تقييد أساليبه و طرقه " و لو ذهبت تفكّر لتقف على

1462 – ابراهيم بن عبد الرحمان الغنيم ، الصورة الفنية في الشعر العربي، ص**176**

1463 – سميح عاطف الزين ، الأمثال في القرآن ، ط **1987** ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص**35**

1464 – الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص**103**

1465 – محمود بن الشريف ، الأمثال في القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ص **64**

1466 – إحسان عباس، فن الشعر، ط **6** ، **1979** ، دار الثقافة ، بيروت، ص**238**

القاعدة التي بها يتمّ تصوير اللفظ للمعنى كي تتّخذ منها دستورا لصياغة الكلام على نحو ما فعل العلماء في استنباط قواعد الاستعارة و المجاز و غيرهما لما انتهيت إلى شيء كل ما يمكن للفكر أن يعلمه ، وكل ما يمكن للحسّ أن يشعر به هو أنّ الألفاظ القرآنية تلصق صورة المعنى و شكله بإحساسك ، و أنّ لتناسق حروفها المعينة ، وتوالي حركاتها المتنوعة أثرا كبيرا في هذا التصوير"1467 ، و عليه " فإنّ التقديم الحسّي للمعنى القرآني أسلوب أعمّ من التشبيه و الاستعارة ، و الصور الحسية لا تستعمل هذا الأسلوب على وجهة الحقيقة أو جهة المجاز ، و إنّما هي تصوير للمعنى ، و تمثيل له في مخيلة المتلقي فحسب."1468

ج – الإعجاز التصويري بين تماسك صوره و وضوح أدائه.

لقد تماسكت لوحات الصور التمثيلية في القرآن الكريم حتى غدت عقدا فريدا تواصلت معالم جمال حلقاته ، و تناسقت خيوط وثاقه ، فقد تواردت مشاهد التصوير التمثيلي مركّبة الأجزاء ، محبوكة الأوصال تأبى الانقطاع ، ظاهرة للعيان واضحة البيان ، قوية الأثر في العقل و الوجدان ، فتدبّر قوله تعالى:" كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ "، وتأمّل تصوير القرآن إعراض الكفار عن الحقّ في مشهد الحمر الوحشية فهل يصفح عنك النظر الصحيح أن تجعل التصوير في الآية عضين فتكتفي بصورة الحمر مشهدا لمطلق التشبيه ؟ كلا و الله ففي لفظ الحمر دلالة على رذيلة الإعراض بتعطيل أدوات الفهم و الإدراك "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ "1469 ، و بإهمال إعمال العقول في معرفة الخالق المعبود " وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ "1470 ، ثمّ يأبى التماسك الاجتزاء ، فيضيف للإعراض نفورا سريعا لينبئ عن عداوة بغيضة بالطبع و الدفع جسّد أعماقها التغاير القرائي ، ثمّ يزداد تماسك الصورة وضوحاً و أجزاء التمثيل جلاء عندما تلتحق بالصورة الكليّة لوحة جزئية الفرار من القسورة ليكتمل رسم

1467 – البوطي، من روائع القرآن ، ص202

1468 – جابر عصفور ، الصورة في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط 3 ،، 1992 المركز الثقافي العربي، بيروت، ص267

1469 – الأعراف،179

1470 – التوبة ، 21– 23

صورة الإعراض و هو هائم على وجهه لا يقدر على شيء كَلّ على غيره لا يأتي بخير يقلّب كفّيه في إنفاق العناد ، ترتعد أوصال قلبه فزعا من جلبة الحقّ ، يتهاوى من جرف هار إلى الهلاك.

*- الأسلوب القرآني و الإعجاز التصويري.

لقد جمع الإعجاز التصويري في أسلوبه ظلالا من التناسق " أسلوب متناسق ، تتناسق ألفاظه ، وجمله و تراكيبه ، وتتناسق صوره و ظِلاله، و تتناسق إيقاعاته و موسيقاه ، و هذا التناسق يحسّه كلّ قارئ للقرآن بدرجات متفاوتة ، وكثيرا ما يعجز عن تعليل ما يجده من أثر إيقاع القرآن في نفسه ، و تأثيره على حسّه "1471 ، و قد تجلى في الصور التالية:

أ – التناسق اللفظي.

المفردات القرآنية مفاتيح المعاني العميقة و الظلال الإيحائية ، فقد تنوّعت وظائفها فمفردة جمال وقعها على السمع ، و أخرى حسنها في اتّساقها مع المعنى ، و ثالثة كمالها في اتّساع دلالتها1472 ، و لقد تناسقت المفردات القرآنية في حسن تواردها فجاء لفظ الإعراض ليفيد معنى التولّي عن الحقّ ، ثمّ اتّسعت دلالة الإعراض ليضاف إليها التولّي مع النفور ، ثمّ تأتي شجاعة الاتّساع لتشمل دلالة الإعراض الاستهزاء مع شدّة النفور باختيار مفردة القسورة دون غيرها من ألفاظ الافتراس إشارة إلى بيان صورة النفور بمجرّد وقوع الرؤية ، فاكتملت بذلك صورة البيان القرآني بدلالة الألفاظ القرآنية على معانيها العميقة المقصودة ، و صورها الدقيقة المعبّرة ، و ظلالها الوثيقة المؤثّرة.1473

ب – التناسق التركيبي.

لقد تناسقت العبارات في حسن نظمها ، وحبك صياغتها لينتقل التركيب بإعجازه في بيان المعاني من التجريد بقوله:" فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ " إلى التصوير بالتجسيم " كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ "، و

1471 – عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير عند سيد قطب، ص154

1472 – بكري شخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، ص281

1473 – فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 263. العَلاقة واضحة بين دلالة الإيقاع الصوتي و مشاعر النفس البشرية فهو أداتها الصوتية المحاكية لانفعالات النفسية ولغتها الجرسية القادرة على بيان أعماق عواطفها الوجدانية .انظر الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2،1964، القاهرة ، ص 23 ،و بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم ، ص281

من التصوير الواضح في مشهد رسم طبع النفور في الحمر المتّسع بدلالة التغاير القرائي" كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ " إلى التصوير الجلّي الأوضح في مشهد رسم سعة النفور في سعة لوحة الطبيعة " فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ " ليدلّ إعجاز النظم بدقّة حبكه ، و إعجاز التصوير بعمق هدفه على بيان المعنى القرآني.

ت – التناسق الصوتي.

يعتبر الإيقاع من اللطائف الظاهرة لأسلوب الإعجاز التصويري ، ويظهر ذلك جليّا في تناسق المقاطع ، و إيحاء النبرات1474 ، لتتناسق الدلالات بالنغمات ، وكمال المعاني بقوّة جرس المباني 1475 ، فتبلغ أعمق مواطن التأثير في النفس البشرية لتغرس المقاصد الدينية ، لهذا جاء كل حرف في القرآن يحمل وظيفة تربوية و رسالة شرعية تشخّص أمراض النفس و تصحّحها ، و تسرد وقائع التاريخ و تبيّن حقائقه ، و تستنطق سنن قيام الحضارات و سقوطها إلى غير ذلك من المقاصد القرآنية 1476 ، ولقد صوّر التغاير القرائي مشهد شناعة الإعراض عن الحقّ ببيان شدّة نفور الحمر من خلال لوحة طبيعية مشخّصة ، دلالات مفرداتها قويّة الإيقاع ، و أصوات حروفها مصلصلة الجرس بقوله: " فرّت من قسورة " فأضاف إلى أصالة النفور بالطبع و دوامه بالوصف فعل الفرار عند رؤية موجبه القوي ، و قد تناسقت إيقاعات المفردات مع مقامات السياق القرآني ما بين البطء بقوله:" معرضين " – ليدلّ المدّ على طول زمن الإعراض – و السرعة بقوله:" مستنفرة و قسورة " ليدلّ الوقف دون مدّ على التولّي السريع عن الحقّ سرعة نفور الحمر عند سرعة اقتناص القسورة ، و أضاف لفظ الفرار بظلاله الصوتية معاني الهروب و التباعد و التجافي بدلالة مسلك النظائر القرآنية 1477 ، و قد زاد النفور تصويرا عدول التركيب القرآني عن لفظ الأسد إلى لفظ القسورة فظهر أثر الصوت على المعنى إذ دلّ لفظ القسورة دلالة أقوى على القسر و القهر و السيطرة و الغلبة ، و ما سمّي بذلك إلاّ لأنّه يقهر السباع ويغلبها.1478

ث – التناسق الدلالي.

1474 – تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، ط 3، 1953، القاهرة، 2، 222.

1475 – فقه اللغة وخصائص العربية ، 283.

1476 – التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، 244.

1477 – انظر إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن ، الدامغاني ، ص 353 ، و الوجوه و النظائر، ابن الجوزي ، ص 304

1478 – التفسير الكبير ، الرازي ، 30 – 213

لقد حقّق الإعجاز التصويري تناسقت المعاني و الدلالات بأداة حسن الانتقال بين مشاهد الصور الطبيعية ، و قد أفاد هذا التناسق العجيب بقرينة " بل " النحوية و دلّ الإعجاز بالانتقال في التصوير على الانتقال في بيان عرض المعاني على منحى التصاعد في الجلاء و الوضوح فأخبر عن الإعراض ، ثمّ صوّره في الحمر الوحشية ليزداد معناه بوصف الوحشية ، ثمّ وسّع دلالته طبعا جبلّيا و عملا دفاعيا بدلالتي القراءة القرآنية باسم الفاعل و المفعول ، ثمّ ختم مشهد كمال المعنى – الإعراض المتشدّد ، و العناد المتجدّد ، و الاستهزاء المتأكّد – بقوّة الوارد – الحقّ – كقوّة القسورة في الافتراس ، و فجأة المباغتة في الاقتناص.

ج – التناسق النفسي.

لقد تناسقت مشاعر الإعراض مطلقا – فظهر منه الاستكبار– لتضاف إليها صورة أحاسيس العناد المشبّه بالنفور – فظهرت سريرة الإصرار على الباطل– بوجهي القراءتين ثمّ تضاف إليه نفسية الفزع عند شدّة الحقّ المشبّه برؤية الطريدة شراسة مفترسها.

*- مقاصد الإعجاز التصويري:

لقد حقّق الإعجاز التصويري – إعراض الكافرين من خلال وجهي التغاير القرائي – جملة من المقاصد القرآنية منها:

أ– تقريب المعاني المجرّدة من إدراك العقل بالحجّة و الإقناع ، و غرسها في حسّ القلب بالتأثير في الوجدان ، و بفنيّة التشخيص صوّر القرآن إعراض الكافرين لوحة تجمع رسم نفور الحمر الوحشية لينفر العقل من نفور المعاندين ، و يبعث في الوجدان النفسي قوّة الحقّ في لوحة شجاعة القسورة ، فيجتمع العقل و القلب على مقصد الإعجاز من التصوير يقول سيد قطب:" إنّ المعاني في الطريقة الأولى– التجريدية– تخاطب الذهن و الوعي ، و تصل إليهما مجرّدة من ظلالها الجميلة..، و في الطريقة الثانية – التشخيصية – تخاطب الحِسّ و الوجدان ، و تصل إلى النّفس من منافذ شتّى من الحواس بالتخييل ، و من الوجدان المنفعل بالأصداء و الأضواء ، و يكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها الوحيد."1479

ب – إظهار الأغراض بدقّة بالغة ، وبلغة رائعة تخاطب حاسّة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، لأنّ " قيمة الجمال لشيء تكمن في البنية التكوينية له ، و هذه البنية تتألف من جمال العناصر المكونة له ، و انسجام

1479 – سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص**242**

هذه العناصر ، و عدم تنافرها ، و جمال المعنى ، ونيل المقصد الذي تعبّر عنه هذه التركيبة " 1480 ، و لقد أبطل الله تعالى إعراض الكافرين و أزهق عنادهم ، ثمّ أظهر تذكرة القرآن و موعظته ، ثمّ حدّد بمسلك الإعجاز التصويري مقصد التنزيل وغايته ، فقال سبحانه :"كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ "1481

ت- تقريب الحقائق القرآنية الكليّة في صور جزئية متناسقة تمكّن العقل الإنساني المحدود من إدراك الأمور الغيبية العقدية و المعاني القرآنية المجردة ، فالصورة الكليّة هي قضية التدافع بين الحق و الباطل ، ثمّ تجسّدت حقائقه في صورة الإعراض و مراتبه ، ثمّ في العناد و دركاته ، ثمّ في الاستهزاء و فنونه في لوحات طبيعية متناسقة تجلّت أولاها في صورة الحمر الوحشية التي أشارت ألوانها وأشكالها و شخوصها إلى دلالات العناد و الإعراض ، و هذا وصف ثابت في الحمر الأهلية فكيف بالوحشية ؟ إذ هي أولى به لمناسبة البلادة الظاهرة ، و لهذا ضرب الله تعالى بها الأمثال فقال سبحانه:"مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ "1482،ثمّ انظر بعد إلى حركات الحمر ، و دلالة لفظ الوحشة على النفور ، ثمّ انظر إلى شدّته و حدّته و قد شخّصته إيقاعات المفردات ، و رسم وضوحه تغاير القراءات بقوله جلا و علا:" كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ "،و أخرج حياته إلى الوجود تناسق مشاهد اللوحات بقوله سبحانه:" فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ " ،حتّى الحروف أبت إلاّ أن تظهر صورة التباعد في الإعراض و النفور بتباعد مخارج الحروف بين الحاء الحلقي و الميم الشفوي في لفظ الحمر ليدل الإعجاز بالتصوير على كمال المقاصد و الغايات ، فيخضع العقل لخالقه مستسلما منقادا ، و تنساق النفس له طائعة.

ث- اختزال مسافات الزمن في التغيير ، و إيجاز التعبير بالتصوير ، و اغتنام جهد العقل في الخيال بالتفكير ، ليستنهض المتدبّر إبداع فكره ، و يستحضر رصيد ذكرياته في تأمّل لوحات الصور المتناسقة ، لتجتمع عنده المعاني دفعة واحدة ، فيحقّق مقاصد التنزيل من إعجاز التصوير ،فقد استطاع القرآن بفنية تصوير المعرضين المعاندين أن ينسخ مفاوز الزمن في تغيير النفوس ، فيغرس فيها كراهة الحمر الوحشية و نفورها ، و يدفع

1480 – محمد رواس قلعجي، لغة القرآن لغة العرب المختارة، ص67

1481 – المدّثر ، 54، 55، 56

1482 – الجمعة ، 5

شرود العقول في استحضار المجرّدات بفرض واقع حركات نفور الحمر المجسّمة بأدوات الإقناع المشخّصة لمشاهد الإعراض ، و بسعة فروق معاني التغاير القرائي.

ج – تذوّق القلب إعجاز الإيجاز بجمال التصوير ، وبلاغة الحذف بحسن الإيقاع ، " فالأشياء الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تجد كيفيتها كموقع الطعوم المركّبة لذيذة المذاق "1483 ، فيضفي التصوير على النظم إعجازا بليغا ، فتجتمع دلالات ألفاظ الإعراض و النفور لتنسجم بالكمال مع ذوات الحمر الوحشية ، فيكفي لفظ الحمر الدلالة على النفور، والتباعد ، فكيف وقد تآخى معه لفظ النفور بوجهي قراءته ، ولفظ الفرار بظاهره ، ولفظ القسورة بظلاله و إيقاعاته ، فجمعت فنّية الإعجاز بالتصوير جمال المفردات بكمال الدلالات ، ودقّة الحركات بروعة الإيقاعات ، وتربية النفوس و الذوات على نبل المقاصد و الغايات " ، فكلُّ كلمة لو أُفرِدت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامّتها ذواتها مّما تجري في الحُسنِ مجراها ، وتأخذ في معناها."1484

❁- الإعجاز التصويري و اتّساع المعنى التفسيري.

لقد جرى التشبيه على قاعدة مراعاة المشهور من معهود كلام العرب الذي يصف مشاهد معاشها ، و يرسم مقامات أحوالها ، و يصوّر وقائع اجتماعها ، و لهذا فإنّ أكثر تشبيهات العرب لا تخرج عن أوصاف محيطها ، و منه وصفها الإبل بالحمر في شدّة عدوها إذا وردت ماء فأحسّت بمفترسها1485 ، و عليه فإنّ تشبيه القرآن الكفّار بالحمر النافرة المستنفرة مذمّة شنيعة لهم ، وتهجين قبيح 1486 قال ابن عاشور:" إنّ التشبيه في الآية مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مّما تضمّنته قوارع القرآن ، فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان ، وإيثار لفظة قسورة هنا لصلاحيته لتشبيهين مع رعاية الفاصلة "1487 ، و هذا يفيد أنّ الحقّ أشدّ على أهل الكفر وقعا إذا ظهرت شدته ، وصوّرت من خلال مشهد شدّة عدو الحُمر و نفورها من الأُسد يشهد له قوله تعالى:" وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَهُمۡ

1483 – أحمد عبد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ،دراسة تاريخية فنية ، ط 1988 ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ص15

1484 – أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص190

1485– ينظر، الكشاف ، 4، 188

1486 – ينظر الكشاف ، 4، 188 ، و تفسير القران العظيم ، ابن كثير ، 4 ،404

1487 – التحرير والتنوير ، 26، 330

يَسۡتَبۡشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ "1488– و لقد وسّعت نقول اختلاف المفسرين – في تفسير لفظ القسورة – مشاهد التصوير فزادت من لطائف إعجاز القرآن فكانت أقوالهم في لفظ القسورة كالتالي: 1489

أ – لفظ جمع يراد به الرماة الصيادون ، فالقسورة بلهجة هذيل رماة الوحش1490 ، و على هذا فإنّ صورة نفور الحمر الوحشية تتصاعد برؤية الإنسان ابتداء ، ثمّ بمشهد الرمي منه ثانيا.

ب – الرجال الأقوياء 1491 قال ابن عباس:" ما أعلم القسورة الأسد في لغة أحد من العرب ، ولكنّها عصب الرجال "1492 ، و منه تتجلّى لوحة النفور المتشتّت غير المهتدي إلى صراط قويم.

ت – اسم ذات على وزن " فعْولة "و يراد به الأسد بلهجة قريش1493 ولغة الحبشة 1494 قال ابن عباس: " القسورة الأسد بالحبشية."1495

ث – ظلمة الليل ، فالحمر عند سواد الليل أشدّ نفرة و أعظم توحّش1496 ، و بهذا يجتمع عليها افتراس شديد و محله المجانس له .

ج – أصوات الناس1497 إذا أحدثت الجلبة المفضية إلى النفور الشديد ، و بهذا تجتمع دلالات الأقوال المأثورة في التفسير على توسيع مشاهد الصراع بين الحق و الباطل ، و مواقف إعراض الكافرين عن التذكرة

1488 – التوبة ، **125،124**

1489 – لقد توسعت العرب في دلالة لفظ القسورة فأطلقتها على كل شديد ،وذهب بعض أهل اللغة لفظ القسورة اسم جمع لا واحد له من لفظه ، و ذهب البعض الآخر إلى أنه اسم جمع قسور للرامي ، وذهب البعض الآخر إلى أنه جمع على خلاف القياس إذ ليس قياس، وعدّه بعض العلماء من الألفاظ الأعجمية. انظر لسان العرب ، مادة " قسر " **6/ 402** ، و التحرير والتنوير ، **26/ 330** ، و الاتقان في علوم القران ، **2/ 101** ، و معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية ،عبد الحليم محمد قنبس ،ط **1987** ،مكتبة لبنان، بيروت، ص **93** ، و المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم و قراءاته، أحمد مختار عمر، ط **1** ،**2002** ، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ص **372**

1490 – انظر معاني القرآن ، للفراء **3،206** ،و جامع البيان للطبري، **12**، **320** ، ومقاييس اللغة ، مادة قسر**5،88** .

1491 – معترك الأقران، للسيوطي، **2**، **352** ،وفتح القدير،للشوكاني،**50**، **414**

1492 – الجامع لأحكام القرآن ،**19،58**

1493 – البحر المحيط ، **8** –**372**

1494 – ينظر مجاز القران ، **2/ 276**، و معاني القران للفراء **3/ 206** .

1495 – ينظر الإتقان في علوم القران ، **2/ 99** ، و معترك الأقران في إعجاز القران ، **2/ 352** و ذهب البعض إلى أنّ الأسد بلسان الحبشة عنبسة ، وبلسان فارس شير ، وبلسان النبط آريا. انظر معاني القران للفراء ،**3/ 206** .

1496 – لسان العرب ،**6/ 402**

1497 – النكت والعيون ،الماوردي ، **6/ 149**

لتدلّ على" إسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها إسراعاً يمضون فيه على غير هدى ، فوصف الحمر بأنّها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه ، يزيد في هربها وفرارها أسدٌ هصور يجري خلفها فهي تتفرّق في كل حدب و صوب ، وتجري غير مهتدية إلى كل مكان ، أوَلا ترى في صورة هذه الحمر وهي تجدُّ في هربها لا تلوي على شيء ، تبغي الفرار من أسد يجري وراءها ممّا ينقل إليك صورة هؤلاء القوم المعرضين عن التذكرة فارّين من أمام الدعوة لا يلوون على شيء ، سائرين على غير هدى ، ثمّ ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم و السخرية ؟ "1498

❋ - النحو القرآني و الإعجاز التصويري:

لقد أفادت أداة "بل"1499 في قوله تعالى:" بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً " الإضراب بالسكوت بعد تصوير حكم سابق مثبت ، ثمّ الانتقال إلى تصوير حكم جديد مؤسّس ، و عليه فقد أضرب القرآن عن جواب الاستفهام في قوله:" فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ "، و سكت إذ لا حجّة عندهم في إعراضهم ، ثمّ انتقل ليدلّ الانتقال على مقدّر يقتضيه المقام ، فهم لا يرتضون تذكيرا و لا يحبّون نذيرا ، غير أنّهم يريدون صحفا منشّرة 1500 ، فدلت قرينة التفسير النحوي " بل " على الانتقال من تصوير مشهد شناعة الإعراض في لوحة نفور الحمر إلى تصوير مشهد بشاعة العناد في لوحة السخرية والاستهزاء ،ثمّ الانتقال إلى تصوير مشهد النفس المعرضة المعاندة بتشخيص علّة المرض فقال سبحانه:" كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ " ، و يرى الباحث أنّ قرينة التفسير النحوي "بل " في الموضعين و إن أفادت الإضراب و الانتقال فإنّ ظلال المعاني العميقة لسياق النظم القرآني توحي بدلالة إبطال ما هم عليه من الإعراض و العناد و الاستهزاء ، فقد دلّ مقام السياق على معنى الإنكار بالتوبيخ و التشنيع مؤكدا بمقام الوقف على أداة النفي" كلا "1501 التي أفادت الردع و الزجر في قوله تعالى: بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً كَلَّاۖ "– و

1498 – من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ص**200**

1499 – حرف إضراب و له معنيان :أحدهما إضراب إبطالي و هو إبطال الأول و الرجوع عنه إمّا لغلط أو نسيان ، و ثانيهما انتقالي و هو الخروج من قصة إلى أخرى من غير إبطال .انظر الكتاب ، سيبويه ،**1** ،**439** ،و المقتضب للمبرد،**1** ، **150** ،و شرح الكافية الشافية لابن مالك،**3** ،**1233**

1500 – الفتوحات الإلهية ،**8** – **70** ، و تفسير أبي السعود **9** ، **63** ، و روح المعاني **29** ، **168**

1501 – انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني ، **1** ،**258**

الله أعلم و أحكم– ،و لقد أفادت دلالة التفسير النحوي أنّ الجمع بين المشاهد التصويرية بالانتقال قد صوّر إعجازا آخر في النظم القرآني فقد اجتمعت المفردات القرآنية بإيقاعاتها لِتؤلف جملا قرآنية ، ثمّ اجتمعت الجمل القرآنية لتؤلف الصورة القرآنية ، ثمّ اجتمعت مشاهد الصور لتؤلف كليّة التصوير القرآني الذي تتحرّك فيه مشاهد الصور المتتالية ، و تتحاور فيه الكلمات القرآنية المتآلفة في طبيعة واسعة اتّساع المعاني القرآنية 1502 فيؤدي التشخيص بالكون المفتوح عملا إعجازيا " لا يؤديه العمل السينمائي اليوم من نقل المشاهد بحركاتها و سكناتها ، ونطقها وصمتها ، وكم تتكلّف السينما لهذا العمل مِن لقطاتٍ مئات و ألوفا ، أمّا النظم القرآني فإنّه ينقل المَشاهد بأبعادها وأعماقها ، و بحركاتها و سكناتها ، و بنطقها وصمتها ، و بوسوسة خواطرها و هواجس نفوسها ، ثم ّلا يكون ذلك كلّه إلا بلقطة أو لقطتين أو ثلاث للمشهد الواحد "1503 ، و لقد أظهرت لطيفة التصوير بالانتقال من خلال القرينة النحوية تفرّد القرآن بالطريقة التصويرية المعجزة و قد دلّت " طبيعة الإنسان أنّه لا يستطيع أن يطوّع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوّره مِن دقائق المعاني و الأخِيلة ، فهو كثيرا ما يضطرّ أن ينزل عن بساط خياله المُحلّق لحاقًا بكلمة هي دون خياله الحالم ، و لكنّه لا يجد مِن حوله سواها ، فيضطّر أن يهبط إلى مستواها ، و بذلك يفسد سير فكر تصوّراته غير أن ّالقرآن لا يعجزه أن تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على أدقّ وجه."1504

1502 – انظر محمد رواس قلعجي، لغة القرآن لغة العرب المختارة ، ط**1**، **1988** ، دار النفائس، ص**67** ،و أحمد نصيف الجنابي ، في الرؤية الشعرية المعاصرة ، بيروت ، ص**119**

1503 – عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، درا الفكر العربي، القاهرة ، ص**65**

1504 – البوطي، من روائع القرآن ، ص**177**

- الفصل الخامس: التغاير القرائي بين الإعجاز التشريعي و الإعجاز المقاصدي.

- الإعجاز التشريعي: حقيقته ، أسراره.

" الوضوء نموذجا. "

- الإعجاز التشريعي الطبّي حقيقته ،أسراره.

" الحيض نموذجا. "

- الإعجاز المقاصدي حقيقته ، قواعده،

" حفظ الدين و العرض و العقل نموذجا. "

- التغاير القائم بين الإعجاز التشريعي و الإعجاز المقاصدي:

- الشريعة لغة و اصطلاحا:

- الشريعة لغة:

الشين والراء والعين أصلٌ واحد [1505] من الشَّرِيعَةُ أي المواضع التي ينحدر الماء منها ، [1506] و الشِّرعة بالكسر الدين و مورد الناس للاستقاء ، وسّميت بذلك لوضوحها وظهورها ، وجمعها شرائع [1507] قال تعالى: " ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ" [1508] أي منهاج واضح ،[1509] قال القرطبي:" أي على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحقّ "[1510] ، و قال سبحانه:" لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا " [1511] ، أي شريعة وهي الأحكام والحدود واللوازم "[1512] ، وفي التنزيل:" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ" [1513] ، أي فتح لكم وعرّفكم طريقه [1514]، فالشريعة في أصل الاستعمال اللغوي مورد الماء الذي يقصد للشرب ، ثمّ استعملها العرب في الطريقة المستقيمة ، وذلك باعتبار أنّ مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان ، وكذلك الشأن من الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير ، ففيها حياة نفوسهم." [1515]

1505 – المقاييس في اللغة ، ابن فارس مادة "شَرَعَ " **3**،**262** .

1506 – لسان العرب ، ابن منظور ،ط **1988** م ،دار الجيل، بيروت ،**3**، **299**

1507 – المصباح المنير، كتاب الشين ، مادة شرع ،**3**–**421**، والقاموس المحيط، باب العين ، فصل الشين،**3**–**62**.

1508 – سورة الجاثية، الآية **19**.

1509 – تفسير غريب القرآن ، أبوحفص سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الملقن ، تحقيق سمير طه المجذوب ، عالم الكتب ، بيروت ،ص**375**

1510 – الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب ،بيروت ،**8**–**163**.

1511 – المائدة، آية **48**.

1512 – تفسير غريب القرآن ، لابن الملقن ، ص**121**.

1513 – الشورى ، الآية **13**.

1514 – غريب القرآن ،لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دار الرائد العربي، ص**119**.

1515 – التشريع والفقه في الإسلام ، مناع القطان ، ط**3**، **1989**، مكتبة وهبة ، القاهرة ، **13**

- الشريعة اصطلاحاً:

إذا أطلق لفظ التشريع فالمقصود به التشريع الإسلامي إذ يرجع مصدره إلى الله تعالى ، فهو الذي ابتدأه ، وهو الذي سنّه وشرّعه للنّاس إلى يوم القيامة 1516 ، ولقد توسّعت المذاهب الإسلامية في تعريف التشريع اصطلاحاً على أقوال منها:

❋– " الطريقة الظاهرة في الدين."1517

❋– الشريعة هي الأصول الكليّة ، و الأحكام الجزئية المهذّبة للمكلفين في المعاش و المعاد.1518

❋– " كل ما شرّعه الله من العقائد و الأعمال."1519

❋– " الطريقة الطّاهرة التي يتوصّل بها إلى النجاة."1520

❋– الأصول و النظم التشريعية التي شرّعها الله تعالى للمكلّفين تنظيما للعلاقة مع ربّهم، و فيما بينهم و بين غيرهم ببيان الرسول الله صلى الله عليه و سلم.1521

❋– " الأصول الكبرى لحياة المسلمين القانونية."1522

❋–" ما شرّعه الله لعباده من أحكام اعتقادية أو عملية أو خلقية." 1523

و يتّضح من مجموع التعريفات أنّ التشريع الإسلامي يقوم على:

❋– الأصول الكليّة و الأحكام الجزئية العقائدية منها ، و العملية ، والخلقية...

❋– مصادر التشريع الربّانية التي منها القرآن الكريم ،و السنة النبوية ،والإجماع ،و القياس

1516 – عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، ص**12** ، و الإعجاز التشريعي للقرآن في كل من نظام الميراث والزكاة، سيف الدين البلعاوي، م**1**، ص**301** ، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزائر، دار الثقافة، ط**1**،**1990** ، **2** ،**368**

1517 – انظر المغرب في ترتيب المعرب ، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي ، تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار ، ط**1**، **1979** ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب، **439/1**

1518 – انظر: الكليات ،لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط **1419هـ—1998**م ، مؤسسة الرسالة؛ بيروت، ص**524**.

1519 – مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، **19** ،**306**

1520 – الجامع ، القرطبي ، **6** ،**211**

1521 – الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص**10**

1522 – من فلسفة التشريع الإسلامي ،فتحي رضوان، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ص**8**

1523 – التشريع الإسلامي مصادره و أطواره ، شعبان محمد إسماعيل ، ط **1** ،**1977** ، ص**7**

✵– المقصد صلاح معاش المكلفين و معادهم.1524

- تعريف الإعجاز التشريعي:

القرآن الكريم مصدر الهداية الربانية ، و منبع الشريعة الإلهية ، تحقّقت مقاصده بإعجازين:

✵– إعجاز بياني استمال القلوب نحو خالقها لتحقق كمال العبودية له وحده تعالى.

✵– إعجاز تشريعي قاد النفوس نحو كمال الطاعة ليحقق لها صلاح المعاش في الدنيا ، و صلاح المعاد في الآخرة.

و لقد عرّف بعض الباحثين الإعجاز التشريعي فقالوا هو:

✵– " سموّ التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحدّ الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت."1525

✵– " عجز المشرّعين محاكاة التشريع القرآني ، و إدراكهم كلّ ما فيه من أسرار تشريعية."1526

و من هذه التعاريف تتلخّص قيود المصطلح في الحدود التالية:

– سموّ أحكام التشريع الإسلامي إلى حدّ ينقطع معه النظير قال سيد قطب:" إنّ الإنسان ليقف في عجب و إعجاب أمام التشريع القرآني ، حيث تتجلّى الدقّة العجيبة في التعبير التشريعي، و يربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عجيب الإيحاء دون الإخلال بترابط النص ، فلا ينتقل من لفظة إلى أخر ى إلا و قد استوفى النقطة التشريعية بحيث لا يعود إليها إلا حيث يقع ارتباط بينها وبين نقطة جديدة يقتضي الإشارة إلى الرابطة بينهما...إنّ القرآن الكريم دستور تشريعي كامل سيظلّ إعجازه التشريعي يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة و أرقى مثال."1527

– شمول أحكام التشريع الإسلامي الزمان و المكان و الإنسان ليحصل معه كمال الهداية بصلاح الدنيا و الآخرة ، قال الشنقيطي عند قوله تعالى:" إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم "1528 ،" وهذه الآية الكريمة

1524 – الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني ، محمود عنبر، ماجستير في التفسير، جامعة غزة، فلسطين ،ص6.

1525 – الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني ، محمود عنبر ، ص6

1526 – الإعجاز التشريعي مفهومه و مزاياه ، بحث مقدم لمؤتمر بجامعة الأقصى بغزة ، يونس الأسطل، ص1

1527 – في ظلال القرآن ، سيّد قطب ، دار الشروق ، ط 10 ، 1982 ،ج1 ،ص 334 .

1528 – سورة الإسراء الآية 9

أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها ، فلو تتبّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها جميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا و الآخرة ، و لكنّنا إن شاء الله تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدى القرآن للطريق التي هي أقوم بيانا لبعض ما أشارت إليه هذه الآية الكريمة ، تنبيها ببعضه على كلّه من المسائل العظام ، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار ، وطعنوا بسببها في دين الإسلام لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة."1529

🙵– العلم بحقائق الوحي بعد إدراك الفرق الجلي بالموازنة بين مطلق الكمال في التشريع الرباني ، و كمال النقصان في التقنين البشري قال أبو زهرة:" من أراد أن يتعرف على الإعجاز التشريعي ، وأنّه في درجة فوق مستوى العقل البشري ، فليوازن بين التشريعات القرآنية وبين ذلك القانون الروماني الذي استوى على سوقه ، والذي يعتبر عند الغرب صفوة القوانين السابقة واللاحقة له ، وفيه علاج لعيوبها وسدّ لخللها من يوم أن أنشئت روما سنة 744 ق.م إلى 533 م بمعنى أنّه ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً ،كما أنّ الرومان استعانوا لدعم قوانينهم بالمناهج الفلسفية التي فكّر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل الطرق التي يقوم عليها المجتمع الفاضل "1530 ، و منه فالإعجاز وصف يثبت من خلال إدراك فارق الكمال بين التشريع الإسلامي الذي يشمل النواحي الأخلاقية والاجتماعية ، والأحوال الشخصية و المدنية ، و العقوبات الجنائية ، والأحكام الدستورية و الدولية 1531 ، و بين الشرائع الوضعية القاصرة عن إدراك مصالح الإنسان القائمة على قاعدة الحكمة و العدل و الإسلام هو التشريع الوحيد " الذي يحدّد علاقة الفرد بغيره على أساس من العدل و الإنصاف."1532

🙵 – عجز عن تحدّي كمال التشريع الإسلامي ، يدلّ عليه القعود عن محاكاة أحكامه قال رشيد رضا:" إنّ الإعجاز التشريعي لا شك أنّه من أظهر وجوه الإعجاز، فإنّ علوم العقائد الإلهية ،و الغيبية ، و الآداب و التشريع الديني و المدني ، و السياسي هي أعلى العلوم ، و قّلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين

1529 – الشنقيطي ، أضواء البيان ، 304/3

1530 – المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ط 1970، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص385

1531 – دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن و الكون ، عبد الله التليدي ، ط1999،1، دار ابن حزم ، بيروت، ص21

1532 – الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ، ط1984،8 ، المختار الإسلامي، القاهرة، ص135

الطوال ، فكيف يستطيع رجل أمّي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم و تشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن الكريم من نظم وشرائع إلا أن يكون ذلك وحياَ من الله سبحانه و تعالى "1533 ، و قال سيد قطب:" الذين يدرسون النظم الاجتماعية ، و الأصول التشريعية ، و يدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن يدركون أنّ النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها ، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار و التقلبات في يسر ومرونة...كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد ، أو مجموعة العقول في جيل واحد ، أو في جميع الأجيال."1534

- أسرار الإعجاز التشريعي و حقائقه:

لقد أجمع علماء الاجتماع و خبراء القانون على أنّ نهضة المجتمعات الإنسانية و تقدّم الشعوب البشرية هو نتيجة تكامل الجهود العلمية و المعارف الإنسانية في سياسة الأمم نحو الخير ، وترجع حقيقة التكامل التشريعي ، و تمام البناء القانوني إلى حسن سياسة الشعوب بسنّ القوانين الفاعلة عندما تتعقّد العلاقات وتتشابك ، و تضيق المعاملات و تتعسر ، فترقى التشريعات القانونية عندئذ لترفع عن الإنسان الحرج ، وتدفع عنه المفسدة ، فتتكامل القوانين بقدر ما اجتهد أصحابها في دفع ما قامت له من المقاصد و الغايات 1535 ، و توضع التشريعات ابتداء لإرادة الخير و دفع الشرّ في الحال أو المآل ، و الأصل في هذا العمل القاعدة العمرية الشهيرة: " تُحدَث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"1536 ، فقد علّق عليها الشاطبي فقال:" كما

1533 – تفسير المنار ، محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1، ص206

1534 – في ظلال القرآن ، سيّد قطب ، ج1 ،ص 334 .

1535 – البوطي ، من روائع القرآن ، ص 155

1536 – انظر الرسالة ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي، دار الفكر، بيروت ، ص 132، و المقدّمات الممهّدات ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، ط 1،1408 هـــ،1988م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2،309 ، والفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي ، عالم الكتب ، بيروت ، 4، 179، و الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، ط1،1412هـــ 1992م ، دار ابن عفان ، السعودية ، ص55 ، و البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، ط1،1414هـــ ،1994م ، دار الكتبي، 1،220، و تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري ، ط 1،1406هـــ،1986م ، مكتبة الكليات الأزهرية ، 2،153، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي ، ط 1 ،1416هـــ ،1995م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1،72، والذخيرة للقرافي 12، 122، وشرح الزرقاني على الموطإ 4،44 ، والتاج والإكليل لابن المواق 6،217 ، والشرح الكبير للدرديري 4،174، و أبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي الجياني ، ديوان الأحكام الكبرى ، الإعلام بنوازل الأحكام وقَطرٍ من سير الحكّام ، تحقيق يحيى

تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور ، فكذلك تحدث لهم مرغّبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفتور"1537 ، و زادها بيانا فأفاد وأجاد فقال:" كل ما كان من المحدثات له وجه صحيح فليس بمذموم بل هو محمود ، وصاحبه الذي سنّه ممدوح فأين ذمّها بإطلاق أو على العموم؟"1538 ، و نبّه مصطفى الزرقا على أصل تعلّقها فقال:" قد يكون – تغيّر الزمان – الموجب لتبديل الأحكام الفقهية الاجتهادية ناشئًا عن فساد الأخلاق ، وفقدان الورع ، وضعف الوازع ،كما يسمّونه" فساد الزمان"، وقد يكون ناشئًا عن حدوث أوضاع تنظيمية ، و وسائل مرفقية جديدة من أوامر قانونية مصلحية ، وترتيبات إدارية ، وأساليب اقتصادية ونحو ذلك "1539 ، و عليه فإنّ فساد الزمان ، أو إصلاحه علّة تشريعية قويّة في إثراء قواعد القانون ، و تكامل أحكامه ، و هذا معنى الحضارة قال تعالى مبيّنا موقف الملائكة من خلق الخليفة:" وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ" 1540،قال الزركشي مبينا حقيقة الحضارة التي أشارت إليها الملائكة:" قابل الإفساد بالتسبيح و الحمد و سفك الدماء بالتقديس فالتسبيح بالحمد ينفي الفساد ، و التقديس ينفي سفك الدماء ، و التسبيح شريعة للإصلاح ،و التقديس شريعة لحقن الدماء ،و شريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح.."1541 ،و منه استنبط العلماء من مجموع النصوص الشرعية التي تتناول أمور الحكم وقواعد سياسة الخلق قاعدة جامعة في شأن الحكم و هي أنّ التصرف على الرعيّة منوط بالمصلحة ، و تتلخّص القاعدة في أنّ لكل حاكم أن يتصرّف في أمور الدولة وسياسة الحكم بما يحقّق مصلحة الأمّة باستحداث النظم المناسبة و الأدوات الملائمة لتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

إنّ أعجب حقيقة في الإعجاز التشريعي أنّه أنزل – و هو يحمل مظاهر الكمال كلّه فشمل مناحي الحياة الإنسانية كلّها– في بيئة يحكمها التفكير القبلي الصرف ، و تسودها الأمّيّة الصرفة ، و يغلب عليها الصراع

مراد ، ط 1428، دارالحديث ، القاهرة، ص168، و الإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي ميارة ، دار المعرفة 2،234.و نسبها ابن قيم الجوزية لمالك في الطرق الحكمية ، مكتبة دار البيان ، ص 176.

1537 – الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي ، الاعتصام، تحقيق حسن مشهور آل سلمان ، دار ابن عفان ، السعودية،. 1،49

1538 – الشاطبي؛ الاعتصام ، 1،301–303.

1539 – مصطفى الزرقا ، المدخل الفقهي العام، دار القلم ، دمشق، 2/ 941.

1540 – البقرة الآية 30

1541 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،3، 517

و التفرّق فظهر الإعجاز من جواب عن تساؤل مضمونه: هل يرقى المجتمع بهذه الأوصاف إلى وضع تشريع كامل أم أنّ مقام الحال دلّ على صدق الوحي الربّاني ؟

- خصائص التشريع الإسلامي:

لقد أظهر التساؤل السابق حقيقتين عظيمتين:

- الأولى: ربّانية التشريع الإسلامي.

لقد استشكل الكفار و استبعدوا رقي مجتمعات البداوة و بيئات القبلية و أن يتفوّق تشريع نزل بأرضها تشريعات شعوب الحضارة و المدنية و أمم تكاملت قوانينها الوضعية ، فعجزوا عن إدراك حقيقة التشريع المنزّل ، فأنبأ عجزهم عن إعجاز التشريع القرآني الذي يشير ببنانه إلى عصمة الوحي و ربانية مصدره ، و أشار إلى قصور الشعوب العاجزة عن الجمع بين مطلق كمال التشريع و كمال نقصان البيئة فأحدثوا ضلالتين:

- إنكار ربّانية الشريعة الإسلامية المتجلّية في هذا المشهد الواقعي ، و مظهر الإنكار صورة من صور الكفر التي حارب المشركون بها فريضة التوحيد فقالوا:" أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝"[1542]

- إنكار استقلالية الشريعة الإسلامية و تميّزها ، فلفّق المستشرقون و أتباعهم للتشريع الإسلامي فرية التأثّر بشرائع أهل الكتاب و الاستمداد منها ، و تهمة الاقتباس من القوانين الوضعية.

- الثانية: شمولية التشريع الإسلامي:

من خصائص التشريع الإسلامي شموله جوانب الحياة الإنسانية كلها ، فما من حادثة أو نازلة إلاّ و حكمها في التشريع الإسلامي ، و قد تجلّى الشمول في المظاهر التالية:

- الأخلاق الفاضلة و القيم العادلة:

الأخلاق أساس الحضارات ، و دواء أسقام المجتمعات ، و عصمة الشعوب من معضلات الآفات الأخلاقية ، و كيان قيام المدنيات ، دلّ على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

- دلالة القرآن على عظيم الأخلاق و جميل الخلال و أثرها في بناء المجتمعات القوية قال تعالى:" الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ."[1543]

1542 – سورة ص الآية **5**

– مدح القرآن نبي الإسلام بعظيم الأخلاق ، فقال سبحانه:" وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ."1544

– الدعوة النبوية للأخلاق الإسلامية ، و غرسها بأدوات الترغيب و التهذيب، قال صلى الله عليه و سلّم:" إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقا "1545 ، و قوله كذلك:" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا "1546 ، وسئل صلى الله عليه و سلّم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال:" تقوى الله وحسن الخلق."1547

– الأسرة المؤمنة:

الأسرة المؤمنة أساس بناء المجتمعات الفاضلة ، و نجاح الشعوب و رقي الحضارات، و لا تجد تشريعا استوفى الأسرة بالأحكام و التشريعات كشريعة الإسلام فقد بيّن فأتقن ، و أجاد فأفاد ، و لقد شملت أحكام التشريع الإسلامي مراحل الإنسان كلّها ،فقد كلّفه مسؤولية إصلاح الأسرة قال الله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"1548 ، و فرض عليه الإحسان إلى الوالدين فقال تعالى:" وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً."1549

– المجتمع المسلم:

لا يرقى مجتمع إلى علياء الحضارة و المدنية إلاّ إذا وطّدت الفضائل علاقات أفراده ، و أزهقت من واقعه الرذائل لهذا رغّب التشريع الإسلامي و رهّب و شرّع كلّ حافظ لمقصد ، و حدّ العقوبة و هدّد ، فحرّم الخمر و ما في معناه حفاظاً على العقل فقال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "1550 ، و حرّم الزنا و مقدّماته حفاظاً على

1543 – سورة آل عمران ، **134**

1544 – سورة القلم **4**

1545 – صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، **1305/3**.

1546 – المستدرك ، الحاكم ، كتاب الإيمان ، **43/1**.

1547– سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، **363/4**.

1548 – سورة التحريم **6**

1549– سورة الاسراء **23**

1550 – سورة المائدة **90**

النسل والعرض فقال تعالى: "وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً"1551 ، و حرّم الاعتداء على الأموال فقال تعالى:" وَلا تَأْكُلوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "1552 ، وحرّم إزهاق النّفس المعصومة فقال تعالى:" وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ "1553 ، وفرض القصاص في قتل العمد فقال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ "1554 ، وشرّع عقوبة السرقة فقال تعالى:" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "1555 ، و أقام العلاقات المالية على العدل و الإنصاف فقال سبحانه:" وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " 1556 ، و بيّن واجبات وحقوق الراعي والرعية القائمة على مبدأ العدل فقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً "1557 ، وقال صلّى الله عليه وسلم:" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.."1558 ، وصدّر بالإمام العادل لبيان خطورة مسؤولية الحكم في سياسة الرعية ، و لقد تجلّت مظاهر الشمولية في مرونة التشريع الإسلامي – بمراعاته وصف المناسبة بين دواعي التشريع و مقاصده و واقع المكلفين و أحوالهم – من خلال الصور التالية:

- مراعاة الأحكام التشريعية لواقع البشرية:

لقد جاء الإسلام ليرفع عن البشرية مفاسد الضلال في الاعتقاد والسلوك والأخلاق ، فيخرجها من الغي إلى الرشاد ، و من الكفر إلى الإيمان من خلال منهج قويم عاصم يقوم على أصل الحكمة الربّانية ، ويهدي إلى الصراط المستقيم من خلال رحمة الدعوة الإسلامية و مرحلية الإصلاح بالتربية ، و تدرّج التغيير بالتشريع ،

1551 – سورة الاسراء 32

1552 – سورة البقرة 188

1553 – سورة الاسراء 33

1554 – سورة البقرة 178

1555 – سورة المائدة 38

1556– سورة البقرة 188

1557 – سورة النساء 58

1558 – صحيح ابن حبان ،كتاب السير ، باب في الخلافة والإمارة ، 338/10 ،

ومن أظهر الأمثلة على ذلك أنّ الله تعالى لم يحرّم الخمر و الربا إلا بعد الهجرة النبوية 1559 ، وهذا التدرّج في التشريع تغيير لحياة الجاهلية مع اعتبار قاعدة مراعاة واقع المكلفين و أحوالهم.1560

- تعلّق الأحكام بتغيّر الأحوال.

تعتبر هذه المسألة أصل عظيم في فهم حقيقة خصائص التشريع الإسلامي و مقاصده ، فقد فرّق الإسلام بين حالتي القوة و الاستضعاف، و بين مقامي الدعوة و الدولة ، فلم يلزم المسلمين بفريضة الجهاد في العهد المكي ، بل أمرهم بالعفو الحسن و الصفح الجميل1561 ، فقال الله تعالى:" فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ "1562 ، وقال سبحانه:" ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "1563، و قال عزّ و جلّ أيضا:" وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً."1564

- اعتبار الثابت و المتغيّر في الأحكام التشريعية.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية لرعاية مصالح العباد في الدنيا و الآخرة ، فأوجبت على الخلق تكاليف شرعية ثابتة كإيجاب الصلاة و الصوم و تحريم الربا و القتل ابتداء و عزيمة 1565 ، و أخرى أحكام تيسير و رخص عند ورود العوارض على المكلّف فتعتري أحواله ، واستثناءات تتلبّس بظروفه كالمرض و السفر1566 ، و لا يستوعب حقائق هذا المنهج التشريعي إلاّ من أدرك قضايا وقته ، وفهم مشكلات عصره ، و أحاط بأحكام شرعه 1567 ،كما وصف أبو زهرة أبا حنيفة النعمان- في دقّة قياسه و عمق استحسانه عند الفتوى - بقوله:" وما ذاك إلا لإدراكه لدقيق المسائل ، وصلتها بالنّاس ومعاملاتهم وأغراضهم ، فإنْ استحسن فإنّما يأخذ مادته من دراسته لأحوالهم مع دراسات أصول الشرع الشريف ومصادره."1568

1559 - انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، **353،7**.

1560 - المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، مصطفى شلبي ، ص **75** .

1561 - انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي **347،2** ، و تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، **525،1**

1562 - سورة المائدة، الآية **13**

1563 - سورة المؤمنون الآية **96**

1564 - سورة المزمل الآية **10**

1565 - انظر المستصفى ، الغزالي ، **78/1**، و الموافقات ، الشاطبي ، **300/1**.

1566 - انظر أصول البزدوي ، **136/1** ، والموافقات ، الشاطبي **301/1** ، و المستصفى، الغزالي **78/1**.

1567 - انظر فقه الدعوة ملامح وآفاق ، عمر عبيد حسنة ، **188/2**، و قواعد الفقه ، **578/1**.

1568 - تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ص **75**

- التغاير القرائي و تنوع الإعجاز التشريعي

- الإعجاز التشريعي في العبادات:

قال تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ"[1569]

– التوثيق القرائي:[1570]

لفظ: " وَ أَرْجُلَكُمْ "

✵– قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم ، ونافع والكسائي بالنصب.

✵– قرأ ابن كثير و أبو بكر عن عاصم وحمزة وأبو عمرو بن العلاء بالخفض.

✵– قرأ الحسن بالرفع.

– التوجيه القرائي:

لقد أفاد التغاير بين القراءتين ثبوت إعجاز تشريعي في باب العبادات تدلّ عليه وجوه التوجيه التالية:

✵– قراءة النصب هي من باب عطف المغسول على المغسول لأنّ المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه ، و عليه فإنّ قوله تعالى:" و امسحوا برؤوسكم " جملة معترضة بين متعاطفين ،" وفي القرآن الكريم من هذا التقديم و التأخير كثير" قال الله تعالى:" اليوم أحلّ لكم الطّيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم "[1571] ، ثم قال: " والمحصنات من المؤمنات "، فعطف بـــ" المحصنات" على" الطّيبات " ، و قوله سبحانه: " ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاما "[1572] ، ثمّ قال:" وأجل مسمّى " ، فعطف " الأجل " على " الكلمة "، و

1569 – سورة المائدة الآية **6** .

1570 – انظر النشر ، **254/2** ، و إتحاف فضلاء البشر **531/1** ، ومعجم القراءات القرآنية **195/2** ،والسبعة في القراءات **242**، و الكشف **406/1**، و المختصر ، لابن خالويه **31**، و الكشّاف **611/1**.

1571 – سورة المائدة ، **5**

1572 – سورة طه ، **129**

بينهما كلام ، فكذلك في قوله: " و أرجلكم " عطف بها على الوجوه و الأيدي على قاعدة التقديم والتأخير.1573

❋– قراءة الخفض هي من باب عطف الممسوح على الممسوح و عليه تعتري صورة العطف تفسيران:

– الأول : عطف من حيث المعنى و اللفظ.

– الثاني : عطف من حيث اللفظ دون المعنى.

و بناء على هذا التغاير القرائي المتواتر وقع الخلاف الفقهي بين العلماء حول حكم طهارة الرجلين في الوضوء 1574 ، فذهب أصحاب قراءة النصب إلى أنّ قوله:" و امسحوا برؤوسكم " جملة معترضة جيء بها بين المغسولات لبيان حكم الترتيب بين أعضاء الوضوء لكون مسح الرأس سيق قبل غسل الرجلين وعليه فالتقدير: فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و أرجلكم إلى الكعبين و امسحوا برؤوسكم ، و بناء على هذا التقدير يكون عطف الرجلين على الرؤوس عطفا معنويا 1575 ، و يشهد لهذا المعنى وجهان شرعي و لغوي:

1 – الوجه الأول: دلالة التَّوجيه الشرعي على بيان التغاير القرائي.

1573 – ابن زنجلة ، حجة القراءات ،**221**

1574 –في المسألة المذاهب التالية: الأول: وجوب غسل القدمين ، ولا يجب المسح ولا يجزيء ، وبه قال جمهور السلف والخلف ، وإليه ذهب الأئمة الأربعة. انظر تفسير القرطبي ج**91/6**، عارضة الأحوذي **52/1**، شرح صحيح مسلم للنووي ج**109/3**،**130**، الحاوي الكبير ج**123/1**، المجموع للنووي، ج**476/1**، نيل الأوطار ج**167/1**، الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي، **374/1**. المذهب الثاني: وجوب المسح ، وبه قالت الإمامية ، وهو مروي عن أنس بن مالك وعكرمة وعامر الشعبي وقتادة ، ورواية عن عليّ بن أبي طالب ، وابن عباس قال ابن حجر:" ثبت عنهما الرجوع عن ذلك"، و قال الآمدي:" و من أبعد التأويلات ما يقوله القائلون بوجوب غسل الرجلين في الوضوء...و هو في غاية البعد لما فيه من ترك العمل لما اقتضاه ظاهر العطف من التشريك بين الرؤوس و الأرجل في المسح من غير ضرورة." انظر تفسير الطبري **128/6**–**130**، و فتح الباري**353/1**، **356** ، و المغني ، ابن قدامة ، ط**1992**، دار الفكر ،بيروت ، **150/1**–**151** ،و المحلى ،ابن حزم ، **301/1**، و مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، زين الدين بن علي العاملي، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية ، ط**1**،**1413**هـ، قم، إيران،ج**1**ص**38**، ومنهاج الصالحين، أبو القاسم الموسوي الخوئي ،ط**28**، **1410**هـ ، قم، إيران ،ج**1**ص**24**، و الآمدي، الإحكام، **3**،**62** المذهب الثالث: التخيير بين الغسل والمسح ، وبه قال ابن جرير الطبري و الجبائي المعتزلي و الحسن البصري، وهو رواية عن داود الظاهري.انظر تفسير الطبري**130/6**، و تفسير القرطبي، **91/6**، و عارضة الأحوذي **52/1**، وشرح صحيح مسلم للنووي **130/3**، و فتح الباري **353/1**، ومواهب الجليل **212/1**، و المجموع **476/1**، و بداية المجتهد ص**32**، و نيل الأوطار **167/1**.

1575 – انظر بدائع الصنائع، ج**1**–**6** ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج**1**–**89** ، و بلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي ، طبعة عيسى البابي الحلبي،ج**1**–**88** ، و الأم للشافعي، ج**1**–**65**، و مغني المحتاج للشربيني ،ج**1**–**53**، وكشاف القناع ، للبهوتي ،ج**1**–**101**، و المغني لابن قدامة ،ج**1**–**54** ، والمنتقى على الموطأ، الباجي ،ج**1**–**39** ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

و تتلخص صورة الإعجاز التشريعي في تواطؤ الأدلة التشريعية و تعاضدها على تمام البيان التشريعي ، و على كمال الأحكام الشرعية و شمولها الأحوال و الأعيان و المكان و الزمان ، و قد وردت مبرزة ملامح الإعجازي التشريعي كالتالي:

– دلالة البيان النبوي:1576

لم يَرِدْ عن النبي صلى الله عليه و سلم المسح إلا على الخفّ أو الجورب ، فإنّ حكم الوجوب في قراءة الجرّ ثابت إذا كانت الرجلان مستورتين بالخف 1577 قال ابن العربي:" وجاء الخفض ليبيّن أنّ الرجلين يمسحان حال الاختيار على حائل ، وهما الخفّان بخلاف سائر الأعضاء ، فعطف بالنصب مغسولاً على مغسول ، وعطف بالخفض ممسوحاً على ممسوح ، وصحّ المعنى فيه " 1578 ، و بما أنّ اللفظ يحتمل كلا المعنيين صار في حكم المجمل المفتقر إلى بيان الرسول صلى الله عليه و سلم 1579 ، و يعدّ البيان في هذا الباب بالسنة الفعلية من أعظم المسالك إذ " الفعل بالغ من جهة بيان الكيفيات المعنية المخصوصة التي لا يبلغها البيان القولي "1580 ، و عليه فقد تعضّدت بهذا المسلك البياني حالة النصب على حالة الخفض ، و الأحاديث في الباب كثيرة منها ما رواه :

– عبد الله بن عمرٍو قال: تخلّف عنّا النّبي صلى الله عليه و سلم في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثاً 1581 ، وفي لفظ مسلم:" و أعقابهم تلوح لم يمسّها الماء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" ويل للأعقاب من النّار أسبغوا الوضوء."1582

1576 – و ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ السنة النبوية بيّنت قراءة الغسل ونسخت قراءة الخفض. انظر مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث،دمشق، ج**1** ص **221**

1577 – انظر تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، **385** .

1578 – أحكام القرآن، **578/2** .

1579 – أحكام القرآن ، للجصاص**446/2**، وفتح الباري **353/1**، و مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور،ط**1**، **1426** هـــ ، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية ، ص**159**

1580 – الشاطبي، الموافقات، ج**3**، ص **231**.

1581 – صحيح البخاري ،كتاب العلم باب من رفع صوته بالعلم حديث رقم **60**، **48/1** وحديث رقم **96**، **72/1** كتاب الوضوء ، باب غسل الرجلين ولا يمسح القدمين حديث رقم **161**.

1582 – صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ، حديث رقم **241** ، **214/1**

– عبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدي أنّه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "ويل للأعقاب و بطون الأقدام من النار"1583 ، و هذا وعيد على ترك فرض الغسل ، فلو كان المسح يجزئ لما ترتّب الوعيد عليه ، و لّما كان الاستيعاب وصفا للغسل دون المسح قدّم الاستيعاب بالفرض و أخّر الآخر.1584

– عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ رجلاً توضّأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه و سلم فقال: " ارجع فأحسن وضوءك ، فرجع ثمّ صلّى"1585 ، و عليه فلا مانع من حمل قراءة الخفض على أنّ " الأرجل " معطوفة على الرؤوس الممسوحة للمجاورة ما دام قد ثبت بيان المسح بالغسل بالسنة النبوية.1586

– الدلالة التفسيرية للقراءة الشاذة:

لقد دلّت قراءة الرفع على الابتداء ، و الخبر محذوف تقديره " مغسولة "1587 ، أو" اغسلوها إلى الكعبين "1588 ، ويكون الكلام بعد تقدير الخبر:" وأرجلُكم مغسولة "، أو" وأرجلُكم اغسلوها إلى الكعبين " قال ابن جني: " ينبغي أن يكون رفعه بالابتداء ، والخبر محذوف يدلّ عليه ما تقدّمه من قوله تعالى: " إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فاغسِلُواْ وُجُوهَكُمْ " أي: وأرجلكم واجبٌ غسلها ، أو مفروض غسلها ، أو مغسولة كغيرها.. و ذلك لأنّه يستأنف فيرفعه على الابتداء ، فيصير صاحب الجملة ، وإذا نصب أو جرَّ عطفه على ما قبله فصار لَحقاً وتبعاً فاعرفه."1589

1583 – سنن الترمذي **59/1** أبواب الطهارة باب ما جاء ويل للأعقاب من النار حديث رقم **41**، و المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الطهارة حديث رقم **580** وقال :هذا حديث صحيح ولم يخرجا ذكر بطون الأقدام ، **267/1**، و مسند الإمام أحمد ، **191/1** ، وصحيح ابن خزيمة ، حديث رقم **163**، **84/1** ، ومجمع الزوائد للهيثمي ،**240/1** و قال: رجال أحمد و الطبراني ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم **7133**.

1584 – انظر أحكام القرآن للجصاص **246/2**، و أحكام القرآن لابن العربي ، **72/2**، و تفسير القرطبي ، **95/6**، و فتح الباري **353/1**، و شرح مسلم للنووي **3 /130** ، و النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني ، تحقيق محمد الأمين بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي،**1** ،**31**

1585 – صحيح مسلم كتاب الطهارة باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة حديث رقم **243** ، **215/1**

1586 – صحيح البخاري **47/1-48**،عن ابن عباس رضي الله عنه:" أنه توضأ فغسل وجهه ، ثم أخذ غرفة من ماء فرشّ على رجله اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله، يعني اليسرى، ثم قال:" هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ."

1587 – انظر إملاء ما منَّ به الرحمن ، **209/1**

1588 – البحر المحيط ، **438/3** .

1589 – المحتسب ، **208/1** .

ﷺ – التنبيه على مقصد شرعي:

و المقاصد المنبّه عليها متنوّعة منها:

– الاقتصاد و عدم الاسراف.

لقد وجّه بعض أهل العلم قراءة الجر أنّ الوجه يغسل عادة باليد ، وتغسل الرجلان عادة بصبّ الماء عليهما ، وفي هذا إسراف منهي عنه ، فعُطِفَت الرجلان على الرأس الممسوح لا للمسح بل للتنبيه على وجوب الاقتصاد و عدم الإسراف في صبّ الماء 1590 قال الزمخشري:" الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصبّ الماء عليها ، فكانت مظنّة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها."1591

– بيان كمال حكمة الحكم التشريعي.

قد يكون وجه المقصد الشرعي تحقيق كمال الطهارة من خلال الجمع بين المسح بمعنى الدّلك – للوصف الجامع بينهما و هو إمرار اليدين على الرجلين – و الغسل خاصة و أنّ علّة الجمع بينهما متحقّقة الوقوع و هي أنّ الرجلين أقرب أعضاء الإنسان إلى ملابسة الأقذار، فكان الجمع بين فعلي القراءتين أكمل ليكون التطهّر أبلغ 1592 ، و قد يحمل قول بعض أهل الظاهر على ما ذكرنا.1593

– بيان قوة التعلّق بين سلامة البدن و صحة الحكم.

لقد دلّ البحث العلمي أنّ في غسل الأرجل منافع طبية كثيرة منها الوقاية من مرض القدم الرياضي 1594 ، و الالتهاب و الإكزيما الفطرية و التينا و الروائح المنتنة كما يساعد الغسل على تنشيط حركة الدورة الدموية في الأطراف السفلية 1595 ، و يحصل كمال الوقاية من خلال الجمع بين الغسل و المسح فلا يتصوّر الغسل دون صبّ الماء و لا المسح دون الدلك بإمرار اليد.

1590 – انظر الكشاف، **610/1**،و تفسير النسفي ، **273/1** .

1591 – الكشّاف ، **610/2**.

1592 – انظر الشنقيطي ، أضواء البيان ،**2–14** ، و تفسير المنار، رشيد رضا ،**6–230**

1593 – عارضة الأحوذي **52/1**، و شرح مسلم للنووي **130/3**، و فتح الباري **353/1**، و المجموع للنووي **476/1**، ، ونيل الأوطار ، **167/1**.

1594 – الموسوعة الطبية ، ج **10** ،**1758**

1595 – انظر الإسلام و الوقاية من الأمراض ، فراج ص **9** ، و الصلاة رياضة النفس و الجسد، سالم، ص **67**

- دلالة الحمل على المناسبة الشرعية.

إنّ الحكمة من تخلّف التعاقب بين المغسولات ظاهرة ، وهي إفادة حكم الترتيب بين أفعال الوضوء ، فقد ذكر سبحانه سائر المغسولات والممسوحات في الوجه واليدين و الرأس ، ثمّ بيّن الواجب في الرجلين ، ومن المعلوم أنّ عامّة الفقهاء جعلوا الترتيب مطلوباً في الوضوء ، فاعتبره الشافعية والحنابلة فرضاً ، و اعتبره الحنفية والمالكية سنّة مؤكّدة.1596

- دلالة النقل المتواتر على بيان التغاير القرائي.

و مما يوجه دلالة الاختلاف الفقهي في التغاير القرائي تواتر النقل القولي و الفعلي في حمل قراءة المسح على الخفين و ما في معناهما ، فقد ثبت المسح على الخفين عن أكثر من ثمانين صحابيا1597 ، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيْهِما1598 ، و قد دلّت القرينة الزمنية المصاحبة لدليل البيان أنّ قراءة النصب تُحمل على غسل الرجلين أمّا قراءة الخفض فتُحمل على مسح الخفين 1599، فقد روى الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَّامٍ قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقِيلَ تَفْعَلُ هَذَا فَقَالَ نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ ، قَالَ الْأَعْمَشُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ 1600 ، و عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بَالَ فِي السُّوقِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ دُعِيَ لِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا حِينَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا.1601

- دلالة المقاصد على الإعجاز التشريعي.

لقد دلّ التغاير القرائي على وجوب الجمع بين الحكمين – المسح و الغسل – بمسلك المقاصد الشرعية إذ أنّ صورة الجمع بين مدلول القراءتين تفضي إلى كمال تحقيق المصالح و هل جاءت الشريعة الإسلامية إلاّ لتحقيق المصالح و تكميلها و درء المفاسد و تقليلها ؟ و عليه " فالغسل أشدّ مناسبة للقدمين من المسح كما

1596 – الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي ، ج1 ص 238

1597 – اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره ، سعود بن عبد الله الفنيسان ، ط 1 ،1997 ، دار إشبيليا ،الرياض ، ص 95

1598 – البخاري 1- 346 رقم 199

1599 – الخرشي على خليل ،1- 126

1600 – مسلم 2- 97 رقم 401

1601 – الموطأ 1 – 96 رقم 66

أنّ المسح أشدّ مناسبة للرأس من الغسل إذ كانت القدمان لا ينقى دنسهما غالبا إلاّ بالغسل ، و ينقى دنس الرأس بالمسح ، و ذلك أيضا غالب و المصالح المعقولة لا يمتنع أن تكون أسبابا للعبادات المفروضة حتى يكون الشرع لاحظ فيهما معنيين: معنى مصلحيا ، و معنى عباديا ، و أعني بالمصلحي ما رجع إلى الأمور المحسوسة ، و العبادي ما رجع إلى زكاة النفس "1602 ، و لقد فطن الطبري لحكمة حقيقة التغاير القرائي في بنية التعاطف في قوله تعالى:" وأرجلكم "على لزوم الأخذ بمدلول القراءتين معا – بالجمع بين الغسل و المسح الذي يفيد الدّلك – عند حكم الوضوء للتنبيه على وجوب الاعتناء بتطهير الرجلين و المبالغة في ذلك لا لعلّة الإسراف بل لمظنّة غلبة الدّرن على الرجلين و يترجّح بأمرين:

أولهما: المعنى المصلحي و يؤكده توارد النصوص النبوية التي تحثّ على إسباغ الوضوء و استيعاب أعضائه بالتطهير.

ثانيهما: المعنى التعبدي و تؤكده دلالة حديث " ويل للأعقاب من النار " ، فقد قال ابن رشد:" هذا الأثر و إن كانت العادة قد جرت بالاحتجاج به في منع المسح ، فهو أدلّ على جوازه منه على منعه ، لأنّ الوعيد إنّما تعلّق فيه بترك التعميم لا بنوع الطهارة ، بل سكت عن نوعها ، وذلك دليل على جوازها." 1603

2 – الوجه الثاني: دلالة التّوجيه النّحويّ على بيان التغاير القرائي.

إنّ العلاقة بين الشريعة الإسلامية واللسان العربي وثيقة وثاقة العروة الوثقى لا انفصام لها ،و تعتبر قواعد النحو العربي الركن الأساس في بيان قوّة هذه العلاقة التركيبية لأنّه يدخل في بناء صرح الفقه الإسلامي 1604 ، و عليه فإنّ " الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب "1605 ، لهذا اشترطه العلماء في باب الاجتهاد 1606 ، و أكّدوا على كمال التعمّق في مسائله ، وشدّة التدقّيق في مباحثه لقوّة صلة القرابة بينهما خاصّة في باب معاني الحروف 1607، و من أدوات التوجيه النحوي ما يلي:

أ – دلالة الاشتراك اللغوي:

1602 – بداية المجتهد ، ابن رشد ،ط 6 ،1982 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1–16

1603 – بداية المجتهد ، 1–16 .

1604 – أصول الفقه ، للخضري ،257 .

1605 – المفصل ،ابن يعيش ، 4

1606 – ينظر أصول الفقه ، الخضري ، 456.

1607 – ينظر أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية 39.

إنّ المسح في الرجلين هو الغسل ، لأنّ المسح في اللغة مشترك بين المسح والغسل، 1608 فقد روي عن أبي زيد الأنصاري أنّ المسح في كلام العرب يكون غسلاً و يكون مسحاً ، و المسح خفيف الغسل ، ومنه يقال: تمسَّحْتُ للصلاة أي: توضّأت، 1609 قال القرطبي:" وذهب قوم ممّن يقرأ بالكسر إلى أنّ المسح في الرجلين هو الغسل وهو الصحيح ؛ فإنّ لفظ المسح مشترك بين خفيف الغسل أي المسح يقال: تمسَّحْتُ للصلاة أي: توضّأت "1610 ، ويطلق المسح كذلك على الضرب قال تعالى:" رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ "1611 ، وللمفسرين في الآية تفسيران: 1612

- ✸ كشف عن عراقيب الخيل و ضرب أعناقها ، وقال: لا تشغلني عن عبادة الله مرّة أخرى.1613
- ✸ مسح أعراف الخيل و عراقيبها حبّا لها.1614

ب – دلالة العطف بالمجاورة.1615

قراءة الخفض معطوفة على قوله:" برؤوسِكم " بالمجاورة 1616 ، وعليه فقد جُرّت الأرجل لمجاورتها الرؤوس في اللفظ 1617 ، والتقدير: و امسحوا برؤوسِكم وامسحوا بأرجلِكم ، وقد ورد عن العرب في خطابها إعطاء الشيء حكم الشيء إذا جاوره ،كقوله تعالى:" يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق

1608 – انظر المصباح المنير ، الفيومي ،مادة مسح ، 2– 694 ، و مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث، دمشق، ج1 ص 221

1609 – انظر الكشف 406/1 .

1610 – انظر الجامع لأحكام القرآن 6،92 ،و الكشف 1،406 .

1611 – سورة ص الآية 33

1612 – تفسير القرآن العظيم ،أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ، تحقيق عاطف بن كامل بن صالح بخاري ، رسالة ماجستير، سنة 1430 هـ ، جامعة أمّ القرى ، مكة المكرمة، ،ص 248

1613 – انظر الماردي في النكت ، 5–93 ، و ابن الجوزي في الزاد ، 7– 24 ،و ابن كثير في تفسيره ، 4– 65

1614 – انظر الشوكاني ،فتح القدير ، 4– 569 ، و القرطبي في الجامع، 18 – 160

1615 – و قال بحكم المجاورة الأخفش و أبوعبيدة و العكبري وابن هشام. انظر مجاز القرآن 155/1، و إعراب القرآن، للنحاس 9/2، و التبيان في إعراب القرآن 422، و مغني اللبيب 192/2.

1616 – انظر إعراب القرآن ،1،485 ،و إملاء ما منَّ به الرحمن ،1،209، و الجامع لأحكام القرآن،6،93 ،و تفسير النسفي، 1،273 ،و مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ج1 ص 221 ، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت،1،379 ،و الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، 1 ،280

1617 – النحاس أبو جعفر أحمد محمد إسماعيل ، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني، بغداد، 1،485

وكأس من معين...وحور عين "1618 ، فقد قرئت "حور" بالجرّ لفظاً لجاورهما " كأس" مع أنّها معطوفة في المعنى على" ولدان "، لأنّ المعنى: أنَّ الحور يطفن على أهل الجنّة الخاصّين بهنّ ، وليس معناها أنّ الولدان يطوفون بهنّ 1619 إلاّ أنّ بعض العلماء استبعد حمل القرآن بالخفض على الجوار لأسبابٍ منها:

✽ – أنّه مسلك الشعر و الأمثال عند الاضطرار ، و القرآن منزّه عن ضرورة الشعر والأمثال 1620 قال ابن خالويه: " لا وجه لمن ادّعى أنّ الأرجل مخفوضة بالجوار لأنّ ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار وفي الأمثال ، و القرآن لا يُحمل على الضرورة و ألفاظ الأمثال"1621 ، و جعل أبو جعفر النحاس هذا المسلك من الغلط العظيم " لأنّ الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه."1622

✽ – أنّ الكسر بالجوار يكون دون حرف العطف.1623

✽ – أنّ الكسر إنّما يصار إليهِ إذا حصل الأمن من الالتباس ، و في الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.1624

ت – الحمل على دلالة التقديم و التأخير:

إنّ قوله تعالى:" أرجلَكم " منصوب عطفاً على" وجوهَكم "، فتدخل في حكم الغسل، فقد نقل الفرَّاء بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قرأ:" وأرجلكم "مقدّم ومؤخر"1625 كقوله تعالى:"يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾"1626 ، و التقدير: اركعي واسجدي لأنّ الركوع قبل السجود

1618 – سورة الواقعة الآية **18**

1619 – الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مطبعة عيسى الحلبي، دار الفكر، **192،2**

1620 – الحجة في القراءات السبع، **129** ، وانظر التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية عند ابن خالويه ، **200** .

1621 – الحجة في القراءات السبع **129** .

1622 – إعراب القرآن **485،1** .

1623 – التفسير الكبير، الرازي ، **161/11** ؛و روح المعاني **258،2** ؛والتوجيه اللغوي والنحوي عند ابن خالويه :**200** .

1624 – انظر البحر المحيط **3** ،**438** ؛ و روح المعاني **2** ،**258** ؛ والتوجيه اللغوي والنحوي عند ابن خالويه ، **200** .

1625– معاني القرآن للفرَّاء **302/1**.

1626- سورة آل عمران، **43**

،و روى بسنده عن عليّ رضي الله عنه قوله:" نزل الكتاب بالمسح ، والسنة الغسل "، و روى عن الشعبي قوله:" نزل جبريل عليه السلام بالمسح على محمّد صلى الله عليه و سلمّ وعلى جميع الأنبياء."[1627]

ث – دلالة حمل النظير على النظير:

وجها القراءتين جائز في العربية ، لكنّ الغسل واجب في الأرجل لكونها معطوفة بالنصب على الأيدي ، قال الزجّاج: " المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل لأنّ قوله تعالى:" فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق "، فذكر الحدّ في الغسل للأيدي إلى المرافق ، و اليد من أطراف الأصابع إلى الكتف ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق ، فالمرفق منقطع ممّا لا يغسل و داخل فيما يغسل ، وقد قال بعض أهل اللغة:[1628] معناه مع المرافق ، و اليد المرفق داخل فيها ، فلو كان اغسلوا أيديكم مع المرافق لم تكن في المرافق فائدة ، وكانت اليد كلّها يجب أن تغسل ، ولكنّه لما قيل: إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حدّ المرفق ، والمرفق هو المكان الذي يرتفق به ، أي: يتكأ عليه على المرفقة وغيرها ، فالمرافق حدّ ما ينتهى إليه في الغسل منها ، وليس يحتاج إلى تأويل مع ، و لّما حدّ في الرِّجل إلى الكعبين ، و الرجل من أصل الفخذ إلى القدم علم أنّ الغسل من أطراف الأصابع إلى الكعبين ، والكعبان هما العظمان الناتئان في آخر الساق مع القدم ، وكل مفصل من العظام فهو كعب إلاّ أنّ هذين الكعبين ظاهران عن يمنة فوق القدم ويَسْرَتِهِ ، فلذلك لم يحتج إلى أن يقال: الكعبان اللذان صفتهما كذا وكذا ، فالدليل على أنّ الغسل هو الواجب في الرجل ، والدليل على أن المسح على الرجل لا يجوز هو تحديد إلى الكعبين كما جاء في تحديد اليد إلى المرافق ، ولم يجيء في شيء في المسح تحديد،قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾"[1629] بغير تحديد في القرآن، وكذلك قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ

1627- معاني القرآن ، للفرّاء **302/1**.

1628 – ممن ذهب إلى أنّ "إلى" بمعنى "مع " الفرّاء وابن قتيبة ، و لقد استحسن الفرّاء في تفسير قوله تعالى:" " آل عمران، الآية **52** أن تكون " إلى" بمعنى "مع " فقال:" المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله ، وهو وجه حسن"، وقال ابن قتيبة :" أي: مع الله"، وتابعهما ابن يعيش فحمل " إلى " في آية الوضوء في سورة المائدة على الآية المذكورة آنفًا من سورة آل عمران. انظر معاني القران، الفراء **218/1** ، وتأويل مشكل القرآن **571**، وشرح المفصل، ابن يعيش **15/8**.

1629 – سورة النساء **43**

وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦"1630، و عليه فإنّ الواو هنا لا تكون بمعنى "مع" لأنّها حينئذ تدلّ على المعيّة ، و إذا كانت للمعية فإنّ ما بعدها يكون مفعولاً معه ، و المفعول معه ما فعل معه الفعل ، والأرجل هنا لا يفعل معها الفعل إنما يقع عليها.1631

ج – دلالة الحمل بالعطف على معنى الانفراد دون التشريك.

قد تعطف العرب الشيء على الشيء بفعل ينفرد به أحدهما ، فتقول: أكلت الخبز واللبن ، أي وشربت اللبن ؛ ومنه قول الشاعر: علفتها تبناً وماءاً بارداً 1632 أي: علفتها تبناً وسقيتها ماء ، و عليه يجوز " وأرجلكم " بالجر على معنى: واغسلوا 1633 كما قال الشاعر:1634

يا ليتَ زوجَكِ قَدْ غدا　　　　متقلّدًا سيفاً وَرمحا

أي: متقلدا سيفاً وحاملاً رمحاً 1635

- الإعجاز التشريعي في العلاقات الزوجية.

- بلاغة البديع في استنباط إعجاز التشريع:

1630 – سورة المائدة 6.و انظر معاني القرآن و إعرابه 152/2

1631 – السعدي عبد القادر عبد الرحمن ، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، ط 2000 ،دار عمار، عمان، الأردن ، ص 161

1632 – شرح ابن عقيل 207/2 .

1633 – ذهب بعض أهل النحو إلى اختصاص" الواو" بالعطف عند اجتماع فعلين متغايرين في المعنى ، وكان لكل فعل منهما معمول جاز حذف أحد الفعلين وعطف معمول هذا المحذوف على معمول الفعل المذكور قال ابن مالك:" وتنفرد الواو– أيضاً– بعطف معمول عامله محذوف على معمول عامل مذكور." انظر البهجة المرضية في شرح الألفية 137، وحاشية الصبان على الأشموني ، 119/3.

1634 – انظر معاني القرآن، للفراء 121/1، 473 ، وتأويل مشكل إعراب القرآن 214 ،و إعراب القرآن، للنحاس 26/2، والخصائص 433/2 .

1635 – انظر أحكام القرآن 578/2 ، و الجامع لأحكام القرآن 94/6 وجعل بعض النحويين مثل هذا العطف خاصاً بـــ" الواو" عند اجتماع فعلين متغايرين في المعنى، وكان لكل فعل منهما معمول، جاز حذف أحد الفعلين وعطف معمول هذا المحذوف على معمول الفعل المذكور قال ابن مالك:" وتنفرد الواو– أيضاً– بعطف معمول عامله محذوف على معمول عامل مذكور." انظر البهجة المرضية في شرح الألفية 137، وحاشية الصبان على الأشموني119/3،و معاني القرآن وإعرابه 152/2–154.

و مثّلت له بقوله تعالى:"وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ"1636

– التوثيق الأدائي والتوجيه الدلالي للقراءتين: 1637

قوله تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ"

✹ – قرأ حمزة و الكسائي وشعبة عن عاصم و خلف العاشر" يَطَّهَّرْنَ " بتشديد الطاء ، و الهاء للمطابقة بين اللفظين 1638 ، و التطهّر يكون بالماء ، و أدغمت التاء في الطاء فشدّدت1639 لتفيد صيغة التشديد قطعا المبالغة في طهر النّساء من الحيض1640 ، و هذا قدر زائد على لفظ الطهر الذي يفيد معنى النقاء من دم الحيض ، وبهذا فوطء المرأة موقوف إباحته على وجوب الغسل ، والغسل موقوف صحته على انقطاع دم الحيض.

✹ – قرأ الجمهور:" يَطْهُرْنَ "بتخفيف الطاء و إسكان الراء على معنى حتى ينقطع الدم 1641، لأنّ ذلك ليس من فعلهن 1642 ، فالعرب في معهود خطابها قولها: طهرت المرأة من الحيض فهي طاهر 1643 ، وعلى هذا فقراءة التخفيف تفيد مطلق النقاء من الحيض ، ولا تفيد المبالغة في الطهارة بحال.

1636 – البقرة **222**

1637 – انظر معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، **80/2** ، و ابن الفحام ، التجريد ، **197** ، و ابن الباذش ، الإقناع ، **2 / 605** .

1638 – ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، **96** .

1639– انظر أبو منصور الأزهري معاني القراءات ، **1 / 202** ، و البستان في علوم القرآن ، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي ، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني ، رسالة ماجستير،**2007** ، جامعة أمّ القرى، مكة ، ص **234**

1640 – تيسير الكريم الرحمن ، ص**82**

1641 – انظر أبي حيان أثير الدين الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ط **1926** ، مطبعة الإخلاص، حماة ،سوريا، ص**77**

1642 – قال البخاري: بَاب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْحَيْضِ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ أَوَّلُ مَا أُرْسِلَ الْحَيْضُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ وَحَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ،ثمّ روى عَنْ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ طَمِثْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ قُلْتُ لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ الْعَامَ قَالَ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي. انظر الجامع الصحيح رقم الحديث **294**

1643– ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع **96**.

- التوجيه الفقهي للقراءتين:

إنّ البيان يقتضي منّا الوقوف على دلالة لفظ الطهر بقراءتيه بما يأتي:

✸– إن حمل لفظ الطهر في قراءة التخفيف على معنى الحقيقة اللغوية– النقاء من دم الحيض– فلا بدّ من حمل لفظ التطهّر في قراءة التشديد على معنى الحقيقة الشرعية ليحصل من الغاية و الشرط اجتماع القراءتين على كمال الحكم ، و يشهد لهذا الكمال الدلالي الاستعمال القرآني في قوله تعالى:" وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم."1644

✸– إن حمل لفظ الطهر في الموضعين على قراءة التشديد تعيّن إنزال المعنى الشرعي على مفهوم الغاية والشرط المؤكِّد له، فيحصل تأسيس و تأكيد باشتراط الغسل و توكيده مع اشتراط النقاء عادة إذ لا فائدة في الغسل قبل ذلك.1645

✸– إن حمل لفظ الطهر في القراءتين على معنى قراءة التخفيف– الحقيقة اللغوية – أفاد تقديم التأكيد على التأسيس و هذا ترجيح للغة على الشرع دون دليل معتبر ، ومن المعلوم أَنَّ اللَّفْظ إذا كان مشتركاً بين معنيين وكان حمله على أحدهما يوجب محذوراً ، وعلى الآخر لا يوجب ذلك المحذور ، فإِنَّ حمل اللَّفظ على المعنى الَّذِي لا يُوجِبُ المحذورَ أولى1646 ، و انطلاقا من تأصيل حقيقة اللفظ اختلف الفقهاء في تحرير مسألة الطهارة قبل الوطء على مذهبين:

✸– مذهب الحنفية جعلوا قراءة التخفيف في حكم المحكم المجمع عليه ، وقراءة التضعيف في حكم المتشابه المختلف فيه ، فردّوا حكم الثاني إلى الأول 1647 ، فجوّزوا الوطء عند انقطاع الدم وتمام العادة بعشرة أيام 1648 ، فإذا قلّت العادة عن التمام حلّ الوطء بعد الغسل أو مضي وقت الصلاة عليها1649 ، واستعملوا المشدّد بمعنى المخفّف.1650

1644 – النساء **6**

1645 – انظر التحرير والتنوير ج **2** ص **368**، و ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط**1**، **1987**، ج**1** ص **392** ، و شافي العليل شرح الخمسمائة آية من التنزيل ، فخر الدين عبد الله بن محمد بن قاسم النجري ، تحقيق محمد بن صالح العتيك ، رسالة دكتوراه **1406** هـــ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج**1** ص **121**

1646 – انظر تفسير ابن عادل ، ج **3** ص **63 – 64**

1647 – انظر الجصاص، أحكام القرآن ،**1 – 476** .

1648 – الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي ، ج**1**، ص : **473**.

✵– مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة أنّ قراءة التخفيف لا يصّح حملها على غسل محلّ الحيض حال السيلان فوجب حمل إباحة الوطء على تحقّق غايتين الأولى نقاء المحل بالانقطاع ، و الثانية الاغتسال ،1651 و بما أنّ قراءة التخفيف لفظ مشترك المعنى بين النقاء و الغسل فقد افتقر لبيان قراءة التضعيف التي تفيد الاغتسال قطعا 1652 ، و بهذا فإنّ الوطء لا يصحّ إلاّ بمجموع القيدين في القراءتين أصل الطهر بالنقاء من الحيض ،و المبالغة فيه بالاغتسال 1653 قال الشوكاني:" إنّ الله سبحانه جعل للحلّ غايتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما: انقطاع الدم ، والأخرى: التطهّر منه ، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى فيجب المصير إليها ، وقد دلّ أنّ الغاية الأخرى هي المعتبرة بقوله تعالى بعد ذلك:" فَإِذَا تَطَهَّرْنَ "، فإنّ ذلك يفيد أنّ المعتبر التطهّر لا مجرد انقطاع الدم ، وقد تقرّر أنّ القراءتين بمنزلة الآيتين ، فكما أنّه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة ،كذلك يجب الجمع بين القراءتين."1654

و يترجّح مذهب الجمهور بمنهج السبر و التقسيم ، و عليه فإنّ قوله تعالى " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ " يحتمل أمرين إمّا التطهّر اللغوي أو الشرعي فحمله على الشرعي أولى و أرجح من ستة أوجه:

✵ – أنّ الحقيقة الشرعية مقدّمة على الحقيقة اللغوية فيحمل التطهّر على غسل الصلاة.

1649 – انظر البحر الرائق لابن نجيم ، دار المعرفة ، بيروت، 1 – 213

1650 – محمد علي الصابوني ، تفسيرآيات الأحكام من القرآن ، دار القلم العربي، حلب، سوريا،ج1 ص 302

1651 – و على هذا التفسير الماوردي في النكت و العيون ، تحقيق السيد بن عبد المقصود ، ط1 ،1992 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1 – 283 ، و البغوي في معالم التنزيل، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، و مروان سوار ،ط 1 ،1986 ، دار المعرفة ، بيروت 1– 197 ، و ابن الجوزي في زاد المسير 1 –248 ، و البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات ابن الأنباري ،تحقيق طه عبد الحميد ، ط 1980 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1 ، 155 ، و التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1 ، 178

1652 – و قد نقل هذا الجمع بين القراءتين البارزي في بستانه. انظر البستان في علوم القرآن، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي ، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني ،ص 233

1653 –انظر بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، ابن رشد ،1– 50 ، و التفسير الكبير ، الرازي ،6 – 349 ، و المبدع شرح المقنع، ابن مفلح ،1– 262 ،و الألوسي، روح المعاني ،2 – 122 ،و القاسمي ،محاسن التأويل ،3 – 562، و قد نقل الإجماع في ذلك الطبري في تفسيره و ابن حزم الظاهري و انظر ابن حزم ، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات و الاعتقادات ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ص 24 ، وفتحي بن الطيب الخماسي ، الأحرف السبعة و ارتباطها بالقراءات ، ط1 ،1995 ، دار المعرفة ، دمشق، ص 89

1654 – انظر السيوطي ، الإكليل في استنباط التنزيل، مراجعة أبي الفضل عبد الله محمد الصدّيق الغماري ، ص 36

❁ – أنّ الإعمال مقدّم على الإهمال ، والقراءتان إذا ظهر تعارضهما في الآية الواحدة كان لهما حكم الآيتين 1655، و يتعيّن التوفيق عندئذ بالعمل بالمعنيين ، ويترّل التعارض مترلة التضمين 1656 في معهود الخطاب العربي ، أو مترلة التورية 1657 و التوجيه 1658 في علم البديع ، أو مترلة مستتبعات التراكيب في علم المعاني 1659 ، و من هذا التأصيل وجب حمل القراءتين في آية المحيض على معنى الطهارة اللغوية و الشرعية.

❁ – أنّ الميزان التصريفي لقراءة التخفيف قد وردت صيغة الفعل فيها على وزن – فعُل يفعُل– لتدلّ على الصفة اللازمة غير المتكلّفة 1660 فتحمل على معنى النقاء من الحيض ، أمّا قراءة التشديد فقد وردت صيغة الفعل فيها على وزن تفعّل ليفيد نية القصد و فعل التكلّف ،1661 و عليه فإنّ التطهّر لا يستعمل إلاّ في الفعل المكتسب الذي فيه معنى الكلفة و هو الغسل الشرعي ، و بهذا فإنّ للحل غايتان:

– الأولى: انقطاع الدم بالنقاء.

– الثانية: التطهّر منه و الغاية الثانية مشتملة على زيادة ليست في الأولى فوجب المصير إليها.1662

1655 – انظر الإتقان ، **84/1** ، و معترك الأقران ، **127/1**، و أضواء البيان – **7/2**،وحاشية محي الدين زاده على البيضاوي، دار التراث العربي ، القاهرة ، **35/1**.

1656 – التضمين: إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون في الأسماء و الأفعال، و مثاله في الأسماء قوله تعالى: "حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق" الأعراف، **105** حيث ضمّن لفظ "حقيق" معنى حريص ، أمّا في الأفعال فقوله تعالى: "عيناً يشرب بها عباد الله" الإنسان ، **6** حيث ضمن فعل يشرب معنى يروى لتعديته بالباء دون "من".

1657 – التورية : ذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب متروك يورى به ، و الثاني بعيد مقصود الموارى عنه.

1658 – التوجيه: ما احتمل معنيين لفطنة المخاطب مثاله قوله تعالى:" هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون" القصص **12** فإن الضمير " له " يصلح أن يكون لموسى عليه السلام كما يصلح أن يكون لفرعون.

1659 – هي المعاني المستنبطة من التراكيب بدلالة القرائن كالسياق مثلا. أنظر التحرير والتنوير، **48/1** .

1660 –فصيغة فعُل تدل على لزوم الصفة كالطبائع مثل حسُن وقبُح فاتصف الفعل باللزوم كاتّصاف الإنسان بالطبيعة التي لا تتعدى إلى غيره. انظر شرح الشافية للرضي **84،1** ، و ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ،غانم قدوري الحمد ،ط **1** ، **2006** ، دار عمّار، عمّان ، الأردن، ص **75**

1661 – و ذهب سيبويه إلى أنّ صيغة تفعّل تأتي بمعنى تكلف الأمر فقال:" إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضافَ عليه ، ويكونَ من أهله ، فإنّك تقول : تَفعَّل ،وذلك تشجَّع ،وتحلّم... " واستدل عليه بقول حاتم : تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنَ وَاسْتَبْقِ وُدَّهم – وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا. انظر الكتاب ،سيبويه ، **71/4**

1662 – ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ، زيد بن علي بن مهدي مهارش، رسالة دكتوراه، **1426** هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، **1**، **410**

❁ – إفادة السياق القرآني معنى التطهّر الشرعي بدلالة ختام الفاصلة القرآنية:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " فتحمل على المتطهّرين للصلاة قال الطبري :" وَأَوْلَى الْأَقْوَال فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْل مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّه يُحِبّ التَّوَّابِينَ مِنْ الذُّنُوب، وَيُحِبّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ لِلصَّلَاةِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَب مِنْ ظَاهِر مَعَانِيه " ، و يؤكد المعنى الظاهر الغالب اجتماع مفسري الصدر الأول على ذلك فعن عَطَاء قَالَ:" إِنَّ اللَّه يُحِبّ التَّوَّابِينَ " التَّوَّابِينَ مِنْ الذُّنُوب و" يُحِبّ الْمُتَطَهِّرِينَ " الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ لِلصَّلَاة."1663

❁ – إجماع العلماء على حرمة وطء الحائض سواء عند فورة الحيض أو فترته و لا فرق بين الحائض بعد انقطاع الدم و قبل الغسل فقد روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ قَالَ يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ "، و في رواية عنه:" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا أَصَابَهَا فِي أَوَّلِ الدَّمِ فَدِينَارٌ وَإِذَا أَصَابَهَا فِي انْقِطَاعِ الدَّمِ فَنِصْفُ دِينَارٍ "1664 ، فدلّ الفرق و كفارة الإتيان على ثبوت الغسل الشرعي الذي به تطهر المرأة.

❁ – إذا تردّد اللفظ بين التطهّر اللغوي و التطهّر الشرعي فالأخذ بالأحوط أولى ،و الاحتياط يقتضي التطهّر الشرعي.

❁ – الاستعمال القرآني بقوله تعالى:" وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ "1665 ، و قوله جلّ و علا:"وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ "1666 ، فجعل القرآن التطهّر بمعنى الاغتسال الذي تصحّ به الصلاة.1667

- بلاغة المنهج البديعي في استنباط الإعجاز التشريعي:

وجاء أهل البلاغة فاستنبطوا ببراعة منهج علم البديع إعجازا من آيات التشريع وفق الخطوات التالية:

أ – الإعجاز ببلاغة الإيجاز – الحذف بالاحتباك – 1668 ، فقد حُذف من أول طرف الآية الفعل المشدّد – يتطَّهّرن– لدلالة الثاني عليه ، وحذف من ثاني طرف الآية الفعل المخفّف– طَهُرن– لدلالة الأول عليه ، و

1663 – تفسير الطبري ج3 ص742

1664 – سنن أبي داود رقم 230 ،و أحمد في المسند رقم 2015 ،و ابن أبي شيبة في المصنف، رقم 35 ،ج3 ص 488

1665 – المائدة 6

1666 – النساء 43

1667 – ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ،زيد بن علي بن مهدي مهارش، 1، 411

1668– انظر البرهان 129/3، و السيوطي ، التحبير في علم التفسير،ط1 ،1996 ،دار الفكر ، بيروت، ص 114

على هذا فالمقدّر المحذوف هو: ولا تقربوهنّ حتى يَطهُرنَ ويَتطَّهَّرن فإذا طَهُرنَ وتَطَّهَّرن ، و بهذا فإنّ حمل الآية على الاحتباك يوضّح دلالتها ويبيّن حكمها بتعيّن حكم التطهّر- الاغتسال- بعد الطهر- انقطاع دم الحيض- ، و مما يرجح ذلك دلالة السياق على ثبوت المحذوف ، و بهذا ارتفع الخلاف في الحكم بين الفقهاء ببلاغة إيجاز الإعجاز عند البلغاء.

ب – الإعجاز بين الذكر التقابلي و الفاصلة القرآنية:

قال تعالى:" إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ " فالتوبة في الآية طهارة القلب بهجر الذنب ، و هذه تزكية روحية ،1669 و التَطَهّر نظافة الجسم من النجاسة و الأقذار ، وهذه طهارة حسيّة 1670 ، و بهذا فقد تقابل لفظا الفاصلة القرآنية مع وجهي القراءتين – المذكوران المتقابلان بعد الاحتباك – تقابلا تمّ به كمال بيان أحكام العلاقة الأسرية ، وحسُن به جمال خلال العشرة الزوجية.

ت – الإعجاز بين بديع التمكين و بلاغة الفاصلة القرآنية:

و أقصد بالتمكين الدلالي تعلّق معنى الفاصلة القرآنية بموضوع الآية القرآنية تعلّقا يتأسّس معه مراد المتكلم و يتأصّل ، ثمّ بالتأكيد يتقرّر فيتمكّن 1671 ، فقوله تعالى:" إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ " فيه إشارة إلى طهارتين:

- الأولى: قلبية باطنية ، وحقيقتها تزكية النفس بهجر محارم الله تعالى ، ومن لوازم التوبة ترك إتيان الزوجة في الحيض ، أو الدبر و دلالة السياق اللفظي يعضّد ذلك "نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ "1672.

– الثانية: حسية ظاهرية ، وحقيقتها التمكّن من الغسل بعد النقاء من النجاسة العينية ، و بهذا فقد مكّنت الفاصلة القرآنية ببلاغة لفظيها لمذهب الجمع بين القراءتين- الطهر والتطهّر – بمسلكين:

1669 – تفسير الطبري ج3 ص742

1670 –تفسير ابن كثير ج1 ص293

1671 – انظر السيوطي، معترك الأقران،1،31، والزركشي،البرهان،1 ،78، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص304

1672 – البقرة 123

– أحدهما: مراعاة قاعدة النظير بين لفظي الفاصلة – التوّابين و المتطهّرين– على الترتيب1673 من خلال ملاحظة الجملة المقدّرة من الحذف التقابلي – حتى يطهرن و يتطهّرن فإذا طهرن و تطهّرن فأتوهنّ – فناسبت كلمة التوبة نظيرتها الطهر " بترك إتيان النساء في الحيض "، و ناسبت كلمة الطهارة نظيرتها الاغتسال ، وقدّم التَّوَّابِينَ على الْمُتَطَهِّرِينَ لتقدّم الطهر "النقاء" على التطهّر– الغسل– فدلّ الترتيب في المباني على ترتيب المعاني ، و دلّ لفظ التَّوَّابِينَ دلالة ظاهرة على تعلّقه بقراءة الطهر كما دلّ لفظ الْمُتَطَهِّرِينَ دلالة ظاهرة على تعلّقه بقراءة التطهّر ، ليدلّ اجتماع القراءتين بالترتيب المقصود على شرطي الطهر و التطهّر في إباحة الجماع.1674

– ثانيهما: دلالة صيغة التفعّل في اسم الفاعل " المتطهّرين " على:

- – ثبوت قصد الفعل للدلالة على المبالغة في حصول الطهارة .
- – الإشارة إلى حمل النّفس على مشقّة الطهارة.

ث – الإعجاز و بلاغة المناسبة القرآنية:1675

و تتجلّى المناسبة في العناصر التالية.

❋ – المناسبة بين الإعجاز و مقاصد السياق القرآني:

1673 – و أقصد بالترتيب في الفاصلة القرآنية التقديم و التأخير بين مفرداتها و دلالة ذلك على معنى النص القرآني .

1674 – انظر تفسير القرطبي 3 – 78 ،و عماد الدين بن محمد الطبري الكياهراسي ، أحكام القرآن ، ط2 –1985 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1– 134

1675 – المناسبة في اللغة: المقاربة و المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل وقال ابن فارس: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء" و في اصطلاح المفسرين: وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة وبين كل آية بما قبلها وما بعدها، والسورة بما قبلها وما بعدها، وعرفها البقاعي بقوله:" علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن." و بهذا فإن المناسبة هي الوقوف على مقاصد علل الترتيب بين التركيب. أما فائدة المناسبة فهي:– فهم مقاصد النظم القرآني بفهم علل ترتيب أجزائه.– الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية.– بيان وجوه الائتلاف عند توهم الاختلاف بين الآيات المختلفة في الموضوع و النزول .– دفع الإيهام بالبيان عند غلبة الإجمال و ترجيح إحدى الدلالات عند تساوي الاحتمالات و رفع الالتباس عن مقاصد الآيات.

– بيان صور الإعجاز القرآني في تناسب المعاني مع المباني. انظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،و الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط2 ، 1993، دار ابن كثير، بيروت، ج2، ص 977 ، و محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري ، ط 1، 1994 ، دار الفكر ،بيروت، ج2، ص430 ، و أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت، ج 5، ص32 ، و برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، ط1،1995 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1،ص5

إنّ ورود آية المحيض بين آية النهي عن نكاح المشركين وآية الحرث في سياق العطف دون الاستئناف أنسب في الدلالة على وجوب الطهارة كمبدأ أساسي تقوم عليه الحياة الفردية و الزوجية و الجماعية في الإسلام ، و انطلاقا من أنّ الطهارة قاعدة الشرع المطردة في أحكامه ، فإنّ آية المحيض تبيّن صورة فقهية عملية تعالج من خلاله مظهرا من مظاهر العلاقة الزوجية السليمة التي حفظ القرآن الكريم مقاصدها بدء بنشأتها على أصل طهارة الإيمان إذ قال تعالى:"وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾1676 ، ومناسبة التحريم تؤذن بمقصد مخالفة أهل الجحيم بالتنزّه عن أحوالهم أجمعين 1677 ، وبدوامها على أصل الزرع النقي الطاهر لأنّ الحرث بذر لطلب النسل ، و لا يكون النسل إلا في القبل 1678 قال تعالى:"نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ " واستمرارها على ذلك إلى غاية تحقيق البشارة بالجنان الطاهرة قال تعالى:" وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ "1679

✵– المناسبة بين الإعجاز و موضوع السياق القرآني:

لقد جاءت سورة البقرة لتفصّل قضايا الأسرة بناء على ما سبق نزوله من قواعد التأسيس الأسري في السور القرآنية الأخرى 1680 و التي أجمعت مواضيعها على ضرورة فهم المرأة فهما يتجاوب مع مقاصد

1676 – البقرة 121

1677 – قال الطاهر بن عاشور:" كان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كُنَّ حُيَّضاً وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض فناسب تحديد ما يكثر وقوعه وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم ، ويتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها." انظر التحرير و التنوير ج 2 ص 364

1678 – المصابيح في تفسير القرآن العظيم، الوزير الحسين بن علي المغربي ، تحقيق عبد الكريم بن صالح الزهراني ، رسالة دكتوراه ،كلية اللغة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ،ج1 ص 231

1679 – البقرة 123

1680 – محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط 4 ، 2000 ، دار الشروق، القاهرة، ص 20 و من الآيات القرآنية التي أسست قواعد الأسرة ما يأتي:قوله تعالى:" وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ النحل – 72 و " مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل – 97 و " وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

النكاح في التشريع الإسلامي ، ولعلّ الحكمة من تعديد موضوع الطهارة بين الزوجين في مواضع متتالية – في أصل تكوين الزواج باشتراط قيد الإيمان و في تنظيم العلاقة الجنسية في ذاتها و مقصدها – بيان علاج النوازل التي تعصف بالنكاح و مقاصده كالإيلاء و الطلاق و الخلع ، و تنظيم المسؤوليات الأسرية كالنفقة و الرضاع و غيرهما ، فوقع البيان على ضرورة أدب التروّي القائم على طهارة التقوى التي تخلّلت موضوع هذه النوازل لتجتمع الأحكام الأسرية المذكورة في سورة البقرة على وفاق واحد ، و لتحقق مقصدا واحدا.

✸ – المناسبة بين الإعجاز و مقاصد الوجوه و النظائر القرآنية:1681

لقد دلّ الاستقراء التام للفظ الطهر في القرآن الكريم على دورانه بين معنى طهارة الجسم و طهارة النفس فحملت عليهما عامّة الآيات القرآنية 1682 التي تنوّعت مواضعها و اختلفت أسباب نزولها ليرد لفظ الطهر على وجوه المعاني التالية:1683

- – انقطاع الدَّم ، قال تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ "1684 أي: حتى ينقطع الدَّم.
- – الاستنجاء بالماء ؛ قال تعالى:" فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ "1685 ، أي: يستنجون بالماء.
- – الاغتسال ، قال تعالى:" فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ " أي: اغْتَسَلْنَ.
- – السلامة من سائر المستقذرات ، قال تعالى:" وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ "1686 ، و قوله تعالى:" وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ "1687

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الروم – 29 و " مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ غافر 40

1681 – سلوى محمد العوا ، الوجوه و النظائر في القرآن، ط1 ،1998 ، دار الشروق، القاهرة ، ص 44

1682 – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص 308

1683 – انظر تفسير ابن عادل ج 3 ص 70، و أبو عبد الله هارون بن موسى العتكي ، الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن ،ط 1988 ، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد ، العراق ،ص 85 ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ،ط 1 ،1984 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 421

1684 – البقرة:222

1685 – التوبة:108

1686 – البقرة:25

1687 – آل عمران 15

- – التَّطهُّر من الذُّنوب ؛ قال تعالى:" لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا المطهرون "1688 ، و قوله سبحانه:" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ.. "1689
- – التَّطهير من الشّرك ، قال تعالى:" وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ "1690 ، أي: طهّره من الشرك.
- – طهارة القلب من الريبة قال تعالى: " ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ "1691
- – الحلال ، قال تعالى: "هؤلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ "1692 أي: أحل.
- – التطهّر من الرّجس ، قال تعالى:" وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا "1693 أي: من الآثام والرّجس.
- – الطهارة من الفاحشة قال تعالى :" يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ "1694
- – تقصير الثياب قال تعالى:"وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ" 1695
- – التنزّه عن إتيان الرجال قال تعالى:" أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ "1696 ، و لقد أكدّت الشريعة الإسلامية المعنى المستقرء من الوجوه و النظائر فجاءت أحكامها لتطهير الأنفس بالتزكية ، و تنظيف الأجساد بالنظافة ، ومن هذا التأسيس تواطأ تمام الاستقراء وكمال التشريع مع بيان الوجوه و النظائر مع دلالتي القراءتين الواردتين في سياق موضوع الطهارة النفسية في بناء مقاصد العلاقة الزوجية و الطهارة الحسيّة و الصحّة الإنسانية.

ج – الإعجاز بين الفاصلة الصوتية – الوقف– و الفاصلة القرآنية:

إنّ الوقف على قوله تعالى:" إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ " تام 1697 فدلّ على تعلقّ معنى الفاصلة بمعنى آية المحيض دون ما بعدها ، و دلّ التعلّق على تمام الغاية بكمال الطهرين.

1688 – الواقعة:79
1689 – التوبة:103.
1690 – الحج:26
1691 – الأحزاب 53
1692 – هود:78
1693 – الأحزاب:33
1694 – آل عمران 42
1695 – المدّثر 4
1696 – النمل 56
1697 – المتكفى في الوقف و الإبتدا ، لأبي عمرو الداني، ص 185

ح – الإعجاز بين الدلالة الصوتية و المقاصد الشرعية.

إنّ مِنْ قواعد البحث الصوتي عن معاني الأحكام الشرعية ورود ظاهرة الإبدال الصوتي عِنْدَ تَجَاوُرِ حَرْفَيْنِ مُتَنَافِرَين فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ لتفادي عوار الثِقَلٍ عند النطق ؛ فيتعيّن عندئذ إبدال أحَدِهِمَا لأنّه مِنَ الحرج البيّن عسره " عَلَى اللّسَانِ أنْ يَنطق بِصَوتين مُتجاورين ، وهما مِنْ طبيعتين مختلفتين لِمَا فِي ذلك مِنْ جهد على أعضاء النّطق "[1698] مثاله كلمة " اطَّهَّرُوا " فِي قَولِهِ تَعالَى: "وَإن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوْا "[1699] ؛ فقد وردت الكلمة مُشَدَّدَة الطّاءِ وَالهَاءِ لتشير إلى شِدَّةِ الحرص على التَّطَهُّرِ و الاهتمام بتحصيله ، والمبالغة فِي الحثّ على تجنُّبِ حال الجنابة ، و الأصْل فِي لفظ " اطَّهَّرُوا " ورودها على صيغة " تَطهَّرُوا "، ثُمَّ أبدلت التَّاء طَاء ، ثُمَّ أُدْغِمَتْ بِالطَّاءِ وشُدِّدَتْ ، ثمّ سبقت هَمْزَة الوَصْلِ لتسهيل النُّطْقِ بِالسَّاكِنِ ؛ و دلّ الاستعلاء و الإطْبَاقِ فِي الطَّاءِ على معنى التَّفْخِيمِ لتتحقّق المناسبة بين فخامة اللفظ في قوّة حروفه و الحكم في قوة دلالته على سرعة الامتثال و كمال الاتباع ، ليضيف اللفظ بطبيعته الصوتية بعدا روحيا يتحقّق به مقصد ضروري يحفظ به الدين ، و بعدا شرعيا يحقّق مقصدين:

- أولهما حاجي ذو صبغة شرعية يبرز ضرورة الطهارة في قاعدة التعبّد.
- ثانيهما تحسيني ذو مسحة جمالية يظهر و هو حرص الشريعة الإسلامية على الدعوة إلى النظافة.

– التفاير القرآني و الإعجاز الطبّي :

الطبّ الإسلامي وظيفة شرعية ، وممارسة حضارية يقوم على أصل الحماية العامّة للحياة الإنسانية على مستوى الفرد و المجتمع و البيئة 1700 ، وانطلاقا من تفسير الإسلام لرسالة الإنسان في الوجود فإنّ الحكمة الإلهية من إنزال تشريعه تقتضي بيان طريق الهداية ، ومقصد العبادة ، و بما أنّ قاعدة الإسلام تحقيق المصالح ومحق المفاسد فإنّ المتمعّن في آيات الذكر الحكيم وفق المنهج التربوي القرآني يجد أنّ التركيز إنّما ينصبّ على

1698 – في النّحُو العَرَبيّ – قواعد وتطبيق ، 4، و ينظر ظَاهرة التّخفيف في الشعر العَرَبيّ ، 142.و يسمى هذا التجاور بالتَّمَاثُلِ الصَّوتِيِّ أو بالمُضَارعة على قاعدة سيبويه أو بالتجنيس بمعنى المناسبة على قاعدة ابن جني. انظر الكتَاب، سيبويه ، 602/4، و المنصف ، ابن جني ، ص 541

1699 – المائدة ، 6

1700 – عدنان الشريف ، من علم الطب القرآني ، ط 1 – 1990 ، دار العلم للملايين ، بيروت، ص 179 ، و السيد الجميلي ، الإعجاز الطبي في القرآن ،ط 2 1990 ، دار الهلال ، بيروت ، ص 233

تقوية المناعة الشرعية في النفس البشرية لدرأ المفاسد المتوقّعة ، و جلب المصالح المتحقّقة 1701 ، و يتجلّى ذلك بوضوح في آية المحيض من خلال نوعين من البناء الصحّي للفرد والمجتمع هما:1702

1 – الطب الوقائي الإسلامي: 1703

و يقوم بمنع انتشار الأمراض والأوبئة وفق قاعدتين أساسيتين:

أ – العزل و أصل ثبوتها قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يوردن ممرّض على مصح."1704

ب – الحجر الصحي ، و أصل ثبوتها قوله صلى الله عليه وسلم:" إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها "1705 ، وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّاعُونِ فَقَالَ أُسَامَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ."1706

2 – الطب العلاجي الإسلامي:

و يقيم الصحّة الإنسانية على قاعدتين أساسيتين:

1701 – فتحي يكن ،التربية الوقائية في الإسلام ، ص 39

1702 – قواعد الإسلام في الأخذ بالوقاية في الحياة كثيرة منها: قاعدة الصحة البدنية ، وقاعدة الصحة العقلية و النفسية ، و قاعدة الصحة الجنسية ، وقاعدة الصحة في التغذية ، وقاعدة الصحة في الوقاية من الأمراض ، وقاعدة الصحة البيئية. انظر عبد الرحمن النقيب ، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 27

1703 – الوقاية هي حفظ الفطرة من الانحراف بالتدابير العملية و صيانة النفس بالاحتياطات التربوية والإجراءات الشرعية .انظر أحمد ضياء الدين حسين، أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، ط 1 – 2005 ،دار الفرقان ،عمان ، الأردن ،ص 28 ، وقال الطبيب النصراني (الحايك) في مستشفى الأميركان في بيروت: "قد عرفت عظمة نبيكم بحديث واحد وهو" فر من المجذوم فرارك من الأسد " فقد أحضرنا ميكروب الجذام ووضعناه تحت المجهر الطبي المكبر، فوجدنا صورته صورة الأسد ، فمن علّم محمداً ذلك لا شك عظيم " انظر أحمد محيي الدين العجوز ، الطب والأطباء في الإسلام ؛ مقال مجلة الوعي الإسلامي ، عدد 250، ص61، الكويت، شوال 1405ه ، يوليو 1985.

1704 – رواه الشيخان

1705 – رواه الشيخان

1706 – مالك في الموطأ رقم 1392 ، و البخاري في الجامع الصحيح رقم الحديث 3214 ،

أ – فتح آفاق العلم في البحث عن الحلول الطبيّة لمشاكل الصحّة الإنسانية ،1707 فقد دعا الرسول صلى الله عليه و سلم المسلمين إلى ذلك بقوله: " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء."1708

ب – الدعوة الحثيثة إلى العلاج و التداوي ، و الأخذ بأسباب السلامة الصحيّة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" إنّ الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا."1709

ولقد أشار التغاير القرائي – في كيفية التعامل مع ظاهرة الحيض 1710– في قوله تعالى: "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ "1711 إلى إعجاز طبّي بوجهين:

أ – إعجاز طبي وقائي:1712 و دلّ على حقيقة الوقاية بصورتين هما:

1707 – عبد الرحمن النقيب ، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، ص **39**

1708 – البخاري في الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء رقم الحديث **5678** من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

1709 – أحمد بن حنبل في المسند رقم الحديث **12580** من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

1710 – الحيض نزيف دموي طبيعي ضئيل يعتري المرأة البالغة عادة كل شهر مرة ، يختلف في مدة سيلانه وكميته من امرأة لأخرى وفْقَ منحنى التغيرات الجسدية والنفسية بين النساء، و يرجع سيلانه إلى التغيّرات المتنوعة الطارئة– عدم تلقيح النطفة الذكرية للبيضة الأنثوية – على الغشاء المبطن للرحم فتتمزق عروقه الدموية،ثم يسقط الغشاء المخاطي للرحم مع صورة السيلان الدموي ، وتحدث الدورة الشهرية – الحيض– وفق المراحل التالية: أ– عند نضج البويضة في حويصلة جراف؛ تفرز الغدة النخامية هرموناً يسمّى الهرمون المصفَّر **LuteinisingHormone**) ويرمز له بالرمز" **LH**"،ثم تنفجر حويصلة جراف عند سطح المبيض ؛ فتنطلق منها البويضة الناضجة إلى أذرع قناة المبيض ، وتسمى هذه العملية بالتبييض "**Ovulation**" و تحدث عادة في اليوم الرابع عشر للدورة.

ب– تلتئم حويصلة جراف تحت تأثير هرمون" **LH**" ، وتنمو مكونةً الجسم الأصفر"**Gorpus luteum**" الذي يفرز بعد ذلك هرمون البروجسترون وبعض الاستروجينات المؤثرة في بناء بطانة الرحم؛ لتصبح أكثر سمكاً ونعومة وذات قِوام إسفنجي مما يجعل الرحم قادراً على احتضان البويضة في حالة الإخصاب.

ج– تصل البويضة إلى الرحم للإخصاب، فإذا لم تخصَّب انهارت فانحلت مع الجسم الأصفر، وتضاءلت نسبة الهرمونات المفرزة ليصل سمك بطانة الرحم ما بين **5** ملم و**8** ملم.

د– تبدأ بطانة الرحم بالانفصال عن جدار الرحم، ثمّ تبدأ بعض الشعيرات الدموية المُغَذِّية للبطانة بالنزيف وطرد الأنسجة المتمزقة مع الدم النازف خارج الجسم، ويبدأ بالنزول بعد اليوم **28** من الدورة لتقوم الغدة النخامية بإفراز الهرمون المحفز للحويصلات (**FSH**) ليبدأ في تأثيره على كيس المبيض – الموجود في أحد المبيضين الموجودين عل جانب الرحم– لإنتاج حويصلة جراف جديدة.

ه – تستمر البيضة في النمو ويبدأ كيس المبيض في التحرك نحو بداية قناة المبيض ويفرز الكيس هرمون الاستروجين الذي يجعل بطانة الرحم تأخذ في السُمك وعندما يصل سمكها إلى **1**ملم ينتهي نزول الدم . انظر الرسول الطبيب، حسام الراوي، مؤسسة الانتشار العربي ، ط **1** ، **1999** ، بيروت ، ص **85** ، و خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار، ط**4** ،**1983** ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ،الرياض، ص**72**

1711 – البقرة **222**

– الأولى: نستنبط من قوله تعالى:" قل هُوَ أَذًى" حكم الإشعار بضرورة التنبّه إلى مفاسد الأذى ومقاصد الوقاية، إذ يشمل لفظ الأذى كل معنى دلّ على مستقذر نفرت منه النفس، أو آل أمره إلى ضرر أتلف مقاصد العلاقة الزوجية 1713، فظهر بدلالة عموم اللفظ عموم آثار الحيض على المرآة وهي: 1714

❋– التأثيرات العضوية:

– قابلية التعرّض للالتهابات التي تصيب المسالك البولية من جرّاء الميكروبات الناشئة عن الدم الفاسد.

– تنوّع الأمراض و اتّساع دائرة آلامها الشديدة كأمراض المفاصل الوركية و عظام الحوض.

– انخفاض تركيز حمرة الدم و تعداد الكريات الحمراء ثم التعرض لمرض فقر الدم.

– انخفاض درجة حرارة الجسم و ضعف مقاومته للأمراض.

– انخفاض نبض القلب وضغط الدم.

– حدوث الاضطرابات في إفرازات الغدد.

❋ – التأثيرات النفسية:

– الشعور بالفتور و الكسل.

– انخفاض مستويات الرغبة الجنسية من خلال إفراز الجسم في فترة الحيض هرمونا مختلفا عن الفترة العادية يجعل الحائض في حالات نفسية متوترة، و في اضطرابات عصبية متفاوتة.

– ارتفاع مستويات القلق النفسي والتوتر العصبي.

1712 – هو علم المحافظة على صحة الإنسان و المجتمع من خلال مجموعة الارشادات الوقائية المانعة من عدوى الأمراض الهالكة. انظر الطب الوقائي في الإسلام ،أحمد شوقي الفنجري،ط 3 ،1991 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،ص 11،و توافق قاعدة سد الذرائع مبدأ الوقاية فقد دلّ الاستنباط الأصولي على الاستنباط الطبّي و يؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن عطية في آية المحيض:" قوله تعالى حتى غاية لا غير و تقربوهن يريد بجماع و هذا من سد الذرائع." انظر المحرر الوجيز ج2 ص179 ، و الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز، عواطف أمين يوسف البساطي كلية الدعوة و أصول الدين ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، رسالة دكتوراه ، 2008 ، ص165

1713 – و القرينة الدالة على الإعجاز الطبي دوران لفظ الأذى بين معنى النجاسة و المرض و النساء في فترة الحيض أقرب إلى صفة المرض منه إلى صفة العافية و الصحة فدلّ عموم اللفظ على التنبه لذرائع الوقاية من مفاسد المرض. انظر أبو الأعلى المودودي ، تفهيم القرآن ، تعريب أحمد إدريس ، ط1 ،1978 ،دار القلم ، الكويت ، ص 148

1714 – انظر الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ،ط 3 ،1991 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 206 و 207 ، و الرسول الطبيب، حسام الراوي ، ص 86

- ظهور ملامح الاكتئاب ، وأعراض الاضطراب والارتعاش.
- تبدّل المزاج النفسي ، و سرعة الاستثارة.

– الثانية: نستنبط من قوله تعالى:" فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ " حكم الأمر بضرورة تنفيذ إجراءات الوقاية على سبيل الجزم بدلالة الأمر باعتزال الجماع زمن الحيض ، و تأكيد الحرمة بدلالة منع الاقتراب من دواعيه1715 ، و على هذا فإنّ فلاح الحياة الأسرية في وظائفها الحضارية يبدأ من الوفاق في فراش الزوجية ، فإذا انعدم هذا الوفاق انهار أساس الأسرة على أهله ، و سقط السقف على بانيه ، و لحفظ مقصد النكاح و بعث أصول قيامه نظّم الشرع علاقة الفراش بين الزوجين فحرّمها في المحيض لأنّها ذريعة يقينية تؤول بالنكاح إلى الهلاك المحقّق، فظهر بدلالة الأمر و النهي الصريحين مفاسد الجماع زمن الحيض وهي: 1716

❋– المفاسد الجسدية

- التهابات الجهاز التناسلي المؤدية إلى الأمراض الآتية:
- زوال الخصوبة حيث يتأخّر الإنجاب مع قيام العلاقة الزوجية السليمة.
- ظهور مرض البروستات و الخصيتين والكلى.
- ظهور العقم بانتقال الميكروب من البروستات إلى الحويصلات المنوية ، ثمّ الخصيتين فانسداد قناة المني.
- زيادة التلوث الجرثومي.
- سرطان عنق الرحم.
- تعريض مقصد حفظ النسل للضياع من خلال تخلق الجنين في وسط جرثومي.

❋ – المفاسد النفسية و تتجلّى في الأضرار الآتية:

1715 – انظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق سعيد الفلاح ، ط2، 2007 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ج 1 ص 259

1716– انظر محمد علي البار ، الطبيب أدبه و فقهه ، دار القلم ،دمشق ،ط1، 1993، ص 335 ، و الطب الوقائي في الإسلام ،أحمد شوقي الفنجري، ص 207 ،و محمد وصفي، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ، دار الفضيلة ، القاهرة، ص 66 ، و أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، ط6 ، 1992 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 141 ،و موقع: www.balagh.com/mosoa/ejaz/ak0smf3m.htm

ꕥ – اختلال مقاصد الزواج الروحية من خلال إتيان الزوجة بعد النفور النفسي منه فتنهار مقاصد النكاح ، ولوكان الجماع غاية في ذاته لحرّم فكيف و قد صادم قواعد الذوق السليم ، و خاصم خلال الفطرة القويمة ، وانتكس إلى الشذوذ و ارتكس فطمس الحدود ، بل هو وسيلة رقيقة لغاية طاهرة عميقة ، و لما كانت الغاية من الوجود توحيد الله تعالى و عبادته و هذه أزكى الغايات و أطهرها أوجبها على خلق طاهر النسل ، و لما كانت المباشرة وسيلة ذلك اشترطت الطهارة لها ، فجمعت للنسل الطاهر تحقيق اللذة الفطرية و إنجاز الغاية الشرعية.

ꕥ – تفكّك الأسر بكثرة الطلاق الذي لا يراعى فيه تأثير التغيرات النفسية و العصبية و العضوية على الزوجة.

ب – إعجاز طبّي علاجي:1717 دلّ على حقيقة العلاج بصورتين:

– الأولى: دلالة طهارة الجسد على طهارة مقصد النكاح:

لقد دلّت هذه الصورة على درء مفاسد الجماع في الحيض لتحقيق مقاصد العلاقة الزوجية ، و لا يكون إلاّ بإيجاب طهارة الماء بعد طهارة النقاء من الحيض فظهرت بذلك مقاصد الغسل وهي:1718

ꕥ – تنشيط الجسم بعد الكسل.

ꕥ – بعث الحيوية في الجسد بعد الخمول.

ꕥ – تنشيط القلب و الدورة الدموية بتنبيه النهايات العصبية للجلد.

ꕥ – تأمين سلامة وظائف الجلد لتنظيم حرارة الجسم ، وتنبيه الدماغ ، و تمديد الأوعية الدموية ، وامتصاص الأوكسجين ، و طرح حامض الفحم.

ꕥ – طرح الأدران العالقة ، و الوقاية من السموم.

1717 – ومما يؤكد وجه الإعجاز في علاج الإنسان بالطهارة، و وقايته من المهالك أنّ تفاصيل انتقال العدوى خلال حمل الجراثيم المعدية– عند الجماع في زمن الحيض– لا يكون إلا بحضانة الميكروبات في مدة زمنية خاصة و هذه كلها دلائل يقينية وحجج قطعية على ثبوت الإعجاز القرآني الطبي. انظر صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ،ط 1 ، 2001 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ج1 ، ص 548

1718 – مع الطب في القرآن الكريم ، عبد الحميد أحمد وقرقوز، ط 1982 ، دار علوم القرآن ، دمشق ، ص 122 ، و عبد الحليم سمير، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، ط 1 ، 2000 ، مكتبة الأحباب ، دمشق ، ص 100

و انطلاقا من هذه المقاصد المستقرءة فإنّ غسل المرأة لكامل جسدها قبل وطئها يتوافق مع الرأي الطبّي في صلاح الأبدان 1719 ، و يتناسب مع قوله تعالى:"إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ" في بيان صلاح الإسلام من بين الأديان ، و يتواطؤ مع إعجاز القرآن في الدلالة بفروق لفظي الطهارة و النظافة على قوة البيان ، و وجه المناسبة في ترتيب آية مقصد الحرث بعد آية طهارة موضعه من الفرث هو أنّ الإتيان الطاهر في الموضع الطاهر يشير إلى الاهتمام بنقل الغريزة الجنسية من نجاسة الرغبة البهيمية إلى طهارة الوظيفة المقاصدية للنكاح في بناء الأسرة الطاهرة بدلالة القرينة اللفظية السابقة في قوله تعالى:"وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"1720 ، فقد أشارت مناسبة السياق – في تقدّم آية نهي المسلمين عن الزواج من المشركين على آية الحيض– إلى المآل الجامع للمفسدة المخالفة لمقصد عموم الهداية الربانية بقوله تعالى:" أولئك يدعون إلى النّار، و الله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ، ويبيّن آياته للنّاس لعلّهم يتذكّرون" ، ثمّ ختمت آية الحيض بالحكم المتعلّق بمقصد حفظ النسل و الأسرة لترقى العلاقة الزوجية من الوظيفة الذاتية إلى رسالة الطهارة الإسلامية قال تعالى:" نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ،وقدّموا لأنفسكم واتّقوا الله واعلموا أنّكم ملاقوه وبشّر المؤمنين " لتتجانس الآيات المتناسبة في ترتيبها مع عموم طهارة المقصد من الوجود المؤكد بالفاصلة القرآنية " إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ "

– الثانية: دلالة الطهارة من الحيض على كمال الطهارة الحسية:

تجسّدت هذه الحقيقة في صور النظافة الآتية:

- – تأسيس حكم الطهارة بوجوب الغسل – على الرأي الراجح – بعد النقاء من الحيض و دلّ على ذلك قراءة التشديد سواء على معنى التأسيس أو التأكيد.
- – تأكيد حكم الطهارة بدلالة بيان السنة النبوية من وجهين:

1719 – أحمد مصطفى متولي ، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن و السنة النبوية ، ط 1، 2005 ،دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ص 976 ،و عدنان الشريف ، من علم الطب النبوي ، ص 235

1720 – البقرة 221

– طريقة الاغتسال وكيفية التطيّب بعد الحيض فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ1721 ،و عَنْها كذلك أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَتْ أَسْمَاءُ وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ.1722

– طريقة الاغتسال وكيفية التطيّب بعد الحيض في حالة الاستثناء – استعمال المعتدة عدّة الوفاة الطيب بعد النقاء من الحيض لحديث أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله تعالى عنها قالت: كنَّا نُنْهى أن نُحِدَّ على ميِّتٍ فوقَ ثلاث، إلاّ على زَوجٍ أربعةَ أشهُرٍ وعَشراً، ولا نَكتَحِلَ ولا نَتطَّيبَ ولا نَلبَسَ ثَوباً مصبوغاً إلا ثوبَ عَصبٍ ، وقد رُخِّصَ لنا عندَ الطُّهرِ إذا اغتسلَتْ إحدانا منْ مَحيضِها في نُبْذةٍ من كُستِ أظفارٍ ، وكنّا نُنهى عن إتّباعِ الجَنائزِ "1723 ، فجواز الطيب مع قيام المانع – عدّة الوفاة – يشير إلى أنّ رفع أذى الحيض متأكّد حتّى للحادّة مع قيام المانع.1724

– ترتيب شرط الطهارة عموما في صور متنوعة:

– الأولى : قبل الجماع استصحابا لها لتعلّقها بالمسلم حالة العبادة و العادة ، و أمثلتها كثيرة لا تحصى.

– الثانية: بعد الجماع لأنّ جسم الإنسان يفرز مادة الأدرينالين التي تفتح مسام الجلد و تنشّط غدد العرق لوظيفة الإفراز فيظهر روح كريه عند الملامسة الجنسية ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى

1721 – صحيح البخاري، رقم الحديث 303

1722 – صحيح مسلم، رقم الحديث 500

1723 – صحيح البخاري

1724 – فتح الباري ج 1 ص 492

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَنَامُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ قَالَ نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ ،1725 فهذه الطهارة الصغرى المباشرة بعد الجماع ترفع الميكروبات عن الأجهزة التناسلية قبل تمكّنها من اختراق المسالك الجلدية و الأغشية المخاطية1726 ، و لقد رتّب النبي صلّى الله عليه و سلّم حكم التطهّر بالماء عند حصول الأذى من الجماع فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنْ الْأَذَى ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ نَحَّى رِجْلَيْهِ فَغَسَلَهُمَا هَذِهِ غُسْلُهُ مِنْ الْجَنَابَةِ "1727 ، فإذا كانت الجنابة أذى مخفّف وعلّق رفعها على شرط الطهارة فأذى الحيض أولى لكونه مضعّف.

– الثالثة: عند المعاودة الجنسية فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُمَا وُضُوءً 1728، و في رواية " إذا أتى أحدكم أهله ثمّ أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوء ، فإنه أنشط في العَوْد "، 1729 فهذه الطهارة الصغرى تزيل شطط عرق المكابدة ، و ترغّب الجسم في نشاط الجنس للمعاودة ، وإن تمكّن من الغسل بين الجماعين فهو أحوط في الوقاية ، و أفضل في العبادة لحديث أبي رافع أنّ النبي صلى الله عله وسلم طاف ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه ، قال فقلت له: يا رسول الله ألا تجعله غسلا واحدا ؟ قال: "هذا أزكى و أطيب و أطهر."1730

1725 – سنن الترمذي باب ما جاء أن الماء من الماء رقم الحديث **111** و قَالَ الترمذي وَفِي الْبَاب عَنْ عَمَّارٍ وَعَائِشَةَ وَجَابِرٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ عُمَرَ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَصَحُّ وَهُوَ قَوْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَقُ قَالُوا إِذَا أَرَادَ الْجُنُبُ أَنْ يَنَامَ تَوَضَّأَ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ.

1726 – انظر الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ، ص **209**

1727 البخاري ، الجامع الصحيح،كتاب الغسل ، باب الوضوء قبل الغسل، رقم الحديث **241** ،ومسلم في الحيض رقم الحديث **314** ،و صرح النسائي في سننه بلفظ الأذى في كتاب الغسل باب إزالة الجنب الأذى عنه قبل إفاضة الماء عليه، رقم الحديث **416**

1728 – سنن الترمذي باب ما جاء في الجنب إذا أراد أن يعود توضأ رقم الحديث **131**، و قَالَ الترمذي وَفِي الْبَاب عَنْ عُمَرَ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ و قَالَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ

1729 – رواه مسلم **1**،**171**

1730 – رواه أبو داود ،**1**، **79** .

- التفاير القرآني و الإعجاز المقاصدي:

أساس الفهم في الإسلام معرفة مقاصد القرآن ، و قوّة النّظر في تأصيل معاني الألفاظ و النصوص ، و كمال التنزيل في واقع العمل ، 1731 لأنّ هدف الشارع "بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين و قد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيّنا ، و تعبّدنا بمعرفة مراده و الاطلاع عليه فقال سبحانه:" كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ"1732

- المقاصد لغة و اصطلاحا :

- المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد ، و المقصد: مصدر ميمي[1733] مشتق من فعل قصد و يراد به إحدى المعاني التالية: 1734

- – الاستقامة ، ومنه قوله تعالى: " وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ " [1735]
- – إرادة الشيء و التوجّه نحوه ، يقال: قصدته أي نحوت نحوه.
- – الكسر ، يقال انقصد السيف: أي انكسر ، و قصد الرمح: إذا كسره.[1736]
- – الاكتناز و الامتلاء ، تقول العرب : ناقة قصيد ، أي مكتنزة اللحم ممتلئة ، والقصيد من الشعر ما تمّ سبعة أبيات.

1731 ــ التحرير و التنوير ، 42/1 .

1732 – سورة ص 29 و انظر التحرير و التنوير ج1ص39.

1733 – المصدر الميمي هو كل فعل دلّ على حدث تجرّد عن الزمن وصيغ على وزن مفعل، أنظر المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، الخزانة اللغوية، ط 1992م ،دار الكتب العلمية، بيروت ،ص998.

1734 – مختار الصحاح ، زين الدين الرازي، تحقيق حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط 1987م ،ص 536، و الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ،1984 م ،ج2 ص 524 ، لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1993م ، ج3 ص 240،و القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي ، دار الفكر، بيروت، ط 1983م، ج1 ص327،و المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، مصر، ط2، 1972م، ج2ص150.و مقاييس اللغة لابن فارس،5/95- 96 ،والمفردات للراغب الأصفهاني، ص 451

1735 – سورة النحل الآية :9.

1736 – الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، تعليق محمد خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص 250.

- الاعتدال ، و منه قوله تعالى: " وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ " [1737]، و قول جابر رضي الله عنه:" كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا." [1738]

- المقاصد اصطلاحا:

و نقتصر على التعاريف التالية :

- " هي المعاني و الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها في الكون بنوع خاص من أحكام الشريعة." [1739]

- " هي الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها."[1740]

- " هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد."[1741]

- التغاير القرائي و الإعجاز المقاصدي .

و لقد وقفت على ثلاثة نماذج و هي.

1- الإعجاز المقاصدي و حفظ مقصد الدين:

لقد اجتمع الحدث القصصي مع التغاير القرائي لبيان أعظم المقاصد العقدية و التي منها دفع مفسدة الشرك و مثّلت لها بقوله تعالى:" وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾"[1742]

1737 – سورة لقمان الآية : 19

1738 – صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط1: 1419هـ– 1998م، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ص347، رقم 41- 866.

1739 – مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط2: 1421هـ–2001م، دار النفائس ، الأردن، ص 251

1740 – مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، علال الفاسي ، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب ، ص3.

1741 – نظرية المقاصد عند الشاطبي ، الريسوني ، ص7، و انظر كذلك مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي ، ط1، 1998م، دار الهجرة ، ص3 ، و قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية ، مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط 1999م ، دار إشبيليا، السعودية ، ص34.

1742– البقرة 116

- **التوثيق القرائي**:1743

❁– قرأ الجمهور بالواو قبل فعل" و قالوا " ، و هذا ما عليه مصاحف المسلمين خلا الشام، وعليه تكون القراءة من باب عطف جملة خبرية على مثلها.

❁ – قرأ ابن عامر بغير واو قبل فعل " قالوا "، و هذا ما عليه مصاحف الشام ، و عليه تكون القراءة على استئناف الكلام.

- **التوجيه القرائي**:1744

لقد تنوّع توجيه العلماء للقراءتين فكان كالتالي:

❁– توجيه قراءة حذف الواو:

– واو العطف قد تحذف إذا عرف موضعها ، بل قد يكون حذفها أحسن إذا سيقت في مقام الثناء و التعظيم 1745 كقوله تعالى:" يدبّر الأمر يفصّل الآيات "1746 ، و قوله سبحانه:"ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ "1747

– حرف العطف محذوف وهو مراد استغناء عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة فقالوا: جملة " قالوا اتّخذ " ملابسة بما قبلها من قوله:" ومن أظلم " وعليه فالذين قالوا اتخذ.." من جملة هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في قوله تعالى:" وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ

1743 – انظر النشر ج2 ، ص202 ، وكتاب المصاحف ،ص44 ،و البحر المحيط ج 1 ، ص362 ، و الكشاف ،ج1 ، ص 235 ، و طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي ، ص 27 ، و الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، لأبي علي الحسن الأهوازي ، ص 132، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي، ص 209 ، و النجوم الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية و الدرة ،محمد سالم محيسن ، ص 88 ، والمبسوط في القراءات العشر ،ابن مهران الأصبهاني ، ص 134 ، و الإقناع في القراءات السبع ، ابن الباذش الأنصاري ،ج2 ص 601 ، و الحجة لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين القهوجي، ط 1984 ، دار المأمون للتراث ، 2 ، 202 ، و معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ، تحقيق أحمد المزيدي ، ط 1999 ، دار العلمية، بيروت ،ص 60 ، والكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محيي الدين رمضان ،ط 1987 ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ،ج 1 ص 260

1744 – الحجة لأبي علي الفارسي ،ج2،ص 203 ، و الموضح ،ج1ص 296 ، و نظم الدرر ، ج1 ص 228

1745 – إبراز المعاني من حرز الأماني ،أبو شامة ،ص 338

1746 – الرعد، 2

1747 – الرحمن، 1، 4

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ " 1748، و عليه فقد استغنى بقرينة الملابسة عن العطف فأفاد " أنّ المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر الله في المساجد و السعي في خرابها."1749

❀ – الآية وقعت موقع الاستئناف البياني ، فقد أخذ القرآن يعدّد قبائحهم، ثمّ استفهم للبيان من خلال سؤال تقديره: لقد أخبرتنا من قبائحهم ما تعجب منه النفس فهل انتهت مساوئهم أم لهم قبائح شنيعة أخرى ؟ فتأتي الآية لتجمع المساوئ في نسق واحد متسلسل ، فتصوّر أحوالهم المتعددة في مشهد واحد ليتّسع الجواب لبيان الفعل الفظيع و القول الشنيع و هو نسبة الولد لله سبحانه و تعالى ، و تبدأ لوحات مشهد بيان الفظاعة و الشناعة من قوله:"مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ "1750 إلى قوله:" وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ "1751 ، ثمّ جاءت الآية بين مذكور مرتين قصد إدخاله بعموم اللفظ فذكر أولا في قوله تعالى:"وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾"1752 ، ثمّ ذكر ثانيا في قوله تعالى:"وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾"1753 ، و يكون هذا الوجه الخطابي من مواطن الفصل عند البلاغيين.1754

❁ – توجيه قراءة إثبات الواو:

1748 – البقرة 39 و انظر الدر المصون للسمين الحلبي ، تحقيق أحمد الخراط ،دار القلم، دمشق ،ج1 ،ص 83 .

1749 – انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، مكي القيسي ، ج 1ص 260 ،و الموضح في وجوه القراءات و عللها، لابن أبي مريم ، ج 1 ص 296

1750 – البقرة 105

1751 – البقرة 113

1752 – البقرة 113

1753– البقرة 118

1754 – انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، ط 1998 ،دار الكتب العلمية، بيروت،ج1 ص228 ،و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، دار الكتب العلمية ، بيروت،ج1 ص150

ﻫ – حرف الواو للعطف يفيد الجمع و ينزّل في تغاير الصفات منزلة تغاير الذوات ، وهو أبلغ في تصوير شناعة الشرك ، و تقرير بشاعة الافتراء من خلال صور البيان التالية:

– الصورة الأولى: عطف جملة على جملة.1755

و تواردت تفسيرات العلماء في هذا فتنوّعت على النحو الآتي:

– أن المعطوف عليه قوله:" ومن أظلم " نوّع بالمبنى و قرّر المعنى، و العطف و إن ثبت بين إنشاء و خبر فإنّ الإنشاء حصل لفظا و المعنى خبرا على قاعدة حمل الاستفهام على معنى النفي ، و التقدير: لا أحد أظلم ممّن منع مساجد الله .." و يشهد له الاستعمال القرآني في مواضع متعددة 1756 ، و قد سمّى البلاغيون هذا التفسير التوّسط بين الكمالين.

– أنّ المعطوف عليه " منع مساجد.." فقدّروا المعنى فقالوا: عطفه على منع يقتضي أن يكون من قال ذلك أظلم من كل أحد كمن منع فيكون التشنيع أبلغ.1757

– الصورة الثانية: عطف قصّة على قصّة.1758

إنّ الذين أخبر الله تعالى عنهم بمنع ذكر اسم الله تعالى في المساجد والسعي في خرابها هم الذين قالوا اتّخذ الله ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فوجب عطف آخر الكلام على أوّله لأنّه كلّه إخبار عن النّصارى، ولأنّه قصّة واحدة 1759 ، لكنّ الضمير لو حمل على كل من نسب لله تعالى الولد لكانت صورة التشنيع أوضح ، و دلالة التقريع أعظم ، و ذلك لقوّة الشواهد القرآنية على ذلك منها قوله تعالى في فضح بهتان أهل الكتاب:"وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ

1755 – انظر جامع البيان ، الطبري ،ج1 ص403

1756 – أنوار التنزيل ، البيضاوي، ط 1388 هـ، دار الحلبي ، ج1 ص187

1757 – الفتوحات الإلهية ،سليمان الجمل ، دار الحلبي ، ج1 ص98

1758 – حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ج2 ص227

1759 – الكشف عن وجوه القراءات السبع ،ج1 ص 260

ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾"1760 ، و قوله في مشركي العرب:" وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾"1761

ﭹ – حرف الواو للاستئناف و يُرجّح لدلالته على:

– الجمع و التوفيق بين معنى القراءتين.

– سقوط التأويل و ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما احتاج إليه قال البقاعي:" ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربّما أوهم اختصاص الذمّ بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف في جواب من كأنّه قال: هل انقطع حبل افترائهم إشارة إلى ذمّ كلّ من قال بذلك ، و ذلك إشارة إلى شدّة التباسها بما قبلها...لأنّ جميع المتحزّبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها ، والحاصل أنّه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب وأمّا غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة ، وإذا حذفت الواو انصبّ إلى الكل انصبابا واحدا "1762 ، ثمّ تأمّل سرّ اتّفاق القرّاء على قراءة قوله تعالى:"هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾"1763 بغير واو عاطفة لأنّه ليس قبله ما يُنسق عليه ، فهو ابتداء كلام و استئناف خرج مخرج التعجّب من عظم بهتانهم و قبح فعالهم ، 1764 و لقد اجتمع الذكر و الحذف مع التغاير القرائي على بيان شناعة الإفك و البهتان ، و بشاعة الشرك و الكفران ، فدلّ أنّ ترك نسبة الولد لله تعالى مقصود شرعا ، فإذا الخلق كلّهم عبيده مفتقرين إليه ، وهو غني عنهم ، فكيف يكون لله تعالى الولد منهم ؟! ، و الولد لا بدّ أن يكون من جنس والده لأنّه جزء منه 1765 ، ولقد تواطأ

1760 – سورة التوبة ، 30 ، 31

1761 – النحل ، 57

1762 – نظم الدرر ، البقاعي ،ج1 ص228

1763 – يونس ، 67 إلى 70

1764 – انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ج 2 ص220.

1765 – تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، 1 – 46

العطف و الاستئناف على تأصيل هذه المعاني القرآنية بالتأسيس ، و تأكيدها بتنويع الأدوات البيانية البلاغية الدالة عليها ليجتمع مقام المقال و الحال و السياق و البلاغة على بيان القرآن، و الدلالة على إعجازه.

2- الإيجاز المقاصدي و حفظ مقصد العرض.

لقد تواردت مواضع التغاير القرائي في سياقات موافقة لموضوع الكليّات الشرعية حاملة دلالات مؤكّدة لباعث الدين من التشريع مثاله قوله تعالى:"وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾" 1766 ، فأشارت ألفاظ التغاير إلى قاعدة الدين في الاحتياط بالتشديد في حفظ مقصد العرض بما يلي:

أ – دلالة التغاير في لفظ المحصنات:1767

❋– قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو و ابن عامر و عاصم و الكسائي و حمزة و أبو جعفر و يعقوب بفتح الصاد فأسند الإحصان إلى غيرهنّ ، فالله تعالى بالإسلام أو الولي بالتزويج أو الزوج بالنكاح 1768 ، و المراد به ذوات الأزواج اللواتي أعفهنّ أزواجهنّ.

❋– قرأ طلحة بن مصرف و الحسن و علقمة بالكسر ، و قرأ الكسائي بالفتح في موضع النساء 1769 ، و بالكسر في سائر القرآن فأريد به أنّهنّ أحصنّ أنفسهنّ بالعفاف و فروجهنّ بالحفظ 1770 ، و عليه فقد أفاد

1766 – سورة النور الآية من **4** إلى **10**

1767 – انظر النشر ج **2** ص **249** ، والتذكرة في القراءات الثمان ،ص **305** ، و البحر المحيط ،ج **2** ص **214** ، و زاد المسير ،ج **2** ص **49** ، والإقناع في القراءات السبع ، أبو جعفر أحمد بن علي بن الباذش الأنصاري ، تحقيق عبد المجيد قطامش، ط**1** ،**1403** هـ ، دار الفكر ، دمشق ، ج **2** ص **629**

1768 – طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ص **53** ، و الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم ،ج **1** ص **411**

1769 – النساء **24**

1770 – طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، ص **53**

التغاير القرائي شدّة حرص الشريعة الإسلامية على حفظ العرض وصيانته ، سواء وقع الإحصان و عفّته باتّباع أحكام الدين و أخلاقه ، أو بوجاء التزويج فكلّها ذرائع شرعية دلّت عليها فروق التغاير القرائي لسدّ باب المفاسد المتوقّع حدوثها على الأعراض ، و لهذا حرّم الله القذف و شدّد في النهي عنه ، ثمّ أحاطه بشروط دقيقة واضحة و رتّب عليه حدودا صارمة رادعة ، فقد " اتفق العلماء على أنّه إذا صرّح بالزنا كان قذفا و ذنبا موجبا للحد ، فإن عرّض ولم يصرح فقال مالك: هو قذف ، وقال الشافعي وأبو حنيفة: ليس بقذف ، ومالك أسدّ طريقة فيه ، لأنّ التعريض قول يفهم منه سامعه الحدّ ، فوجب أن يكون قذفا كالتصريح ، و المعوّل على الفهم ، وقد قال الله مخبرا عن قوم شعيب:" إنّك لأنت الحليم الرشيد "1771 ، وقال في أبي جهل: " ذق إنّك أنت العزيز الكريم "1772

وهذا ظاهر "1773 ، و انطلاقا من كمال وجه المناسبة بين مقاصد التشريع الإسلامي و مصادر الاستنباط الفقهي و دلالات التغاير القرائي للفظ المحصنات فإنّ مذهب مالك رحمه الله تعالى في عدم التفريق بين التصريح و التعريض في القذف أولى بالترجيح من غيره ، و يظهر اعتبار المقصد الشرعي بقوّة عند مالك بعد الترجيح في مسألة رمى رجل صبيّة " يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك ، وقال أبو حنيفة والشافعي: ليس بقذف لأنّه ليس بزنا إذ لا حدّ عليها...وعوّل مالك على أنّه تعبير تام بوطء كامل فكان قذفا "، و من هذا فإنّ نظر مالك رحمه الله تعالى أقوى في الاعتبار لأنه غلّب " حماية عرض المقذوف ، وغيره راعى حماية طهر القاذف ، وحماية عرض المقذوف أولى لأنّ القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه الحد."1774

ب – دلالة التغاير في لفظ الشهادة و عددها: 1775

– قوله تعالى: " بأربعة شهداء "

1771 – سورة هود الآية 87

1772 – سورة الدخان الآية 46

1773 – أحكام القرآن 3 ، 342

1774 – – أحكام القرآن 3 ، 343

1775 – انظر الحجة لابن خالويه ، ص 260 ، و التبصرة ص 607 ، و الكشف عن وجوه القراءات ،ج 2 ص 134 ،الكشاف ،ج 2 ص 377 ، و روح المعاني ،ج 18 ص 105 ، وكتاب الإشارة بلطيف العبارة ، أبو نصر منصور بن أحمد العراقي، تحقيق أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، رسالة دكتوراه ،2005 ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 502

❁ – قرأ الجمهور على الإضافة.

❁– قرأ أبو زرعة عمرو بن جرير و عبد الله بن مسلم بن يسار و الضحاك بالتنوين في الأول و بالنعت في الثاني ، فدلّ مجموع القراءتين التأكيد على حفظ مقصد العرض بمسلكين:

– أحدهما: دلالة العدد و دلّت عليه قراءة الإضافة تصريحا.

– ثانيهما: دلالة الوصف الشرعي في الشهود ، و أشارت إليه قراءة النعت ، و بهذا اجتمع مسلكا التغاير القرائي على بيان دقّة التشريع الإسلامي في تحديد أوصاف الشهود و عددهم حرصا على حفظ الأعراض و صيانة الدماء.

– قوله تعالى : " فشهادة أحدهم أربع شهادات "

❁ – قرأ حفص عن عاصم و حمزة و الكسائي و غيرهم بالرفع على خبر المبتدأ " فشهادة "

❁ – قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو و ابن عامر و غيرهم بالنصب على المصدر ، وعليه فقوله:" فشهادة " خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالحكم الواجب ، فدلّ مجموع القراءتين التأكيد على حفظ مقصد العرض بمسلكين:

– أحدهما: دلالة قراءة الرفع على البيان الشرعي بالخبر في استيفاء شهادة الزوج بشرط عددها.

– ثانيهما: دلالة قراءة النصب على وجوب بيان حكم القذف بالشهادة تحقيقا لمقصد النسل بالحد الشرعي ، أو حفظ مقصد العرض بإيجاب الشهادة ، فاجتمعت وجوه التغاير القرائي كلّها بمجموع دلالاتها مع فنية التكرار في لفظ الشهادة على بيان حكمة التشريع الإسلامي من حفظ العرض من خلال " التغليظ في الفروج و الدماء على فاعلها لعلّه أن يكفّ عنها ، فيقع الستر في الفروج والحقن في الدم."[1776]

3- الإعجاز المقاصدي و حفظ مقصد العقل.

إنّ المحافظة على سلامة العقل من المفسدات أمر متفق عليه في بداهة العقول ، و ما جاءت الشرائع السماوية كلّها إلاّ للمحافظة عليه[1777]، و لقد صرّحت نصوص التشريع الإسلامي بوجوب تحقيق حكمة الباري من خلق العقول و هي التفكّر و الاعتبار ، فدلّ الوجوب الشرعي بإيجادها على وجوب دفع كل

1776 – أحكام القرآن ، 3 ، 353.

1777 – مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية ، محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، ط1، 1998 ، دار الهجرة ، الرياض ، ص 235

مفسدة أخلّت بمقصد حفظ العقل كالخمر لتعذر اجتماع مناط العقل بين مصلحة التفكّر و الاعتبار ، و مفسدة التخمّر و الاندثار، و لقد تواطأت النصوص الشرعية من القرآن الكريم و السنّة النبوية على توثيق هذا المقصد الشرعي، و منه كرّم الله تعالى العقل الإنساني بنعمتين:

أ – ثبوت الإيمان بالقناعة العقلية ، و عليه فإنّ "كرم المرء دينه ، و مروءته عقله ، و حسبه خلقه "1778 ، و ما جعل كمال المروءة في العقل إلاّ دليل تزكية أولي النهى و تقدير لهم ، 1779 لهذا أمر الله سبحانه الإنسان بالتدبّر في الكون المنظور لتوحيده سبحانه ، قال تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ " 1780 ، و أحاله إلى النظر في عواقب التقليد المذموم فقال تعالى:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ "1781 ، و بهذا عصمه من الزلل بنور الفهم عنه سبحانه .

ب – تحريم مطلق الاعتداء على العقل ، فحرّم الشرع الكفر و الكهانة ، و نهى عن البدعة و الخرافة ، و منع المسكر كلّه قليله وكثيره ، و من نماذج التغاير القرائي الدال على الإعجاز المقاصدي في حفظ العقل قوله تعالى:" يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾1782

– **التوثيق القرائي**:1783

✸ – قرأ حمزة و الكسائي و ابن مسعود و الأعمش " إثم كثير" بالثاء.

✸ – قرأ الباقون " إثم كبير " بالباء.

1778 – فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ،ج**4** ص**550** .

1779 – مفهوم العقل و القلب في القرآن و السنة، محمد علي الجوزو ، ط**2** ، **1983** ، دار العلم للملايين ،بيروت، ص**146**

1780 – آل عمران **190 – 191**

1781 – البقرة **170**

1782 – البقرة **219**

1783 – الحجة ، الفارسي ،ج **2** ص **222** ، والكشف عن وجوه القراءات،ج**1** ،ص **291**

- التوجيه القرآني:

و تتجلّى دلالة الإعجاز المقاصدي في الصور التالية.

❋ – العدول البديعي بالأسلوب الحكيم.

إنّ السؤال نوعان: جدلي و تعليمي ، و الأصل في الجدلي مطابقة الجواب له من غير زيادة ولا نقصان ، أمّا التعليمي فالأصل فيه أن يتحرّى المجيب الأصوب و الأحوط كالطبيب الرفيق يتوخّى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لم يطلبه 1784 ، وقد يعدل المجيب في جوابه تنبيها على أنّه كان حقّ السؤال أن يكون كذلك ،1785 وهذا العدول في الجواب يسمّيه البلاغيون بالأسلوب الحكيم.1786

❋ – دلالة الاجتهاد الفقهي على الإعجاز المقاصدي.

و ظهر الإعجاز المقاصدي من خلال وجوه البيان الاجتهادي التالية:

✤ – بيان مفاسد الفعل المحرّم و عقوباته المغلظة.

لقد دلّ اجتماع دقّة اللفظ القرآني و اتّساع دلالتي التغاير القرائي على كمال البيان الشرعي في الوقوف على حقيقة حرمة الخمر و علل التحريم ، و عليه فقد استوفى التغاير القرائي بوجهيه – كبير و كثير– تمام الدلالة على كمال إعجاز المقاصد القرآنية بمسلكين:

– الأول: بيان مفاسد الخمر الظاهرة و الباطنة ، و التصريح بكلّ قبائحها الحاضرة و الغائبة ، و يظهر ذلك من خلال تضييع الطاعات و تسريع السيئات قال الله تعالى:" إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ "1787 قال ابن القيم:" حرّم الله السكر لشيئين اثنين ذكرهما في كتابه و هما إيقاع العداوة ، و البغضاء بين المسلمين ، و الصد عن ذكر الله و عن الصلاة ، وذلك يتضمّن حصول المفسدة الناشئة من النفوس بواسطة زوال العقل ، و انتفاء المصالحة التي لا تتمّ إلاّ بالعقل."1788

1784 – التبيان في البيان ، **243**.

1785 – البرهان في علوم القرآن **4** ، **42**.

1786 – ينظر، مفتاح العلوم ، **553** ، والتبيان في البيان ، **241**.

1787 – المائدة ، **91**

1788 – مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ،ط **1991** ، دار الفكر ، بيروت،ج**3** ص**306**

– الثاني: بيان العقوبات الدنيوية و الأخروية المرتّبة على الخمر و هي:

– نزع الإيمان ، قال صلى الله عليه و سلم:" لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن."1789

– إطلاق وصف الكفر على شارب الخمر ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بعضهم إلى بعض فقالوا: حرّمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك."1790

– التشبيه بعابد الوثن ، قال صلى الله عليه و سلم:" مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن."1791

– منع قبول الصلاة و التوبة ، قال صلى الله عليه و سلم:" من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن مات دخل النار ، و إن تاب تاب الله عليه." 1792

– توقع الهلاك بالقتل ، و اختلف العلماء في قتل شارب الخمر بعد الرابعة.1793

– المسخ والخسف ، قال صلى الله عليه و سلم:" ليشربنّ أناس من أمّتي الخمر ، ويضرب على رؤوسهم بالمعازف ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير."1794

– تشويه الخلقة وتقبيح الهيئة يوم القيامة ، فعن عبد الله بن عمرو قال:" لا تسلّموا على شَرَبَة الخمر ، و لا تعودوا مرضاهم ، ولا تشهدوا جنائزهم إنّ شارب الخمر يأتي يوم القيامة مائل شقّه ، مُزرقة عيناه ، يندلع لسانه على صدره ، يسيل لعابه على بطنه ، يتقذّره كل من رآه."1795

1789 – رواه البخاري **5256** و مسلم **57**، وقال ابن بطال:" هذا أشد ما ورد في شرب الخمر، وبه تعلّق الخوارج فكفرّوا مرتكب الكبيرة عامدًا عالمًا بالتحريم، وحمل أهل السنة الإيمان على الكامل.." انظر الفتح، ابن حجر ،ج **10**ص **34**

1790 – أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وابن مردويه وصححه الحاكم. انظر الفتح ، **91،10**.

1791 – رواه أحمد في المسند ،**272،1** ، وعبد الرزاق في المصنف، رقم **17070** ، والبيهقي في الشعب **5596** ، أورده الألباني في السلسلة الصحيحة ، **677**.

1792 – رواه أحمد ، **35،2** ، و الترمذي ، **1862** ، و ابن ماجه ، **3420**.

1793 – انظر الفتاوى ، ابن تيمية ، **219،34**.

1794 – رواه ابن ماجه ، **4020** ، وابن حبان ، **6758** ، وأبو داود ، **3688** .

1795 – أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا ، وقال ابن حجر: وهذا الأثر وصله البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ : " لا تسلموا على شرَاب الخمر وقال: " لا تعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا " الفتح ،**40،11**

ꕤ – تجرّع صديد أهل الجحيم ، فعن جَابِر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" كلّ مسكر حرام ، إنّ على الله عهدًا لمن يشرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال: عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار."1796

ꕤ – الحرمان من خمر الآخرة ، فعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" من شرب الخمر في الدّنْيا لم يشربها في الآخرة "1797 ، و لو لم يرد في الشرع نص بتحريم الخمر لكان العقل يقتضي تقبيحه ، لما فيه من إزالة العقل – الذي به شرف الآدمي على الحيوانات – فيصير مشاركًا لبقية البهائم ، أو أسوأ حالاً منها.

❋ – إعمال قاعدة القياس بالنظر في المآلات.

و من كثير الإثم و كبيره قول علي رضي الله عنه في عقوبة شارب الخمر أنّه إذا شرب هذى ، و إذا هذى افترى فيجب أن يحدّ حدّ القذف ، فيستنبط من قوله منهج النظر إلى المآل بإعمال قاعدة سد الذريعة ،1798 و من حسن الفهم أن يُستعمل القياس في الموازنة بين مفاسد المعصيتين للدلالة على إلحاق العقوبة المغلظة تبعا لغلبة الآثام و كثرة المفاسد ، لتكون بعد القياس كبيرة تستوجب الحد الشرعي ، و هذا من محاسن كمال التشريع الإسلامي فهو لا ينشئ عقوبة إلا بدليل يجرّم الفعل ، أو يبيّن كثرة مفاسده و مهالكه ،" و الحجّة التي يأخذهم بها إمّا منهم و هي الإقرار ، أو ما يقوم مقامه من إقرار الحال و هو أبلغ و أصدق من إقرار اللسان ، فإنّ من قامت عليه شواهد الحال بالجناية كرائحة الخمر و قيئها و حبل من لا زوج لها و لا سيد و وجود المسروق في دار السارق و تحت ثيابه أولى بالعقوبة ممن قامت عليه شهادة إخباره عن نفسه التي تحتمل الصدق و الكذب."1799

❋ – إعمال أصل النظر في المصالح و المفاسد و الموازنة بينهما.

قال الشاطبي:" المفهوم من وضع الشارع أنّ الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها ، و قد علم من الشريعة أنّ أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملّة ،

1796 – النسائي في المجتبى ، **5709**.

1797 – صحيح البخاري **5253** ، و صحيح مسلم **2003**.

1798 – مجلة الحياة ، عدد **7** ص **87** ، المطبعة العربية ، غرداية، دورية فكرية يصدرها معهد القرارة بغرداية ، الجزائر

1799 – أسرار الشريعة من أعلام الموقعين ، مساعد بن عبد الله السلمان ، ط **1** ، **1998** ، دار المسير، الرياض ، ص **117**

و أنّ أعظم المفاسد ما يكرّ بالإخلال عليها "1800 ، و تظهر مقاصد الطاعة في الامتثال من خلال إدراك وجه المناسبة في الربط بين بيان مفاسد الخمر و صور الإنفاق ، و هو أنّ إنفاق المتيسّر من الأموال على المحاويج الذي سمّاه القرآن " العفو " غير مرتبط بارتكاب المآثم و المحرمات " لأنّ مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ، ولا يحصل منه مقدار له بال إلا بتعميمه ودوامه ؛ لتستمر منه مقادير متماثلة في سائر الأوقات ، وإنّما يحصل التعميم والدوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين، فحينئذ لا يشق ّعليهم فلا يتركه واحد منهم ولا يخلون به في وقت من أوقاتهم ، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراني...و لا شكّ أنّ إتيان الخمر فيه ذهاب المال فإن ضاع أكثره ضاع أصل قيام الاقتصاد و العمران و لهذا تعين التحريم القطعي و إن ضاع أقلّه – و هو العفو – ضاع أصل دوام العمران و عموم الاقتصاد ، ولهذا تعينّ الوجوب القطعي بإنفاق العفو ، و على هذا فإنّ مفاسد الخمر عددها كثير فعموم وجودها قد يزيل أصل مصالح الوجود الإنساني ، و قوة آثار الخمر كبيرة فإنّ عدد مفاسدها و إن قلّ فإنّه يفوّت استقرار المصالح الشرعية و دوام آثارها."1801

✵ – إعمال قاعدة النظر في حكمة المشرّع من تشريع الأحكام.

قال العزّ بن عبد السلام :" و أمّا حدّ الخمر فزاجر عن شرب كثيره المفسد العقل الذي هو من أشرف المخلوقات ، و الله لا يحب الفساد في شيء حقير فما الظنّ بإفساد العقل الذي هو أخطر من كل خطير "1802 ، و لقد أكّد اجتماع دلالتي التغاير القرائي على رجحان مفاسد الخمر على مصالحه " وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا " ، فدلّ ذلك على غلظة العقوبة و عظمة الحكمة الشرعية ، و قد أشارت الآية إلى مقصد التحريم بطريق التعليل من خلال أداة " لعلّ" في قوله :" كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ "، فدلّ النص بالتصريح أنّ مقصد بيان الآيات التفكر و التدبّر في أسرار شرعه سبحانه لتعرفوا أنّ مصالح الدنيا و الآخرة في اتّباع أوامره ،و اجتناب نواهيه.1803

✵ – الوقوف على علل التشريع و أسبابه.

1800 – الموافقات ، الشاطبي ،ج**2** ص**298**

1801 – التحرير و التنوير ، **2** – **351**

1802 – قواعد الأحكام في مصالح الآنام ، العز بن عبد السلام، ط**1** ،**2003** ، دار ابن حزم، بيروت ،ص **200**

1803 – تيسير الكريم الرحمن **1** – **98**

إنّ كثرة مفاسد الفعل المحرّم علّة في تغليظ العقوبة ، فقد اختير لفظ الإثم للدلالة على أنه يعود على متعاطي شربها بالعقوبة في الدنيا و الآخرة 1804 ، و من هذا فإنّ لفظ الإثم دلّ بالوصف المناسب على حكم الحرمة ، و دلّ لفظ الوصف الثاني " كثير" على تعدّد المفاسد المفضية إلى تأكّد التحريم و تقريره ، و دلّ لفظ الوصف الثالث" كبير" على حكم العقوبة المغلّظة لثبوت وصف الكبيرة عند ثبوت علته و هي كثرة المفاسد و منها الإسكار ، و المسكر في اللغة من أسكر ، و السكر و هو خلاف الصحو1805 ، و السكر وصف يعتري عقل الإنسان و أكثر استعماله في الشراب 1806، و السّكر بفتح السين و الكاف الخمر ذاتها أو المسكر مطلقا1807 قال تعالى:"وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرًا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾"1808 ، و الخمر ما خامر العقل فغطّاه و ستره و منه الخمار للمرأة.1809

أمّا السكر شرعا فهو غيبة العقل عند شرب الخمر أو ما يشبهه 1810 ، و المسكرات درجات و أنواع:1811

- المرقدات ، و هي ما غاب معه العقل و الحواس.
- المسكرات ، و هي ما غاب معه العقل دون الحواس مع نشوة و سرور كالخمر.
- المفسدات ، و هي ما حضرت معه الحواس و شوّش على العقل و انتفت النشوة.

✵ – إعمال القواعد الفقهية المستقرءة من النصوص الشرعية.

و مما يشهد لاجتماع دلالتي القراءتين القاعدة الشرعية و هي أنّه " إذا ورد النهي عن شيئين مقترنين ثمّ نصّ على حكم النهي عن أحدهما من حرمة أو غيرها أعطى الآخر ذلك الحكم بدليل اقترانهما في الذكر و

1804 – التحرير و التنوير، ابن عاشور ، ج**2** ص**343**

1805 –

1806 –

1807 –

1808 – النحل ، **67**

1809 – شرح الزرقاني على موطأ مالك ، ط **1936** ، دار الفكر، بيروت ،ج**4** ص**169**

1810 – التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة ،ط **2003** ، دار التراث، القاهرة،ج**1** ص**499**

1811 – أنوار البروق في أنواء الفروق ،أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ،ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط**1**، **1998** ، دار الكتب العلمية، بيروت،ج**1** ص**374** ،و انظر الخلاف بينه و بين إدرار الشروق على أنواء الفروق لابن الشاط ، ج**1** ص **374** ، و تهذيب الفروق ،محمد علي بن حسين المكي ،ج**1** ص **374** كلاهما على حاشية الأنوار.

النهي"1812 ، و من هذا فإنّ القرآن قد جمع في الذكر بين الخمر و الميسر للدلالة على اجتماعهما في الغالب ، و دلّ على كثرة مفاسدهما و أضرارهما قرينة الاقتران بوجهين:

- أحدهما الجمع بين لفظي المحرّم.
- ثانيهما الجمع بين دلالتي التغاير القرائي.

❁ – توصيف علل الحكم.

لقد اجتمع وجها التغاير القرائي على بيان الحكم و علته ،و هذا من أعظم الدلائل الشرعية ، فقد بيّنت القراءة الأولى " كبير "حكم الخمر و الميسر فجعلتهما كبيرة من الكبائر المهلكات ، لأنّ لفظ الكبيرة لا يستعمل في مسمّى الذنب إلا إذا كان موبقا 1813 ،و دلّ عليه قوله تعالى:"ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾"1814 ، و أشارت القراءة الثانية " كثير " إلى أنّ الخمر و الميسر آثامهما كثيرة و أضرارهما متعددة ، فقد ذكرها القرآن بلفظ المفرد وعدل عن لفظ الجمع ، و يشهد لذلك المطابقة بينه و بين لفظ المنافع في قوله:" و منافع للناس "، و الفعل إذا تعدّدت مفاسده و ظهرت علّته عظم حكمه و غلظ عقابه ، و عليه فإنّ الخمر و الميسر لما كثرت مفاسدهما و تعددت أضرارهما وصفا بأنّهما من كبائر الموبقات المهلكات قال تعالى:"إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾"1815 ، و قال صلى الله عليه و سلم:" اجتنبوا السبع الموبقات..."1816 ، و الخمر " من قبائحها و فضائحها أنّها تذهب الغيرة ، و تورث الخزي و الفضيحة و الندامة ، و تلحق شاربها بأحقر نوع الإنسان و هم المجانين ، و تسلبه أحسن السمات و الصفات ، و تسهّل قتل النفس و مؤاخاة الشياطين ، و هتك الأستار و إظهار السرار ، و تدلّ على العورات و تهون ارتكاب القبائح و الجرائم ، و كم أهاجت

1812 – إدرار الشروق على أنواء الفروق، أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط ، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط**1**، **1998** ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج**1** ص **376**

1813 – حجة القراءات ن ابن زنجلة ، ص**132**

1814 – النجم **32**

1815 – المائدة **91**

1816 – صحيح البخاري.

من حرب و أفقرت من غني و أذلّت من عزيز و وضعت من شريف ، و سلبت من نعمة و جلبت من نقمة ، و فرّقت لبن رجل و زوجة ...و كم أورثت من حسرة و أجرت من عبرة و أوقعت من بلية ...و آفاتها لا تحصى و فضائحها لا تستقصى."[1817]

1817 – فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي، ط 2 ،1972 ،دار المعرفة، بيروت،ج3 ص507

الفصل السادس: التغاير القرآني بين الإعجاز النفسي و الإعجاز التربوي.

- الإعجاز النفسي حقيقته و تاريخه.

" الاستكبار الفرعوني نموذجا."

- الإعجاز التربوي حقيقته و مقاصده.

" القلب المتكبّر نموذجا. "

التفاير القرآني و الإعجاز النفسي.

- الروح في اللغة و الإصطلاح.

- الروح في اللغة:

مشتّق من الريح والروح نسيم الريح، ويقال: أراح الإنسان إذا تنفّس، والرّوح جبريل عليه السلام.1818

- الروح في الإصطلاح:

قال القشيري: الروح لطيفة مودعة في القلب.1819

و تطلق الروح على معنيين:1820

– أحدهما: الجسم اللطيف المنتشر في سائر أجزاء الجسم.

– ثانيهما: اللطيفة العالمة المدركة قال القشيري:" الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنّة منهم من يقول إنّها الحياة ، ومنهم من يقول أعيان مودعة في هذه القوالب، ولطيفة أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الأرواح في الأبدان ، فالإنسان حيّ بالحياة ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترقّ في حال النوم ، ومفارقة البدن ثمّ الرجوع إليه ، وإنّ الإنسان هو الروح و الجسد ، ومن قال بقدمها فهو يخطىء خطأً عظيماً ، والاختيار يدلّ على أنّها أعيان لطيفة "1821 ، و لقد أطلق أبو حامد الغزالي الروح على معنيين:

– الأول: الجسم اللطيف مصدره تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضاربة في سائر أجزاء الجسم.

– الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهو المراد من قوله تعالى:" ويسألونك عن الروح."1822

1818 – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ، 2 ، 454 ، مادة روح .

1819 – الرسالة القشيرية ، أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري ، تحقيق عبد الكريم العطا، مكتبة أبي حنيفة ، 76 .

1820 – تصفية القلوب من أدران الأوزار و الذنوب ، يحيى بن حمزة اليماني الذمار ، تحقيق حسن محمد مقبولي الأهدل ،ط3، ط 1995 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ص 22

1821 – الرسالة القشيرية، ابو القاسم القشيري، 77 ،و انظر التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي، تحقيق محمود أمين الفواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط2،1980 .

1822 – الإسراء ،85 ، و انظر إحياء علوم الدين، الغزالي ، 3 ،4.

- النفس في اللغة و الاصطلاح:

- النفس في اللغة:

نَفَّسَ عنه تَنْفيساً ، ونَفَساً أي: فَرَّجَ عَنْه 1823 ،قال صلى الله عليه و سلّم:" منْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربة من كُربِ الدّنيا ، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُربة من كُربِ يومِ القيامة "1824 ، و أنْفَسه الشَّيء: أعْجَبه وصارَ عِنْده نَفِيساً ، والنَّفْس: الرُّوح ، والنَّفْس: العيْن ، يقال: خَرَجَت نَفْسُه ، أي: روحه 1825 ، ويقال: أصابته نَفْس ، أي: عَيْن ، ويراد بالنَّفْس الشَّخص ، والإنسان بجملته، والنَّفس أيضا: العِنْد 1826 قال تعالى:"وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾" 1827 ، أيّ: عندي وما عندك 1828 ، وتعني النَّفْس كذلك العَظَمَة و الكِبر ، والهِمَّة و العِزَّة ، وعَيْنُ الشَّيْءِ وكُنْهُه.1829

- النفس في الاصطلاح:

للنفس تعاريف كثيرة منها:

1823 – النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، ط 1399هـ 1979 ، المكتبة العلمية ، بيروت، 5، 203.

1824 – صحيح مسلم ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر،رقم الحديث 2699 ، 4،2074.

1825 – انظر الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الأزهري الهروي ، تحقيق محمد جبر الألفي، ط1 ،1399هـ ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ص 228، ولسان العرب ، مادة نفس، 6، 233، و القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ،1، 745 ، والنَّفْس تؤنث إن أريد بها الروح نحو قوله تعالى:" خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها.. " الزمر ، 6 ،وتذكّر إن أريد بها الشخص تقول: عندي خمسة عَشَرَ نَفْساً . انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت، 2،617.

1826 – الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، ص 359، و المطلع على أبواب الفقه، أبو عبد الله، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، تحقيق محمد بشير الأدلبي ، ط 1401هـ– 1981 ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 338.

1827 – المائدة ، 116.

1828 – القاموس المحيط ، 1/ 745.

1829 – لسان العرب، مادة نفس ، 6/ 233

❋ – هي" الجوهر البخاري اللطيف الحاصل لقوة الحياة ، والحسّ ، و الحركة الإرادية، وسمّيت بالروح الحيواني."1830

❋ – هي " الجوهر المتعلّق بالبدن تعلّق التدبير و التصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرّك النافذ في الأعضاء الساري فيها سريان ماء الورد في الورد."1831

❋ – هي" جوهر قائم بنفسه متعلّقة بالجسم تعلّق التدبير و التصريف."1832

❋ – هي " الكمال الأوّل لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي و الاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية."1833

❋ – هي " جسم طويل عريض عميق ذات مكان ، عاقلة مميّزة مصرفة للجسد."1834

– أسرار تعدّد مفردة النفس في القرآن الكريم.

❋ – النفس البشرية عوالم آفاق واسعة فهي مناط الهداية و علّة التغيير لهذا خصّها الله بالآيات الكثيرة.

❋ – النَّفس الإنسانية مناط التكليف رتّب الشرع على صلاحها وعد الثواب و على فسادها وعيد العقاب.

❋ – لما كانت أبعاد النفس البشرية متنوّعة ومراتبها مختلفة ، لزم تفصيل الحديث عنها لبيان حقائقها و الوقوف على مدلولاتها ، ثمّ بيان أحكام صلاحها و نجاتها في المعاش و المعاد.

1830 – التعريفات ، الجرجاني ، 132.

1831 – روح المعاني، للآلوسي ، 17/ 46.

1832 – توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش، ط3 ، 1406هـ، المكتب الإسلامي، بيروت ، 75/1، و الصفدية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،تحقيق محمد رشاد سالم ، ط2 ، 1406هـ، مكتبة ابن تيمية ،القاهرة ،24/1 ، فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلا ، إذ أنّ وجود النفس مستلزم لوجود الجسم. انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، 75/1.

1833 – معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ، ط 2 ، 1975 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 21/1 ،و إحياء علوم الدينن لأبي حامد الغزالي ، دار إحياء الكتب العربية ، 5/3 ، و انظر موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي ، سعد رياض ، ط 2008 ،دار ابن الجوزي، القاهرة ، ص 115.

1834 – الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد بن حزم ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، السعودية ،202/5 ،و انظر فتح الباري ن لابن حجر ، 8،305 ، و شرح مسلم، للنووي ، 31 ،33

❁ – نصوص الآيات الواردة في النّفس البشرية هي سبيل الفهم السديد لحقائقها ، والدليل الصحيح للتغيير المنشود.

❁ – الآيات الواردة في النّفس البشرية هي المسلك الوحيد في فهم الدوافع و تحليل المواقف و تشخيص الآفات و تحديد مفاتيح العلاج.

❁ – إنّ كثرة الآيات الواردة في النفس البشرية يوحي بحقيقة الغاية الكبرى من خلق الوجود، فما من آية إلاّ و تحمل روح الهداية الربانية التي أساسها التركيز على حقيقة العقيدة الإسلامية.

❁ – النَّفس أنواع متفاوتة أحوالها متعددة حدّدها القرآن الكريم ، وهي:

أ – النفس المطمئنّة قال تعالى:" يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المطْمَئِنةُ " [1835] المطمئنّة إلى خالقها ، المطمئنة إلى صراط ربها ، المطمئنة إلى قدر الله بها و قضائه ،

ب – النفس اللوّامة قال تعالى:" وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ "[1836] ، وفي تفسير النفس اللوامة ثلاثة أقوال:[1837]

– المذمومة ، قاله ابن عباس و عليه فهي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم.

– النّفس المؤمنة ، قاله الحسن قال: لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال.[1838]

– جميع النفوس ، قال الفراء :ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قال هلا زدت ، وإن كانت عملت سوءاً قالت ليتني لم أفعل[1839] و قول الحسن البصري أرجح و أظهر ، لأنها الصورة المقابلة للنفس الفاجرة الطاغية.

ج – النفس الأمّارة بالسوء قال تعالى:" وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنّ النفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رِحَم رَبِّي إِنَّ رَبِّي غفُورٌ رَحِيمٌ "[1840] ، فهي نفس بشرية همّها الوسوسة بالسوء ، و تزيين الشهوات.

1835 – الفجر ، 27

1836 – القيامة ،2

1837 – أضواء البيان ، الشنقيطي ، 8 ، 635 .

1838 – و الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،السيوطي ، 15 ، 96

1839 – اللباب في علوم الكتاب ، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و محمد المتولي الدسوقي حرب ،ط 1 ، 1997 ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 19 ، 545

1840 – يوسف ، 53

- معاني النفس في القرآن الكريم.

لقد تعدّدت مفردة النفس في القرآن الكريم لتشير إلى دلالات منها:

❋ – أنّ لفظة النفس في القرآن جاءت بمعنى الإنسان الكائن الحي المكلّف في الدنيا المجازى في الآخرة قال تعالى:" وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ " 1841 ، و قال جلّ و علا:"وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾" 1842

❋– النّفس بمعنى الروح المقابل لمعنى الموت ، 1843 قال تعالى:"وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾" 1844

❋ – النّفس بمعنى أصل البشرية 1845 ، قال تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾"1846

❋ – النفس بمعنى الذات الإلهية 1847 ، قال تعالى:"لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾" 1848

1841 – البقرة ، **48**

1842 – المائدة ، **45**

1843 – دليل الأنفس بين القرآن الكريم و العلم الحديث ، توفيق محمد عز الدين ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، ،ص**5** ، و علم النفس التربوي ، شادية أحمد التل ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص **29**

1844 – الأنعام ، **93**

1845 – التفسير الكبير، الرازي ، **9**، **158**

1846 – النساء ، **1**

1847 – فتح القدير، الشوكاني ، **1**، **494**

1848 – آل عمران ، **28**

✽ – النفس بمعنى الشخص بعينه و ذاته ، 1849 قال تعالى :"فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦"1850

✽ – النفس بمعنى نيّة الإنسان و مقصد عمله ،1851 قال تعالى:" مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٧٩"1852 ، و قال جلّ و علا:"رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ۝٢٥" 1853

✽ – النفس بمعنى الجنس 1854 ، قال تعالى:"لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨" 1855 و قال سبحانه: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١" 1856

✽ – النفس بصيغة الجمع للدلالة على أهمية الجماعة في حفظ الأحكام و مقاصد تشريعها ، قال تعالى:"وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥" 1857 و قال سبحانه:" لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن

1849 – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، 3 ، 156

1850 – الكهف ، 6

1851 – المصدر السابق ، 3 ، 102

1852 – النساء ، 79

1853 – الإسراء ، 25

1854 – المصدر السابق ، 3 ، 682

1855 – التوبة ، 128

1856 – الروم ، 21

1857 – البقرة ، 25

تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾"1858

❋ – بمعنى العقل و القلب والفؤاد بما يوافق معهود الخطاب عند العرب ، قال تعالى:"وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾" 1859

❋ – بمعنى أفعال القلوب من المشاعر و الأحاسيس و الرغبات ، 1860 قال تعالى:"أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾"1861 ،و قال سبحانه:" وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾"1862

- مفهوم الإعجاز النفسي و حقيقته.

اختلف العلماء في تحديد مفهوم إعجاز القرآن في حديثه عن المشاعر الإنسانية هل هو من باب الإعجاز النفسي أم من باب الإعجاز الروحي ؟ على أقوال متعددة أهمها:

❋– القول الأول:1863

حديث القرآن عن المشاعر الإنسانية و الأحاسيس البشرية هو من الإعجاز النفسي ، و قُيّدت حقيقته بوصفين:

– أولهما: حديث القرآن الكريم عن النّفس الإنسانية مطلقا.

1858 – النور ، 61

1859 – البقرة ، 130

1860 – انظر السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر ، عبد المجيد سيد أحمد منصور ، و زكريا أحمد الشربيني ، و إسماعيل محمد الفقي ، ط 2002 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 54 ، وعلم نفس الدعوة ، محمد زين الهادي ، الدار المصرية اللبنانية ، ص 26

1861 – فاطر ، 8

1862 – يوسف ، 68

1863 – البيان في إعجاز القرآن ن صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط 3ن 1992م ، دار عمار ،عمان ،الأردن، 334

ꙮ – ثانيهما: تأثير القرآن الكريم في النّفس الإنسانية مطلقا ، و انتُقد هذا القول بأنّ حديث القرآن الكريم عن طبيعة النفس الإنسانية و استعداداتها و مواقفها هو من باب البيان و التصوير ، و لا علاقة له بالإعجاز النفسي ، فمثله كمثل توصيف طبيب.1864

✹ – القول الثاني:1865

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس نوعان:

ꙮ – أولهما: الإعجاز الروحي و يراد به تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية.

ꙮ – ثانيهما: الإعجاز النفسي و يراد به حديث القرآن الكريم عن أصناف النفس الإنسانية في مكنونات مشاعرها ، و خفايا أحاسيسها ، و مقدّمات دوافعها ، و نتائج سلوكها.

✹ – القول الثالث: 1866

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس حديثان:

ꙮ – أولهما: الإعجاز النفسي ، و هو ما ينحته القرآن الكريم بآياته المسطورة من آثار منظورة على النفس المفطورة كترول الطمأنينة و السكينة قال تعالى:"ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ "1867 ،و غشيان الأمن والرحمة قال تعالى:" : ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ "1868 ، و ذهاب القلق و الفزع قال تعالى:" وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ "1869

1864 – إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، ط 7 ،2009 ، دار النفائس ، عمان ، الأردن 331

1865 – انظر دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ،7، 675 .

1866 – الخطابي أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول ، ط2 ، 1387هـ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 27

1867 – الرعد ، 28

1868 – الزمر ، 23

1869 – الإسراء ، 82 ، و اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرّيب ، و ثانيهما: شفاء الأمراض الظاهرة ، و القول الظاهر أنّ القرآن يجمع خير الدنيا و الآخرة قال تعالى:" و لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته..." فصلت ، 44 . انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط 1985م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 10، 316 .

– ثانيهما: الإعجاز الروحي ، و هو إعجاب النفس الإنسانية بالقرآن الكريم و استسلامها له عند سماعه ، و شرط ثبوته إدراك حقائق الخطاب العربي و رقائقه ، و وجوه الكلام عند العرب و طرائقه.

– القول الرابع:1870

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس هو الإعجاز النفسي المتمثّل في عجيب ما يفعله القرآن الكريم من تمزيق حواجز غيب المشاعر النفسية ، و رُدّ هذا القول على أنه إخبار عن غيب فيدخل في مسمّى الإعجاز الغيبي.1871

– القول الخامس :1872

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس هو الإعجاز النفسي الذي انضبط بوجهين:

– الأول: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية توصيفا و تصويرا و تشخيصا.

– الثاني: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية نتيجة و ثمرة و عطاء.

– تنقيح و ترجيح.

يفهم الحديث القرآني عن النفس الإنسانية في إطار سياقين:

– الأول: أن يجتمع الإعجاز النفسي و الإعجاز الروحي على دلالة لغوية واحدة ، وعندئذ فحقيقتهما الاصطلاحية واحدة قال ابن منظور: "الروح: النفس، يُذكّر ويُؤنّث، والجمع الأرواح"1873 ، و إذا أضيف لهما آثار القرآن على الأجسام كما أخبر الله تعالى فقال:" ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾"1874 ، و كما روى عبد الله بن عروة بن الزبير قال:" قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن ؟ قالت: تدمع أعينهم ، وتقشعر

1870 – المعجزة القرآنية ، محمد متولي الشعراوي ، 1 ، 108

1871 – إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس، ص 329

1872 –انظر البيان في إعجاز القرآن ، صلاح الخالدي، ص334 ، و إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس ، ص 343 ،و بحوث في الإعجاز و التفسير في رسائل النور ، أحمد خالد شكري ،ط1 ،2004 ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة، ص 109

1873 – لسان العرب، ابن منظور ، مادة " روح " .

1874 – الزمر ، 23

جلودهم كما نعتهم الله"1875، فقد اجتمعت المسمّيات الثلاث على معنى واحد ، ويكون عندئذ مسمّى الإعجاز التأثيري هو المصطلح الأرجح و الله تعالى أعلم.

– الثاني : أن يختلف معنى الإعجاز النفسي عن الإعجاز الروحي ، وعندئذ تتباين حقيقتهما الاصطلاحية في صورتين:

– الأولى : الإعجاز النفسي هو حديث القرآن عن النفس الإنسانية مطلقا من حيث توصيف مشاعرها ، و تشخيص علل أدوائها ، و تحديد دواء شفائها.

– الثانية : الإعجاز الروحي هو حديث القرآن الكريم عن تأثيره في النفس الإنسانية ، و يتجلّى في مشهدين:

– الأول: تأثيره في النفس الإنسانية مطلقا.

– الثاني: تأثيره في النفس الإنسانية انطلاقا من بلاغة نظمه و بديع تركيبه ، وعليه فإنّ السمة البيانية هي أصل الإعجاز الروحي.1876

– مسيرة الإعجاز النفسي التأثيري.

لقد بحث في هذا الوجه من الإعجاز ثلّة من العلماء الأولين و الآخرين لكنّ عبارات بيانهم له اختلفت و تباينت تبعا لاختلافهم في مسمّى الإعجاز ، فكانت مسيرة أبحاثهم و جهودهم على الوجه التالي:

أ – الإعجاز النفسي التأثيري عند أبي سيلمان الخطابي.

يعتبر الخطابي أوّل من أشار إلى هذا الوجه الإعجازي فقال:" في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظّها منه عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب و القلق وتغشّاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدوّ للرسول صلى الله عليه و

1875 – البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، فصل في البكاء عند قراءة القرآن ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، ط1 ،1410هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، رقم 2062 ، 2،365 .

1876 – انظر إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ،ص 335

سلم من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحوّلوا عن رأيهم الأوّل ، وأن يركنوا إلى مسالمته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عدواتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً "1877 ، و قد جعل الخطابي أثر القرآن الكريم أبلغ في النفوس إذا أدركت بلاغة خطابه وفصاحة نظمه ،لأنّ " القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف مضمّناً أصحّ المعاني."1878

ب – الإعجاز النفسي التأثيري عند القاضي عياض.

لقد علّق القاضي عياض على تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عامّة فقال:" ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي تعتريهم عند تلاوته لقوّة حاله وإنافة خطره ، وهي على المكذّبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ، ويودّون انقطاعه لكراهتهم له...و أمّا المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إيّاه مع تلاوته توليه انجذابا ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به."1879

ت – الإعجاز النفسي التأثيري عند عبد القاهر الجرجاني.

لقد أقام الجرجاني لقاعدة الذوق الأدبي منزلة عظيمة في فهم نظرية النظم القرآني ، و لا أحد يدرك حقائق البلاغة القرآنية إلا إذا كان من " أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممّن تحدّثه نفسه بأنّ لما يومىء إليه من الحسن و اللطف أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمّل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب وإذ نبّهته لموضع المزية انتبه ، فأمّا من كانت الحالان و الوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصحّة المطلقة وإلاّ إعرابا ظاهرا فما أقلّ ما يجدي الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر و الذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره "1880 ، و لقد وقف الجرجاني عند مشاهد الإعجاز التأثيري على النفس و الروح من خلال مناقشاته العلمية و النقدية للمباحث البلاغية ، من ذلك وقفته عند قوله تعالى:" وجعلوا لله شركاء الجن..."

1877 – الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، **70**

1878 – الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ص **27**

1879 – القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، **231،230/1**

1880 – دلائل الإعجاز، الجرجاني ، ص **196**

قال:" ليس بخاف أنّ لتقديم الشركاء حسنا وروعة ومأخذا من القلوب ، أنت لا تجد شيئا منه إن أنّك أخّرت فقلت: وجعلوا الجنّ شركاء لله ، وأنّك ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ولا تصير النفس به إلى حاصل.."1881 ، و عند وقفته العلمية الذوقية مع قوله تعالى في حق اليهود: " و لتجدنّهم أحرص الناس على حياة " قال:" ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن النّاس على حياة إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسّك وجدت لهذا التنكير وأن قيل على حياة و لم يقل على الحياة حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره ، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما "1882 ، و لقد جعل الجرجاني المزية الأولى للنظم القرآني في ظهور الإعجاز التأثيري على النفس الإنسانية – خاصة العرب – فقال:" من هذا الذي يرضى من نفسه أن يزعم أنّ البرهان الذي بان لهم والأمر الذي بهرهم والهيبة التي ملأت صدورهم والروعة التي دخلت عليهم فأزعجتهم حتى قالوا:" إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر " إنّما كان لشيء راعهم من موقع حركاته ، ومن ترتيبه وبيان سكناته ، أو الفواصل في أواخر آياته ؟ من أين تليق هذه الصفة و هذا التشبيه بذلك ؟ أم ترى أنّ ابن مسعود حين قال في صفة القرآن:" إذا وقعتُ في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنّق فيهنّ " ، قال ذلك من أجل أوزان الكلمات ، ومن أجل الفواصل في أخريات الآيات."1883

ث – الإعجاز النفسي التأثيري عند ابن القيم الجوزية.

لقد أوتي القرآن " العجب العجاب ، و القول الفصل اللباب ، و البلاغة الناصعة التي تحير الألباب و تغلق دونها الأبواب "1884 ، و عليه فمن أحاط بفنون البلاغة و البيان ، و نظر في شعر و نثر عرب عدنان و قحطان ثمّ تأمّل القرآن و تدبّره كلّ عقله عن تصورّه و خرس لسانه عن الإتيان بمثله ، وعجز عن معارضته و مجاراته فيذعن العقل لحقيقته ، و تسلو الروح برقيقته ، و تفرح النفس برفقته ، فلا شيء أنفع للقلب من

1881 – المصدر نفسه ، ص 198

1882 – المصدر نفسه ، ص 201

1883 – المصدر نفسه ، ص 204

1884 – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، ،ط2،1988م ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص7

قراءة القرآن بالتدّبر و التفكر[1885] ، و لّما كان القرآن أصل صلاح القلوب منّ الله تعالى بحلاوة تلاوته على عباده فكتب في " سماعه من الرَّوعة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذّ الأسماع ، وتميل إليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمةً بما يحتويه أو غير عالمة ،كافرة بما جاء به أو مؤمنة."[1886]

و لقد صوّر ابن القيم مسألة تأثير القرآن على سامعه وقارئه فقال:" إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، و ألق سمعك واحضر حضور مَن يخاطبه به من تكلّم به سبحانه منه إليه ، فإنّه خطاب منه لك على لسان رسوله ، قال تعالى:" إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد "، وذلك أنّ تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ و أبينه ، وأدلّه على المراد ،فقوله:" إنّ في ذلك لذكرى " إشارة إلى ما تقدّم من أول السورة إلى هاهنا ، وهذا هو المؤثر ، وقوله:" من كان له قلب "، فهذا هو المحل القابل، و المراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى:" إنّ هو إلا ذكر وقرآن مبين لتنذر مَن كان حياً " أي حيّ القلب ، وقوله تعالى:" أو ألقى السمع وهو شهيد " أي وجَّه سمعه وأصغى حاسّة سمعه إلى ما يقال له، و هذا شرط التأثير بالكلام، وقوله:" وهو شهيد " أي شاهد القلب حاضراً غير غائب...، فإذا حصل المؤثر ، وهو القرآن ، والمحلّ القابل وهو القلب الحي ، و وجد الشرط و هو الإصغاء ، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر ، وهو الانتفاع بالذكر "[1887] ، و جعل ابن القيم تأثير القرآن لعموم الخلق أجمعين ، " فيقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الرَّوعة ، ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذ الأسماع ، وتميل إليه بالحنين الطباع ، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمةً بما يحتويه أو غير عالمة ،كافرة بما جاء به أو مؤمنة."[1888]

ج – الإعجاز النفسي التأثيري عند عبد الكريم الخطيب.

1885 – انظر مفتاح دار السعادة و منشور ولاية أهل العلم والإرادة ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي ،ط1، 1996 ، دار ابن عفان، الخبر ، السعودية، 1 ،554.

1886 – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، ص8.

1887 – ق ، 37

1888 – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، ص 9.

إنّ الإعجاز عند الخطيب ما جادت به البلاغة القرآنية من آثار على النفس الإنسانية فما " الإعجاز الذي رآه الناس إلاّ روعة تملكهم ، وإلا جلالاً يحيط بهم ، وما كان لكلام أن يصور حقيقة الروعة ، أو يمسك مواقع الجلال ، إنّها معان تدرك وتستشعر ولا توصف ، ولهذا فإنّ الناس مع القرآن على منازل ودرجات وحظوظ "1889 ، و هذا الوجه من الإعجاز هو " المعجزة القائمة في القرآن أبداً ، الحاضرة في كل حين ، وهي التي تسع الناس جميعاً ، عالمهم وجاهلهم ، عربيهم وأعجميهم ، إنسهم وجنهم " قل أوحي إليَّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا "1890

إنّ المعجزات الحسية السابقة و إن ساقت الخلق بالتأثير إلى الإيمان بالله تعالى و التصديق برسالات أنبيائه فإنّ أمر القرآن الكريم و حقيقته على خلاف ما سبق ؛ فهو كلمات ربّانية و تراكيب قدسية ألف ألفاظها المخاطبون لأنّها من معهود كلامهم و مما يجري على لسانهم قال الله تعالى:" نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾"1891

وقال جل جلاله:"إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾"1892 ،وقال تعالى:" وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾" 1893 ،وقال سبحانه:" قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ "1894 ، فكان لهذه الكلمات الإلهية نفحات نورانية من التأثير على النفوس و كان لها من الأثر ما كان لكلمة عيسى عليه السلام من الشفاء و الإحياء و أكثر1895 قال تعالى:"إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

1889 – الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب ، ط 2 ، 1975م ، دار المعرفة ، بيروت ، 145

1890 – الجنّ، 1

1891 – الشعراء ، 193–195

1892 – يوسف ، 2

1893 – طه ، 113

1894 – الزمر ، 28

1895 – الإعجاز في دراسات السابقين ،عبد الكريم الخطيب ، ص 146

مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ "1896 ، و كان لها ما كان لعصا موسى عليه السلام من التغيير و التدافع و أكثر قال تعالى:"
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
"1897 إنّ القرآن الكريم ليس معجزة ذهبت حجّتها بفنائها و موت أصحابها ، أو درس أثرها بذهاب زمانها ، بل هو آيات في صدور أهل الإيمان ، و أحكام ظاهرة على سلوك أهل الإسلام ، و سور تتلى آناء الليل و أطراف النهار إلى قيام الساعة آيات تتلى حقّ تلاوتها بالتدبّر الدقيق قال تعالى:"كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ "1898 ليجول العقل بعد سماع القرآن المسطور في رحاب الكون المنظور ، فيجتمع بصره و بصيرته على رؤية مشاهد الإعجاز الرباني على صفحات الأنفس و لوحات الآفاق، قال تعالى:" قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ "1899 إنّها آيات القرآن الكريم أبكت العيون عبرات حين أبصرت كمال خالقها في جلال إعجازه و أوجلت القلوب خشية حين استحضرت عظمة ربها قال تعالى:" أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ "1900

ح – الإعجاز النفسي التأثيري عند محمد الغزالي.

لقد ركزّ محمد الغزالي في بحثه القرآني على الجانب التأثيري للقرآن الكريم فوقف على أنّ الإعجاز النفسي حقيقة قرآنية مكرّرة " تظهر في ألف ثوب ، وتتوزّع تحت عناوين شتى ، كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه ، وهذا التكرار مقصود ، وإن لم تزد به الحقيقة العلمية في مفهومها ذلك أنّ الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط ، بل بناء الأفكار والمشاعر ، و التقاط مؤلفه آخر ما تختلقه اللجاجة من شبهات و تعلات ، ثم الكرّ عليها بالحجج الدامغة ، حتى تبقى النّفس وليس أمامها مفر من الخضوع لمفهومها للحق و

1896 – المائدة ، 110
1897 – الشعراء، 30 – 32
1898 – ص ، 29
1899 – فصلت، 52 – 53
1900 – الزمر ، 22، 23

الاستكانة لله ، وعندي أنّ قدراً من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا "1901 ، ثمّ وضع الغزالي يده على ما يقهر النفوس و يملك القلوب ، إنّه سلطان القرآن الذي " يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوّقه في الجدل ، أي بتقديم الدليل المفحم لكل شبهة ، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة " 1902 " إنّ طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تقهر برودة الإلف ، وطول المعرفة ، فتتعرى أمامه النفوس ، وتنسلخ من تكلّفها وتصنّعها ، وتتزعج من ذهولها و ركودها ، وتجد نفسها أمام الله جل شأنه يحيطها ويناقشها ، ويعلّمها ويؤدّبها ، فما تستطيع أمام صوت الحقّ المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيخ. "1903

إنّ التأثير النفسي الذي أشار إليه الغزالي هو من أعظم الخصائص القرآنية التي تظهر عند سماع القرآن ، و من أبرز سمات الوحي الربّاني التي تأخذ بالنفوس إلى الإيمان ، " والشعور بالرغبة والرهبة ، والرقّة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق ، ثمّ يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمغازي والعبر ، تقشعر منه الجلود "1904 ، ذاك لأنّ المتكلّم يعلم ما تكنّ صدورهم و ما يعلنون ، و كلامه " القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعا ، وكأنّه يعرف ضائقة كل ذي ضيق ، وزلّة كل ذي زلل ، ثمّ تكفّل بإزاحتها كلّها ، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه ، فهو يجمعها من هنا وهناك ، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها " 1905 ، و انطلاقا من هذا الأصل الركين " ما أظنّ امرأ سليم الفكر و الضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثمّ لا يزعم أنّه لم يتأثر به ، قد نقول: فلم يتأثّر به ؟ و الجواب أنّه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلاّ ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه."

- التأثير القرآني و الإعجاز النفسي.

و لقد تعدّدت صور التأثير فأخذت أشكالا متنوعة منها:

- التأثير القرآني في النفوس المؤمنة.

1901 – نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص 120

1902 – المرجع نفسه ، 121

1903 – المرجع نفسه ، 122

1904 – المرجع نفسه ، 123

1905 – نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، 127،128

القرآن الكريم طريق طمأنينة النفس وأمنها ، يدفع خوفها و يبدّد قلقها قال تعالى:" اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ "[1906] ، و قال صلى الله عليه وسلم" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة.."[1907] ،و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم :" اقرأ عليَّ القرآن " ، قال: فقلت: يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال:" إنّي أشتهي أن أسمعه من غيري " ، وفي لفظ للبخاري:" فإنّي أحبّ أن أسمعه من غيري " ، فقرأت عليه النساء حتّى إذا بلغت: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَــؤُلاء شَهِيدًا "[1908]، وفي لفظ للبخاري: " فقال حسبك الآن "، فرفعت رأسي ، أو غمزني رجلٌ فرفعت رأسي ، فرأيت دموعه تسيل " ، وفي لفظ للبخاري: " فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان "[1909]

1906 – الزمر، **23**.

1907 – مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ط**2/1392**هــ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،**4**، **2074**، و قال النووي:" قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة..، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه ، وقيل: الطمأنينة والوقار ،وهو أحسن." انظر شرح النووي على صحيح مسلم ،**17**، **21** ، ،و قد أشارت الأحاديث الكثيرة إلى أثر القرآن في النفس فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:" كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم ، وإنّ نفرنا غيّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنُهُ برقيةٍ، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً ،حتى نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم" انظر البخاري ،الجامع الصحيح ،كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط**1/1987**، دار الريان للتراث، القاهرة، رقم **5006** ، **671/8** و اللفظ له ، ومسلم، الجامع الصحيح ،كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، **1727/4** رقم **2201** ،و عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها "، و لقد أجاز بعض العلماء علاج المريض بالماء المقروء عليه. انظر صحيح البخاري ومعه فتح الباري ،كتاب فضائل القرآن ، باب فضل المعوّذات رقم **5016** ،**679/8** ،و النووي ،التبيان في آداب حملة القرآن ، ص**98**.

1908 – النساء ، **41**.

1909 – متفق عليه ، البخاري، كتاب التفسير، باب " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا"، برقم **4582**، وكتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، برقم **5049**، وباب قول المقرئ للقارئ حسبك، برقم **5050**، وباب البكاء عند قراءة القرآن، برقم **5055**، ورقم **5056**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، رقم **800**.

– مظاهر التأثير القرآني على النفوس المؤمنة.1910

لقد أثّر القرآن الكريم في نفوس أهله تأثيراً عظيماً فتجلّت مظاهر التأثير في:

– الأول: التنافس في حفظه و قراءته ، حتّى طاب لهم هجر لذيذ دنياهم بمناجاة ربّهم.

– الثاني: العمل بتعاليمه و الأخذ بأحكامه في شؤون الحياة كلّها حتى أخرجهم للعالم خَلقاً صحيح العقيدة ، مستقيم العبادة ،كريم الخُلُق.

– الثالث: الاستبسال في الدعوة إلى هدايته والدفاع عن رسالته ، فقد ضرب الصحابة أعظم المثال في الجهاد و التضحية ، فقد أجاز عليه الصلاة والسلام يوم أُحد سمُرة بن جُندب ، ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل له: يا رسول الله إن رافعاً رامٍ، فأجازه ، فلمّا أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله فإنّ سَمُرة يصرعُ رافعاً فأجازه ، وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب وغيرهم ، ثمّ أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة 1911، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسي بيده لولا أنّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا عنّي ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلّفت عن سريّة تغدو في سبيل الله ، و الذي نفسي بيده لوددت أن أُقتَل في سبيل الله ثمّ أحيا ، ثمّ أُقتَل ثمّ أحيا ، ثمّ أُقتَل ثمّ أحيا ، ثمّ أُقتَل."1912

– الرابع : النجاح الباهر للقرآن الكريم في هداية البشرية والنهضة بها نحو معالي العقيدة و الأخلاق في سياسة مجالات الدنيا – في العادات والمعاملات ، وفي السياسة والإدارة –، وفي كافّة نواحي الإصلاح الإنساني.

– الخامس: زيادة الإيمان عند سماع القران الكريم 1913 دلّ على ذلك قوله تعالى:" وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" 1914 ، و قوله جلّ و

1910 – انظر الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط**1**،**1988** ،دار الكتب العلمية، بيروت،**439/2** .

1911 – انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط**1415/1**هـــ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، **74/3**.

1912 – انظر البخاري، ومعه فتح الباري، كتاب الجهاد والسِّير، باب تمنّي الشهادة، رقم **2797** ، **20/6** .

1913 – انظر الرازي أحمد بن محمد بن أحمد بن المظفر ، حجج القرآن، تحقيق أحمد عمر المحمصاني، ط**2**، **1982** ، دار الرائد ، بيروت، **72** ، و القرآن و علم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط**7** ، **2001** ، دار الشروق ، القاهرة،**270**

1914 – التوبة ،**124**

علا:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ."1915

1- السادس: تأثير القرآن على القلوب إذ يورثها الخوف من الله والخشية منه قال تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا"1916 ، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأبيّ بن كعب:" إنّ الله عزّ و جلّ أمرني أن أقرأ عليك "

، قال: آلله سمَّاني لك ؟ قال: " الله سمَّاك لي " ، قال فجعل أُبيّ يبكي "، وفي رواية: " إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا " [1917] قال: وسمَّاني لك ؟ قال: " نعم " قال: فبكى.[1918]

- التأثير القرآني في نفوس أهل الكتاب:

قال تعالى:" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ "1919 قال أبو حيان الأندلسي:" هذا وصف برقّة القلوب والتأثّر بسماع القرآن "1920 ، و قال أبو السعود: " هو بيانٌ لرقّة قلوبهم وشدّة خشيتهم ، ومسارعتِهم إلى قبول الحق "1921 ، وهذا من أثر علمهم بالنبي صلى الله عليه

1915 – الأنفال، 2.

1916 – الإسراء ، 107-109

1917 – البينة ، 1.

1918 – صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحُذَّاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، برقم 245- 799 و246- 799.

1919 – المائدة ، 82-83

1920 – البحر المحيط ، 4،498

1921 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، 2 – 282

وسلم قال تعالى:" قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾"1922

- التأثير القرآني في النفوس المشركة:

و يتجلّى التأثير القرآني في النفوس المشركة من خلال المظاهر التالية.1923

❋ – أثّر القرآن الكريم في أعدائه فقد سلب عقولهم مع إعراضهم ، و أخذ أسماعهم مع قيام عداوتهم ، فقد كانوا يخرجون في الليل يستمعون إليه مختلسين النظر متلبسين الظلام.

❋ – اجتهاد الكافرين في الصدّ عن القرآن خاصّة عند المسجد الحرام ، و عند مجامع العرب و أسواقها خوفا من تأثيره و ردّا لهدايته.

❋ – الذعر من قوة تأثيره و سرعة ولوجه النفوس فأجمعوا على صدّ الخلق عنه قال تعالى:" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ "1924 ، وكان أبو جهل يقول لقومه: إذا قرأ محمّد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول ، وعن مجاهد أنّهم كانوا يصفّرون و يصفّقون عند سماع القرآن الكريم للتخليط عليه.1925

❋– سلب إرادتهم ، و غيّر مواقفهم من الشرّ إلى الخير ، فكان الواحد يخرج من بيته شاهراً سيفه يبتغي القتل ، و معلناً غدره يبتغي الإضرار ، فما يلبث أن تدركه نفحة قرآنية ، فيستمع وينصت و إذا به يخشع إلى الحق ويخضع له ، وفي قصّة إسلام عمر بن الخطاب و الطفيل بن عمرو الدوسي شاهد قوي ، و لقد المشركون مع القرآن موقفين:

أ – النفوس المشركة بين التأثير القرآني و الإيمان.

و تظهر ثمرات التأثير القرآني من خلال النماذج التالية:

1922 – الإسراء ، **107–109**

1923 – الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، **437/2**.

1924 – فصلت ، **26**

1925 – انظر الطبري، جامع البيان ، **111/24**، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، **356/15**.

❋ – روى ابن إسحاق:" أنّ عمر بن الخطاب خرج يوماً متوشّحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه ، ذكروا له أنّهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له: أين تريد يا عمر ؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرّق أمر قريش ، وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها فأقتله، فقال نُعيم: والله لقد غرّتك نفسك من نفسِك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض ، وقد قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم ؟ قال: وأيّ أهل بيتي ؟ قال: خَتَنُك وابن عمِّك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ؛ فرجع عامداً إلى أخته وختَنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفة فيها " طه " يقرئهما إيّاها ، فلمّا سمعوا حسّ عمر ، تغيّب خباب في مخدع لهم ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ، فلمّا دخل قال: ما هذه الهَينمةُ الذي سمعتُ ؟ قالوا: ما سمعت شيئاً ، قال: بلى والله ، لقد أخبرت أنّكما تابعتما محمّداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجّها ؛ فلمّا فعل ذلك قالت له أخته وختَنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك، فلمّا رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى ، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سَمِعتكم تقرءون آنفاً أنظرُ ما هذا الذي جاء به محمّد ، وكان عمر كاتباً ، فلمّا قال ذلك، قالت له أخته: إنّا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردّها إذا قرأها إليها، فلمّا قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنّك نَجِس، على شِرْكك وإنّه لا يمسّها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها "طه" فقرأها ، فلمّا قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، فلمّا سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر ، والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه ، فإنّي سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر ابن الخطاب ، فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك: فدلني يا خبّاب على محمّد حتى آتيه فأسلم.."1926

❋– روى ابن إسحاق عن الطفيل بن عمرو الدوسي أنّه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ، فقالوا له: يا طفيل إنّك قدمت بلادنا ،

1926 – انظر ابن هشام، السيرة النبوية ، **1/381-383**، ، و الألباني محمد ناصر الدين ،صحيح السيرة النبوية، ،المكتبة الإسلامية، عمان، ،الأردن ، ص **188**

وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعْضل بنا ، وقد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا ، وإنّما قوله كالسّاحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، و إنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلّمه ولا تسمعنّ منه شيئاً قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوتُ في أذني حين غدوتُ إلى المسجد كُرسُفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، و أنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال: فسمعت كلاما حسنا..قلت في نفسي: و ا ثُكْل أمي ، والله إنّي رجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحُسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته ، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتّبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثمّ أبى الله إلاّ أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً ، فأعرض عليّ أمرك ،قال: فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق.1927

❋– يروى أن أسعد بن زرارة خرج مع مصعب بن عمير يوماً يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخلا في حائط من حوائط بني ظفر ، وجلسا على بئر يقال لها بئر مرق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين – وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك – فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنّ أسعد بن زرارة ابن خالتي ، ولولا ذلك لكفيتك هذا ، فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما ، فلمّا رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيّد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب إن يجلس أكلمه ، وجاء أسيد فوقف عليهما متشئما ، وقال: ما جاء بكما إلينا ؟ تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره ، فقال: أنصفت ، ثمّ ركّز حربته و جلس ، فكلّمه مصعب بالإسلام ، وتلا عليه القرآن. قال: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل

1927 – ابن هشام، السيرة النبوية ، **420/1**، و المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم ، ط**1991/2** ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ص **162**

أن يتكلّم في إشراقه و تهلّله ، ثمّ قال: ما أحسن هذا وأجمله ؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له: تغتسل وتطهّر ثوبك ،ثمّ تشهد شهادة الحق ، ثمّ تصلي ركعتين ، فقام واغتسل وطهّر ثوبه وتشهد وصلّى ركعتين ، ثمّ قال: إنّ ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرشده إليكما الآن – سعد بن معاذ – ثمّ أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه ، وهم جلوس في ناديهم. قال سعد: احلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلمّا وقف أسيد على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلّمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت ، وقد حدّثت أنّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه – وذلك أنّهم قد عرفوا أنه ابن خالتك – ليخفروك ، فقام سعد مغضبا للذي ذكر له ، فأخذ حربته ، وخرج إليهما ، فلمّا رآهما مطمئنين عرف أنّ أسيداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشئماً ، ثمّ قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكره ؟ وقد كان أسعد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد ،فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ، قال: قد أنصفت ، ثمّ ركز حربته فجلس ،فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ،في إشراقه و تهلّله ، ثمّ قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم ؟ قالا: تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثمّ تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلي ركعتين ، ففعل ذلك.[1928]

✵ – عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنّه قال: " سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ في المغرب بالطُّور ، فلمَّا بلغ هذه الآية : " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْــخَالِقُون أَمْ خَلَقُوا السَّموَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُون أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْــمُصَيْطِرُون "[1929] كاد قلبي أن يطير و في رواية " وذلك أوّل ما وقر الإيمان في قلبي."[1930]

1928 – الطبري محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، ط1407/1 هـــ ، دار الكتب العلمية، بيروت ،560/1 ، وابن كثير ، البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ، بيروت ،152/3، و الكلاعي أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء ،تحقيق محمد كمال الدين علي ، ط1997/1، عالم الكتب، بيروت، ،317/1.

1929 – الطور، 35– 37.

1930 – متفق عليه البخاري ،كتاب التفسير، سورة الطور، رقم 4854،و 4023 ، و مسلم، بنحوه، كتاب الصلاة باب القراءة في الصبح، رقم 463.

ب – النفوس المشركة بين التأثير القرآني و الاستكبار.

و دلّ على هذا الاستكبار مواقف كثيرة منها:

❋– أنّ أبا جهل وأبا سفيان و الأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض:لا تعودن ، لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثمّ انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثمّ تفرّقوا ، فلمّا أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثمّ خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال يا أبا ثعلبة: و الله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له به ، ثمّ خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمّد ؟ فقال: ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنّا كفرسي رهان قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى تدرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق، 1931 و شاهد الاختلاف فيما بينهم في أمر القرآن و نبيه ما ذكره ابن كثير في البداية و النهاية بعنوان: "مجادلة المشركين رسول الله، وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً"1932

❋– صدق شهادات المشركين للقرآن الكريم و أعلاها منهم ما جاء عن الوليد بن المغيرة بعد أن قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فرقّ له ، وبلغ ذلك قومه فجاءه أبو جهل طالباً منه أن يقول في القرآن قولاً يبلغ قومه أنه منكر له ، قال :فما أقول فيه ، فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم

1931 – ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث ،تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث **168/4–169**، و ابن هشام، السيرة النبوية **352/1**، والكلاعي،الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء ،**1 /235** ،والسيوطي ،كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ط**1985/1**، دار الكتب العلمية ،بيروت ،**192/1**

1932 – ابن كثير، البداية والنهاية ، **60/3**.

برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجنّ ،والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، و والله إنّ لقوله لحلاوة ، وإنّ عليه لطُلاوة 1933 ، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنّه ليعلو وما يعلى ، وإنّه ليحطم ما تحته. قال أبو جهل: "والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال: فدعوني أفكر، فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثر ..فترلت" ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدَاً "1934 قال تعالى:" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ "1935 " كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ، ويغرّون بها الجماهير ، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم ، وفي نفوس الجماهير" 1936 إنّه التواصي المقيت الذي "يدلّ على الذعر الذي كان يضطرب في نفوسهم من تأثير هذا القرآن فيهم ، وفي أتباعهم ، و هم يرون هؤلاء الأتباع يسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين ، والسورة و السورتين يتلوهما محمّد عليه الصلاة والسلام ،أو أحد أتباعه السباقين ، فتنقاد إليهم النفوس ، و تهوي إليهم الأفئدة ، ويهرع إليهم المتّقون ، و لم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقالة وهم في نجوة من سحر القرآن ، فلولا أنهم أحسّوا في أعماقهم هزّة روَّعتهم ،ما أمروا أتباعهم هذا الأمر ، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير الذي هو أدلّ من كل قول على عمق التأثير."1937

❁– عتبة بن ربيعة أحد سادات المشركين وكبرائهم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمساومة بالمال والملك ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم ، قال: فاسمع مني ، قال: فافعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم:" حَم تَنْزِيلٌ مِنَ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيْمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنَاً عَرَبِيَّاً.." فمضى رسول الله يقرؤها عليه ، فلمّا سمعها عتبة أنصت و ألقى يديه خلف ظهره حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها ،ثمّ قال: قد سمعت، يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه

1933 – أي رونقاً وحُسناً ،و جمالا. انظر لسان العرب مادة " طلي " ، 14/15.

1934 – المدثر ،11 و انظر الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 156/29، والحاكم،المستدرك على الصحيحين ،كتاب التفسير، سورة المدثر ، ، وقال: على شرط البخاري ولم يخرجاه ، 507/2 ،و أورده الألباني، في صحيح السيرة النبوية ، ص 158 رقم 157، و سيرة ابن إسحاق 132/2 ،وابن هشام، السيرة النبوية، 306/1 .

1935 – فصلت ، 26

1936 – قطب سيد ، في ظلال القرآن ، ط1971/7 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 238/7.

1937 – سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، ط17–2004 ، دار الشروق، القاهرة، ص 14

الذي ذهب به ، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد: قال: ورائي أنّي والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ،والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر، ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي :خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، واعتزلوه ، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.1938

- التأثير القرآني في الجماد و النبات و الحيوان.

لقد أخبر الله تعالى في القرآن عن إفهام الجماد والنبات والحيوان ، و أظهر الحكمة من ذلك في مواضع متعدّدة كما أخبر عن النحل فقال تعالى:" و أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ "1939 ، و يوم الحديبية حين بركت ناقته عليه الصلاة والسلام فزجروها ، وقالوا: خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام :"ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل"1940 ، و لقد أخبر الله عن تأثّر الجماد بسماع القرآن الكريم فقال تعالى:" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا "1941 ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت إنسانين يعذّبان في قبورهما ، فدعا بجريدةٍ ، فكسرها كسرتين ، فوضع على كل قبر منهما كسرةً ، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال:

1938 – انظر ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق ،188/4 ، والحلبي علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ،ط 1400هـ، دار المعرفة، بيروت، 1 /487 ، و السيوطي ،كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ،190/1، و الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ، القاهرة ، 28 .

1939 – النحل ، 68

1940 – صحيح البخاري ومعه فتح الباري ،كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد رقم 2731 ، 388/5 .

1941 – الإسراء ،44، روى البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:" وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده " ،معالم التزيل، تحقيق خالد العك، ومروان سوار ، ط1407،2 هـ، دار المعرفة، بيروت، 96،5 ، و روى الطبري عن قتادة قوله: " كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه الروح." انظر جامع البيان ،93،15 .

"لعلّه أن يخفّف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن ييبسا "1942 ، وعن جابر بن سمرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إنّي لأعرف حجراً بمكّة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث إنّي لأعرفه الآن. "1943

، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال:" كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل."1944

- الذوق الوجداني و إدراك الإعجاز النفسي:

قال الجرجاني:" و اعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب – فصل في الذوق و المعرفة– موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممّن تحدّثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتّى يختلف الحال عليه عند تأمّل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتّى إذا أعجبته عجب ، وإذ نبّهته لموضع المزية انتبه ، فأمّا من كانت الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميّز صحيحه من مكسوره...و لا تتكلّف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد."1945

1942 – صحيح البخاري مع فتح الباري ،كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله رقم 216، 1،369، وروى الطبري عن الحسن البصري أنه قدّم له طعام على خوان، ثم قيل له: "يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح مرّة ." انظر، جامع البيان ،9،92 .

1943 – صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم و تسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم2277 ، و انظر حديث موسى مع الحجر في صحيح البخاري ومعه فتح الباري ،كتاب أحاديث الأنبياء ،باب 28، رقم 3404، 6،502، وصحيح مسلم ،كتاب الحيض،باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة رقم 339 ،1،267 و حديث حنين الجذع البخاري،صحيح البخاري ومعه فتح الباري،كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام رقم 3584 ، 696/6 ، و انظر الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة، الجامع الصحيح أبواب الصلاة، باب ما جاء في الخطبة على المنبر ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم الحديث 505 ، 379/2

1944 – صحيح البخاري ومعه فتح الباري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ،رقم3579،6،679 قال النووي:" فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات ، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة:" وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" – البقرة 73 – وقوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" الإسراء44 – وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ، ويجعل الله تعالى فيه تمييزا بحسبه." انظر شرح النووي على صحيح مسلم 15،36 ،و علّق ابن كثير على خشية الجبل فقال:" فإذا كان الجبل في غلظته ،و قساوته لو فهم القرآن، فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع، وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه.." انظر ابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ،ط1969، دار المعرفة، بيروت،4 ،343

1945 – الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، 195

- وجوه الإعجاز النفسي القرآني.

القرآن المعجزة الكبرى و الشريعة العظمى للعالمين تحدّى الله تعالى به الكافرين فأعجزهم ، و هدى به المؤمنين فأعزّهم ، فغدا القرآن بإعجازه حقيقة قاطعة لا ريب فيها ، وبديهية مقرّرة لا مراء حولها ، و لقد تحدّث القرآن كثيرا عن أحوال النفس الإنسانية.

- الإعجاز النفسي و تحليل نفس الاستكبار.

لقد لاحظ كثير من دارسي القرآن خاصية تأثير القرآن الكريم في القلوب البشرية ، و أثره في النفوس الإنسانية ، فوقفوا على عجز النفس أمام سماع القرآن و أحوالها في ذلك فاستنبطوا صورة الإعجاز النفسي للقرآن الكريم [1946]، و تتلخّص صورته في وجهين:[1947]

– أولهما: براعة القرآن الكريم في حديثه عن أحوال النفس الإنسانية و أعماقها.

– ثانيهما: روعة التأثير القرآني على النفس الإنسانية بإعجازه العظيم في مشاهد متفاوتة، و بمسالك متنوعة تظهر من خلال النموذج التالي:

– قال تعالى:" فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ

1946 – دراسات في النفس الإنسانية ،ص **5**

1947 – انظر البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفسير، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار،عمان، الأردن، ص**350** .

أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ 1948

– قال تعالى: " "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ "1949

- التوثيق القرائي:

لقد أجمع القرّاء على القراءة بصيغة المبالغة " فعّال" في لفظ سحّار في قوله تعالى:" يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ"1950 ، وأجمعوا على صيغة اسم الفاعل "ساحر" في مواضع متعددة 1951 ، و وقع التغاير بالوجهين في سورة الأعراف الآية **112** ، وفي سورة يونس الآية **79** .

- التوجيه القرائي:

1– قراءة " سَٰحِرٍ " على وزن فاعل 1952 ، و يشهد لهذا المعنى ما يلي:

أ – قوله تعالى:" سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ " 1953 ، و اسم الفاعل من سَحَر فهو ساحر ،ولتقدّمه قوله:" إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ " 1954 ، فصرّح باسم الفاعل في نفس السياق.1955

1948 – الأعراف، **107**– **126**

1949 – يونس، **76** – **81**

1950 – الشعراء، **37**

1951 – الأعراف، **109** و قوله تعالى:" قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ "،وسورة الشعراء، **34** قوله تعالى:" قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ "، سورة طه،**69** ، قوله تعالى:" وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ "،وسورة ص،**4** قوله تعالى:" وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ"

1952 – قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبي عمرو و نافع و عاصم و يعقوب و أبي جعفر. انظر الكشف ، **1** ، **471** ،و النشر ، **2** ، **270**

ب – الاتفاق على جمع لفظ ساحر و شاهده قوله تعالى:" وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ "1956 ، وفي قوله:" فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا" 1957 ،وقوله:" فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ" 1958 ، والسحرة جمع ساحر لا سحّار. 1959

ت – دلالة لفظ الساحر على معنى السحّار ، فهو على وزن الفاعل الذي يدلّ على الجنس ، و التكثير ؛ لأنّه مأخوذ من المصدر الذي هو جنس الفاعل وغيره.1960

2– قراءة " سَحَّر"1961 على وزن فعّال 1962 و يشهد لهذا المعنى ما يلي:

أ – القراءة لتكرير الفعل والمبالغة فيه.1963

ب – إنّهم وُصِفوا في الآيات التي تليها بقوله تعالى:" سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ " 1964 ، فناسب قوة الإرهاب ، وعَظَمَة السحر استعمال صيغة المبالغة.1965

ت – إنّ الساحر وصف بأنّه عليم ؛ وعليم و سحّار كلاهما للمبالغة ، فعليم تدلّ على التناهي في العلم ، فناسبه لفظ التناهي في السحر.1966

1953 – الأعراف ، **116**

1954 – الأعراف ، **119**

1955 – البحر المحيط ، **360،4**

1956 – الأعراف ، **120**

1957 – طه ، **70**

1958 – الشعراء ، **38**

1959 الكشف ، **472،1**

1960 – الحجة ، ابن خالويه ، **87** .

1961 – قراءة حمزة و الكسائي و خلف انظر الكشف ، **1** ، **471** ،و النشر ، **2** ، **270**

1962 – تدل صيغة " فعّال" في باب المبالغة على تكثير الفعل وتكريره، ويذهب أهل اللغة في أصل صيغة " فعّال" مذهبين: الأول: إنّ " فعّال" أصل في المبالغة ، ومعدول عنه في الصنعة والحرفة ، و الثاني: إنّ " فعّال" أصل في الصنعة ، وإنما عدل عنها للمبالغة. انظر المقتضب ،المبرد ، **3** / **161** ، وشرح المفصل ، **6** / **13**

1963 – علل القراءات ، **225،1** ، الكشف ، **471،1** ، الموضح ، **546،2**

1964 – الأعراف، **116**

1965 – الموضح ، **546/2**

1966 – الحجة للفارسي ، **258/2** ، ا لكشف ، **472/1** ، البحر المحيط ، **360/4**

ث – ردّ حكم المختلف فيه إلى المتفق عليه ، و قد وقع الإجماع من القرّاء على وجه صيغة المبالغة "سحّار" في موضع الشعراء.1967

ج – دلالة الرسم على المعنى: إنّ المُتأمّل في قوله تعالى:" وَأَرۡسِلۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ" 1968 ، وقوله سبحانه:" وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ" 1969 يرى اتفاق الآيتين في المعنى ، و اختلافهما في مبنى كلمة السحر– على صيغة اسم الفاعل أو المبالغة –، فاختلفوا في الأعراف ، و اتّفقوا في الشعراء ، فهل يرجع الاختلاف لاحتمال الرسم في الأعراف دون الشعراء ؟ لقد وافق رسم لفظ " سحر " في سورة الأعراف ما ورد من قراءات متواترة ؛ فاحتمل القراءتين " سَـٰحِرٍ "و"سَحَّارٍ"، وأمّا موضع الشعراء فلم يرد الرسم بما يحتمل التغاير لتعيّن صيغته على وجه واحد هو لفظ "سَحَّارٍ "، فالرواية أصل الرسم ، و هو تابع لها ، ورُدّ سبب الاتفاق في موضع الشعراء ، والاختلاف في موضع الأعراف إلى أن لفظ" سَحَّرٌ" في سورة الشعراء جواب لقول فرعون عند استشارة القوم في أمر موسى عليه السلام " قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ" الشعراء 34 ، فناسب أن يكون جوابهم بما هو أبلغ من قوله ؛ رعاية لمراده 1970، و تطمينا لفؤاده ، وأمّا في الأعراف فجوابهم ورد بعد قولهم:" قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ" الأعراف 109 ؛ فلم يضطّروا لصيغة المبالغة إظهارا لصدق كلامهم.

ح– دلالة أسلوب العدول بالتغاير القرائي على ملامح الإعجاز النفسي:

لقد حقّق تكرار القصّة القرآنية في مواضع متعددة بنظمٍ مختلف و أحداث متكاملة مقصدين:

✵ – الأول: مقصد فني معجز تجلّى في تجدّد فنّيات الأسلوب القرآني ، وتفنّن أدوات العرض القصصي.

✵ – الثاني: مقصد تربوي نفسي تجلّى في تقرير المقاصد الإيمانية بتكرير مشاهد الحقائق القصصية 1971، فظهرت بأسلوب التكرار صورة الإعجاز بالإحكام، فقد تجسّدت مظاهره في قصّة موسى عليه السلام مع

1967 – ا لكشف ، 472/1

1968 – الأعراف ، 111–112

1969 – الشعراء ، 36–37

1970 – دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، عضيمة ، 22/4

1971 – سيكولوجية القصة في القرآن ، 116 .

فرعون من خلال عناصر القصّة القرآنية وهي الشخصية ، والحوار ، و الصراع ، والمفاجأة ، والعبرة ، أو النهاية ،1972 و لقد أشار العدول من صيغة ساحر إلى صيغة المبالغة سحّار إلى استجلاء حيلة نفسية فرعونية عجيبة تقوم على ممارسة فنية الاستبطان النفسي من خلال سبر أعماق المشاعر النفسية للبطانة الملكية للوقوف على عمق المواقف ، و مدى الاعتماد عليها في المواجهة المقبلة بعد ظهور قوّة حجّة موسى عليه السلام الخارقةُ ، وعمق تأثيرها في الأنفس ، و قد وظّف في تحقيق ذلك تقنيتين:

أ– اتّهام فرعون موسى عليه السلام بالسحر ابتداء ، ثمّ تنبيهه البطانة و الرعيّة إلى خطورة التهمة من خلال الوصف "قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ "1973

ب– الإيهام بالهلاك القادم من خلال الربط بين تأثير السحر و مفسدة الإخراج من الأوطان "يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "1974 ، و لقد استقرأت البطانة الفاسدة الإيحاء الفرعوني ، و استجلت ملامحه النفسية الضعيفة ، فأظهرت بفنية الإيحاء بالإيهام نفسية القوي أمام الطاغية فوظّفت المسالك التالية:

- دلالة فعل الأمر " أرجه " على تفادي الإسراع في أمر موسى و عدم الاكتراث به مّما يوحي بدلالة الاستهانة بحجته وقوته ، و قد يكون موقف الحاشية من جنس المقابلة فعاملوه بمثل ما عاملهم فوظّفوا الاستبطان النفسي لإذهاب الخوف عن أنفسهم بإيهامه بقوتّهم.

- دلالة العدول في صيغة المبالغة "سحّار" على الموافقة للطاغية للإيحاء بالغلبة لدلالة السياق على استعراض القوّة بكثرة العدد و التفوّق في الصنعة " قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ "1975 ، فيوحي الإيحاء بالإيهام سقوط وصف التكافؤ بين الفريقين ليزيد النفس شعورا بالقوة ، و يبثّ الطمأنينة في نفس الطاغية.

- دلالة لفظ العموم " كل" يدلّ على الإحاطة و الشمول ، فيفيد إحضار كل سحّار أحاط بصنعة السحر و برع فيها ، ثمّ لوّنوا الخطاب فعدلوا عن لفظ الساحر إلى لفظ السحّار للدلالة على منتهى التفوّق

1972 – التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين، ط4، **1980** ، دار الشروق، القاهرة ، **221–227** .

1973 – الشعراء ، **34**

1974 – الشعراء ، **35**

1975 – الشعراء ، **36 –37**

بصيغة المبالغة " فعّال "، ثمّ لمحوا بالقوة الباطشة ، و الغلبة القاهرة من خلال الصفة الدالة على المبالغة " فعيل" عليم– ليرفعوا قلق الطاغية و يسكّنوا من روعه 1976 ، فأسفر الخطاب القرآني عن وجه دلالتين نفسيتين :

الأولى: بيان مشهد حرب الهزيمة النفسية على موسى عليه السلام من خلال بث الخوف في روعه ، و بعث القلق في نفسه لتنيه عن دعوته ، و تنكيص حجّته.

الثانية: بيان إرادة رفع مشاهد الاستضعاف النفسي الباطني – لضغوط وقائع المساجلة– فقد أراد إظهار الاستهانة بموسى عليه السلام ، و الاستهزاء به "قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ" 1977 لكن أسفرت فلتات لسانه عن استعظام سحره من خلال وصفه بالعلم " ساحر عليم "، و أخرج تغيّر صفحات وجهه باطن خلجات جنانه ، و لقد صنعت الشخصية الفرعونية من هذه الأكذوبة دعوى الألوهية لتثبيت الباطل في نفوس الرعية ، فطلبت مسلك المكر1978 كمنهج نفسي في التعامل مع الغير لتتحقّق المناسبة بالمطابقة بين الغاية الفاسدة و الوسيلة القبيحة فأظهر القرآن إعجازه في بيان استبطان نفسية المكر والخديعة من خلال ما يلي:

❀ – قال تعالى:"إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعًا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡىِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ" 1979 ، فقسّم الطاغية المجتمع إلى طبقات متنافرة تحمل لواء البغضاء ، و متناحرة تتسربل بلباس العداوة ، ثمّ استضعف طبقة فأذلّها ، و استقوى بأخرى فأعزّها ، و سخّر أخرى لمآربه فشقّ عليها ، و أنعم على أخرى لولائه فأغدق عليها.1980

1976 – الزمخشري ، الكشاف ،1– 311

1977 – الشعراء ، 27

1978 – المكر تدبير خديعة في خفية بصرف الغير عن المقصود بحيلة لجلبه إلى مضرة. انظر لسان العرب، مادة مكر ،5 –183 ، و مختار الصحاح ، مادة مكر، ص 263 ، والقاموس المحيط ، مادة مكر، 1– 614

1979 – القصص ، 4

1980 – انظر تفسير الواحدي ،2– 812 ، و تفسير الصنعاني،3– 87 ، و تفسير زاد المسير، 6– 201

ﮋ – قال تعالى:"وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ "1981 ، ففرّق الأمّة طرائق قددا لتسهل عليه السيطرة عليها من خلال توظيف الفئة المنتفعة – بعد شراء ذممها – في الدفاع عن نظام الباطل.

ﮋ – قال تعالى:"وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ " 1982 ، و في الآية تصوير لمشاهد الاضطراب النفسي عند فرعون من خلال ما يلي:

– ادّعائه اعتراض الرعيّة له قتل موسى عليه السلام.

– الإيحاء النفسي الكاذب باعتراض الرعية هو " تمويهٍ لقومه و إيهاما أنّهم هم الذين يكفّونه ، وما كان يكفّه إلا ما في نفسه من هول الفزع."1983

– تقمّص نفسية الملك العادل الذي ينزل لرأي الرعية " ذروني " ليواري بها سوءة الاستعلاء و الاستكبار ، ثمّ أظهر الانفعال 1984 باستنهاض حميّة الجاهلية في الرعيّة من خلال استثارة التديّن المغشوش ، و الوطنية الباطلة ، و فرية تحرّي الإصلاح و محاربة الفساد فاستعار بمكره وصف الإظهار لتصوير خطورة فشو الفساد وانتشاره 1985، و مقصد خطابه الماكر قلب الحقائق الثابتة إلى أوهام باطلة في نفوس الرعية الغافلة بمسلك فنية الاحتيال النفسي الخفي ،كما يوحي توالي العبارات الفرعونية بتتابع متتاليات الخوف و القلق على نفسه متضمّنة الشعور اليقيني بقرب الهزيمة ، و حقيقة الإقرار بقوة موسى عليه السلام ، و صدق الرسالة الربانية

1981 – الزخرف ، **51 – 52**

1982 – غافر ، **26**

1983– الكشاف ، **423/3** .

1984 – الانفعال حالة نفسية ثائرة يضطرب لها الإنسانُ جسماً ونفساً، أو حالة وجدانية قوية طارئة مفاجئة وتظهر آثارها في السلوك الخارجي. انظر أصول علم النفس، أحمد عزت راجح ، دار القلم، بيروت ، ص**153**، وأسس علم النفس ،سماح رافع محمد ، ط **1972** ،الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ،ص**54**، و دراسات في علم النفس الأدبي ،حامد عبد القادر، ط **1949** ،المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي، القاهرة، ص**53**.

1985 – التحرير والتنوير ، **125/24** .

[1986] ، و لقد أسفر القرآن بمسلك الحوار استبطان أعماق الشخصية الفرعونية و بطانته الفاسدة لبيان انفعالاتها النفسية و أزماتها الوجدانية.[1987]

ﮋ– قال تعالى: " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ"[1988]، فامتزجت نفسية الضعيف المضطرب في صورة الخائف البئيس – من زوال الملك – بنفسية الحريص – على وحدة الأمّة في تراتها – الكذوب في صورة المكر الخفي الذي وظّف فنية الإيحاء النفسي للأمّة بخطورة الموقف من خلال التهويل بالإعلام الكاذب " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ "ليحقق ما يلي:

– ستر عورة الاضطراب و سوءة الخوف ، "ليموّه و يحاور و يداور ، كي لا يواجه الحق جهرة ، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهزّ عرشه ، وتهدّد الأساطير التي قام عليها ملكه."[1989]

– إيهام جماعات الفساد بنزول الهلاك من خلال إغرائهم ، و إيغال صدورهم بفرية الإخراج القسري من الأوطان ليجمعوا على نصرة الملك و إبقاء مصالحهم [1990] ، و مما يؤكد هذه الحقيقة تعظيم مشاهد التهويل من قبل إعلام السحرة الباطل ، و يرجّحه ورود لفظ السحر بوجهي التغاير القرائي من خلال صيغة – فعيل– و صيغة المبالغة – فعّال–

– نفسية التحايل باقتراح الحوار مع الأمّة و النزول للتشاور معها في القضايا المصيرية الكبرى " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ "من خلال إشعار النفوس بالخطر لتوهم الهلاك ، ثمّ التظاهر أمامها بحفظ مصالحها و

1986 – فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق خان ، **180/12** .

1987 – انظر النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، ط**1**،**1986** ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ص **72**،و الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ،فاتح عبد السلام ، ط**1**،**1999** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ،بيروت، ص**29**، والتعبير الفني في القرآن ،بكري ، ص **223**، و القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ،عبد الكريم الخطيب ، مطبعة المدني ،دار الفكر العربي، بيروت ،ص**121**، و سيكولوجية القصة في القرآن ،التهامي نفرة ،ط **1971** ، الشركة التونسية للتوزيع ، ص**411**

1988 – الأعراف ، **107 – 110**

1989 – سيد قطب، في ظلال القرآن ،**7– 183**

1990 –و بهذا المكر النفسي حملت جماعات الفساد رؤية فرعون و انتصرت لها كما صوّر ذلك القرآن في مواضع منها قوله تعالى:" قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "الأعراف، **110** و قوله تعالى:" قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ "طه، **63** ،**64** ،و قوله تعالى:" قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ "يونس،**78**

الحرص على أمنها و استقرارها " يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ " ليستنطق النفوس فيستقرئ إيحاءاتها فيحكم من خلالها على درجات ولائها و مصادر مواقفها و قراراتها " قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ " فرسم التغاير القرائي مشاعر الخوف في شخصية فرعون المتصنّع بمشاعر الحرص على الرعيّة و مصالحها و صوّر كذلك مشاهد الإتّباع الأعمى في نفوس الرعية.

- التغاير القرائي و الإعجاز التربوي - الأخلاقي -

-التربية لغة و اصطلاحا:

- التربية لغة:

يطلق لفظ التربية و يراد به إحدى المعاني الآتية:1991

أ– النماء و الزيادة:

التربية مصدر "ربّى" بالتشديد والألف المقصورة، أي التنمية، و"ربا" المخفّفة معناها زاد ونما1992،قال تعالى:" وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ "1993،وربا، يربو، ربواً، أي نما وزاد، و أربيته: إذا نمّيته1994 ، و "ربَّ الولد" أي رباه ، ومنه الربيب أي الصبي الذي ربيته ، والربيبة الصبية ، يقال: "الرابّة" امرأة الأب غير الأم تربي الولد وإن لم تكن أمّه ، و" الرّاب "زوج الأمّ 1995 قال تعالى:" وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلۡتُم بِهِنَّ "1996

1991 – ينظر: مدخل إلى التربية ، عبد الرحمن الباني ، ط2 ،1983م، المكتب الإسلامي بيروت ،ص 7–12 ،وأصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ،عبد الرحمن النحلاوي،ط1 ،1979م، دار الفكر ، دمشق ، ص 12–13.

1992 – ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة : ربا ، 14 / 304.

1993 – الحج : 5

1994 – لسان العرب ،ابن منظور ، 14/304– 306 ، " مادة ربا "

1995 – ينظر القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة: ربب ص135

1996 – النساء ، 23

ب- النشأة و الترعرع.

التربية مصدر "ربي" بكسرة الباء وفتح الياء من باب خفي يخفى ، و معناها نشأ وترعرع 1997 قال تعالى:" قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ " 1998 قال ابن كثير رحمه الله:" أي أما أنت الذي ربيناه فينا ، وفي بيتنا ، وعلى فرشنا ، وأنعمنا عليه مدّة السنين."1999

ت- التعليم.

الربّاني من الربّ بمعنى التربية ، وهو العالم المعلّم الذي يغذي الناس بصغار العلوم قبل كبارها ، و الربّاني الراسخ في العلم ، الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى 2000 ، والمصلح والقائم.2001

ث- سياسة الأمر و إصلاحه.

التربية مصدر" ربّ " بتشديد الباء على وزن مدّ يمدّ إذا أصلحه وقام عليه ورعاه ، أمره و ، و ربّ الأمر إذا تولاه ، و ساسه ،و أصلحته ومتنه وطيبه2002 ، و ربّاه: إذا أحسن القيام عليه ، وفي الحديث الشريف:" هل لك عليه من نعمة تربها.." 2003 أي تقوم بأسباب دوامها و إصلاحها 2004، وقال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا   يوم الخروج بساحة القصر
من درة بيضـــاء صـــافية   ممـــا تربب حـــائر البحر

والربيبة واحدة الربائب من الغنم التي يربّيها الناس في البيوت لألبانها.2005

1997 – لسان العرب ،ابن منظور، 307/14 ، مادة ربا، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ، تحقيق العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5 ، 1406هـ ،ص 1659 ،مادة ربا.

1998 – الشعراء ، 18

1999 – تفسير ابن كثير، 3 / 344 .

2000 – لسان العرب ،ابن منظور، مادة : رب 403/1

2001 – معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس، 381/2–282 ، " مادة : رب ".

2002 – كتاب العين، الخليل الفراهيدي ، تحقيق المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال ،بيروت ، 257/8، " باب: رب "

2003 – مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح ،كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب في الله ،رقم الحديث 2567.

2004 – غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،ط1 ، 1985م، دار الكتب العلمية، بيروت ، 371/1.

2005 – ينظر لسان العرب ، ابن منظور، 304/14

ج- التملّك:

قال تعالى:" ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ"2006 قال ابن كثير رحمه الله:" أي والربّ هو المالك المتصرّف ، و يطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى."2007

- التربية اصطلاحاً.

للتربية في الاصطلاح تعاريف متعددة منها:

أ – تلقين الناشئة أصول الأخلاق و الفضائل ، ومبادئ الصلاح و العمارة.2008

ب – بناء الشخصية الإنسانية وفق قواعد الأخلاق الفاضلة في القرآن الكريم ، و السنة النبوية.2009

ت – تعهّد الشخصية الإنسانية بالتأديب والتعليم بتنمية مكوناتها العقلية و الجسدية والروحية و النفسية و الخلقية.2010

ث – حسن توجيه الفطرة الإنسانية بالأسلوب الأمثل نحو المقصد الأحسن.2011

ج – تشكيل الشخصية السوّية المتكاملة في جميع جوانبها روحيا وعقليا ووجدانيا و خلقيا

واجتماعيا وجسميا والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها.2012

ح – تنشئة الإنسان تدريجيا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي.2013

إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام.2014

خ – تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا .2015

2006 – الفاتحة ، 2

2007 – تفسير ابن كثير ، 1 / 131

2008 – انظر التربية الحديثة ، محمد كرما ، ص33 .

2009 – انظر التربية الإسلامية في ، علي عبد الحليم محمود ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ،القاهرة ،486 .

2010 – انظر التربية الإسلامية في المجتمع ، علي عبد الحليم محمود، 224 .

2011 – انظر وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، عبد الحليم محمود، ط 1 ، 1997 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي، ،القاهرة ،ص13.

2012 – انظر أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، عبد الحميد الصيد الزنتاني ، ص25

2013 – انظر أصول التربية الإسلامية ، خالد بن حامد الحازمي ، ص19

2014 – انظر مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، 1 / 375

د – المداومة وعدم الانقطاع المتضمّن للنماء و الزيادة ، مع الحفظ والرعاية وذلك في كل ما يتعلّق بالإنسان من جوانبه المتعددة كالروح والقلب والعقل والجسد.2016

و من حدود هذه التعاريف يتلخّص مفهوم التربية في الآتي:

التربية تنشئة الطفل بالتدرّج ، وتكوينه تكوينا متكاملا و منسجما يستوعب نواحي حياته العقلية والروحية و النفسية و الجسمية 2017 وفق عملية توجيه مستمرة وتهذيب واعية ، بحيث تصل بالفرد إلى الكمال الإنساني ، وترشده إلى شروط الخلافة الهادفة إلى صلاح المعاش في الدنيا ، و سعادة المعاد في الآخرة.2018

- التربية في القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ التربية في القرآن الكريم في موضعين:

– أوّلهما قوله تعالى:" وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "2019، و تدلّ التربية في هذه الآية على مسؤولية الوالدين في الإعداد الأسري ، والرعاية الكاملة للطفولة.2020

– ثانيهما قوله سبحانه:" قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ "2021 ، و أشار لفظ التربية إلى امتنان فرعون على موسى عليه السلام بنعمة الرعاية مدة تربيته له 2022 ، و لقد أضاف القرآن الكريم معاني أخرى منها:

– التزكية الروحية: 2023 قال تعالى:" هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ" 2024 ، تزكية تقوم على تطهير العقول من الشبهات ، والقلوب من الشهوات ،و العمل من مفسداته و السلوك من معوقاته ، وتطهير للأسرة و المجتمع.2025

2015 – انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،البيضاوي ، **1/ 4**

2016 – انظر نحو تربية إسلامية الراشدة من الطفولة حتى البلوغ ، محمد شاكر الشريف ، **13**

2017 – انظر أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي ،**28/1**.

2018 – انظر الفكر التربوي وتطبيقاته ،أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ،ط**1** ، **1984**م ،كتبة وهبة ،القاهرة ،**131**.

2019 – الإسراء **24**

2020 – ينظر التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، **11/ 123**

2021 – الشعراء ، **18**

2022 – ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ،**3** / **344**.

– التعليم و الهداية:2026 قال تعالى:" وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾"2027 ، و الرباني المعلّم و المرشد و المزكّي 2028 قال تعالى:" وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا"2029

- التربية في السنّة النبوية:

لقد أشار لفظ التربية في السنة النبوية إلى دلالات متعددة منها:

أ– التأديب: و منه حديث أبي بردة رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسِن أدبها ، ثمّ يعتقها فيتزوّجها فله أجران."2030

ب – الرعاية و الصيانة: و منه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيّته "2031 ، و" الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره ، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه ، و القيام بمصالحه في دينه ودنياه و متعلّقاته."2032

- مقاصد التربية في الإسلام:

التربية في الإسلام وظيفة شرعية ، و رسالة حضارية ، و عملية تهدف إلى تكوين النفس الإنسانية لتحقيق الأهداف التالية:

– إصلاح مناحي المعاش في الدنيا و حقائق معاد في الآخرة.2033

2023 – التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي ن 4195/1

2024 – الجمعة ، 2

2025 – في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 7 / 202

2026 – ينظر المحرر الوجيز ،ابن عطية الأندلسي ، 65/1

2027 – آل عمران ، 79

2028 – انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير1 / 385،و التحرير و التنوير لابن عاشور 9/ 261

2029 – الأنبياء 73

2030 – صحيح البخاري ،كتاب الجهاد والسير، باب من أسلم من أهل الكتابين، رقم الحديث :2789 ، 10/ 202

2031 – صحيح البخاري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، رقم الحديث 844 ، 3/ 414

2032 – شرح النووي على صحيح مسلم ، باب فضيلة الإمام العادل و عقوبة الجائر، 6 / 300

2033 – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ، عبد الحليم محمود ، ص2

– الارتقاء بالنفس البشرية نحو مناحي الكمال البشري.2034

– تحقيق التكامل الذاتي بين عناصر الشخصية الإنسانية من خلال تنشئة الفرد نشأة تتكامل فيها الخصائص الخلقية والروحية والنفسية والاجتماعية والفكرية والبدنية بصورة شاملة.2035

– إعداد الإنسان الصالح الذي يحمل رسالة الدعوة ، و أعباء الخلافة ، و تكاليف العمارة.2036

– آثار التربية الإسلامية:

أ– آثار التربية الإسلامية على الفرد:

تحقّق التربية الإسلامية في حياة الفرد راحة وطمأنينة للنفس ، و تغرس في الفرد آثارا حميدة منها:

❋– الأمن العقدي:

قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "2037 قال القرطبي:" و مما يتعبّد الإنسان به مجاهدته لنفسه على طاعة الله تبارك تعالى ، فيربيها على الانقياد لأوامر الله ، وإلزامها ترك ما نهى عنه الشرع ، وهذه المجاهدة التربوية النفسية من أعظم أنواع المجاهدة حتى قيل إنها الجهاد الأكبر."2038

❋– الأمن النفسي:

فالتربية الإسلامية القائمة على أساس التوحيد الصحيح تغرس في الروح الإنسانية الطمأنينة النفسية و الاستقرار و السكينة.2039

ب– آثار التربية الإسلامية على الأسرة:

❋ – الأمن العقدي للأسرة:

من خلال استشعار حقائق المسؤولية الشرعية و تبعاتها العظيمة في الدنيا و الآخرة قال تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ

2034 – أسس ومهارات الدعوة الفردية ، إبراهيم الديب ، ص**33**

2035 – أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الصيد الزنتاني ، ص**38**

2036 – التربية ودورها في تشكيل السلوك ، مصطفى الطحان، ص**35**

2037 – الذاريات ، **56**

2038 – تفسير القرطبي ، **17 / 38**

2039 – ينظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن القيم الجوزية ، **37/1**

وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ " 2040 قال ابن كثير: أي علّموهم وأدّبوهم 2041 ، و قال صلى الله عليه وسلم:" كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّته."2042

❋ – الأمن الاجتماعي الأسري:

من خلال حسن العلاقات بين الوالدين و الأولاد القائمة على البرّ و الإحسان قال تعالى: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا "2043 ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد فقال: أحيّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد.2044

ت– آثار التربية الإسلامية على المجتمع:

صلاح الفرد لبنة في صرح صلاح الأسرة و صلاح الأسرة لبنة في صرح صلاح المجتمع الذي يتحقّق به ما يلي:

❋ – الأمن الاجتماعي:

إنّ أعظم أمارة تدلّ على العلاقة الوطيدة بين تحقّق الأمن الاجتماعي و تأصّل شرط الصلاح في أفراد المجتمع هو مبدأ بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى:" كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ "2045 الذي يحفظ الحقوق المتبادلة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه "2046 ، و يصون الحريات العامّة ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" 2047 ، و بهذا يتحقّق التماسك الاجتماعي القوي بين الأفراد في كل مناحي الحياة 2048 قال تعالى: "

2040 – التحريم ، 6

2041 – ينظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير 4/ 417

2042 – صحيح البخاري ،كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، رقم الحديث 844 ، 3/ 414

2043 – الإسراء ، 23 – 24

2044 – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم الحديث 2782 ، 2/ 359 .

2045 – آل عمران ، 110

2046 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم الحديث 181 ،1 / 49

2047 – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث 9 ، 1/ 15

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ"2049

- الأخلاق لغة و اصطلاحا:

- الأخلاق لغة:

جمع خلق ، و الخلق اسم لسجية الإنسان و طبيعته التي خلق عليها ، وهو مأخوذ من مادة " خ ل ق " التي تدل على تقدير الشيء.

– قال ابن فارس:" الخلق: هو السجية لأنّ صاحبه قد قُدّر عليه يقال: فلان خليق بكذا: أي قادر عليه وجدير به ، وأخلق بكذا أي ما أخلقه ، و المعنى هو ممن يقدر فيه ذلك ، والخلاق: النصيب لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه."2050

– قال ابن منظور: الخُلُق: بضم الخاء وسكونها الدين والطبع و السجية ، وحقيقته أنّه صورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه ، و أوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة."2051

– قال الراغب الأصفهاني: " الخَلْقُ والخُلُق في الأصل واحد لكن خصّ الخَلْقُ بالهيئات و الأشكال ، والصور المدركة بالبصر ، وخصّ الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، والخلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال تعالى:" مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ"، و الخلاق النصيب ، وقيل: الدين ، و قيل: القوام ، وقيل الخلاص ، وقيل القدر."2052

2048 – ينظر التربية الاسلامية الأصول والتطبيقات ، محمد عبد السلام العجمي، ص**16**

2049 – الحشر ، **9**

2050 – مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ، **214/2**

2051 – لسان العرب ، ابن منظور ، **244/2**

2052 – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص**164** ، و انظر البحر المحيط ، ابن حيان ، **503/1** و الآية **102** من سورة البقرة .

– قال الماوردي عند تفسير قوله تعالى: " و إنّك لعلى خلق عظيم " في الخلق العظيم ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن ، والثاني: دين الإسلام ، والثالث: الطبع الكريم وهو الظاهر، وحقيقة الخُلُق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ،سمّي بذلك لأنّه يصير كالخلقة فيه."2053

- الأخلاق اصطلاحاً:

– قال الجرجاني:" الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سمّيت الهيئة خُلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً ، وإنّما قلنا إنّه هيئة راسخة لأنّ من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه. "2054

– قال الجاحظ:" الخلق هو حال النفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة و الاجتهاد ،كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل ، وكالشجاعة والحلم والعفة و العدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة."2055

– قال الماوردي:" غرائز كامنة تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار."2056

– خصائص التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية ثمرة الشريعة و الشريعة الإسلامية " عقيدة تخاطب العقل ، وعبادة تزكي النفس ، وأخلاقاً تجانس الفطرة ، وأحكاماً تحقّق التوازن و العدل ، وتطارد المفاسد وتجلب المصالح وتعطي كل ذي حق حقه ، لا طغيان لفرد على مجتمع كما هي فلسفة الرأسمالية ، ولا مجتمع على فرد كما هي فلسفة الماركسية ، بل توازن وتكامل بلا طغيان ولا إخسار في الميزان " 2057 ، و للتربية الإسلامية خصائص عدّة وسمات كثيرة منها:

2053 – النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، 6/61–62

2054 – التعريفات ، الجرجاني ، ص104

2055 – تهذيب الأخلاق ، للجاحظ ، ط1 1410 هـ / 1989 م ،دار الصحابة للتراث ،القاهرة ، ص12

2056 – تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الماوردي، تحقيق رضوان السيد ، ط1 1987 م ،دار العلوم العربية للنشر، القاهرة ،5

2057 – القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 80

أ -الربّانية.

و المقصود بوصف الربّانية أنّها مستمدّة من كتاب الله تعالى و سنّة رسوله صلى الله عليه و سلم الكريم لتكون منهجاً في غرس العقيدة الصادقة و العبادة الكاملة والأخلاق الفاضلة و المعاملات الصحيحة قال تعالى: " تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣"2058 ، فمصدر التربية الأخلاقية الكمال قال تعالى:" إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون "2059 ،و لقد حرص النبيّ صلى الله عليه و سلم على ترسيخ التربية الإسلامية من خلال غرس المعاني الإيمانية لتثبيت العقيدة الإسلامية في قلوب المؤمنين فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه و سلم يوما فقال لي: "يا غلام إنّي أعلّمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سالت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف "2060 ، و عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله ،أوصني قال:" اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك في الموتى ، واذكر الله عند كل حجر وشجر ، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة ، السرّ بالسرّ و العلانية بالعلانية "، 2061 و بهذا يتحقّق كمال التلقي و الاتّباع قال تعالى:" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ "2062 ، و قال سبحانه:" إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا "2063، والربانية في التربية الإسلامية تربط المسلم بخالقه فتجعل لوجود الفرد المسلم مقصد منشود ، و لعمارته الكونية هدف له مردود ، حيث تسمو الأخلاق ، و تزكو الأنفس لتقوي

2058 – فصلت ، 2 ، 3

2059 – الحجر ، 9

2060– سنن الترمذي ، ج 4 ص 285

2061 – البيهقي، السنن الكبرى، ج1 ص 405

2062 – الأنعام ، 162

2063 – الإسراء ، 9

المعاني التربوية بصلة التفاعل مع ظواهر الكون المفتوح ، و مجالات الحياة المتعدّدة بمختلف المعارف العلمية.2064

ب – الشمولية و الاستيعاب.

لقد تميّزت التربية الإسلامية عن غيرها من الأديان و الفلسفات الوضعية بخاصيّة الشمول لتستوعب حركة الزمن و سعة المكان من البعثة إلى قيام الساعة ، و مجالات الحياة كلّها الفردية و الجماعية ، و كيان الإنسان كلّه فهي تهتمّ بشخصية الفرد في أبعادها المتعدّدة و جوانبها المختلفة الجسمية ، و العقلية ، و الروحية ، و النفسية ، و الاجتماعية 2065 ، وتتّسم التربية الإسلامية بالشمول في نظرتها لوحدة الإنسانية باعتبار البشرية كلّها خلقها الله عز و جل للتعارف على الخير و الاجتماع عليه قال تعالى:" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ "2066

ت – الوسطية و الاعتدال.

تمتاز التربية الإسلامية بالوسطية فجعلها وصفا ثابتا للمصدر و الفعل و المتّبع قال تعالى:" وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَـٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا " 2067 ، و هذه " قاعدة عظيمة تجعل الإسلام وسطاً قائماً على التوسط والاعتدال لا إفراط و لا تفريط ، والذين لا يتقيّدون بهذه القاعدة ولا يعملون على تحقيق التوازن بين اهتماماتهم ويغالون في أكثر الأحيان يفقدون عنصر الاستقرار في حياتهم ، ولا يملكون القدرة على الاستمرار"2068 ،و الأصل في ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا. "2069

2064– التربية الإسلامية الأصول و التطبيقات ، محمد عبد السلام ، **46**

2065 – القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، ص**98**

2066 – الحجرات ، **13**

2067 – البقرة ، **143**

2068 – فتحي يكن ، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص **56**

2069 – البخاري

ث – الواقعية.

المقصود بالواقعية مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين 2070 ، و تعتبر التربية الإسلامية حقيقة يقينية تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن ، والأثر الواقعي الإيجابي ، لا مع تصوّرات عقلية مجردة ، ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع ، أو لا وجود لها في عالم الواقع 2071، و لقد بيّنت التربية النبوية طبيعة الواقعية من خلال التفسير العملي كما في قصّة حنظلة رضي الله عنه قَالَ لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَ الْأَوْلَادَ وَ الضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَ الْأَوْلَادَ وَ الضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ."2072 واقعية تنطلق من واقع مقاصد التشريع الإسلامي الذي يؤسس لليسر و المرونة قال تعالى:" لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا "2073 ،و قال سبحانه:" يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ"2074 ، و قال جلا و علا:" لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٌ "2075 ،و قاعدة الضرورات التي تتوافق مع قدرات الإنسان العقلية و النفسية و الجسدية.

2070 – القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، ص 149

2071 – سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ،ص 192

2072 – صحيح مسلم ، ج 4 ص 94

2073 – البقرة ، 286

2074 – البقرة ، 185

2075 – النور ، 61

ج - التدرّج و المحلية.

التدرّج من أهم أدوات التغيير الاجتماعي ،و من أنجح أساليب إصلاح النفس البشرية ، و لما كانت النفس مجبولة على حبّ الدنيا متعوّدة على ملذاتها شقت عليها المفارقة، و صعب إصلاحها فهي تحتاج إلى جهد كبير موصول مع تدرّج دقيق معقول وفق قاعدة الموازنات و فقه الأولويات ، فلا " يحصل كل شيء دفعةً واحدةً ، لا في الأخلاق ولا في العلم ، لذلك لابدّ من التدرّج الدقيق في التطبيق ،خطوة خطوة حتّى يتمّ الوصول ، أمّا إذا كان الدفع نحو الكمال سريعاً شديداً فقد يحدث ذلك فترة ثمّ يؤدي إلى انقطاع."2076

ويتّضح ذلك من توجيهه صلى الله عليه و سلم لمعاذ رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن ، وقد حدّد له وظيفة التغيير و الدعوة و التربية فعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم بعث معاذا إلى اليمن فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم."2077

ح - الإيجابية:

تنبثق صفة الإيجابية في التربية الإسلامية من خلال " شعور الإنسان بكرامته ومكانته في هذه الحياة وفي هذا الكون ، وإن الله استعمره في الأرض فطلب منه أن يعمّر الأرض بالحق والعدل والحضارة "2078 ، وتتجلّى مظاهر الإيجابية في التربية الإسلامية في تبصير المسلم بمسؤوليته الشرعية في الحياة و بوظيفته الحركية إلى قيام الساعة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها "2079 ، و تتكامل الإيجابية عند تواطؤ الطاقات الإنسانية كلّها وارتباطها ببعضها البعض ،ليتحوّل الكائن البشري إلى طاقة إيجابية عاملة في الوجود هادفة في الحياة ، إيجابية سويّة موجّهة نحو الحقّ.2080

2076 – سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار الأرقم ، عمان ، ص 112

2077 – صحيح البخاري ، ج 1 ص 104

2078 – النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر، دمشق ص 1

2079 – أحمد بن حنبل، المسند ج 20 ص 251

2080 – سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج1 ص 30

- التغاير القرائي و الإعجاز التربوي." القلب المتكبّر نموذجا "

و لقد مثّلنا لعلاقة التغاير القرائي بالإعجاز التربوي الأخلاقي بقوله تعالى:" ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾"2081

- التوثيق القرائي :

– لفظ قلب:2082

– قرأ بالتنوين أبو عمرو و ابن ذكوان و الأعرج بخلاف عنه و ابن عامر بخلاف عنه.

– قرأ بالإضافة ابن كثير و نافع و الكسائي و حمزة و حفص عن عاصم.

– حقيقة القلب:

تظهر أهمية القلب في الشريعة الإسلامية من خلال ما يلي:

أ – الحقيقة المادية: القلب عضلة صنوبرية تعلّقت بها الحياة البشرية.

ب – الحقيقة اللغوية: القلب مركز الشيء و لبّه ، و اللبّ أصل و الأصل محتاج إليه.

ت – الحقيقة الشرعية: القلب مناط تكليف فهو محل التدبّر و الفهم ، و سلطان الجسد التابع و عليه فإنّه سبب الهداية و الضلال قال صلى الله عليه و سلم:".. ألا و إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كُلُّه ، و إذا فَسدت فسد الجسد كُلُّه ألا وهي القلب."2083

- القلب لغة و اصطلاحا:

- القلب لغة:

قال ابن فارس: قلب القاف و اللام و الباء أصلان صحيحان : أحدهما يدلّ على خالص شيء و شريفه ، و الآخر يدلّ على ردّ شيء من جهة إلى أخرى ، فالأول القلب: قلب الإنسان و غيره لأنّه أخلص شيء فيه

2081 – غافر ، 35

2082 – إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات السبع ، علي محمد الضباع، ط 2006 ، دار الصحابة للتراث، طنطا ،مصر، ص351 ،التذكرة في القراءات الثمان ،ج2 ص 534

2083 – البخاري ، الجامع الصحيح ، رقم 52 ، و مسلم ، الجامع الصحيح ،رقم 1599 .

و أرفعه ، و خالص كلّ شيء و أشرفه قلبه 2084 ،و سمّي قلب الإنسان قلبا لكثرة تقلّبه، ويعبّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الروح والعلم و الشجاعة وغير ذلك 2085 قال الأزهري: " و رأيت من العرب من يسمّي لحمة القلب بشحمها وحجابها قلباً ، ورأيت بعضهم يسمونه فؤاداً ، ولا أنكر أن يكون القلب هي العلقة السوداء في جوفه و الله أعلم ، لأنّ قلب كل شيء لبّه و خالصه "2086 ، و قد يرد القلب أخصّ من الفؤاد في الاستعمال يشهد له قوله صلى الله عليه و سلّم:" أتاكم أهل اليمن ، هم أرقّ قلوباً وألين أفئدة.."2087 ، فوصف القلب بالرقّة ، والفؤاد باللين ، لأنّه أخص ّمن الفؤاد 2088 ، والقلب لطيفة ربّانية أودعها الله تعالى الإنسان فهي الحقيقة الإنسانية و النفس الناطقة و الروح الباطنة و مصدر الإدراك و المخاطب بالتنزيل ،2089 و قد يعبّر بالقلب عن العقل قال تعالى:" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ "2090

- القلب اصطلاحا:

اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للقلب على ما يأتي:

أ – القلب باعتباره عضوا و مادة: فهو " عبارة عن مضخّة عضلية في حجم قبضة اليد ، وهو يضخّ الدم بسرعة خلال الجهاز الوعائي ، والقلب يقع في التجويف الصدري ، وينبض باستمرار حوالي **70** إلى **80** نبضة كل دقيقة ، وينظم هذا المعدل تبعاً لظروف الجسم المتغيرة، ويضخ القلب الدم في الأوعية الدموية التي تتفرع لأصغر فأصغر، حتى تصبح كل خلية من خلايا الجسم تقريباً قريبة من شعيرة دموية ، مما يسمح

2084 – أحمد بن فارس الرازي ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس، ط**1**، **1420** هـ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ج**2** ،ص**366**

2085 – انظر معجم مفردات اللغة الراغب الأصفهاني ، ص **426** ، و لسان العرب ابن منظور ، ج **1** ص **685**

2086 – تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري ، ج**9** ص**17**

2087 – مسند أحمد بن حنبل ج **13** ص **156** رقم الحديث **7723** .

2088 – انظر تاج العروس ، الزبيدي ، ج **4** ص**7**

2089 – الجرجاني ، التعريفات ،وضع حواشيه ،محمد باسل العود ،ط **2** ،**1424**،دار الكتب العلمية ، بيروت ، **179**

2090 – سورة ق الآية **37**

بتبادل العناصر الغذائية والأكسجين " 2091 ، و قيل:" القلب هو عضو عضلي أجوف هرمي الشكل تقريباً ، موضوع في تجويف الصدر إلى اليسار من الرئتين." 2092

ب – القلب باعتباره نفسا و وجدانا: فهو عبارة عن " لطيفة ربّانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، ويسمّيها الحكيم النفس الناطقة ، والروح الباطنة ، والنفس الحيوانية مركبة ، وهي المدرك ، و العالم من الإنسان ، والمخاطب ، والمطالب ، والمعاتب.."2093 ، و قال أبو حامد الغزالي:" القلب يطلق لمعنيين: أحدهما: اللحم المعروف الذي يضخ الدم ، و الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها تعلّق بهذا القلب الجسماني ، وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، والمدرك العام العارف منه ، والمخاطب بالتكليف ، والمجازي عليه.."2094 ،و يقول سعيد حوى:" إنّ هناك قلباً محسوساً لكل الناس يشترك فيه الإنسان مع كثير من المخلوقات هو القلب الدموي ، هذا القلب الذي له وظيفة المضخة الدموية هو مركز لقلب آخر هو مركز الأحاسيس الوجدانية ، من حب و بغض وحقد وسماحة وخوف وأمن ، وهذه القضايا كذلك محسوسة لكل الناس ، إذ كل الناس يحسون بشيء من هذه المعاني في قلوبهم هذا القلب الثاني هو محل الإيمان الذوقي ، وهو محل الكفر والنفاق كذلك ، وهنا نجد أموراً محسة عند بعض الناس وغير محسة عند آخرين ، فأهل الإيمان يحسون بمعانٍ كثيرة في قلوبهم ، هذه المعاني لا يحس بها الكافرون ، لأن ّهذا الجانب في قلوبهم ميت ، هذا القلب المرتبط بالقلب الدموي ليس هو عين القلب الدموي ، بدليل أن ّالذين أجريت لهم عمليات استئصال لقلوبهم ، وأعطوا قلباً آخر ، لم تتغير أحاسيسهم..،هذا القلب في المصطلح الشرعي يمرض ويصحّ ويعمى ويصمّ..،هذا القلب في المصطلح الشرعي مقره الصدر لا كما توهّم بعضهم أنّ مقره الدماغ ، قوله تعالى:"أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ "2095، فحدّد

2091 – علم حياة الإنسان ، مدحت حسين ، ص 3

2092 – المبادئ الأولية في بنيان جسم الإنسان ووظائف الأعضاء ، شفيق عبد المالك ، ص 131

2093 – التعريفات، الجرجاني ،ج 1 ص5

2094 – أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين، ط2 ،1425 هـ ،دار الواعي ،ج2 ص4 ، و انظر التبيان في أقسام القرآن ، ابن القيم الجوزية ،ط1 ،2004 ، دار الأفكار الدولية ، بيروت، ص330

2095 – الحج ، 46

مكانها في الصدور"2096 ، و" التركيز على قضية القلب من أهم ملامح التربية القرآنية والنبوية ، وقد أهمل الناس هذا إلا القليل ، والقليل عنده دخن كثير إلا أقلّ القليل ، ولأنّ الجزء الأكبر من التكاليف الربّانية منوط بالقلب ، فإنّ على الإنسان أن يتنبّه لذلك.."2097

- الألفاظ الدالة على القلب

أ – الفؤاد: و ورد في القرآن متعلّقا بأمرين:

– تعلّقه بالحساب كقوله تعالى:"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾"2098

– تعلّقه بالشكر كقوله تعالى:"وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾"2099

ب – الروع: و هو خلد الإنسان و باله 2100 ،و منه قوله صلى الله عليه و سلم:" إنّ روح القدس نفث في روعي أنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها."2101

ت – الصدر:

دليل ذلك قول الله تعالى:" إِنَّ الَّذِيْنَ يَجادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بغْيرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرَ ما هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"2102 " أي: إرادة التقدم والرياسة ، وألا يكون أحد فوقهم ، فلهذا عادوك ودفعوا آياتك ، خيفة أن تتقدمهم ، ويكونوا تحت أمرك ونهيك ؛ لأنّ النبوة تحتها كل ملك ورياسة ، أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك ، حسداً وبغياً ، أو إرادة دفع الآيات بالجدل "2103 ، و" الكبر

2096 – سعيد حوى ،الأساس في التفسير ج 1 ص8

2097 – المرجع نفسه ،ج 1 ص8

2098 – الإسراء ، 36

2099 – النحل ، 78

2100 – محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط 1424 هـ ، دار الحديث ، القاهرة، ص 153

2101 – الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط3 ، 1405 هـ ،المكتب الإسلامي، بيروت، رقم الحديث 5300

2102 – غافر ، 56

2103 – الأساس في التفسير، سعيد حوى ، ج 9 ص 49

من الانفعالات النفسية وهو إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنّه أعظم من غيره والمعنى: ما يحملهم على المجادلة في آيات الله إلا الكبر على الذي جاءهم بها ، وليست مجادلتهم لدليل لاح لهم ، وقد أثبت لهم الكبر الباعث على المجادلة بطرق القصر ، لينفي أن يكون داعيهم إلى المجادلة شيء آخر غير الكبر على وجه مؤكد ، فإنّ القصر تأكيد على تأكيد لما يتضمّنه من إثبات الشيء بوجه مخصوص مؤكد."2104

- وظائف القلوب:

القلب محلّ التعقّل:" العقل غريزة قد وهبها الله سبحانه وتعالى لمخلوقه الإنسان ، ليتميز بها عن غيره من المخلوقات في إدراك عالمه الذي يحيط به "2105 ، و ذُكر العقل في القرآن بتصاريف متعددة منها:

أ – عَقَلوه: وردت في موضع واحد من القرآن ، في قوله تعالى:"﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾"2106

ب – تَعقلون: وردت في أربعة وعشرين موضعاً من القرآن ، منها قوله:" ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ "2107

ت – نَعقلُ: وردت في موضع واحد من القرآن قوله تعالى:"وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾2108

ث – يعقُلها: وردت في موضع واحد من القرآن ، في قوله تعالى:"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾2109

ج– يعقلون: وردت في اثنين وعشرين موضعاً من القرآن ، منها قوله تعالى:"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ "2110، و" الآيات

2104 – التحرير والتنوي ، ابن عاشور ، ج 28 ص 10
2105 – نقض أصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ، ج 1 ، ص 2
2106 – البقرة ، 75
2107 – البقرة ، 44
2108 – الملك ، 10
2109 – العنكبوت ، 43
2110 – البقرة ، 170

القرآنية التي يفهم منها كون العقل في القلب ، فذلك من قبيل الإطلاق العرفي السائد في الكلام ،و الذي يراد به العقل ،فيقال: لا قلب عنده ،أي: لا عقل له أما القيم الأدبية أو الأخلاقية فمحلّها القلب باعتباره المعبر عن النفس الإنسانية التي لا حياة لها إلا بالقلب"2111 ،و يطلق لفظ العقل على وظيفة القلب الأساسية و هي الجهد التفكيري و العمل التأمّلي قال ابن تيمية:" صلاح القلب وحقه ،والذي خُلق من أجله هو أن يعقل الأشياء ، لا أقول يعلمها فقط ، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له ، بل غافلاً عنه ملغياً له ،و الذي يعقل الشيء هو الذي يقيّده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه ، فيكون وقت الحاجة إليه غنياً ، فيطابق عمله قوله ، وظاهره باطنه ، وذلك هو الذي أوتي الحكمة " 2112 ، وهذه الوظيفة – التي هي القدرة على التعقل– موجودة لدى سائر العقلاء من الناس ، لكن منهم من استفاد منها – بإذن الله– ومنهم من عطّلها ، أو استخدمها في غير ما ينبغي لها ، لذلك لام الله الكفار على عدم التعقل ، وقد بيّن القرآن الكريم أن القلب محلاً للتعقل ، وجاءت نصوص قرآنية كثيرة تدّل على ذلك منها:

– قوله تعالى:"أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ "2113 ، فالعقل من خصائص القلوب فهو الإرادة المدركة و القوة القادرة على ردّ الأهواء و الشهوات 2114 قال الرازي:" قُلُوْبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا "دلالة على أنّ القلب آلة لهذا التعقل ،فوجب جعل القلب محلاً للتعقل." 2115

– قوله تعالى:" وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ "2116، فقوله تعالى:" صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌّ فُهُمَ لاَ يَعْقِلُونَ " شاهد على أنّ الذين " كفروا في قلّة فهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت الذي يسمعه...فكذلك

2111 – التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، ج 9 ص 1

2112 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ،ج 9 ، ص309

2113 – الحج ، 46

2114 – الأخلاق الإسلامية و أسسها ، عبد الرحمن الميداني ،ج1 ، ص 281

2115 – الرازي ، التفسير الكبير، ج 23 ص 45

2116 – البقرة ، 171

الكافر ، مثله في قلّة فهمه لما يؤمر به ، و ينهى عنه بسوء تدبره إياه ، وقلّة نظره وفكره فيه ، مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهي عنه." 2117

- الاستكبار لغة و اصطلاحا:

- الاستكبار لغة:

هو إظهار العظمة و التجبر والتعاظم ، ومنه قوله تعالى:"سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾"2118 ، والمتكبّرون " يرون أنّهم أفضل الخلق ، وأنّ لهم من الحقّ ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة لا تكون إلا خاصّة لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة و الفضل الذي ليس لأحد مثله ، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبّر ، وليس لأحد أن يتكبّر لأنّ الناس في الحقوق سواء ، فليس لأحد ما ليس لغيره."2119

- الاستكبار اصطلاحا:

الكبر من أخطر الأمراض الخلقية على النفوس البشرية ، و تكمن حقيقته في شعور يظهر به الإنسان إعجابه بنفسه في صورة استعلاء لازمه احتقار الغير، و التعاظم عليهم بالقول أو الفعل ، و النيل منهم ، و ردّ الحقّ الصادر عنهم 2120 قال الراغب الأصفهاني:" الكبر هو ظنّ الإنسان بنفسه أنّه أكبر من غيره ، والتكبّر إظهار لذلك " 2121 قال تعالى:"۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ " 2122 في الآية تفسيران:

✹– أحدهما: تكبّروا في أنفسهم لما قلّ في أعينهم من إرسال محمّد صلى الله عليه و سلّم نبياً إليهم.

2117 – جامع البيان ، الطبري ج 2 ص 81

2118 – الأعراف ، 146

2119 – لسان العرب ،ج5 ، ص 15

2120 – انظر آفات على الطريق ، سيد نوح، ج 1 ص 8 ،و التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، محمد عز الدين توفيق ، ص374

2121 – الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص29

2122 – الفرقان ، 21

✵– ثانيهما: استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم.2123

و عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" لا يدخل الجنّة من كان في قلبه ذرّة من كبر "،فقال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ،قال: إنّ الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس "2124 ، و الحديث حجّة دقيقة وافية لحقيقة لطيفة قلّما يُتفطّن لها و هي أنّ الكبر المذموم ليس في الشكل واللباس ، وإنّما محله القلب و حقيقته بطر الحقّ و غمط الخلق .

– لطائف الأسرار من تدبّر ألفاظ التكبّر.

أ– الكبرياء رداء الله تبارك و تعالى.

الكبرياء صفة الله تعالى دلّت على جلاله و كماله و جماله سبحانه فمن نازع الله تعالى فيها عذّبه لأنّها من نعوت ربوبيته و خصائص ألوهيته قال سبحانه:" وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧"2125 ، و جاء في الحديث القدسي:" العزّ إزاري والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني في واحد منهما عذبته "2126 ، و لهذا سمّى الله تعالى نفسه بالمتكبّر فقال جلا و علا:" هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣"2127 قال الرازي:" واعلم أنّ المتكبّر في حق الخلق اسم ذم لأنّ المتكبّر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ؛ لأنّه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس معه إلا الحقارة والذلّة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذباً ، فكان ذلك مذموماً في حقه ، أمّا الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو و الكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال:" سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" كأنه قيل: إنّ المخلوقين قد يتكبّرون ، ويدّعون مشاركة الله في هذا الوصف ، لكنّه سبحانه منزّه عن التكبّر الذي هو حاصل للخلق ؛ لأنّهم ناقصون بحسب ذواتهم ، فادّعاؤهم الكبر يكون ضمّ نقصان

2123 – انظر النكت والعيون ، الماوردي ،ج 4 ،ص 140

2124 – صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ،حديث رقم 167 .

2125 – الجاثية ، 37

2126 – صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر رقم الحديث 6846 ،ج 8 ص 35

2127 – الحشر ، 23

الكذب إلى النقصان الذاتي ، أمّا الحق سبحانه فله العلو والعزة ، فإذا أظهره كان ذلك ضمّ كمال إلى كمال."2128

ب – الإيمان نقيض التكبر.

الإيمان تنزيه لله تعالى في ذاته و صفاته و أسمائه عن كل نقصان وتعظيم مقامه سبحانه تعالى بالجنان و اللسان و الأركان قال تعالى:" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ "2129، فلازم التذكير بالله تعالى استحضار مقام عظمته ، و جلال منزلته ، و لازم ذلك ظهور مقام العبودية بذلّ السجود خشوعا و خضوعا ، وجيء في نفي التكبّر عنهم بالمسند الفعلي لإفادة اختصاصهم بذلك ، أي دون المشركين الذين كان الكبر خلقهم ، و مانع الإيمان عندهم قال تعالى:" وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ "2130

ت – إبليس قدوة المتكبّرين.

قال تعالى:"قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ "2131 ، ولقد حدّدت الآية القرآنية علل الهلاك الواقع على الشيطان فقد جحد أمر ربه وكفر ، و استعلى بأصله و افتخر ، و ازدرى آدم و له احتقر ، فقاس بلا دليل و لا خبر ، فبطل قياسه من عدة وجوه دلّ عليها النظر:

❃ – القياس الشيطاني ورد في مقابلة الأمر الإلهي له بالسجود ، و القياس إذا عارض النص بطل.

❃ – انتفاء البرهان عن دعواه " أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ " و نقضه له بإعجابه بنفسه وتكبّره ،و هذا من جنس القول على الله تعالى بغير علم قال تعالى:" قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ "2132

2128 – مفاتيح الغيب ، الرازي ، ج 15 ص 315

2129 – السجدة ، 15

2130 – الفرقان ، 21

2131 – الأعراف ، 12

2132 – الأعراف ، 33

❃ – مفارقة الصواب و مجانبة الصدق حينما فضّل النار على الطين ، فإنّ مادة الطين يحصل منها من المنافع ما لا يحصل من النار فالطين مادة السكون و الرزانة ، و محلّ بركات الأرض أما النّار فأصلها خفّة وطيش و ضررها الإحراق.2133

ث – التكبّر علّة الحرمان و سلّم الخذلان.

قال تعالى:"سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ "2134 ، و لقد خلق الله عز وجل الكون فهداه إلى النظام المحكم ، وجعل له قوانين ثابتة لا تتغير لأمر اقتضته حكمته ، وهذه القوانين تعمل بقضاء الله وقدره ، وهذه القوانين ذات مفاتيح من اهتدى إليها من ذوي الإرادات الحرة وجدها مسخرة له ، تطيعه وفق أنظمتها التي جعلها الله لها ، مع أنها لا تعمل إلا بقضاء الله وقدره ، ومن يتكبّر في الأرض بغير الحقّ، بظلم الناس واستعبادهم والاستئثار بمتاع الدنيا وزينتها ، واستغلال سلطانه لشهوات نفسه وأهوائها ، انطمست أدوات الإدراك فيه عن إدراك آيات الله ، أو فقدت مراكز استجابته النفسية قدرتها على الاستجابة لما توجه له من آيات الله ضمن قوانين الله وأنظمته القدرية العامة.2135

ج – في مصارع المتكبرين عبر و مواعظ.

لقد عرض القصص القرآني مشاهد هلاك المتكبّرين و منها:

❃ – استكبار قوم نوح عليه السلام قال تعالى:"وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ "2136

❃ – استكبار قوم هود عليه السلام قال تعالى:"فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ "2137

2133 – انظر تيسير اللطيف المنان في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج1 ،ص 284

2134 – الأعراف ، 146

2135 – انظر معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن الميداني ، ج 4 ص555

2136 – نوح ، 7

2137 – فصلت ، 15

❁ – استكبار قوم صالح عليه السلام قال تعالى:" قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾" 2138

❁ – استكبار قوم موسى عليه السلام قال تعالى:"وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ "2139

– مسالك الإعجاز الأخلاقي في بيان أمراض القلوب.

يظهر الإعجاز التربوي الأخلاقي في كثرة النصوص القرآنية التي عالجت النفس الإنسانية حيث كثر ذكر لفظ القلب بصورة عجيبة و الأعجب منها ذكر نظائره –كلفظ النفس و الصدر و الفؤاد والعقل واللب والنهى– التي سيقت في مواضع دلّ موضوعها مع سياق السباق و اللحاق على أهمية القلب في الدلالة على مقصد الوجود الإنساني في المعاش و عظمة مصيره في المعاد ،و لقد دلّ التغاير القرائي مع ما إشارات ألفاظ السياق السابق و اللاحق و موضوع سورة التغاير إلى أنّ السمع و البصر و الفؤاد وسائل الإدراك الأساسية رتّبها الذكر القرآني للدلالة على أنّ السمع و البصر يتقدّمان الفؤاد المختصّ بالمعاني و التصوّرات ليشير الترتيب إلى صورة إعجازية و هي أنّ نشأة المعارف العقلية يرجع إلى إدراك الحواس – السمع و البصر – دلّ عليه أنّ القرآن إذا ضرب المثل في مثل معقول مدسوس مختلف فيه أحال بيانه على الحسّيات المتفق عليها 2140 ، و عليه فقد دلّ لفظ السلطان في قوله تعالى:" ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾"2141 ، و كذلك قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يجادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْر ما هم بِبَالغِيهِ فَاستَعِذْ باللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ "2142 على الحجة العلمية التي تدرك بالحواس كما دلّ على ذلك قوله تعالى:" وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ

2138 – الأعراف ، 75

2139 – العنكبوت ، 39

2140 – انظر تفسير الشعراوي ، ج 1 ص 1146

2141 – غافر ، 35

2142 – غافر ، 56

تَشۡكُرُونَ ۝٧٨ "[2143] و عليه لمّا عطّلت الحواس عن حقيقة وظيفتها جهل القلب حقيقة العلوم فكان الجهل عماد جداله و خصومته فكان الجدال مع الجهالة من قرائن التكبّر و التجبّر. و لقد اجتمعت جملة من المسالك لدلالة على صورة الإعجاز التربوي الأخلاقي منها:

- دلالة التغاير القرآني على أصل التغيير الأخلاقي.

فقد دلّ عموم الوصف المؤثر – الكبر – على عظيم مفاسد لوازمه و هو الجدال أي الخصومة بالباطل [2144]، و عليه فقد أشار عموم الوصف المؤثر – الكبر – إلى التمكّن من المحلّ – القلب – ثمّ دلّ اجتماع الوصف مع حكمه على شدّة تعلّق الصلاح و الفساد بالقلب دلّ على ضرورة هذه العلاقة التربوية حديث أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنّ الحلال بيّن ، وإنّ الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنّ لكل ملك حمى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه ، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب." [2145]

- دلالة التصوير القرآني على الإعجاز الأخلاقي.

إنّ الباحث في أسلوب التغاير القرائي يجده حافلاً بالصور المدهشة ، ناطقاً بلغة المشاهد و الرسوم المعبرّة، حتى إنّك " تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام كأنّك لا تسمع كلاماً ولغاتٍ ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة " [2146]،و كأنّ ألفاظ القرآن ينبوع يفيض بالصور الجميلة، والأحاسيس الحسنة ،والألوان الأخّاذة ، وليست المعاني في القرآن الكريم مجرّدات لا يدركها إلاّ العقل بالتدبّر ، وإنّما هي صور حية تمرّ بخيال القارئ والسامع ،ويلمسها إحساسه المرهف، وتكاد تراها عينه يقينا. [2147]

2143 – النحل ، **78**

[2144] – انظر الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى ، ص **347**

[2145] – البخاري ، الجامع الصحيح ، رقم **52** ، و مسلم ، الجامع الصحيح ،رقم **1599** .

[2146] – النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز ، **117**.

[2147] – من روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوطي ، **169**.

إنّ التصوير في أسلوب التغاير القرآني ذو مسحة يانعة ،ومساحة واسعة ، وآفاق فسيحة ، فهو " يعبّر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية "[2148]، وقد شغلت الصورة النفسية للقلب المتكبّر المتجبّر حيّزاً واسعاً من التصوير القرآني في مواضع متعدّدة من سورة غافر، لتنجلي مشاعر القلب الدفينة وحالاته الشعورية المدسوسة في عروض واقعية تاريخية تحكي قصص الأولين و أثر داء التكبر في مصارع الأقوام ، ثمّ استميلت هذه القلوب إلى التأمّل في حقائق القرآن المنظور من الكون المفتوح ثمّ التذكير بحقيقة الله تعالى من خلال صورة الحوار حول عناصر العلم و التربية أو صورة استحضار النعم الربانية ،ثمّ استدرجت إلى مسلّمات الحساب و بديهيات الثواب و العقاب من خلال تصوير مشاهد النعيم و الجحيم

- دلالة التنكير مع التنوين على معنى التوبيخ و التحقير.

الخطاب بالتنكير لتصغير مقام المتكبّر وتهوينه لبيان جرم فعله في ادّعائه بالاختلاق منزلة العظيم – التي لا تليق إلاّ بالله تعالى – فأفاد التنكير مع قرينة التنوين معنى التحقير جزاء على جنس عمله القبيح ، و يقوي هذه الدلالة القوية المستنبطة ورود اللفظ بين بين الحكم عليه و الوصف الكامن فيه ليشير إلى قوّة التعلّق و شدّة الاختصاص.

- دلالة كمال التطابق بين مقام المقال و مقام الحال.

فقد دلّ هذا المقام على بيان كمال استغراق القلب للوصف بالذم من خلال الجمع بين أدوات التعريف بالتنوين و الإضافة و أدوات التوصيف بالنعت و الصفات و عليه فقد أفاد اجتماع التغاير القرائي بأداتي التعريف – التنوين و الإضافة – مع دلالة مقام السياق المقترن بالذم – من خلال لفظ التكبّر و التجبّر – على تحقير القلب المتكبّر و توبيخه حتّى ما يساوي طُلية جدي ،و توعدّه بالعقاب و الطبع عليه بالضلال،و هذا إيجاز بليغ في إعجاز نفسي دلت عليه قاعدة العربية في أنّ الكلام البليغ المعجز هو مطابقة مقام المقال لمقتضى مقام الحال.

[2148] – التصوير الفني في القرآن ،سيد قطب ، 32.

- دلالة المناسبة بين الأوصاف على علّة مرض القلوب.

فقد ساق القرآن الكريم في نصّ التغاير القرائي وصف الاستكبار مقترنا بالتجبّر ليفيد التناسب اللفظي بين الصفات و موصوفها على معاني اللزوم و الثبوت بعدم الانفكاك ، و على استغراق الصفات موصوفها بالشمول و العموم دون انحسار ، وقد أضاف معنى الآية في موضعها و السورة في موضوعها – الجدال في الحقّ بالخصومة – مسحة جمالية ذات صبغة إعجازية أضفت على مشهد القلب المطبوع صورة غلبة المرض الخبيث على محله ليخرج القلب المتكبّر المتجبّر في صورة الأحمق المئِق.

- دلالة الموضوع القرآني على صورة الإعجاز الأخلاقي.

فقد بدأت السورة القرآنية صُدرها بموضوع مرض القلوب القاتل و هو التكبّر و التجبّر فذكرت سببه المشين و هو الخصومة في الحقّ بالجدال الباطل و جعلته نعتا للكافرين فقال تعالى:" ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا..."[2149] ،ثمّ بيّنت أنّ أعظم مآله الكفران و العصيان، فقال جلّ و علا:" و قال موسى إنّي عذت بربّي و ربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب.." ، ثمّ جعلته سبب التباب المحقّق ، و العقاب المرتقب فقال سبحانه:" كذّبت قبلهم قوم نوح و الأحزاب من بعدهم و همّت كل أمّة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذهم فكيف كان عقاب.." ،ثمّ أمرنا سبحانه بعلاج قلوبنا من هذا المرض الخبيث فأوجب علينا الالتجاء إليه و العياذ به فقال تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾"[2150] ، ثمّ صوّرت لنا مشاهد الهلاك ، و موارد العذاب ليزداد المسلم تنبّها للسقم و العلل ، و إقداما على العلاج و التزكية فقال تعالى:" ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنّى يصرفون الذين كذّبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النار يسجرون...."[2151]

[2149] – غافر، 3.

2150 – غافر ، 56

[2151] – غافر ، 69 ، 70، 71 ، 72

- دلالة التغاير القرائي على أنّ العقل في القلب.

الكبر إذا ران القلب فقد أمرضه ، و إذا ملأ الصدر و غمره فقد أهلكه و أفسده قال تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾"[2152] ، و الكبر إذا عمّ الصدر فقد دلّ على تجذّره في القلب ذاك لأنّ الصدر وعاء القلب يشهد له قوله تعالى:" أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ "[2153]، فقد جعل الصدور محلّ القلوب ، و عليه فقد دلّ التغاير القرائي بمعنييه على أنّ الكبر قد عمّ القلب بقراءة التنوين و عمّ الصدر بقراءة الإضافة لأنّه جزء من كليّة الذات المتكبّرة.

- دلالة المعاني النحوية في النظم القرآني.

و أفاد التصريح بفاعل الطبع ما يلي:

❋ – الدلالة على شدّة الغضب عليهم و تعدّد الطبع عليهم ، فَحرمهم النَّجاة من الطَّبع الأصليِّ ، وزادهم عليه غواية و ضلالا.

❋ – للدلالة على أنّ الطبع أشدّ تمكّنا في القلب بصيغة ذكر الفاعل من صيغة المبني للمجهول ففي الأولى دلالة الشدّة و القوة ، و المبالغة والتَّأكيد.

❋ – للدلالة على قوّة العلّة في حكم العقاب بالطبع ، فما وقع العقاب بالطبع بهذه الشدّة و الغلظة إلاّ للدلالة على خطورة علّة الكبر و عظيم مفاسده ، و عموم النفس به بدلالة التغاير القرائي.

لقد دلّ النص القرآني على أنّ الكفّار " جادلوا في آيات الله تعالى عن كبر في صدورهم ، وفي ذلك إشارة أنّ من أسباب وقوعهم في النار تكبرّهم على الرسل ، وليكون لكل موصوف بالكبر حظ من استحقاق العقاب إذا لم يتب ، ولم تغلب حسناته على سيئاته إن كان من أهل الإيمان " [2154]،و الطبع من جملة عذاب المتكبّرين و من عذاب مطبوع القلب منعه من تأمّل آيات الكون المنظور و صدّه عن تدبّر آيات

2152 – غافر 56

2153 – الحج ، 46

2154 – التحرير و التنوير ، 24 ، 207

القرآن المسطور قال تعالى:" سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ "[2155]

إنّ الطبع على القلوب صورة استعارية حسية تؤكد عدم دخول الإيمان إلى هذه القلوب، و أنّ اقتران حكم الطبع بسببه الذي هو الجدال فيه دلالة قوية على تعطيل الآذان عن الاستماع إلى الحقّ و اللسان عن الصدع به ، فاجتمعت هذه القرائن كلها على بيان قوة الحركة في عقاب الطبع على القلوب لتوحي بجمود المطبوع وصلادته ، لتسدّ منافذه سدّاً فلا يدخله شيء ،و يختم عليه فلا ينفعه شيء أبدا قال تعالى:" أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ "[2156]

2155 – الأعراف ، **146**

[2156] – الحج، **46**.

الفصل السابع: التفاسير القرآني و الإعجاز العلمي.

- التفسير العلمي و الإعجاز العلمي. الحقيقة ،

الضوابط و دوافع الاهتمام.

- الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح .

- التفاسير القرآني و الإعجاز العلمي:

- تعريف التفسير العلمي:

التفسير العلمي مصطلح مركب من كلمتين الأولى التفسير ، و الثانية العلم.

- تعريف التفسير لغة و اصطلاحا:

- التفسير في اللغة:

هو " كشف المغطى و بيانه 2157 ، قال تعالى:" وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا "2158 قال مجاهد: بيانًا.2159

- التفسير في الاصطلاح:

لمصطلح التفسير تعريفات كثيرة منها:

✵– تعريف ابن جزي الكلبي ت741هـ: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه.2160

✵– تعريف أبي حيان الأندلسي ت 745هـ 2161: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمّات ذلك.2162

✵– تعريف بدر الدين الزركشي ت 794هـ: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلّم، وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه.2163

2157 – انظر تهذيب اللغة ، الأزهري 406/2، و لسان العرب ، ابن منظور 55/5.

2158 – الفرقان ، 33

2159 – انظر جامع البيان للطبري 12/19.

2160 – انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي الكلبي 6/1

2161 – محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفزي، نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره، ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة سنة 654 هـ، من تصانيفه البحر المحيط في التفسير، وغيره، توفى سنة 745 هـ، انظر: معجم الشيوخ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بشار عواد و رائد يوسف العنبكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 2004م. ص472

2162 – انظر البحر المحيط لأبي حيان 26/1.

2163 – انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 13/1 ، و 2 ،148 .

✵– تعريف ابن عرفة المالكي ت 803هـ: العلم بمدلول القرآن وخاصيّة كيفيّة دلالته و أسباب النزول والناسخ و المنسوخ.2164

– تعريف العلم لغة و اصطلاحا:

- العلم في اللغة:

مصدر مرادف للفهم و المعرفة و الجزم و الإدراك ، وهو ضد الجهل.

– العلم في الاصطلاح:

هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها ، و تختلف تفاصيل التعريف تبعا لاختلاف نواحي التخصّصات على النحو التالي:2165

✵ – تعريف العلم عند الفلاسفة: هو صورة الشيء الحاصلة في الذهن.

✵ – تعريف العلم عند المتكلمين: هو صفة يتجلّى بها الأمر لمن قامت به.

✵ – تعريف العلم عند علماء الشريعة: هو العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في خلقه وأوامره و نواهيه 2166 قال تعالى:" بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ "2167 ، وكما قال سبحانه:" يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ"2168

- تعريف التفسير العلمي:

لقد تعددت تعاريف مصطلح التفسير العلمي و تفاوتت في حدودها و قيودها على الوجه التالي:

أ – هو تفسير الآيات تفسيرًا علميًّا وفق قواعد العلم الحديث، وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث 2169 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:

2164 – انظر تفسير ابن عرفة ،59/1.

2165 – انظر الزرقاني ،مناهل العرفان ، 5/1.

2166 – انظر الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 39/1.

2167 – العنكبوت ، 49

2168 – المجادلة ، 11

❋ – أنّ النصوص الشرعية هي الأصل في البيان فلا تفسر وفق مقررات العلم الحديث و تحليلاته.

❋ – أنّ فهم التحليلات و المقررات العلمية البشرية يقع وفق قواعد تفسير النصوص الشرعية.

❋ – لابدّ من إضافة قيد " التجريبي " لدرء مفسدة سوء الفهم في قصر وصف " العلمي" على هذا النوع من التفسير دون غيره من الأنواع الأخرى كالتفسير الفقهي مثلا.

ب – هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم و الآراء الفلسفية منها 2170 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:

❋ – أنّ النصّ الشرعي هو القاعدة المحكّمة في تفسير نتائج العلم التجريبي و ليس العكس.

❋ – أنّ القضايا الفلسفية و المباحث الكلامية لا علاقة لها بالعلم التجريبي فلا تدخل قطعا ضمن التفسير العلمي التجريبي.

ت – هو تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية ، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية2171 ،و يؤخذ على التعريف ما يلي:

❋ – أنّ النصّ الشرعي هو القاعدة المحكّمة في تفسير نتائج العلم التجريبي و ليس العكس.

ث – هو تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث 2172 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:

❋ – أنّ التفسير العلمي يقع وفق قواعد تفسير النصوص الشرعية مع ضرورة اعتبار قيد التفريق بين الفرضيات والنظريات و الحقائق و القطعيات.

ج – هو اجتهاد المفسّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن 2173 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:

2169 – انظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، ص 566 ، و له تفسير آخر النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية ، وتفسيرها تفسيرًا علميًّا ، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها. انظر البيان في إعجاز القرآن ، ص 267.

2170 – انظر التفسير معالم حياته و منهجه اليوم ، ص 19

2171 – انظر لمحات من علوم القرآن ، لمحمد لطفي الصباغ ، ص 203

2172 – انظر التفسير العلمي للقرآن ، عبد الله الأهدل ، ص 15

2173 – انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد الرومي ، 549/2.

❋ – التفسير العلمي لا يقتصر على وظيفة بيان الصلة بل يرقى إلى وضوح بيان حقيقة كمال التناسق بين المنظور و المسطور ، و كمال الائتلاف بين العقل و النقل.

ح – هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه 2174 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:

❋ – أنّ نتائج العلم التجريبي هي الأفقر إلى البيان القرآني و ليس العكس.

خ – هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجّحت صحّته من نظريات العلوم الكونية 2175 ،و يؤخذ على التعريف ما يلي:

❋– شمول الإعجاز القرآن و السنة بينما التحدي وقع بالنص القرآني على الخصوص دون غيره.

❋– ضرورة التفريق بين الفرضيات والنظريات و الحقائق و القطعيات كقيد في صياغة التعريف.

و انطلاقا من هذا الاستقراء نقف على تعريف المصطلح بما يلي: هو تفسير النصوص الشرعية بقطعيات العلم التجريبي مع بيان وجه الإعجاز منها.

– العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

لقد اختلطت أنظار بعض المتخصّصين فلم تميّز بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي مّما تولّد عن ذلك سوء فهم ظاهر أفسد التعامل مع النصوص الشرعية ، و قصور بيّن في تناول مدلولات الآيات القرآنية ، و من هذا وجب التفريق بين المصطلحين فنقول: هل كل آية قرآنية تتضمّن إشارة علمية تحمل بالضرورة إعجازًا علميًّا ؟

إنّ الحرص على بيان العلاقة الدقيقة بين مصطلحي التفسير العلمي والإعجاز العلمي يساهم بحظّ وافر في درء مفسدة سوء فهم القرآن و عوار التعامل معه ، و عليه فإنّ بين التفسير العلمي و الإعجاز العلمي عموم و خصوص فكلّ إعجاز علمي يدرك من خلال التفسير العلمي ، وليس كل تفسير علمي يحمل إعجازًا علميًّا ، و يظهر الفرق جليا بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي بأمرين:

2174 – انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، أحمد أبو حجر ، ص **72**.

2175 – انظر تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عبد المجيد الزنداني وآخرين ، ص **33**

❋ – الأول : أنّ توظيف قطعيات العلم التجريبي في بيان دلالات الآيات القرآنية هو عين التفسير العلمي ، وأنّ توظيف التفسير العلمي في إثبات القرآن وصدق النبوة هو الإعجاز العلمي ، و منه فإنّ التفسير العلمي وسيلة لبيان حقائق الإعجاز العلمي المفضية إلى بيان حقائق الوحي القرآني و هداية البشرية إلى طريق السعادة في المعاش و المعاد.

❋ – الثاني : أنّ صدق الرسالة المحمّدية لا يثبت عند بعض الجاحدين إلا بعد دلالة قوة التواطؤ بين معاني الحقائق العلمية التجريبية و نصوص الآيات القرآنية من خلال صورة الإعجاز الظاهرة منهما.

– دوافع الاهتمام بموضوع الإعجاز العلمي[2176]

من هذه الدوافع ما يلي:

❋ – وجوب تدبر القرآن إذ هو مناط الخير كلّه قال تعالى:" كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ مُبَـٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴿٢٩﴾" [2177]

❋ – بيان قوة رسالة القرآن في الدعوة الإسلامية و خلودها و تعتبر بحوث الإعجاز العلمي من أهم المداخل المعرفية في إظهار المعجزة القرآنية.

❋ – استنهاض مجالات التفكير العقلي الجاد و إثارة الإبداع العلمي لخدمة القرآن و نشر الإسلام.

❋ – بناء منظومة معرفية إيمانية متكاملة لصناعة الحضارة و عمارة الكون.

❋ – تعميق الحقائق الإيمانية في النّفس البشرية ببناء صرح التفكير العلمي المؤسس للنهضة الحضارية.

❋ – تصحيح مسارات العلم التجريبي و تقويم الكشوفات العلمية بما يوافق الحقائق الشرعية – حول الكون و الحياة و الإنسان – و يخدم الشريعة الإسلامية.

❋ – الدفاع عن القرآن و حقائقه الإيمانية.

2176 – انظر الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة و دلالاتها في القرآن الكريم ، راشد سعيد شهوان ،المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، مجلد 3 ، العدد 2 ، ص 119 ،2007

2177 – ص ، 29

- ضوابط التعامل مع مباحث الإعجاز العلمي التجريبي:2178

❋ – قوة النظر إلى مقصد الهداية القرآنية عند التعامل مع مسائل العلم التجريبي.

❋ – مجانبة الإفراط و التفريط في تفسير مسائل العلم التجريبي.

❋ – سعة الإحاطة بوجوه الخطاب عند العرب.

❋ – الاقتصار على بحث الحقائق العلمية دون الفرضيات و النظريات ،فلا تفسّر النصوص القرآنية إلا باليقينيات العلمية.

❋ – ترك الجزم في الظنيات و التأويل في القطعيات في دلالات النصوص الشرعية.

❋ – درء شبهة التعارض بين الحقائق العلمية و النصوص القطعية.

❋ – الحرص على اتّباع المنهج القرآني في التعامل مع المسائل العلمية.

❋ – ضرورة التفريق عند التفسير بين المعجزات النبوية و الاكتشافات العلمية.

- الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح.

قال تعالى : " وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾"2179

- التوثيق القرائي:2180

– مفردة " نشرا " : على معنى التفريق:

أ – قرأ نافع و أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ، و ابن محيصن بضمّ النون والشين ، 2181 و قد دلّ تصريف المفردة على المعاني التالية: 2182

2178 – مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم، ط 2 ،1996 ، دار المسلم ،الرياض، ص 176 ، و علوم القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه ، عدنان محمد زرزور ،ط 1 ، 2005 ، دار الإعلام ،عمان الأردن، ص 411 ، و نظرات في التفسير العلمي للقرآن، يوسف القرضاوي، ص23

2179 – الأعراف ، 57

2180 – انظر المكرر ص43 ، و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ، و المحتسب لابن جني،ج1 ص 255، و البحر المحيط ج4 ص 316،و جامع القرطبي ج7 ص229 ، و مفاتيح الرازي ج 14 ص39 ،و زاد المسير ج3 ص 218،و روح المعاني ج8 ص 144، والكشاف ج1 ص 551، و الدر المصون ج3 ص 285

❃ – الأول : نشرا جمع نَشُور مثل رُسُل و رَسُول على وزن فعول بمعنى مفعول أي المنشور مثل لفظ الرَكوب بمعنى اسم المفعول المركوب ، و عليه فالرياح منشورة أي متفرّقة في الجهات ، و منه فالنشر يطلق على معنى التفريق مطلقا.

❃ – الثاني: نشرا جمع نَشُور على وزن فعول مثل رُسُل و رَسُول بمعنى فاعل أي ناشرة تنشر السحاب أي يتكوّن بها و يتفرّق 2183 ، و دلالة الجمع في المفردة يدلّ على فعلها قال أبو عبيد:" الريح النشور هي التي تهبّ من كل جانب و تجمع السحابة الممطرة."2184

ب – قرأ ابن عامر وزرّ بن حبيش و ابن وثاب و الأعمش بالنون المضمومة مع سكون الشين ، و هو تخفيف من المثقّل مثل رسْل و رسُل.2185

– مفردة " نشرا " : على معنى الإحياء.

أ – قرأ حمزة و الكسائي وخلف و الأعمش و مسروق بن الأجدع بفتح النون وسكون الشين2186 ، و قد دلّ تصريف المفردة على المعاني التالية:

❃ – الأول: خلاف الطّيّ و لعلّه وصف للرّياح2187 ، و قد يكون النشر مصدرا يدلّ على الفاعل بمعنى إرسال الرياح ناشرة للسحاب من انتشار الغنم بالليل للرعي فشبّه انتشار السحاب و شموله بانتشار الغنم ،2188 و يؤكد هذا المعنى قراءة أبي رجاء العطاردي و إبراهيم النخعي بفتح النون و الشين.2189

2181 – انظر السبعة ص **283** ، و الحجة لابن خالويه ،ص **157** ،و المحتسب لابن جني،ج**1** ص **255**،و البحر المحيط ج**4** ص **316**، و غرائب القرآن ج**8** ص**127**،و مفاتيح الرازي ج **14** ص**39** ،و زاد المسير ج**3** ص **218**،و روح المعاني ج**8** ص **144**، و معاني الأخفش ج**2** ص **301**.

2182 – انظر معاني القرآن للفراء ج**1** ص **381** ، و التحرير و التنوير، ابن عاشور ،ج**8** ص **179**

2183 – انظر مكي، الكشف ج**1** ص **465** ، و النحاس ،معاني القرآن ،ج **3** ،ص**44**

2184 – جامع القرطبي ج**7** ص**229**

2185 – انظر السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص **283**،و المكرر ص**43**،و الحجة لابن خالويه ،ص **157** ،و المحتسب لابن جني،ج**1** ص **255**،و البحر المحيط ج**4** ص **316**،و جامع القرطبي ج**7** ص**229**،و غرائب القرآن ج**8** ص**127**،و مفاتيح الرازي ج **14** ص**39** ،و زاد المسير ج**3** ص **218**،و روح المعاني ج**8** ص **144** .

2186 – ينظر الحجة في القراءات ،أبو زرعة ص **285**، والنشر في القراءات العشر ج**2**ص**270**.

2187 – انظر الحجة ج **4** ص **38**

2188 – الحجة لابن زنجلة ص **285** ، و الدر المصون ج **5** ص **348**

✵ – الثاني:2190 الرياح النافعة ، فالنّشر يطلق على الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب.

– مفردة " بشرا " بمعنى البشارة بالخير و البركة.2191

أ – قرأ عاصم وحده بضمّ الباء الموحدة و سكون الشين جمع بشير " لأنّها تنتشر قبل المطر مبشرة به " 2192 ، وأصلها الضمّ و خفّف بالتسكين ، وقرأ حسين المروزي عن حفص عن عاصم بضمّ الباء.

ب – قرأ السلمي و المازني عن عاصم بفتح الباء و إسكان الشين ، و هو مصدر بَشَرَ بالتخفيف.

ت – قرأ ابن السميفع بشرى بضمّ الباء و إسكان الشين و ألف مقصورة 2193 مصدر على معنى البشارة.2194

2189 – انظر السبعة ص 283 ، و الحجة لابن خالويه، ص 157 ،و المحتسب لابن جني، ج1 ص 255،و البحر المحيط ج4 ص 316، و جامع القرطبي ج7 ص229، و غرائب القرآن ج8 ص127،و مفاتيح الرازي ج 14 ص39 ،و زاد المسير ج3 ص 218،و روح المعاني ج8 ص 144،والكشاف ج1 ص 551،و معاني الأخفش ج2 ص 301.

2190 – الفراء ، معاني القرآن،ج1 ص 381

2191 – انظر إرشاد العقل السليم ج3 ص 234 ، و التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي ، ط2،1996، دار الفكر ، دمشق، ص 158.

2192 – أضواء البيان ج2 ص 380 و يشهد لذلك قوله تعالى:" وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ " الروم 46 و المطر رحمته يشهد لذلك قوله تعالى:" و هو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته."

2193 – انظر السبعة ص 283 ،و المكرر ص43،و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ،و المحتسب لابن جني،ج1 ص 255 و كذلك قرأها عبد الله اليماني على معنى مبشّرات. انظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1،2003 ،مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية،القاهرة،ج6 ص 331

2194 – انظر البحر المحيط ج4 ص 316،و جامع القرطبي ج7 ص229،و غرائب القرآن ج8 ص127،و مفاتيح الرازي ج 14 ص39 ،و الدر المصون ج3 ص 285

– تعريف ظاهرة الرياح:2195

الرّياح حركة الهواء و انتقاله بفعل اختلاف الضغوط الجوية على سطح الأرض ، 2196 و هي أمارات المطر تبخّر الماء من البحار والمحيطات من خلال درجات حرارة الشمس المتفاوتة ، فيتحصّل الفرق في الضغط الجوي ، وبهذا تهبّ الرياح وتحمل معها بخار الماء إلى الطبقات الجوية العليا الباردة فيتكوّن السحاب الذي يسوق ماء المطر وفق ظروف معينة.2197

إنّ الأصل في تكوين السحب المختلفة الرياح ، و عليه فإنّ السحب إمّا أن تكون طبقية ناشئة أفقيا يكون الهواء الذي يحملها صاعدا إلى الأعلى ببطء ، أو ركامية عمودية تحملها الرياح صاعدة إلى الأعلى بسرعة 2198 قال تعالى:" ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ "2199

2195 – و تدلّ وجوه لفظ الرياح في القرآن على المعاني التالية: 1 – الشدّة قال تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ " – الأنفال ،45 – 2 – الريح بعينها إذا لم يكن بها عذاب قال تعالى:"هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" – يونس، 22 – 3 – العذاب قال تعالى:"إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " آل عمران،116 – 4 – الرائحة قال تعالى:"وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ " – يوسف ،94 – انظر إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الدامغاني ، ص 214 ،215 ،و معجم ألفاظ القرآن الكريم ،مجمع اللغة العربية ،ط 2 ، 1988 ، ج1 ص 519

2196 – انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق، فوزي حميد ،ط 1 ، 1993 ،دار الصفدي ،دمشق، ص 192

2197 – الكون والإعجاز العلمي للقرآن 190.

2198 – مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم، ص 210

2199 – الروم ، 48

– آثار ظاهرة الرياح: 2200

للرياح آثار متعددة بحسب أنواعها المتفاوتة :

أ – حدوث تغيّرات متعدّدة للطقس يتجلّى في حجب ضوء الشمس ، أو تلبّد السماء بكثرة السحب ممّا ينتج عن حركة الرياح تنوّع السحب وفق الشكل التالي:2201

✸ – السحاب الرّكامي: يتكوّن من تراكم السّحب بعضها فوق بعض بطبقات متعددة وكبيرة في اتجاه رأسي ، و يتشكّل هذا النوع من السحاب في الأماكن المرتفعة من السماء التي تمتد إلى علو **20** كلم ، و يظهر باللون الأسود و هو الوحيد الذي يترل منه البرد 2202 يشهد له قوله تعالى:" أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ "2203

✸ – السحاب الطبقي: و يتشكّل من اجتماع السّحب بعضها مع بعض مشكلة طبقة أو طبقات مرتفعة في جوّ السماء دون مرتبة السحاب الركامي ، و يظهر هذا النوع من السحاب باللون الأبيض الداكن قال تعالى:" ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ "2204 ، و الاستبشار المذكور هنا يدلّ على عدم نزول البرد من هذا النوع من السحاب.

✸ – السحاب الإعصاري: و يتكوّن نتيجة توضّع كتلة هوائية – منخفض جوي – تحوي السحب المجتمعة وسط كتل هوائية ذات ضغط جوي مرتفع حصل تيار هوائي من المحيط إلى المركز بفعل الجذب المتكوّن من

2200 – انظر الإعجاز العلمي في القرآن ، السيد الجميلي، ط**2** ، **1992** ، دار الهلال ، بيروت ، ص**47**

2201 – انظر آيات طبيعية في القرآن ،كمال المويل ، ط **1** ، **1995** ،دار الكتب العربية، ص **37** ، و وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدبّاغ، ط **1** ، **1982** ، الزرقاء ،الأردن، ص **96**

2202 – مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص **211**

2203 – النور **43** ، **44**

2204 – الروم ، **48**

التباين بين المرتفعات و المنخفضات فيرفع هذا التيار السحاب إلى الأعلى فيتكثّف بالبرودة ليترل مطرا كأنّه يُعصر من السحاب قال تعالى:" و أنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجا "2205

ب – حدوث الأمطار المسببة للفيضانات أو الجفاف يشير إليه قوله تعالى : " وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ "2206

ت – حدوث الأمواج – فوق البحار و المحيطات – المؤدية إلى الهلاك قال تعالى:"هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ "2207 ، و لقد قسّمت الآية القرآنية الرياح إلى ثلاثة:2208

- ❋ – الريح الطيبة و شاهدها قوله تعالى:" وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ "
- ❋ – الريح العاصفة و شاهدها قوله تعالى:"جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ"
- ❋ – الريح القاصفة المدمّرة و شاهدها قوله تعالى:" وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ " 2209

2205 – النبأ ، الآية

2206 – الكهف ، 45

2207 – يونس ، 22 ، 23

2208 – الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية ، صالح بن عبد الباقي السنباني، بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن و السنة ،2011 ، ص 147

2209 – الإسراء 67 إلى 69

ث – التأثير في حركة الغطاء النباتي سلبا بالهلاك و إيجابا بالتلقيح يشهد له قوله تعالى:" وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ "2210 ، و تعتبر الرياح من أهم آليات التلقيح و أدوات الإخصاب من خلال البيان التالي:2211

❋ – تفسير ظاهر عام دلّ عليه المعنى المتبادر من ظاهر اللفظ ، و هو أنّ الرياح تنقل حبوب الطلع من المآبر إلى المياسم ليحصل التلقيح فيثمر الشجر ، و تقوم بهذه الوظيفة كذلك الحشرات.

❋ – تفسير علمي دلّت عليه حقائق العلم التجريبي بوجهين:

– الوجه الأول: و هو أنّ السحاب نوعان أحدهما إيجابي التكهرب ، و الثاني سلبي التكهرب و يعتبر الرعد و البرق ناتج اجتماع الموجب و السلب الذي يؤدي إلى نزول المطر، و على هذا فإنّ الرياح هي أداة الاجتماع في كونها تسوق السحاب الموجب إلى السحاب السالب أو العكس ، لتتولد أمارة نزول المطر و هي البرق و الرعد.

– الوجه الثاني: و هو أن تصطدم كتلة هوائية باردة بالسحب ليتكثف بخار الماء فيها فيترل مطرا ، أو أن تصطدم السحب بكتلة باردة من اليابسة كالجبال ليتكثف بخار الماء في السحب فيترل مطرا.

❋ – تفسير مجازي و هو أنّ الرياح ركن في التلقيح السحاب و عليه فهي أحد الوصفين اللذين تقوم عليها ظاهرة التلقيح.

ج – تعلّق حركة الوجود الإنساني بحركة الوجود النباتي عند القدرة على اختزان الماء يشهد له قوله تعالى: " وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ " 2212 ، فيؤثر تنوّع حركة الوجود السكاني في منحنى توزيع الحضارات الإنسانية نشأة و سقوطا ، وقوة و ضعفا يشير إليه قوله تعالى:" وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ "2213

2210 – الحجر ، **22**

2211 – انظر آيات طبيعية في القرآن ،كمال المويل، ص **45**

2212 – الحجر ، **22**

2213 – فاطر ، **9**

- فروق التغاير القرائي في لفظ الرياح:

لقد وقع التغاير القرائي في لفظ الريح بين وجه الجمع والإفراد في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم مبيّنا في الجدول التالي:

الموضع	الآية	السورة، ورقم الآية	من قرأ بالإفراد
1	﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾	البقرة 164	حمزة والكسائي
2	﴿ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾	الأعراف 57	حمزة والكسائي وابن كثير
3	﴿ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾	إبراهيم 18	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكوفيون
4	﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾	الحجر 22	حمزة
5	﴿ تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾	الكهف 45	حمزة والكسائي
6	﴿ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾	الفرقان 25	ابن كثير
7	﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾	النمل 63	حمزة والكسائي وابن كثير
8	﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ ﴾	الروم 30	حمزة والكسائي وابن كثير
9	﴿ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾	فاطر 9	حمزة والكسائي وابن كثير
10	﴿ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾	الشورى 33	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكوفيون
11	﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾	الجاثية 5	حمزة والكسائي

- توجيه التغاير القرائي للفظ الريح جمعا و إفرادا.

لقد اختلف العلماء في توجيه التغاير القرائي للفظ الريح على ثلاثة أقوال:

❋ - القول الأول:

ذهب أصحابه إلى أنّ الريح إذا أفردت كانت للعذاب و إذا جمعت صرفت للرحمة ،2214 و استدلوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنّه كان إذا هاجت الريح قال:" اللهم اجعلها رياحاً ، ولا تجعلها ريحاً اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاباً " ، أمّا قوله تعالى:" هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾"2215 فتوجّه بالتعليل التالي:

— أفردت الرّيح موصوفة بالطيبة ففارقت بهذا الوصف صفة ريح العذاب و باينته بهذا القيد ، فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب.2216

— أفردت الرّيح لاقترانها بلفظ الفُلك ؛ لأنّ ريح إجراء السفن ذات اتجاه واحد ، و لا يقع المقصد من ركوبها إذا تعدّد وجوه هبوبها.

— أفردت الرّيح في المبنى و جمعت في المعنى للدلالة على معنى الجنس 2217 قال أبو علي الفارسي: " الأبْين في قوله:"إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾" 2218

بالجمع ، وذلك أنّ كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية ، وتسخيرها لينتفع الناس بها وتصريفها ، و إذا كان كذلك فالوجه أن يجمع لمساواة كل واحدة منها الأخرى فيما ذكرنا ، وقد يجوز في قول من وحّد أن يريد به الجنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار والدرهم."2219

— القول الثاني:

2214 – حجة القراءات ، **119**

2215 – يونس ، **22**

2216 – المحرر الوجيز **233/1**

2217 – البحر المحيط **641/1**

2218 – البقرة ، **164**

2219 – الحجة ،لأبي علي الفارسي ، **401/1**

ذهب أصحابه إلى أنّ كلمة الريح لفظ عام يراد به الجنس فيطلق على معنى الرحمة أو العذاب ، ولّما جاز أن تكون للجنس جاز أن ترد على الجمع مستغرقة له ، و أن يرد اسم الجمع على البعض و استدلوا بما يلي:

– قوله تعالى:" وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ "2220 ، فذكر الليل مفردا و أراد جنس الليل.2221

– حديث أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إنّ الريح تخرج من روح الله تجيء بالرحمة و العذاب "، فدلّ الحديث على أنّ الريح المفردة تعبّر عن الجنس المستغرق للرحمة والعذاب.

– القول الثالث:

ذهب أصحابه إلى أنّ كلمة الرّيح إذا جمعت أفادت الرحمة اختصاصا ، و لهذا خصّت بالجمع في صيغة الدعاء ، و إذا أفردت أفادت الاشتراك بين معني الرحمة و العذاب 2222 ، و الأغلب في الإفراد للعذاب إلاّ ما استثني بقراءة نافع في قوله تعالى:" مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ "2223

– الرياح في المفهوم القرآني: 2224

لقد دلّ ورود لفظ الرياح في مجموع مواضعه القرآنية و بجميع مشتقاته على معنيين أحدهما الرحمة و ثانيهما العذاب، و المتدبّر للفروق الدلالية بين وجهي التغاير القرائي يدرك اجتماع أنواع الرياح على وجه التدرّج الذي أشار إليه القرآن الكريم على النحو التالي:2225

– الرياح اللينة اللطيفة الحاملة للغيث ، و دلّ عليه لفظ النشر بمعنى الرياح الطيبة اللينة النافعة التي تنشئ السحاب 2226 ، و المقترنة عادة في سياق ورودها بألفاظ الإرسال لتشير إلى الدلالات التالية:

2220 – الصافات ، 137–138

2221 – الحجة ، لأبي علي الفارسي ، 402/1

2222 – الدر المصون ، 207/2

2223 – إبراهيم ، 18

2224 – انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، فوزي حميد، ص من 197 إلى 206

2225 – انظر الرياح و السحب و المياه و البحار، خالد فائق العبيدي ، ط 1 ،2005 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص من 18 إلى 30 بتصرف، و الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق، فوزي حميد، ص 197

- تسخير المنافع قال تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ " 2227

- البشارة بالخير و الامتنان به قال تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾" 2228 ، و قال تعالى كذلك:" وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ " 2229

- التذكير بنعمة التوحيد قال تعالى: " أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ " 2230

- الاعتبار بالمنظور ، و النظر بالمعقول قال تعالى: "إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ " 2231

- بيان العلاقة بين وظائف الوجود الإنساني قال تعالى:" وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ

2226 – الفراء ، معاني القرآن ،ج1 ص 381
2227 – البقرة ، 164
2228 – الأعراف ، 57
2229 – الفرقان ، 48
2230 – النمل ، 63
2231 – الجاثية ، 5

سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ " 2232، و وجه الحكمة من الجمع بين الإرسالين أنّ حياة الحضارة تقوم على أصلين:

– الأوّل ديني و هو حياة رسالة الوحي الرباني و لا يكون إلا بوسيلة الرسل.

– الثاني مادي و هو حياة الماء المسخّر و لا يكون إلا بوسيلة الرياح.

❁ – الرياح المتوسطة: و هي أنواع:

– رياح تسوق أسباب الخير قال تعالى:" وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾" 2233 أي الرياح التي تذرو قطرات المطر و حبات الرمل.

– رياح تحمل منفعة محدّدة قال تعالى:" وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ " 2234

– رياح تحمل مضرّة معيّنة قال تعالى:" وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾" 2235

❁ – الرّياح القوية: و هي التي تتضمّن قوة تحمل بها الخير قال تعالى:"فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ " 2236 أي التي تحمل السحب الثقيلة المحملة بالبركات و تلقيح الثمرات قال تعالى:" وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ " 2237 ، أو هلاك محقّق قال تعالى:" مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ " 2238

❁ – الرياح العواصف: و هي الرّياح القوية الهالكة ، و هي درجات متفاوتة:

2232 – الروم ، 48

[2233] - الذاريات 1 ، 2233

2234 – الحجر ، 22

2235 – الكهف ، 45

2236 – الذاريات ، 2

2237 – الحجر ، 22

2238 – آل عمران ، 117

- الرّيح العاصف: قال تعالى:"مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾"2239 ، و قال تعالى:"هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾"2240

- الريح الحاصب قال تعالى:" أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾"2241 ،و قال تعالى:" أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ "2242

- الرّياح الأعاصير: و هي الرّياح القوية الشديدة المدمّرة ، و هي درجات متفاوتة:

- الريح القاصف: قال تعالى: " أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ "2243

- الريح العقيم: قال تعالى:" وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ "2244

- الإعصار الناري: قال تعالى:" أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ "2245

2239 – إبراهيم ، 18

2240 – يونس ، 22 ، 23

2241 – الإسراء ، 98

2242 – الملك ، 17

2243 – الإسراء ، 69

2244 – الذاريات ، 41 ، 42

2245 – البقرة ، 266

۞ – الريح الصرصر: قال تعالى:" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ "2246 ، و قال تعالى:" إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ "2247

– أنواع الرياح في علم الجغرافية:2248

الرّياح أنواع كثيرة منها:

❋– الرّياح الدائمة :هي التي تهبّ بانتظام معظم العام متأثرة بالضغوط الجوية الموزّعة على الأرض حيث توجد عند الاستواء منطقة ساخنة من الهواء الصاعد يسمّى بالمنخفض الجوي الاستوائي ، و عندما تتّجه الرياح نحو القطبين تبرد و تنزل في مناطق العرض المدارية بين **15 – 35** درجة عرض فتشكل الضغط المرتفع المداري ، و تهبّ منها الرياح نحو المنطقة الاستوائية تسمى بالرياح التجارية أو الشرقية مسخرّة لدفع السفن التجارية باتجاه الغرب و تتميّز بانتظامها و دوامها.

❋ – الرياح العكسية " الغربية " التي تهبّ من المرتفع المداري باتجاه الدائرتين القطبيتين حيث يتمركز منخفض جوي ما بين **45 – 60** درجة عرض ، و تتميز بعدم استقرارها.

❋– الرّياح الشّرقية: هي الرّياح القادمة من القطبين حيث يتمركز المرتفع القطبي باتجاه الدائرتين القطبيتين ، و تتميّز بشدة البرودة و الجفاف.

❋ – الرياح اليومية:" النسيم" تحدث بانتظام بسبب اختلاف الضغوط الجوية بين منطقتين متجاورتين غير متجانستين تنشأ أثناء النهار عند تسخين الهواء فوق اليابسة بسرعة أكبر مما هي عليه عند البحر فيختلف الضغط بين البر و البحر ، و تنتقل الرياح الخفيفة من البحر إلى اليابسة و تسمى نسيم البحر ، و تنعكس الظاهرة في الليل لتهبّ من اليابسة لأنّها تتبرّد بسرعة أكبر من البحر فتنتقل الرّياح من البر إلى البحر فتسمى نسيم البرّ.

2246 – فصلت ، **16**

2247 – القمر ، **19**

2248 – انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، فوزي حميد ، ص **193** ، **194** ، و انظر آيات طبيعية في القرآن ،كمال المويل، ص **41**

❁ – الرّياح الدورية: " الموسمية " تنتج عن تجاور مساحات واسعة من المياه مع أخرى من اليابسة ، فيحدث اختلاف في توزيع الحرارة ليقع الاختلاف في الضغوط الجوية لتؤثر في حركة الرياح على أشكال منها أن تهبّ في النصف من البحر إلى اليابسة حاملة معها الرطوبة مسبّبة هطول الأمطار الغزيرة خلال موسم الشتاء الجاف.

– صورة الإعجاز العلمي في الرياح:

لقد تجلّت دلالة التغاير القرائي بصورة الإعجاز في الرياح من خلال ما يلي:

أ– قراءة " نشرا "بمعنى التفريق على معاني متعددة منها:

❁ – التفريق للفاعل و يقع بصورتين:

– الأولى: أن تكون الرياح سببا في تفريق السحاب على مواضع الأرض ، و منه فإنّ النشور بمعنى التفريق وصف للسحاب ، و شاهده قوله تعالى:"حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ" ليدل شاهد القرينة اللفظية مع الوجه الثاني للتغاير القرائي " بشرا " و دليل الترابط قوله تعالى:" وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾"2249 مبشّرات قبل المطر لتقدّمها عنه.2250

– الثانية: أن تكون الرّياح بهبوبها سببا في جمع السحاب المتفرّق ، فلفظ النشر بمعنى الرياح الطيبة اللينة النافعة التي تنشئ السحاب2251 ، و هي التي تهبّ من كل ناحية.2252

❁ – التفريق للمفعول و عليه فإنّ التفريق يقع على الرياح فيصبح وصفا لها ، و قد يجمع بين المعنيين فنقول إنّ التفريق وقع على الرياح بأمر الله تعالى ،ثمّ جعلها الله سبحانه مفرّقة للسحاب.

2249 – الروم ، **46**

2250 – ينظر جامع البيان ، **21/52–53** ،و زاد المسير **307/6** .

2251 – الفراء ، معاني القرآن ،ج**1** ص **381**

2252 – تحقيق سورة الأنعام و الأعراف و الأنفال من تفسير أبي المظفر السمعاني ، طلال بن مصطفى عرقسوس ،رسالة دكتوراه ، **1986** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ج **2** ص **280**

ب – قراءة " بشرا " بمعنى البشارة و تشير إلى أنواع الرياح النافعة – بإذن الله تعالى – و إلى كمال صورة الرحمة الربانية بما يلي:

✵ – لفظ الإرسال و قد دلّ على المعاني التالية:

– الإطلاق مع الإمهال " أرسل الشيء أطلقه و أمهله."2253

– الانبعاث بقيد الأناة و التؤدة.

– التتابع مع الاستمرار ، و جاؤوا إرسالا أي متتابعين ، و الرسل اللبن الكثير المتتابع 2254 ،و قد اجتمعت هذه المعاني على الإشارة بالبنان إلى تصوير سعة رحمة الله تعالى بعباده ، و شمولها لهم في مشاهد تعدد النعم ، و تنوعها و دوامها عليهم بالاستمرار.

✵ – دلالة التفشّي2255 – في صوت حرف الشين في وجهي القراءتين " نشرا " و " بشرا " – على كمال عموم الإرسال في الرياح ، و انتشار الإنزال ، و شمول الإخراج على وجه يفيد معنى التتابع و الاستمرار بوصف الثبات و اللزوم ، ليبعث حرف الشين بتفشّي صوته المتتابع امتدادا قويا في المعاني ، وتصويرا موحيا في رسم المشاهد الطبيعية مستوحى من عموم الرسالة الربانية يدلّ عليه لفظ السياق السابق و اللاحق من الاستعمال القرآني في الجمع بين تسخير منافع تصريف الآيات المنظورة ، و مقاصد الهداية من تصريف الآيات المسطورة قال تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾"2256 ، و قال تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ

2253 – لسان العرب ، 285/11.

2254 – المصدر نفسه ، 285/11.

2255 – و التفشي من من فَشا يَفْشُو فُشُوًّا وفُشِيًّا، فيقال: فَشا خَبَرُه أي: انتشر وذاعَ، و تَفَشَّى بهم المرض إذا عَمَّهم، والفَواشي كل شيء مُنْتَشر. انظر لسان العرب: مادة " فشا " 155/15 ، و قال مكي عن تفشي الشين: "سميت بذلك؛ لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها... ومعنى التفشي: هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها." انظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط 4 ، 2001م ، دار عمار، عمان ، ص 134. و انظر كذلك الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد ، ط 3 ، 2009 ،دار عمار، عمان ، الأردن ، ص 272.

2256 – الأعراف ،56 – 57

مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ " 2257، و قال تعالى:"أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ "2258، و يتأكد معنى الإرسال بالقرائن اللفظية التالية:

- – دلالة قراءة " بشرا " على معنى الخيرات و البركات ، فالبشارة إذا أطلقت أفادت الخير و إدخال السرور مطلقا ، والمَبَشّراتُ الرِّياح التي تهبّ بالسحاب تبشّر بالغيث ،2259 و قد ثبت صريحا في القرآن بقوله تعالى:" وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ "2260 ليدلّ على بديع قدرته سبحانه ، و كمال صفاته و أسمائه ، و جميل آلائه و نعماءه ، فجعل في هبوب الرياح قرائن تشير إلى رحمته قبل نزولها على عباده تبشّرهم .2261
- – دلالة لفظ " بين يديه " على تتابع الخير و عدم انقطاعه.
- – دلالة الالتفات على كمال الخير و ثباته و استمراره ، فقد التفت القرآن من المفرد إلى الجمع الدال على الشأن و العظمة لإبراز كمال رحمته سبحانه بالعباد ، و اختصاص ذلك به دون غيره من خلال العناية بالإنزال بعد ذكر الإرسال ، أي أنزلنا بعظمتنا بما رتّبنا من إرسال الرّياح من جهة الفوق ماء يقع به عموم الخير.2262
- – دلالة ورود التغاير القرائي في سياق المثل القرآني على أنواع الرّياح النافعة دون غيرها ، فقد ذكر الله تعالى في الآية إحياءين " أحدهما معتبر بالآخر مقيس عليه ، ثمّ ذكر قياسا آخر أنّ من الأرض ما يكون

2257 – الفرقان ، 48 إلى 52

2258 – النمل ، 63 إلى 64

2259 – انظر مقاييس اللغة " بشر " 252/1 ، و الصحاح " بشر " 590/2.، و لسان العرب " بشر " 61/4–63.

2260 – الروم ، 46

2261 – ينظر جامع البيان 52/21–53 ، والجامع لأحكام القرآن 229/7 ، و في ظلال القرآن 2774/5

2262 – انظر تفسير أبي السعود ،ج 6 ص 224، و روح المعاني ، ج19 ص 30 .

أرضا طيّبة فإذا أنزلنا عليها الماء أخرجت نباتها بإذن ربها ، و منها ما يكون أرضا خبيثة لا يخرج نباتها إلاّ نكدا أي قليلا غير منتفع به ، فهذه إذا أنزل عليها الماء لم تخرج ما أخرجت الأرض الطيبة "2263 ، و عليه فالقلب لا يحيا إلا بحياة الوحي كما أنّ الأرض لا تحيا إلا بالماء النافع.

- دلالة المعنى المشترك بين وجهي التغاير القرائي فالله تعالى أرسل " الرياح ليّنا هبوبها طيّبا نسيمها أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا لإحياء بلد ميت قد تعفّت مزارعه ، و درست مشاربه ، و أجدب أهله ، فأنزل به المطر و أخرج به من كل الثمرات."2264

2263 – التفسير القيم، ابن القيم الجوزية ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ص 278

2264 – جامع الطبري ،ج 12 ص492

الخاتمة

الخاتمة.

الحمد له تعالى كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه ،و الثناء عليه سبحانه على عظيم فضله و جميل ستره ، و الشكر له على ما يسّر لنا من تدبّر آيات كتابه ،و البحث في أسرار تغاير قراءات قرآنه.

لقد شرّف الله تعالى اللسان العربي فجعله لغة وحيه فختم بالقرآن الكريم الكتب المنزّلة ، ولغة الرسول صلّى الله عليه و سلّم فختم به الأنبياء و المرسلين ،و من هذا أحسب أنّ البحث قد شرُف – إن شاء الله تعالى – باللسان العربي على العموم ، و بلغة القرآن الكريم على الخصوص.

لقد عشت في رحاب البحث والدراسة أعواما عرفت فيها أوقاتا طيبة كان العطاء فيها يافعا مثمرا ، وهذه نعمة ربّانية لا أحصي الثناء عليها ، فكم تأمّلت آيات التغاير القرائي فتدبّرت معانيها فيحير عقلي في كماله و جلاله سبحانه ، و في جمال كلامه جلّ جلاله ،فما أجد إلاّ عبرتي و قد ذرفت ،أو قشعريرة بجسمي قد ألّمت ،أو بشعور يستحي معه العبد على معصيته ، فهذا حديث عن نعمه فله الفضل و المنّة وحده " و أمّا بنعمة ربّك فحدّث."

البحث دراسة علمية من بابين اثنين أولهما للقسم النظري و فيه أربعة فصول دقّقنا فيه المسائل العلمية المتعلّقة بموضوع القراءات القرآنية و الأحرف السبعة و مباحث الإعجاز من حيث مسائله و ضوابطه و مقاصده و ردّ ضلالات القوم عنه ، أمّا ثانيهما فقد خصّصناه للقسم التطبيقي فوقفنا على صور الإعجاز القرآني و أنواعه موظّفين مختلف العلوم النقلية و العقلية حسب القدرة البشرية ففي محور:

أ – المسائل الكبرى.

إنّ المقصد من البحث الإعجازي في باب التغاير القرائي:

❋ – بيان عظمة القرآن العظيم و قراءاته القرآنية ، و الأعظم فيه أنّ تعدّد وجوه قراءاته و اختلافها دون تعارض أو تناقض هو من أبين الأدلّة و أوضحها على أنّه وحي الله تعالى المعصوم ، و طريقه المستقيم المعلوم ، و من جلال عظمته دلالة كلّ وجه من وجوه التغاير القرائي فيه تواتر أو شذّ على معجزة في نفسه ،و آية باهرة في غيره تدلّ على إعجاز القرآن الكريم.

❋ – إذا كان نقد آيات الكون المنظور فوق متناول العقول مع أنّه لم يقم بها التحدّي، و لا كانت معجزة دالة على صحّة الرسالة الربّانية ، فإنّ نقد آيات القرآن المسطور فوق مدارك العقول و تصوراتها لأنّها المعجزة العظمى الوحيدة التي تحدّى الله تعالى بها الثقلين لتدلّ على نور الهداية الربّانية ، و صدق الدعوة المحمّدية ، و صحّة الرسالة الإلهية ، و عصمة الشريعة الإسلامية.

❋ – مَثَلُ التغاير القرائي في القرآن الكريم مع مقاصد الهداية الربّانية كمثل ثمر أينعت أشجاره ، و كثرت أنواعه ، و تعدّدت أحجامه ، و تباينت ألوانه ، و اختلفت أذواقه ، لكنه سقي بماء واحد فراتا " ..و في الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان تسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون "[2265]،فالقرآن و إن تعدّدت وجوه قراءاته و تغايرت فإنّها تشير ببنان إعجازها إلى عصمة الكلام الإلهي ، و عظمة الشرع الربّاني ، و علو منزلة الرسول صلى الله عليه و سلّم ،و رقي الوظيفة الإنسانية في أكناف الكون المفتوح قال الله تعالى:" أفلا يتدبّرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا." [2266]

❋ – القراءات القرآنية ثروة لغوية عظيمة ، تعتبر على الراجح من الأقوال بعد التحقيق أصل التقعيد النحوي ، و أساس الاحتجاج اللغوي ، و مسلك الاستنباط الفقهي ، و وعاء الأداء الصوتي للقبائل العربية ،و على هذا لا يجوز إهمالها بحال ، أو إسقاط ما دلّت عليه من معنى، أو تقديم – ما لم يدلّ عليه القطع من النقل – عليها بدعوى مخالفة الأفصح أو الأشهر أو الغالب المستعمل ، فكلّ هذه المسوّغات ساقطة عند قدم القاعدة المحكمة:" القراءة سنّة متّبعة."

❋ – على الباحث في باب دلالات وجوه التغاير القرائي أن يتفقّد مفردات التغاير في سياق الكلام ليثبت ما هو أحقّ بالتوجيه و التعليل ، وما أشكل من المعاني و أغلق من المباني ، ومن ثم ّيتنبّه إلى أنّ وضع الألفاظ في غير مواضعها ، أو استبدالها بغيرها ممّا يذهب رونق الفصاحة ،و يفسد طلاوة البلاغة ،و يقبّح المعاني و الدلالات.

2265 – الرعد ، 4

2266 – النساء ، 82

❁ – اختلاف القراءات القرآنية مصدر أصيل في تفسير القرآن بالقرآن لأنّ التعدّد في القراءات يترّل مترلة تعدّد الآيات ، و قد يزيد التعدّد بالتغاير التفسير اتّــساعا في اللطائف العلمية و الأسرار المعرفية من خلال الوقوف على المعاني الإضافية ،و مستتبعات التراكيب اللغوية.

❁ – توجيه التغاير القرائي وظيفة علمية عظمى ، و الوقوف على علله مترلة اجتهادية كبرى ، اجتمعت لتحقيقه علوم الغاية و الآلة ، و معارف الرواية و الدراية لتكون دلائل على المعاني القرآنية ،و المقاصد الربانية ، و الأحكام الشرعية ، و عليه فكلّ من لم يتبيّن له معنى المفردات القرآنية فقد أغلق عليه باب التدبّر ،و أشكل عليه فهم الكلام ، و خفي عنه نظم الآيات و السور ، و اوصدت دونه أبواب العلم بالتفسير ، و اجتثّت منه أذواق الوقوف على إعجاز القرآن الكريم و كان كلامه في معاني القرآن إفرادا و نظما و تغايرا بغير علم و لا كتاب منير أخ الشرك الشنيع ، و منكرا من القول و زورا قال الله تعالى:" قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ماظهر منها و ما بطن و الإثم و البغي بغير الحقّ و أن تشركوا بالله ما لم يترّل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.." [2267]

❁ – البحث الإعجازي باب من أبواب التفسير و عليه فأعظم التقوّل على الله تعالى أن يُحمَل كلامه سبحانه و تعالى على مقرّرات عقلية سابقة ، أو أن يُحاكَم إلى تجارب بشرية ناقصة ، أو أن يُفسَّر بأذواق روحية منكرة فهذا و ذاك من أشنع الإلحاد في كتابه سبحانه و تعالى:" إنّ الذين يُلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة .." [2268] ، و الإلحاد وضع الكلام على غير موضعه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. [2269]

❁ – اختلاف القراءات القرآنية ضرورة شرعية ترتّب عنها تشريع رخصة الأحرف السبعة، و عليه فإنّ كلّ القراءات وحي من الله تعالى استوت في الترول ،فما ثبت له وصف القرآنية فالواجب فيه حكما و أدبا الإعمال ، و حرمة التفاضل بين أفراده بالإهمال ، أمّا ما انتفى عنه وصف القرآنية فكان من الشاذ فيستدلّ به عند الاستنباط الفقهي ،و الاحتجاج اللغوي على الصحيح من مذاهب العلماء توسيعا للدلالات

[2267] – الأعراف ، 33

[2268] – فصّلت ، 40

[2269] – تفسير الطبري ، 24 ، 123

القرآنية أخذا بمذهب الشجاعة العربية ، و بيانا لطرائق البلاغة القرآنية ، و توضيحا لمواقع صور الإعجاز القرآني.

❁ – اختلاف القراءات القرآنية معجزة عظيمة من معجزات الله تبارك وتعالى و يتجلّى إعجاز المعجزة الباهرة في كمال التوافق بين وجوه القراءات المختلفة في المعاني و الدلالات ، و في المعارف و اللطائف ، و في الأحكام و الاستنباطات توافقا معجزا تسّاقط عند عتبة عظمته التناقضات تترى ، و تندحر منتحرة عند باب عصمته الاعتراضات فتخيب صفرا ، كالعبد كلّ على مولاه أينما يوجّهه لا يأتيه بخير.

ب – القراءات القرآنية.

❁ – تتجلّى أهمية القراءات القرآنية في أنها:

– من أجلّ العلوم الشرعية و أسماها قدراً لاتّصالها بالقرآن الكريم.

– لها نصيب في صحّة الفهم لتعلقها بنزول القرآن في سياق رخصة الأحرف السبعة.

– نعمة فُضلى ، ومنقَبة عظمى للنبي صلى الله عليه وسلّم وأمّته لعلّة الاختصاص.

- محلّ اعتناء الصحابة رضي الله عنهم من جهة ضبطها ،و إتقان طرق أدائها منذ نزول الوحي ، فكانوا و من بعدهم مفاتيح الحفظ من التبديل و التحريف قال تعالى:"إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩" [2270]

– من مشكاة فضل القرآن العظيم ، لأنها وقوف على تفاصيل الأداء القرآني ، و تتلخص الفضيلة في وجهين: أحدهما أنّها حوت علوما جليلة ، كعلم الرسم و الضبط ، وعلم توجيه القراءات والاحتجاج لها ، وعلم الفواصل..، و ثانيهما أنّه أصل يعتمد عليه في تفسير القرآن و استنباط صور إعجازه و في النحو والصرف و اللغة ، و في استنباط الأحكام.

❁ – تتجلّى مقاصد الاستدلال بالقراءات القرآنية في أنّها:

– مصدر لاستنباط الأحكام.

– بيان للإبهام و الإجمال و الإشكال.

– معضّدة لدلالة السياق القرآني.

– بيان لسبب النزول.

[2270] – الحجر 9

– تصحيح للفهم ، ودفع للوهم.

– مكمّلة لدلالة النصّ القرآني:

– مبيّنة لعقيدة صحيحة.

❋ – القراءات القرآنية المعتبرة هي التي جمعت الشروط التالية:

– موافقة قواعد اللغة العربية ولو بوجه.

– موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

– صحة السند ،و قد استفاد البحث من كلّ قراءة قرآنية متواترة أو شاذة ليس باعتبارها قرآنًا يتلى و يتعبّد به ، بل باعتبارها خبرًا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه و سلم.

ت – الأحرف السبعة.

❋ – الأحرف السبعة رخصة شرعية ثابتة فلا يجوز الأخذ ببعضها ، و النهي عن البعض الآخر إذ ليس بعضه أولى و أرجح من بعض.

❋ – الحكمة من رخصة الأحرف السبعة التيسير و رفع الحرج ، و هو مقصد متعيّن من يوم التشريع إلى قيام الساعة لعدم ثبوت النسخ ، فلا يجوز التقوّل بسقوط بعض أفرادها دون دليل معتبر.

❋ – المصاحف العثمانية نسخة صحيحة عن الجمع الثاني للقرآن على عهد الخليفة أبي بكر الصدّيق ، وقد كانت مشتملة على الأحرف السبعة ،و الجمع الثاني الأصل فيه العرضة الأخيرة للرّسول صلّى الله عليه و سلّم.

ث – البحث الإعجازي:

❋ – الإعجاز القرآني حقيقة ربانية كبرى أظهرت ارتقاء بلاغة القرآن الكريم إلى حدّ خرج عن طوق الثقلين فأعجزهم ، و فضح عوار ضعف قدرهم فثبّطهم ، و ألجأهم إلى لزوم القصور بعد أن رفع لواء التحدي إلى قيام ساعتهم.

❋ – إذا أطلق لفظ الإعجاز فقد أريد به كمال ضعف المتحدّى و تمام قصوره عن المعارضة ،و الأصل في الضعيف العاجز التأخّر و في القاصر القعود و التثبيط ،فاجتمعت هذه المعاني على موت العزائم و شلل الهمم.

❋ – من القضايا البديهية و الأحكام المسلّمة في الإسلام أنّ الله تعالى ما أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه و سلّم إلاّ لهداية الثقلين لصلاح المعاش و خير المعاد قال تعالى: " ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين "[2271] ، لهذا فالبحث في الإعجاز القرآني ما كان إلاّ لبيان ربانية القرآن ،و انحصار كمال الهداية فيه ، فما العناية بوجوه إعجازه إلاّ لكونه المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلّم ، المعجزة الباقية التي وقع بها تحدّي الثقلين ، و عليه فإنّ إعجاز القرآن مَن تحدّاهم ليس هو الغاية في نفسه ، بل المقصود لازم الإعجاز و مآله ، وهو إظهار ربّانية القرآن الكريم ، وإثبات أحقيّة الكتاب بالحقّ المطلق دون غيره في الهداية إلى صلاح المعاش و فلاح المعاد ، ومقتضى ذلك كلّه إثبات صدق الرسالة المحمدية ،و منه لمّا تعلّق العمل بالقرآن على بيان إعجازه فإنّه " يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ما كان لأصل دينهم قواما ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا ، و لمعجزته ثبتا وحجّة ، لا سيما و الجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس. "[2272]

❋ – إنّ أخطر ما واجه التراث الإسلامي شراسة القول بضلالة الصرفة في القرآن الكريم إذ المقصد من ذلك:

– هدم أعظم أركان القرآن التي تدلّ على ربانيّته و ثمّ على صدق رسالة رسوله و عصمة شريعته.

– إبطال أعظم وسيلة – التحدّي القرآني – توصل إلى بيان المقاصد السابقة.

– لقد تنوّعت طرائق البحث في الإعجاز بناءً على تعدّد اتجاهات العلماء ، فقد استفاد البحث من مسالك اللغويين في الاحتجاج من حيث دلالة الأصوات على المعاني ، و موازين التصريف في معرفة المفردات ، و قواعد النحو في بيان النظم و التركيب ، و النظر في مؤسِسات بلاغة المعاني و فصاحة المباني و حسن جمال الكلام و بديعه ، و استعان البحث كذلك من مناهج الأصوليين في الاستنباط فوظّف قواعد فهم النصوص و بيانها ، و أصول الاستنباط و مناهج الاجتهاد ، كما عرّج على طرق المفسرين في البيان فوقف عند تنوّع البيان و تعدّد الاستنباط ،و أثر مدارسهم في إثراء التراث التفسيري و أخذ من أدوات علماء العقيدة في

2271 – البقرة 1 ، 2

2272 – إعجاز القرآن للباقلاني ، ص 22، 23

الاستقصاء و الاستقراء و الاستدلال كما اسفاد من تجارب أهل العلوم و المعارف حسب موضوع البحث و نوع الإعجاز.

ج – أنواع الإعجاز في القرآن.

❋ - الإعجاز الصوتي و النحوي.

– دلالة الأصوات العربية على المعاني الإعجازية من خلال قاعدتين:

– إعمال الإبدال بين وجوه التغاير القرائي على مستوى الحروف و الحركات.

– إعمال التنغيم بمستوياته للتفريق بين معاني التراكيب و الأساليب.

– دلالة القواعد النحوية على المعاني الإعجازية من خلال ما يلي:

– تأصيل مفهوم الزمن و بيان أهميته في القرآن الكريم.

– تفسير الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم.

– بيان الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية القرآنية بإعمال أسلوب العدول و التحوّل بين الأفعال في القرآن.

– لقد وقف البحث على وثاقة الارتباط ودقّة العلاقة بين القراءات القرآنية و قواعد النحو العربي ، و يتجلّى هذا بوضوح عند الوقوف على حقيقة أنّ النحاة الأُوَل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قرّاء مثل أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي و الكسائي ، ولعــلّ اهتمامهم بالبحث التعليلي للتغاير القرائي بأدوات النحو العربي مكّن من العلاقة الدلالية ،و أسّس قواعد الفهم الصحيح للقرآن الكريم و ثبّتها ، و محق وجوه اللحن و درسها.

❋ - الإعجاز التشريعي و المقاصدي:

– سموّ التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحدّ الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية.

– عجز المشرّعين محاكاة التشريع القرآني ، و إدراكهم كلّ ما فيه من أسرار تشريعية.

– شمول أحكام التشريع الإسلامي الزمان و المكان و الإنسان ليحصل معه كمال الهداية بصلاح الدنيا و الآخرة قال تعالى:" إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم."

- العلم بحقائق الوحي بعد إدراك الفرق الجلي بالموازنة بين مطلق الكمال في التشريع الرباني ، و كمال النقصان في التقنين البشري

- عجز عن تحدّي كمال التشريع الإسلامي ، يدلّ عليه القعود عن محاكاة أحكامه

إنّ الإنسان ليعجب أمام التشريع القرآني ، حيث تتجلّى الدقّة العجيبة في التعبير التشريعي، و يربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عجيب الإيحاء دون الإخلال بترابط النص..، إنّ القرآن الكريم دستور تشريعي كامل سيظلّ إعجازه التشريعي يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة و أرقى مثال.

و اقتصر البحث في الإعجاز التشريعي و المقاصدي على بيان مسألة الوضوء في باب العبادات ،و الجماع زمن الحيض في باب العلاقات الزوجية.

- علاقة الإعجاز التشريعي بالإعجاز الطبّي و اقتصر البحث على:

- الإعجاز الطبّي في العلاقات الزوجية و مثّل له الباحث بالجماع زمن الحيض فوقف على:

- الطب الوقائي الإسلامي بحقيقتين:

الأولى: ضرورة التنبّه إلى مفاسد الأذى و مقاصد الوقاية.

الثانية: ضرورة تنفيذ إجراءات الوقاية على سبيل الجزم بدلالة الأمر باعتزال الجماع زمن الحيض.

- الطب العلاجي الإسلامي بحقيقتين:

الأولى: دلالة طهارة الجسد على طهارة مقصد النكاح.

الثانية: دلالة الطهارة من الحيض على كمال الطهارة الحسية.

- الإعجاز المقاصدي في حفظ مقصد الدين و مثّل له الباحث بدلالة القصص في تجسيد التوحيد و دفع مفسدة الشرك.

- الإعجاز المقاصدي من خلال و بيان قاعدة الدين في الاحتياط بالتشديد في حفظ مقصد العرض.

- الإعجاز المقاصدي و حفظ مقصد العقل من خلال:

- الوقوف على علل التشريع و أسبابه.

- إعمال أصل النظر في المصالح و المفاسد و الموازنة بينهما.

- توظيف قاعدة القياس بالنظر في المآلات.

- بيان مفاسد الفعل المحرّم و عقوباته المغلظة.

❁ – الإعجاز البلاغي.

- لم نقتصر على البحث في إعجاز النظم القرآني و بلاغته على مفهوم النظم عند الجرجاني بل استصحبناه في الدراسة لبيان العلاقة بينه و بين التراكيب النحوية وأهمية البحث فيهما للوصول إلى بلاغة القرآن المعجزة ، ثمّ وسعنا النظر فربطنا بين التراكيب القرآنية و دلالة المناسبة في المفردات و الآيات و السور و صور بيان المعاني و المباني لنجمع بين الإعجاز بالنظم كما قال الجرجاني و بالفصاحة كما قال الخفاجي فنوظّف منهج أبي حيان الأندلسي " فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها ، وتوغل في معارف الآداب وقوانينها ، أدرك بالوجدان أن القرآن في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها ، ونهاية من البلاغة لا يحام عليها."[2273]

❁ – الإعجاز العقائدي.

و البحث فيه للدلالة على قوّة العقيدة في القلوب من خلال نموذجين:

- خلق عيسى عليه السلام فوظفنا أحداث القصص فيها لبيان مشاهد الإعجاز القرآني في تصوير معجزة خلق عيسى عليه السلام.

- البعث و النشور فوظّفنا أحداث قصّة إبراهيم عليه السلام مع الطيور لنستجلي مشاهد إعجاز القرآني في تصوير إعجاز القدرة الإلهية على خرق المعهود.

❁ – الإعجاز النفسي و التربوي.

- دلالة الإعجاز النفسي على تحليل المشاعر الإنسانية و مثلنا له بنفسية الاستكبار عند الطغاة من خلال شخصية فرعون المستبد.

- دلالة الإعجاز التربوي على علل الأمراض التربوية وأسباب سوء الأخلاق الإنسانية ، و مثّلنا له بالنفسية المتكبّرة المتجبّرة.

❁ – إعجاز الرسم القرآني و التصوير الفني من خلال:

[2273] – البحر المحيط ، **8/1**

- الوقوف على قواعد الرسم لفهم العلاقة بين الكون المنظور و الكتاب المسطور فتدرك عظمة المتكلّم سبحانه ،و منزلة كلامه تعالى ، و جمال أسرار الوحي ، و كمال أحكام التشريع ، و جلال منهج ربّ العالمين.

- الوقوف على حقائق التصوير الفني في القرآن في:

- عالم الشهادة بتصوير مشاهد القصص الإنساني و رسم لوحات الصراع بين الحقّ و الباطل.

- في عالم الغيب بتجسيد مظاهر الأنفس في مشاعرها و حقائق مواقفها و بيان مشاهد نعيمها و عذابها.

❋ – الإعجاز العلمي.

فأوضحنا الفروق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي ،ثمّ قعّدنا ضوابط البحث الإعجازي في العلوم المادية للوقوف على حقيقة كمال التوافق بين خلقه سبحانه و أمره،ثمّ مثّلنا بحركة الرّياح لنفسّر الظاهرة و نبيّن فروق مكوناتها و مختلف آثارها لنقف على صورة الإعجاز فيها

و في الختام فإنّ من الحكمة أن يعرف المرء قدر نفسه ، فما قدّمته لا يعدو أن يكون جهد المقل ، ويأبى الله إلا أن يكون الكمال لكتابه العظيم ،و العصمة لرسوله الكريم صلّى الله عليه و سلّم ، فحسبي أنّي بذلت ما و سعته طاقتي ، و أحاط به اجتهادي ، فإن كانت في صواب فالحمد لله تعالى وحده ، وإن كانت دون ذلك فحسبي الوقوف مع كتاب ربي متدبّرا ، و مع صور إعجاز القرآن متأمّلا ، و قد أبلغ العماد الأصفهاني حين قال: " إني رأيت أنهُ لا يكتب انسانٌ كتاباً في يومهِ إلاّ قال في غده : لو غُيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ولو تُرك هــذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. "

الفهارس العامة.

فهرست الآيات القرآنية.

فهرست الأحاديث النبوية.

فهرست الآثار.

فهرست الأشعار.

فهرس المصادر و المراجع

فهرست الآيات القرآنية.

﴿ وما يضلّ به إلاّ الفاسقين ...﴾	سورة البقرة
﴿ ولكم في الأرض مستقر ...﴾	سورة البقرة
﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات ... ﴾	سورة البقرة
﴿ بلاء من ربّكم عظيم ...﴾	سورة البقرة
﴿ أدخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم ...﴾	سورة البقرة
﴿فانفجرت من اثنتا عشرة عينا ...﴾	سورة البقرة
﴿ صفراء فاقع لونها ...﴾	سورة البقرة
﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ...﴾	سورة البقرة
﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ...﴾	سورة البقرة
﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا ...﴾	سورة البقرة
﴿ أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر ...﴾	سورة البقرة
﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ...﴾	سورة البقرة
﴿ وأن تصوموا خير لكم ...﴾	سورة البقرة
﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ...﴾	سورة البقرة
﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ...﴾	سورة البقرة
﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ...﴾	سورة البقرة
﴿ ومن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية...﴾	سورة البقرة
﴿ الحجّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحجّ ...﴾	سورة البقرة
﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ...﴾	سورة البقرة
﴿ ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس ...﴾	سورة البقرة

﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض .. ﴾	سورة البقرة
﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم ...﴾	سورة البقرة
﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ...﴾	سورة البقرة
﴿ والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجا ...﴾	سورة البقرة
﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾	سورة البقرة
﴿ وقوموا لله قانتين﴾	سورة البقرة
﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ...﴾	سورة البقرة
﴿ وسع كرسيّه السموات والأرض ...﴾	سورة البقرة
﴿ ولا يؤوده حفظهما...﴾	سورة البقرة
﴿ وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحي الموتى...﴾	سورة البقرة
﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ...﴾	سورة البقرة
﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ...﴾	سورة البقرة
﴿ ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ...﴾	سورة البقرة
﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ...﴾	سورة البقرة
﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه ...﴾	سورة البقرة
﴿ منه آيات محكمات ...﴾	سورة آل عمران
﴿ وأخر متشابهات﴾	سورة آل عمران
﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ...﴾	سورة آل عمران
﴿ والراسخون في العلم ...﴾	سورة آل عمران
﴿ يقولون آمنا به ...﴾	سورة آل عمران
﴿ ويبرئ الأكمه ...﴾	سورة آل عمران
﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ...﴾	سورة آل عمران
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ...﴾	سورة آل عمران

﴿ والرّسول يدعوكم في أخراكم ...﴾	سورة آل عمران
﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا ...﴾	سورة آل عمران
﴿ سنكتب ما قالوا و قتلهم ...﴾	سورة آل عمران
﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب...﴾	سورة آل عمران
﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا...﴾	سورة آل عمران
﴿واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام ...﴾	سورة النساء
﴿ و إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ...﴾	سورة النساء
﴿ مثنى وثلاث وربا ع...﴾	سورة النساء
﴿ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون ...﴾	سورة النساء
﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرّة ...﴾	سورة النساء
﴿ يودّ الذين كفروا ...﴾	سورة النساء
﴿ ولا يكتمون الله حديثا ...﴾	سورة النساء
﴿يآ أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم ...﴾	سورة النساء
﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ...﴾	سورة النساء
﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمّدا ...﴾	سورة النساء
﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ...﴾	سورة النساء
﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح ...﴾	سورة النساء
﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى ...﴾	سورة النساء
﴿ إنّآ أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ...﴾	سورة النساء
﴿ ويستفتونك في النساء ...﴾	سورة النساء
﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار...﴾	سورة النساء
﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ...﴾	سورة النساء
﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ...﴾	سورة المائدة

﴿ وامسحوا برؤوسكم ...﴾	سورة المائدة
﴿ وإن كنتم جنبا فاطّهروا وإن كنتم مرضى ...﴾	سورة المائدة
﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ...﴾	سورة المائدة
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ...﴾	سورة المائدة
﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ...﴾	سورة المائدة
﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ...﴾	سورة المائدة
﴿ربّنا ما كنّا مشركين ...﴾	سورة الأنعام
﴿الذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ...﴾	سورة الأنعام
﴿ومن ذريّته داود وسليمان ...﴾	سورة الأنعام
﴿إذ الظالمون في غمرات الموت ...﴾	سورة الأنعام
﴿يا معشر الجنّ والإنس ألم ياتكم رسل منكم ...﴾	سورة الأنعام
﴿ولا تاكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق ...﴾	سورة الأنعام
﴿حرث حجر ...﴾	سورة الأنعام
﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم ...﴾	سورة الأنعام
﴿أو فسقا أهل به لغير الله﴾	سورة الأنعام
﴿قل هلمّ شهداءكم ...﴾	سورة الأنعام
﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما ...﴾	سورة الأعراف
﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا ...﴾	سورة الأعراف
﴿أدعوا ربّكم تضرعا وخفية إنّه لا يحبّ المعتدين ...﴾	سورة الأعراف
﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا ...﴾	سورة الأعراف
﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا ...﴾	سورة الأعراف
﴿فانبجست﴾	سورة الأعراف
﴿ومن يشاقق الله والرّسول فإن الله شديد العقاب ...﴾	سورة الأنفال

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ...﴾	سورة الأنفال
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ...﴾	سورة الأنفال
﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ...﴾	سورة الأنفال
﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ...﴾	سورة الأنفال
﴿وَالذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ ...﴾	سورة الأنفال
﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ...﴾	سورة التوبة
﴿لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة ...﴾	سورة التوبة
﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله... ﴾	سورة التوبة
﴿ هل تربّصون بنآ إلاّ إحدى الحسنيين﴾	سورة التوبة
﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ...﴾	سورة التوبة
﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾	سورة التوبة
﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ... ﴾	سورة التوبة
﴿ وَالسَّابِقُونَ الاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالاَنصَارِ... ﴾	سورة التوبة
﴿ إن إبراهيم لأوّاه حليم ... ﴾	سورة التوبة
﴿ ألر تلك ءايات الكتاب الحكيم ...﴾	سورة يونس
﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾	سورة يونس
﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون ...﴾	سورة يونس
﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعلقون ...﴾	سورة يونس
﴿أَلَرَ كِتَابٌ أُحْكِمَتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ...﴾	سورة هود
﴿حتى إذا جاء امرنا وفار التنّور ...﴾	سورة هود
﴿إنك لأنت الحليم الرشيد...﴾	سورة هود
﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل...﴾	سورة هود
﴿واسأل القرية ...﴾	سورة يوسف

﴿و العير ...﴾	سورة يوسف
﴿وإن كنّا لخاطئين ...﴾	سورة يوسف
﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنهم قد كُذِبُوا ...﴾	سورة يوسف
﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ...﴾	سورة إبراهيم
﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ...﴾	سورة إبراهيم
﴿كذّب أصحاب الحجر ...﴾	سورة الحجر
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ...﴾	سورة النحل
﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾	سورة النحل
﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون ..﴾	سورة النحل
﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ...﴾	سورة الإسراء
﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ...﴾	سورة الإسراء
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ اللَّيْلِ ...﴾	سورة الإسراء
﴿وسعى لها سعيها﴾	سورة الإسراء
﴿ولا تقتلوا أولادكم ... ﴾	سورة الإسراء
﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...﴾	سورة الإسراء
﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ...﴾	سورة الإسراء
﴿سرادقها ...﴾	سورة الكهف
﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ...﴾	سورة الكهف
﴿وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ...﴾	سورة الكهف
﴿يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ...﴾	سورة مريم
﴿أقم الصلاة لذكري﴾	سورة طه
﴿وأقم الصلاة للذكرى﴾	سورة طه
﴿ ولأصلبنكم في جذوع النّخل ...﴾	سورة طه

﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ...﴾	سورة الحج
﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ... ﴾	سورة المومنون
﴿قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم﴾	سورة المومنون
﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ...﴾	سورة المومنون
﴿إذ تَلَقَّوْنَهُ بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ...﴾	سورة النور
﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ...﴾	سورة الفرقان
﴿حجرا محجورا ...﴾	سورة الفرقان
﴿والذين لا يشهدون الزور﴾	سورة الفرقان
﴿يسمعونكم﴾	سورة الشعراء
﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ...﴾	سورة الشعراء
﴿وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ...﴾	سورة النمل
﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ...﴾	سورة القصص
﴿إن كادت لتبدي به ...﴾	سورة القصص
﴿لولا أن ربطنا على قلبها ...﴾	سورة القصص
﴿ويكأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ... ﴾	سورة القصص
﴿ألم غلبت الروم في أدنى الارض ...﴾	سورة الروم
﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ...﴾	سورة الروم
﴿أولم يروا أن الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ...﴾	سورة الروم
﴿يَا بُنَيِّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ...﴾	سورة لقمان
﴿وكان الله غفورا رحيما ...﴾	سورة الأحزاب
﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك ...﴾	سورة سبأ
﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ...﴾	سورة فاطر
﴿إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه ...﴾	سورة فاطر

﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ...﴾	سورة فاطر
﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ ...﴾	سورة فاطر
﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ ...﴾	سورة فاطر
﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَكِهُونَ ...﴾	سورة يس
﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ ...﴾	سورة يس
﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ...﴾	سورة الصافات
﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ...﴾	سورة الصافات
﴿ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون﴾	سورة الصافات
﴿حبّ الخير عن ذكر ربّي ...﴾	سورة ص
﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ...﴾	سورة ص
﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج ... ﴾	سورة الزمر
﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ...﴾	سورة الزمر
﴿كتابا متشابها مثاني ...﴾	سورة الزمر
﴿وإن المسرفين هم أصحاب النار ...﴾	سورة غافر
﴿وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ...﴾	سورة غافر
﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ...﴾	سورة فصلت
﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ...﴾	سورة فصلت
﴿إلا المودة في القربى ...﴾	سورة الشورى
﴿وهو الذي يترل الغيث من بعد ما قنطوا ...﴾	سورة الشورى
﴿فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس ...﴾	سورة الدخان
﴿يوم نبطش البطشة الكبرى ...﴾	سورة الدخان
﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ...﴾	سورة محمد
﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾	سورة الأحقاف

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...﴾	سورة الحجرات
﴿يآ أيها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ...﴾	سورة الحجرات
﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ...﴾	سورة ق
﴿والبحر المسجور ...﴾	سورة الطور
﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾	سورة النجم
﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ..﴾	سورة النجم
﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى ...﴾	سورة النجم
﴿أزفت الآزفة﴾	سورة النجم
﴿اقتربت الساعة﴾	سورة القمر
﴿فيهما فاكهة ونخل ورمّان﴾	سورة الرحمن
﴿إذا رجّت الارض رجّا﴾	سورة الواقعة
﴿عربا أترابا...﴾	سورة الواقعة
﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ...﴾	سورة الواقعة
﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ...﴾	سورة الواقعة
﴿وتجعلون شكركم أنّكم تكذبون ...﴾	سورة الواقعة
﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ...﴾	سورة الحشر
﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ...﴾	سورة الصف
﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ...﴾	سورة الجمعة
﴿مثل الذين حملوا التوراة ...﴾	سورة الجمعة
﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾	سورة الجمعة
﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾	سورة الجمعة
﴿وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ﴾	سورة الطلاق
﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ...﴾	سورة الملك

﴿إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأ وأقوم قيلا ...﴾	سورة المزمل
﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾	سورة المدثر
﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾	سورة المدثر
﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر ...﴾	سورة الإنسان
﴿جمالات صفر ...﴾	سورة المرسلات
﴿وكأسا دهاقا ...﴾	سورة النبأ
﴿فالمدبرات أمرا ...﴾	سورة النازعات
﴿أم السماء بناها ...﴾	سورة النازعات
﴿مرفوعة مطهرة ...﴾	سورة عبس
﴿وإذا البحار سجرت ...﴾	سورة التكوير
﴿النفوس زوّجت ...﴾	سورة التكوير
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ...﴾	سورة التكوير
﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ...﴾	سورة التكوير
﴿وما هو على الغيب بضنين ...﴾	سورة التكوير
﴿انفطرت ...﴾	سورة الإنفطار
﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ...﴾	سورة المطففين
﴿انشقّت ...﴾	سورة الإنشقاق
﴿لتركبنّ طبقا عن طبق ...﴾	سورة الإنشقاق
﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ...﴾	سورة الأعلى
﴿مع العسر يسرا ...﴾	سورة الإنشراح
﴿إذا زلزلت الارض زلزالها ...﴾	سورة الزلزلة
﴿بأن ربّك أوحى لها ...﴾	سورة الزلزلة
﴿كالعهن المنفوش ...﴾	سورة القارعة

﴿إنّا أعطيناك الكوثر ...﴾ سورة الكوثر

﴿وامرأته حمّالة الحطب ...﴾ سورة المسد

فهرست الأحاديث النبوية.

– من لا يشكر الناس لا يشكر الله ...

– من أسدى إليكم معروفا فكافئوه،...

– لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل ...

– اللهمّ علّمه الكتاب ...

– خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ...

– لّما نزلت: ﴿الذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ...

– مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ ...

– سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ ...

– من نسي صلاة فليصلّ إذا ذكرها، ...

– إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ...

– بينا أنا أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة ...

– ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ...

–من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ ...

– سألته هل صلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...

– صلوا كما رأيتموني أصلي ...

– أن رجلا قال له: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ...

– كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ...

- لما توفي عبد الله بن أبيّ، جاء ابنه عبد الله ...
- كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه ...
- كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذي الحليفة ...
- لّما عرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكبائر ...
- ألا وقول الزور ...
- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر –ثلاثا–؟ قالوا: ...
- كنّا نغزو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...
- أنّ رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ...
- من حلف يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ...
- أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت –أو في حجرة– ...
- من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ...
- لعلّك آذاك هوامّك" قال نعم يا رسول الله ...
- جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه فسألته عن الفدية ...
- وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية ...
- أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وأنه يسقط ...
- إن كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- ما سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول لأحد ...
- قيل لبني إسرائيل: (أدخلوا الباب سجدا ...
- ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين ...
- لا وصية لوارث ...
- قيل يا رسول الله أيّ الناس أفضل؟ فقال: ...
- قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ...

- قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ ...
- خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ...
- حالا بعد حال ...
- من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ...
- سألت زرّا عن عبد الله (فكان قاب قوسين أو أدنى...
- سألت مجاهدا عن السجدة "ص"؟ فقال: ...
- كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: "يتقدّم الإمام وطائفة ...
- اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ...
- إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ...
- سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ...
- خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهر الحجّ ...
- يأتي على الناس زمان يغزون فيقال: فيكم من صحب ...
- اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ...
- تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (هو الذي أنزل عليك الكتاب ...
- إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، ...
- إن من الشعر حكمة ...
- هل أنت إلا إصبع دميت
- أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد: ...
- أهجهم -أو قال هاجهم- وجبريل معك ...
- لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا ...
- حالا بعد حال ...
- قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ...
- أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ...

- إذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ ...

فهرست الآثار.

- مسروق رضي الله عنه: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ...
- قتادة في قوله تعالى: "ويرى الذين أوتوا العلم ...
- أبي مليكة قال: "رأيت مجاهد يسأل ابن عباس ...
- مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس ...
- إياس ابن معاوية: "مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم بتفسيره ...
- البخاري رحمه الله: "أخرجت هذا الكتاب ...
- أحمد ابن حنبل رحمه الله: "ثلاثة ليس لها أصل: ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل منّا ...
- نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: "محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة ...
- ميمون ابن أبي شبيب: " ... وأردت مرة أن أكتب كتابا ...
- الشافعي رحمه الله: "لقد ألفت هذه الكتب و...
- أحمد بن حفص: "دخلت عليه عند موته فقال: ...
- اللالكائي عن خلف بن محمد البلخي عن أبيه قال: "ذهبت ...
- محمد ابن أبي حاتم الوراق: قلت للبخاريّ: "كيف كان بدء أمرك؟ ...
- البخاري: "كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، ...
- البخاريّ: "أول ما رحلت أقمت سبع سنين و...
- البخاري: "أحفظ سبعين ألف حديث وأكثر، ...
- البخاريّ: "كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا ...
- البخاريّ: "رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كأني ...
- العقيلي: والقول فيها قول البخاريّ وهي صحيحة ...

– البخاريّ: "أخرجت هذا الكتاب من نحو ...

– البخاريّ: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا ...

– البغدادي عن عبد القدوس بن همّام قال: سمعت عدة ...

– البخاريّ: "صنّفت كتابي في المسجد الحرام ...

– محمّد بن أبي حاتم الوراق: "كان أبو عبد الله ...

– محمّد بن حاتم: "رأيت البخاريّ في المنام ...

– البخاريّ: "كتبت عن ألف وثمانين رجلا ...

– البخاريّ : "لقيت أكثر من ألف رجل ...

– البخاريّ: "ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا ...

– البخاريّ : "دخلت بغداد آخر ثمان مرّات ...

– محمد بن يوسف بن عاصم: "رأيت لمحمد بن إسماعيل ...

– محمد ابن أبي حاتم: "رأيت أبا عبد الله ...

– الدارميّ: "محمّد أكيس خلق الله، ...

– سليم بن مجاهد: "ما رأيت بعيني منذ ستين سنة ...

– محمد ابن أبي حاتم قال: "حمل إلى البخاريّ بضاعة ...

– محمد بن منصور: "رفع إنسان قذاة من لحية ...

– البخاري: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا ...

– محمد ابن أبي حاتم: "كان محمد مخصوصا بـــ ...

– حاشد بن عبد الله: "محمد بن إسماعيل أفقه ...

– محمود بن النضر الشافعيّ: "دخلت البصرة و...

– فتح بن نوح النيسابوري: "أتيت علي بن المديني ...

– أحمد بن سلمة البزار: "دخلت على البخاريّ ...

– عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: "سمعته ...

- عبد الواحد بن آدم الطواويسي: "رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- أبو حفص النسفي: "فلما قضى البخاريّ نحبه ...
- محمد بن كعب القرظي قال: "مرّ عمر بن الخطاب...
- مسلم بن يسار رحمه الله: "إذا حدثت عن الله ...
- يعقوبُ بن عبد الرحمن الزهري صالحَ بن كيسان ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "أتجعلون عليها ...
- الزهري: "لا بأس بذبيحة نصارى العرب ...
- مالك: "إنما ألف القرآن على ما كانوا سمعوا ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "كالعهن؛...
- الأعمش؛ "ويسألونك عن الروح ...
- قتادة (وأقم الصلاة للذكرى ...
- ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: (...
- إبراهيم النخعي: "من ترك صلاة واحدة ...
- ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كانت عكاظ و ...
- ابن عباس عن سعيد بن جبير قال: "فكان ابن عباس ...
- عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها ...
- إبراهيم النخعي رحمه الله: "...
- مجاهد: (تَلَقَّوْنَهُ؛ ...
- أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: "حدثنا ...
- ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله ...
- ابن عباس رضي الله عنه: "من نسي فلا بأس...
- أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: "سألتها ...
- سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ...

– أبو بشر: "قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس ...

– عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه: "أن رجلا ...

– ابن عباس رضي الله عنه صريحا بقوله: "كان ...

– الحسن البصري قال: "فلا تعضلوهن ...

– سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "أنزلت ...

– ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسيا ...

– قتادة: "هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...

– عبيدة عن آية من كتاب الله تعالى ...

– عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي لا إله غيره ...

– عمر رضي الله عنه قال: "...

– العوّام بن حوشب قال: سالت مجاهدا ...

– ابن عباس: شكركم ...

– سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير عن ...

– ابن عباس رضي الله عنه قال: "﴿لتركبنّ طبقا عن طبق ...

– ابن عمر رضي الله عنه قال: "إن الناس ...

– سليمان الشيباني قال: "سألت زرّا ...

– حوشب قال: سألت مجاهدا ...

– ابن عمر رضي الله عنه أنه قرأ: "...

– سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي ...

– ابن أبي ليلى قال: "حدّثنا أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ...

– ابن عباس رضي الله عنه في الآية: "...

– عبد الله بن مسعود قال: "كنّا نقول للحيّ إذا كثروا ...

– مسروق قال: "بينما رجل يحدّث في ...

- عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قريش ...
- مجاهد يصف ابن عباس رضي الله عنه: "كان ...
- ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: "...
- سعيد بن جبير قال: "خرج علينا ...
- ابن عبّاس: قسورة؛ ركز الناس وأصواتهم،...
- أبو هريرة: القسورة قسور الأسد ...
- ابن أبي مليكة قال: قال ابن عبّاس ...
- عائشة رضي الله عنها فكانت تقرأ ...
- عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له: "...
- المنهال عن سعيد قال: قال رجل ...
- عروة قال: "سألت عائشة رضي الله عنها فقلت ...
- عبد الله ابن عمر رضي الله عنه: "أشهر الحجّ: ...
- عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجنا مع رسول الله ...
- عليّ عليه السّلام: "الذاريات؛ الرّياح ...
- الزهريّ قال: "كان عروة بن الزبير ...
- ابن عمر رضي الله عنه قوله: "لقد حرّمت الخمر ...
- عمر رضي الله عنه: "إنه قد نزل تحريم الخمر ...
- عطاء سمع ابن عبّاس يقرأ: " وعلى الذين يطوّقونه ...
- مروان الأصفر عن رجل من ...
- ابن أبي مليكة، قال: "رأيت مجاهدا يسأل ...
- سعيد بن جبير: "كنت أكتب عند ابن عباس ...
- قتادة: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ...
- مجاهد: فراشا؛ مهادا ...

- مجاهد قوله: قال تعالى: "ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ...
- مجاهد قال: "الزخرف؛ ...
- عبد الله بن حميد عن مجاهد قال: "كنا لا ندري ما الزخرف ...
- عطاء: "لم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم ...
- ابن جريج: "قلت لعطاء صيد الأنهار ...
- سليمان الشيباني قال: "سألت زرا عن ...
- سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر ...
- أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة ...
- مجاهد قال: "اعملوا ما شئتم ...
- الحسن البصري قال: "إنك لأنت الحليم الرشيد ...
- عكرمة قال: "وكأسا دهاقا ...
- مجاهد: الحلال والحرام ...
- ابن عباس رضي الله عنهما: "لما نزلت: (إن يكن منكم عشرون صابرون ...
- سفيان وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف و ...
- عن سعيد بن المسيب قوله: "البحيرة؛ ...
- علي بن الحسين عليهما السلام ...
- أبي عبيدة: "مثنى وثلاث ورباع ...
- مجاهد قال: (والراسخون في العلم...
- مجاهد فسر قوله تعالى: (كتابا متشابها مثاني...
- ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك والسدي: أنهم ...
- عمر رضي الله عنه: "هو أعلم أمة محمد صلى الله عليه وآله سلم ...
- ابن عباس يعد نفسه من ...
- مجاهد قال: "الآية الكبرى؛ ...

– عطاء: "الإحصار من كل شيء يحبسه ...

– مجاهد قال: "ووالد؛ ...

– عطاء: "يفطر من المرض كله ...

– أبي العالية قال: "مطهرة؛ ...

– مجاهد: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ...

– مجاهد: "لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ...

– الحسن: "أهلكتهم العجمة ...

– ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنّا نقول للحي ...

– معمر: "موالي؛ أولياء ورثة ...

– سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ولكل جعلنا موالي...

– عطاء: "الإحصار من كلّ شيء يحبسه ...

– البخاريّ: حصورا لا يأتي النساء ...

– ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نفشت رعت ليلا ...

– عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة ...

– ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "وريشا؛ المال ...

– مجاهد قوله: "والأكمه من يبصر بالنّهار ولا يبصر بالليل ...

– أبي عبيدة: "هو من يولد أعمى ...

– سعيد بن جبير قوله: "كرسيّه؛ علمه ...

– مجاهد: "ما السماوات والأرض والكرسيّ إلا ...

– ابن عباس رضي الله عنهما: (حبال السفن تجمع ...

– ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "فار التنور: نبع الماء ...

– عكرمة قال: "وفار التنور: وجه الأرض ...

– ابن عبّاس رضي الله عنهما: "نشأ؛ قام بالحبشية ...

- مجاهد قال: "الطور؛ الجبل بالسريانية ...
- سعيد بن جبير قال: "بالنبطية طه؛ يا رجل ...
- عكرمة: "الجبت بلسان الحبشة ...
- ابن عباس: أسفل النار. نفقا سربا ...
- قتادة: الريح؛ الحرب ...
- مجاهد: حمّالة: تمشي بالنميمة ...
- ابن عباس قوله: "من سجيل هي سنك وكل ...
- ابن عباس المرفوع: "حالا بعد حال ...
- أبو الطفيل: "شهدت عليا يخطب ...
- ابن مسعود قوله: "والذي لا إله غيره ...
- أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لو بلغ ابن عباس ...
- أحمد بن حنبل رحمه الله: "بمصر صحيفة في التفسير ...
- علي رضي الله عنه حينما سأله أبو جحيفة قال: ...
- ابن عيينة: ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا ...
- علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه: "إذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: ...

فهرست الأشعار.

قال الشاعر:

كم من كتاب قـــــد تصفّحتـــه   وقـــلت في نفـــــسي أصلحتـــه
حتى إذا طالعته ثـــــانيــــــا   وجـــدت تصـــحيـــفا فصـــححته

ابن دقيق العيد:

يقولون هذا عندنا غيـــر جـــائز   ومن أنـــتم حـــتى يكـــون لكم عند

دعبل:

خليفة مات لم يحزن له أحد   وآخر قام لم يفرح به أحد
فمر ذلك ومرّ الشؤم يتبعه   وقام ذا فقام النحس والنكد

أبو داود الإيادي:

ولـــما أضـــاءت لنا ظـــــلمة   ولاح مـــن الصبح خـــــيط أنار

محمد بن الحاج السفاريني:

وليس في الأمة كالصحابة   في الفضل والمعروف والإصابة
فإنهم قد شاهدوا المختارا   وعاينوا الأسرار والأنوارا
وجاهدوا في الله حتى بانا   دين الهدى وقد سما الأديانا
وقد جاء في محكم التنزيل   من فضلهم ما يشفي للغليل
وفي الأحاديث وفي الآثار   وفي كلام القوم والأشعارا

تميم بن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الأبطال سجينا

النبي صلى الله عليه وآله وسلّم:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

المثقب العبدي:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

شريح ابن أبي أوفى العبسي:

يذكّرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدّم

فهرس المصادر و المراجع

- إبراهيم السامرائي، من بديع لغة التنزيل، ط1، 1404هـ 1984، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط 1961 م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.
- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ط1 ، 1958 ،مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة
- إبراهيم أنيس ، طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، ط 1967، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة.
- إبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب ،القاهرة.
- إبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب.
- إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن أبي الأصبع المصري ،تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن، تحقيق حفني محمد شرف ،دار إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة .
- ابن أبي العز علي بن علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ،ط 1430 هـ ،2009 م، المكتبة الاسلامية، بيروت.
- ابن أبي داود أبو بكر عبد الله ، المصاحف، مؤسسة الخانجي،القاهرة، مصر.
- ابن أبي داود أبو بكر عبد الله بن الأشعث، المصاحف، مصر، مؤسسة الخانجي.
- ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد الأمين بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله عبد الرحمن النفزي ،الرسالة ،دار الفكر، بيروت.
- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط 1،1416هـ-1995م ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن أبي شيبة عبد الله، المصنّف ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث
- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط 1995م ،المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن الأثير ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد و جميل سعيد، ط 1956م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط2 ، 1983، ،منشورات دار الرفاعي، الرياض.
- ابن الأثير مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر، دار الفكر ،بيروت.
- ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ط 1980،دار صادر، بيروت.
- ابن الأنباري أبو البركات ، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد ،ط 1980 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة.
- ابن الباذش الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي ، الإقناع في القراءات السبع ،تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، 1999 ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الباذش الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي ، الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش،ط1، 1403 هـ، دار الفكر ،دمشق.
- ابن البناء المراكشي أبو العباس أحمد، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل ،تحقيق هند شلبي، ط1 ،1990 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،
- ابن الجزري أبو الخيّر شمس الدين ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، مراجعة محمد حبيب الشنقيطي ، وأحمد محمد شاكر ،ط 1980 م ،دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه زكريا عميرات ، ط1، 1420هـ 1999م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن الجزري محمد بن محمد ،طيّبة النشر في القراءات العشر، تحقيق على بن محمد الضباع ،ط 1 ، 1950،مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.
- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.
- ابن الجوزي ، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعرفة، القاهرة.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن ،نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ،ط 1 ،1984 ،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، ط 3 ،1404هـ 1984م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة، تحقيق محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي، ط2، 1399هـ-1979م، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.
- ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي ،غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط 1 ، 1985، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: محمّد الصفطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، مطبعة المعارف نالإسكندرية.
- ابن الحاجب أبو عمر جمال الدين بن عمر ، الشافية في علم التصريف ، تحقيق حسن أحمد العثمان ،ط 1 ، 1415 هـ، المكتبة المكية ،مكة المكرمة.
- ابن الخباز أبو العباس أحمد بن الحسين، الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، تحقيق محمد العبدلي ، ط1،1990، مطبعة العاني، بغداد.
- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح،ط2، 2007 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان، تحقيق احمد مطلوب و خديجة الحديثي، ط1، 1964 ،مطبعة العاني، بغداد،
- ابن السبكي القاضي عبد الوهاب، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم خليل ط1 ، 1421هـ 2201م ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن السراج أبو بكر ، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،ط1، 1985 ،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الشّاط أبو القاسم قاسم بن عبد الله ، إدرار الشروق على أنواء الفروق، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998 ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- ابن الصلاح أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط 1 ،1407 هـ، عالم الكتب،بيروت.
- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري ، أحكام القرآن ، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، ط/1416هـ-1996م ،دار الكتب العلمية.
- ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط 1406هـ، دار ابن كثير، دمشق.
- ابن القيم الجوزية ، التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي ،تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ،بيروت.
- ابن القيم الجوزية ،التبيان في أقسام القرآن، ط1 ،2004 ،دار الأفكار الدولية ،بيروت
- ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ،ط1988/2م ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط ، ط5 ،1407 هـ1987 ،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن القيم الجوزية، التفسير القيّم ، ط 1 ،1990، دار الهلال، بيروت.

- ابن القيم الجوزية، بدائع التفسير ، جمع و مراجعة يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي ،ط 1 ، 1428 هـ، دار ابن الجوزي ،الدمام، السعودية.
- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي،ط 1991 ،دار الفكر ،بيروت.
- ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة و منشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي،ط1، 1996 ،دار ابن عفان، الخبر ، السعودية.
- ابن اللحام أبو الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلي، القواعد والفوائد الأصولية، تصحيح محمد بن شاهين،ط1، 1995 ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الملقن أبو حفص سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد ، تفسير غريب القرآن، تحقيق سمير طه المجذوب، عالم الكتب، بيروت.
- ابن الناظم، شرح على الفية ابن مالك بدر الدين محمد بن محمد بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 2000 ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن النجّار محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير، دار الفكر ،دمشق.
- ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج، الفهرست ، ط 1978م دار المعرفة، بيروت.
- ابن النشّار أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري ،المكرر فيما تواتر من القراءات السبع و تحرر ، مراجعة طارق فتحي ،المكتبة التوفيقية، القاهرة .
- ابن بندار أبو العز محمد الواسطي القلانسي ، إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي في القراءات العشر ، تحقيق عمر حمدان الكبيس ،ط1، 1984 ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.
- ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ،الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط2 ، 1406هـ ،مكتبة ابن تيمية،القاهرة.
- ابن تيمية أبو العباس عبد الحليم، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليند، ط1404/2هـ ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ،شرح العقيدة الواسطية ، ط 2، 1417 هـ 1979 م، مكتبة دار الفيحاء، دمشق.

- ابن تيمية، تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله و القرآن كلام الله، ط 1992،1، دار الصحابة ،طنطا، مصر.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي ،ط ،1412هــ ،1991م ، دار علم الكتب، الرياض.
- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ط1، 1422هــ 2001م، دار الفجر، الجزائر.
- ابن جزي الغرناطي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التزيل ،ط4 ، 1984 ،دار الكتاب العربي ،بيروت.
- ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، ط1 ،1987 ،دار القلم، دمشق.
- ابن جني أبو الفتح عثمان ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ،ط 1415هــ 1994م ، مطابع الأهرام، القاهرة.
- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ،ط 1990 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد.
- ابن جني، كتاب اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، ط 1972م،دار الكتب الثقافية، الكويت.
- ابن حبان أبو حاتم البستي ،الثقات، تحقيق محمد شرف الدين أحمد، ط 1975 ،دار الفكر بيروت.
- ابن حبّان أبو حاتم محمد التميمي ، مشاهير علماء الأمصار ،ط 1959م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، 1997م،دار بن الجوزي، الدمام. السعودية.
- ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هــ-1986م
- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1415هــ 1994م،دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن حجرالعسقلاني ، فتح الباري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،شركة مكتبات عكاظ، جدة، السعودية،
- ابن حزم ، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات و الاعتقادات ،دار الكتب العلمية ،بيروت،
- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، 1407هـ-1987م، دار الجيل، بيروت.
- ابن حمزة يحيى اليماني الذمار، تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب ،تحقيق حسن محمد مقبولي الأهدل،ط3 ، 1995 ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت.
- ابن حنبل الشيباني أحمد ، المسند ، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم آرثر جعفري، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدّمة ، دار الكشاف، بيروت.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، ط 1 ، 1994م ،دار صادر، بيروت.
- ابن رجب الحنبلي ، تفسير القرآن ،جمع و تعليق طارق عوض الله بن محمد ،ط 1 ،2001 ،دار العاصمة، الرياض.
- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، المقدّمات الممهدات، ط 1،1408 هـ،1988م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،ط1، 1409هـ 1989م ، دار الجيل، بيروت.
- ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط4 ، 1972، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت.
- ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ،حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن سعد أبو عبد الله محمد البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر،بيروت، لبنان.

- ابن سلام أبو عبيد القاسم، غريب الحديث ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، ط 1 ، 1396هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن سلوم محمّد بن علي ، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، تحقيق: محمد زهري النجار ،ط 1403هـ 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن سلوم محمد بن علي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ،ط 1، 1386 هـ ،1996 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن شريح أبو عبد الله محمد، الكافي في القراءات السبع، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن عصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي ، تحقيق صاحب أبو جناح ،ط 1980 ،مؤسسة دار الكتب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق.
- ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرب ، تحقيق احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط 1986،مطبعة العاني، بغداد.
- ابن عطية أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي،ط1، 1993 ،دار الكتب العلمية ،لبنان.
- ابن عقيل أبو الوفاء، الواضح في أصول الفقه، تحقيق جورج المقدسي،ط 1 ،1417هـ 1996م ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت.
- ابن غلبون أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم الحلبي، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق أيمن رشدي سويد ،طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ،مكة المكرمة.
- ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسبع، ط1، 1418هـ1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن فارس أحمد الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق إبراهيم شمس ،ط1، 1420 هـ ،دار الكتب العلمية ،بيروت،
- ابن فارس أحمد بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط2، 1420 هـ، دار الجيل ،بيروت.
- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ط 1،1406هـ،1986م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، تفسير غريب القرآن ،تحقيق إبراهيم محمد رمضان ،ط 1 ، 1991 ، دار الهلال ، بيروت.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ،ط 4 ، 1963م، المكتبة التجارية ،مصر.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسي موفق الدين ،روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل، ط 1 ،دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، المغني، بيروت، ط 1403هـ 1983م دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجُنّة المناظر، ط1، 1991م، مطبعة السلفية، حسين داي الجزائر.
- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين ، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1398هـ-1978م.
- ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ،فضائل القرآن، تحقيق أبي إسحاق الحويني ، ط 1 ،1416هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة،ط2 ،1999، دار طيبة للنشر والتوزيع ،المدينة المنورة.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ،بيروت
- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم ط 1 ، 1990م ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد شاكر، ط1، 1403هـ 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مقبل بن الهادي الوادعي، ط 1414 هـ-1993م،
- ابن ماجة أبو عبد الله بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان.
- ابن ماجه القزويني أبو عبد الله محمد بن يزيد، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
- ابن مالك ، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، ط1،1982 ،دار المأمون للتراث، مكة المكرمة.
- ابن مجاهد التميمي أبو بكر أحمد بن موسى ، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، 1400هـ،دار المعارف، القاهرة.
- ابن مضاء القرطبي ،كتاب الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف،ط3 ،1988،دار المعارف، القاهرة.
- ابن معصوم المدني علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق شاكر هادي شكر ،ط1 1969 ،دار النعمان ،النجف ،العراق.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب، ط1، 1990م، دار الفكر، بيروت،
- ابن منقذ أسامة ، البديع في نقد الشعر، تحقيق احمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ط 1960م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،القاهرة.

- ابن مهران أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ابن نجيم، البحر الرائق ،دار المعرفة ، بيروت
- ابن هشام ، السيرة النبوية ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.
- ابن هشام الأنصاري أبو محمد جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تقديم وفهرست حسن حمد وإميل بديع يعقوب ، ط1، 1998،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وسعيد الأفغاني، ط6 ،1985، دار الفكر، بيروت.
- ابن وثيق الأندلسي، الجامع لما يحتاج إليه المصحف ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، ط1، 1408هـ 1988دار الأنبار للطباعة، مطبعة العاني، بغداد.
- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق علي الميس، دار القلم، بيروت.
- أبو الإصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف ، ط1، 1957، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو الأعلى المودودي، تفهيم القرآن، تعريب أحمد إدريس،ط1 ،1978 ،دار القلم، الكويت
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط 1419هـ 1998م،،مؤسسة الرسالة؛ بيروت.
- أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني، بيان المختصر شرح ابن الحاجب، تحقيق محمد مظهر بقا، ط 1، 1406 هـ ،مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.
- أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، شرح عيون الإعراب، تحقيق حنا جميل حداد،ط 1985 ،مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ،ط 1967م،مؤسسة الرسالة،بيروت.

- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط 1399هـ1979م،المكتبة العلمية، بيروت.
- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي ،دار الفكر ،بيروت
- أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، فاتح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق: خليل المنصور، ط1،1997م ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو حيان أثير الدين الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ،ط 1926 ،مطبعة الإخلاص، حماة ،سوريا
- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد و علي محمد معوض ، ط1 ، 1413هـ 1993م ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، السنن ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر، بيروت.
- أبو زهرة محمد ، محاضرات في النصرانية ،ط 4 ، 1404 هـ ،طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد ،الرياض ،السعودية.
- أبو شامة عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق وليد مساعد الطبطبائي ،ط 2 ،1414هـ 1984م ،مكتبة الإمام الذهبي، الرياض
- أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي ،العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد وخليل عطية، دار عصمي للنشر و التوزيع، القاهرة.
- أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ،دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، ط1، 1404هـ، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- أبو عبد الله هارون بن موسى العتكي ، الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن ،ط 1988 ،وزارة الثقافة و الإعلام ،بغداد.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، ط1،1970م ، دار السعادة، مصر.
- أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ ، الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، تحقيق دريد حسن أحمد ،ط 1 ،2002 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت
- أبو غدة عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء ، ط 10 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية، دمشق.
- أبو مظفر السمعاني، قواطع الأدلة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ،ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تحقيق مفيد قمحة ، ط1 ، 1951 ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الشعر والكتابة، تحقيق، محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،ط 1986م،منشورات المكتبة، صيدا، لبنان.
- الأتابكي أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم عليّ طرخان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.
- إحسان عباس، فن الشعر، ط 6 ، 1979 ، دار الثقافة، بيروت.
- أحمد ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.
- أحمد البيلي، الاختلاف في وجوه القراءات ، دار الجبل، بيروت.
- أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط3، 1980م، الدار العربية، بيروت.
- أحمد الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- أحمد بدر ،مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي ،ط 1998،دار قبا "عبده غريب"، القاهرة
- أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة.

- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة.
- أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، تحقيق زهير الشاويش، ط3 ، 1406هـ،المكتب الإسلامي، بيروت.
- أحمد بن أحمد شرشال، مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، ط 1 ،2002 ،دار الحرمين ،القاهرة،
- أحمد بن محمد البنّا ،إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، ط1، 1407 1987 ،عالم الكتب ،بيروت.
- أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ط3 ، 1983م، دار المعارف ، القاهرة.
- أحمد خالد شكري ،بحوث في الإعجاز و التفسير في رسائل النور، ط1، 2004 ، شركة سوزلر للنشر، القاهرة،
- أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ، الفكر التربوي وتطبيقاته،ط1، 1984م، مكتبة وهبة، مصر،
- أحمد شوقي الفنجري ،الطب الوقائي في الإسلام ، ط 3 ،1991 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- أحمد ضياء الدين حسين ، أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي ،ط 1 ، 2005 ،دار الفرقان ،عمان ، الأردن
- أحمد عبد التواب الفيومي، الدلالات فوق التركيبية و رسم المصحف الشريف في ضوء علم اللغة الحديث، ط 1 ،2010 ،المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، ط 1974 ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- أحمد عبد السيد الصاوي ،مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ،دراسة تاريخية فنية ، ط 1988 ،منشأة المعارف ، الأسكندرية.
- أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت.
- أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن ،ط6 ، 1992 ،مؤسسة الرسالة، بيروت،

- أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم و قراءاته، ط 1 ،2002، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض.
- أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ، ط1402، 1هـ 1983م ،مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.
- أحمد مختار عمر، لغة القرآن ،دراسة توثيقية فنية، ط 2 ،1997 ،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- أحمد مصطفى متولي ،الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن و السنة النبوية، ط 1 ، 2005 ،دار ابن الجوزي ،القاهرة ،
- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ،ط 1983،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- الأخفش سعيد بن مسعدة المجاشعي ، معاني القرآن ، تحقيق فائز فارس،ط1979، 1 ،المطبعة العصرية ،الكويت.
- آرثر جفري، مقدمتان في علوم القرآن ، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي ، ط2 ، 1392هـ 1972م ،مكتبة الخانجي، القاهرة ،مصر.
- الأزهري أبو منصور ،معاني القراءات، تحقيق أحمد المزيدي ، ط 1999 ، دار العلمية، بيروت
- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، ط/1964.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
- أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة ،القاهرة.
- الأسدي الجياني أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبدالله ،ديوان الأحكام الكبرى، الإعلام بنوازل الأحكام وقَطرٍ من سير الحكّام ،تحقيق يحي مراد ،ط 1428، دارالحديث، القاهرة.
- الاسكافي الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل،ط1، 1493هـ 1973م، دار الآفاق الجديدة، بيروت،
- الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين ط 1 ، 1392 هـ 1972،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة.

- الأشموني أحمد بن محمد، منار الهدى في بيان الوقف و الابتدا ومعه التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ،ط 1983 ، دار المصحف ،دمشق.
- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء، ط4، 1405هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط2، دار الفكر، بيروت.
- الألباني محمد ناصر الدين ،صحيح السيرة النبوية ،المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن
- الألباني، السلسلة الصحيحة، ط 4 ،1405هـ،1985م ،المكتب الاسلامي، بيروت.
- الألباني، صحيح ابن ماجة، ط 3 ، 1408هـ1988م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي ،بيروت .
- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 1944، المكتبة العلمية ، بيروت.
- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، ط2،1402هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أمين الخولي ، مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب ، ط1 ، 1961م، دار المعرفة ،
- الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم ،الأضداد في اللغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط 1960 ،دار المطبوعات و النشر، القاهرة.
- الأنباري عبد الرحمان بن محمد ،الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ط 1993 ،المكتبة العصرية، بيروت.
- الأنصاري عبد العلي نظام الدين ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، دار الفكر، بيروت.
- الأنصاري أبو زكرياء ، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق محمد عليّ الصابوني، ط2،1408هـ1988م ، مطبعة الرحاب، الجزائر.

- إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، مراجعة أحمد شمس الدين، ط 1 ، 1992 ،دار الكتب العلمية،بيروت.
- الباجي أبو الوليد ،المنتقى على الموطأ ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف ، كتاب الإشارات في أصول الفقه المالكي، تحقيق محمد حريزي، دار الرسالة، الجزائر.
- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط5 ، 1963، دار المعارف، القاهرة.
- البخاري عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط3، 1417هـ1997م ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3 ، 1989م ، دار البشائر الإسلامية ،دمشق.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط1، 1397هـ-1977م، دار الوعي، حلب، سوريا.
- البخاري علاء الدين عبد العزيز ،كشف الأسرار عن فخر الإسلام البزدوي ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا،ط1407،3هـ 1987م،دار ابن كثير، اليمامة.
- البخاري، الجامع الصحيح، ط/1987،دار القلم، بيروت.
- البروسي إسماعيل حقي ، تنوير الأذهان في تفسير روح البيان ،تحقيق محمد علي الصابوني،، ط 2 ، 1409 هـ1989 م، دار القلم، بيروت.
- البعلي أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي ، المطلع على أبواب الفقه، تحقيق محمد بشير الأدلبي، ط 1401هـ 1981 ،المكتب الإسلامي، بيروت،

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، 1417هـ-1996م،دار الكتب العلمية، بيروت.
- البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق ، تحقيق محي الدين إبراهيم ، عيسى الحلبي، القاهرة.
- البغوي ، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط و زهير شاويش، ط2، 1403هـ 1983م، المكتب الاسلامي، بيروت.
- البغوي ، معالم التنزيل ،تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط 2، 1407 ،دار المعرفة، بيروت.
- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل ،تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش،ط4، 1997 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،المدينة المنورة.
- البقاعي برهان الدين ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق، غالب المهدي، ط 1 ،1415 ه 1995 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط 4 ،1980، دار الشروق، القاهرة.
- البهوتي منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط 1، 1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة ،دار الفكر ، بيروت.
- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ،شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط1، 1410هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التبريزي الخطيب ،مشكاة المصابيح ،تحقيق ناصر الدين الألباني،ط3 ، 1405 هـ ،المكتب الإسلامي، بيروت
- التبريزي يحيى بن الخطيب، شرح القصائد العشر، ط1، 1998 م، مؤسسة المعارف، بيروت.
- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة ، الجامع الصحيح ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،دار الكتب العلمية، بيروت

- الترمذي محمد بن سورة أبو عيسى ،مختصر الشمائل المحمدية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.
- التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر ، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق زكرياء عميرات، ط1416/1هـ-1996م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد في علم الكلام ،تحقيق عبد الرحمن عميرة ط 1 ،1409 هـ1989 م ، منشورات الشريف، القاهرة.
- تفسير ابن جريج ،جمع و دراسة علي حسن عبد الغني ، ط1، 1413 هـ،1992 ،مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- تفسير الضحاك، جمع و دراسة و تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي ، ط1 ، 1419 هـ 1999 ،دار السلام ، القاهرة.
- تفسير عبد الرزاق ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ،ط1 ،1989 ،مكتبة الرشد، الرياض.
- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ط 1412 هـ 1993 م، عالم الكتب، القاهرة.
- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 1973 م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ط 1974 م، دار الثقافة ، الدار البيضاء. المغرب.
- تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب، ط1 2006، عالم الكتب، القاهرة.
- التهامي نفرة ،سيكولوجية القصة في القرآن، ط 1971،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس.
- توفيق محمد عز الدين ،دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة،القاهرة.
- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الثعالبي عبد الملك بن محمد أبو منصور ، فقه اللّغة و سر العربيّة، تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار الفكر، بيروت.
- ثعلب أبو العباس، الفصيح، تحقيق: صبحي التميمي، دار الشهاب الجزائر.

- جابر عصفور، الصورة في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط 3 ، 1992 ،المركز الثقافي العربي، بيروت.
- الجاحظ ،البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط5 ، 1985، مطبعة الخانجي ، القاهرة.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2 ،1385هـ 1966م،مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.
- الجاحظ، تهذيب الأخلاق ، ط1 1410 هـ 1989 م ،دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ،القاهرة.
- الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ،ط 1966 ،مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، شرح ياسين الأيوبي، ط 1 ، 2002 ،المكتبة العصرية، بيروت.
- الجرجاني عبد القاهر، الرسالة الشافية ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف،القاهرة.
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط2 ، 1410هـ 1989م مكتبة الخانجي ، بالقاهرة.
- الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، وضع حواشيه محمد باسل العود ،ط 2 ،1424 هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط 1 ، 2002 ،دار الكتاب العربي، بيروت.
- الجصاص أحمد بن علي الرازي، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النشمي، ط1، 1405هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- جميل أحمد ظفر، النحو القرآني، ط2 ،1998 ،مطبعة الصفا، مكة المكرمة.
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2 ، 1978م ،دار العلم للملايين ، القاهرة.

- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 1956، دار الكتاب العربي، مصر.
- الجوهري إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3،1984 م دار العلم للملايين، بيروت.
- الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النيبلي، أحمد المري، ط1، 1417هـ 1997م،مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.
- الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق جعفر الكتّاني، ط 1979، دار الرشيد، بغداد.
- حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي ، القاهرة.
- الحجوي الثعالبي محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ، ط 1، 1416هـ، 1995م ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حسام الألوسي ،الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم ،ط 1،2005،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
- حسام الراوي ، الرسول الطبيب، ط 1، 1999 ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت
- حكمت بن بشير بن ياسين ،موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ط1، 199، دار المآثر ، المدينة المنورة.
- الحكيم بن الاكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر، القاهرة.
- الحلبي علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ط 1400هـ، دار المعرفة ، بيروت.
- حلمي مرزوق ، النقد و الدراسة الأدبية، ط1، 1982 ، دار النهضة العربية، بيروت.
- الحلي صفي الدين، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق نسيب نشاوي ، ط2، 1989م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- الحموي أبو العباس أحمد بن عمر ، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار، ط 1 ،1406هـ، دار القلم، دمشق.
- الحموي أبو بكر تقي الدين ،خزانة الأدب و غاية الأرب ، شرح عصام شعيتو ،ط 1 ،1987، دار الهلال، بيروت.
- حميد احمد عيسى العامري، التقديم والتأخير في القران الكريم، ط 1 ،1996،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- خالد بن عبد الله الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت.
- خالد فائق العبيدي، الرياح و السحب و المياه و البحار ،ط 1 ،2005 ،دار الكتب العلمية، بيروت،
- الخطابي، أبو سليمان، حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، ط2/،1387هـ ،دار المعارف ،القاهرة
- الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة ،تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ط 1969 ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ط4 ،1983 ،الدار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض،
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال ،بيروت
- الخوئي أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين ،ط28، 1410هـ ،قم، إيران
- الدار قطني أبو الحسن علي بن عمر ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق بوران الضنّاوي و كمال يوسف الحوت، ط1، 1985م، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- الدامغاني الحسين بن محمد ، إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، ط3 ،1980 ،دار العلم للملايين ،بيروت،
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن ،ط 2 ، 1997 ،دار الفكر ،دمشق

- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ،المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ،المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد ،ط 1 ، 2010 ،الدار التدمرية ،الرياض .
- الداني أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، ط3، 1985 ،دار الكتاب العربي، بيروت.
- الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، تحقيق: يوسف المرعشلي ، ط 2 ،1987 مطبعة الرسالة ، بيروت.
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، نسخة مكتبة الحامّة ، الجزائر.
- الدهلوي ولي الله أحمد، الفوز الكبير في أصول التفسير، ط 1407/2هـ 1987م دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد، ط 1408هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، ط1، 1404هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان.
- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات ، ط1 ، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، صالح السمر،ط4، 1406هـ 1986م ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرازي أحمد بن محمد بن أحمد بن المظفر ،حجج القرآن، تحقيق أحمد عمر المحمصاني، ط2، 1982 ،دار الرائد، بيروت.
- الرازي فخر الدين ،المحصول في علم الأصول ، تحقيق طه جابر العلواني، ط3، 1418 هـ 1997 ،مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الرازي فخر الدين ،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط1، 1992،دار الجيل، بيروت.
- الرّازي فخر الدين محمد بن عمر ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي ،ط 1985م ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن.
- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ،ترتيب محمود خاطر، دار الفكر ،بيروت ،لبنان.
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، 1418هـ 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب ، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان، ، ط 3 ، 1953، مطبعة الاستقامة، القاهرة،
- الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق عجاج الخطيب،ط3، 1404هـ 1984م، دار الفكر، بيروت.
- رانية محفوظ عثمان الورفلي، الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، ط1 ،2008 ،منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ،ليبيا.
- رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل، ط 2 ، 2001 ، دار السلام ،القاهرة.
- رشدي محمد عليان وقحطان الدوري ،أصول الدين الاسلامي، ط 3، 1406 هـ ،مطبعة الرشاد، بغداد.
- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى ، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، 1986 ،مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول ، دار المعارف، القاهرة، مصر

- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط1984م،دار الفكر، عمان ،الأردن.
- رمضان عبد التواب، العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، ط 1988م ،مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة.
- زاده محيى الدين ،حاشية على تفسير البيضاوي، دار التراث العربي، القاهرة،
- الزبيدي عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ،تحقيق طارق الجنابي ، ط1 ،1987 ،عالم الكتب ، بيروت.
- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت ،الكويت.
- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري ،معاني القرآن و إعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ،ط1 ،1988 ،عالم الكتب ،بيروت.
- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد ، ط 2 ،1986، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون،ط2، 1984 ،طبعة وزارة الإعلام ،الكويت.
- الزرقاني محمد عبد الباقي ،شرح موطّأ الإمام مالك، ط1 ،1411 هـــ ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزرقاني محمد عبد العظيم ،مناهل العرفان في علوم القرآن ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت
- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ، البحر المحيط في أصول الفقه ط1،1414هـــ ،1994م، دار الكتبي، القاهرة.
- الزركشي بدر الدين بن محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، خرّج حديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، 1408هـــ1988م ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984،مكتبة دار التراث، القاهرة.

- الزّمخشري محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2دار المعرفة ،لبنان.
- الزمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشريّ، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- الزملكاني كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري ،المجيد في إعجاز القرآن المجيد، تحقيق شعبان صلاح ،ط 1 ،1989 ،دار الثقافة العربية ،القاهرة،
- الزملكاوي كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي و أحمد مطلوب ، ط1، 1394هـ 1974م ، مطبعة العاني، بغداد.
- زيدان محمود العقرباوي، المرشد في علم التجويد، ط1 ، 2003 م ، دار الفرقان، عمان.
- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط1، 1383هـ–1964م،مطبعة عيسى الباجي الحلبي، القاهرة.
- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي، منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، ،تحقيق سعد الحميري، ط1، دار البشائر الإسلامية، دمشق.
- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي ، معجم الشيوخ، تخريج شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق بشار عواد و رائد يوسف العنبكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، ط1 ، 2004م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ستيفن اولمان ، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر ، ط3 ، 1972، المطبعة العثمانية
- السجاوندي أبو عبد الله محمد بن طيفور ،علل الوقوف، تحقيق محمد بن عبد الله العيدي،ط2، 2006 ،مطبعة الرشد ،الرياض.
- السجستاني أبو بكر محمد بن عزيز ،غريب القرآن، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ،ط 1 ،1995 ،دار قتيبة، الرياض.

- السجلماسي أبومحمد القاسم ،المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي ،ط 1 ، 1980،دار المعارف ،الرباط.
- السرخسي أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، ط/1406هـ، دار المعرفة، بيروت.
- السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد، أصول السرخسي، ط 1402 هـ ،دار الكتاب العربي، بيروت.
- سعد رياض، موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، ط 2008، دار ابن الجوزي، القاهرة.
- السعدي عبد القادر عبد الرحمن ،أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية ، ط 2000 ، دار عمار عمان ،الأردن،
- سعود بن عبد الله الفنيسان، اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره ، ط 1 ،1997 ،دار إشبيليا، الرياض .
- سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار الأرقم ، عمان ،الأردن
- سعيد حوى، جند الله ثقافة وأخلاقا، ط 2 ،1998م ،دار السلام، القاهرة،
- السكّاكي ، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور،ط2 ،1407 ، دار الكتب العلمية بيروت.
- السّكاكي يوسف بن محمد ، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1 ،2000، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السلجماسي أحمد بن المبارك، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، ط 1961،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ،القاهرة.
- سلوى محمد العوا ، الوجوه و النظائر في القرآن،ط1 ،1998 ، دار الشروق، القاهرة
- سماح رافع محمد، أسس علم النفس، ط 1972، الشركة المصرية للطباعة و النشر ،القاهرة.
- سمر العشّا، البسط في القراءات العشر ، ط 2004 ،دار البشائر، دمشق،
- السمرقندي أبو النصر أحمد بن محمد، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط1، 1408هـ 1988م، دار العلوم، بيروت.

- السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ،ط1، 1997 ، دار الوطن ، الرياض.
- سميح عاطف الزين، الأمثال في القرآن، ط 1987 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- سمير شريف إستيتية ،القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، ط 2005 ،عالم الكتب الحديث، الأردن.
- السمين الحلبي أحمد بن يوسف ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،تحقيق أحمد محمد الخراط ،ط 1، 1406 هـ ،دار القلم، دمشق.
- السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ،نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط 1978،منشورات جامعة قاريونس، ليبيا.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ،المكتبة العصرية ،بيروت.
- السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن ، ط2 ، 1992 ،دار الهلال ، بيروت ، لبنان،
- السيد رزق الطويل، في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ط 1 ،1985 ،المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة .
- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط7، 1402هـ 1982 م ، دار الشروق، بيروت.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 10 ، 1982 ، دار الشروق ،القاهرة.
- السيوطي ، التحبير في علم التفسير،ط1 ،1996 ،دار الفكر ، بيروت،
- السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن ، طبقات الحفاظ، ط1403،1هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- السيوطي جلال الدين ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط1، 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- السيوطي جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر ، دمشق.

- السيوطي جلال الدين ،كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب،ط1،1985،دار الكتب العلمية، بيروت،
- السيوطي جلال الدين ،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط1، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، ط1، 1416هـ 1996م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 2،1993، دار ابن كثير ،دمشق.
- السيوطي، الحاوي للفتاوي، ط1412/1هـ 1992م، دار الجيل، بيروت.
- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1 ،2003 ، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية، القاهرة،
- السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، دار الكتاب العربي، بيروت
- السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ط/1409هـ 1989م، دار الكتاب العربيّ، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، تحقيق فؤاد علي منصور، ط 1، 1998 ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت،
- شادية أحمد التل ، علم النفس التربوي ، دار النفائس ،عمان، الأردن.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي، الاعتصام، تحقيق حسن مشهور آل سلمان ، ،السعودية، دار ابن عفان ،الرياض.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الاعتصام ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، ط1،1412هـ 1992م، دار ابن عفان، الرياض.

- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ط1، 1417هـ 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة أصول الفقه، الجزائر، الدار السلفية.
- الشهاب الخفاجي، حاشية على تفسير البيضاوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت
- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم ،مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار ،تحقيق محمد علي آذرشب ، ط1 ، 2008 ،مركز البحوث و الدراسات ،طهران.
- الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط 1396 هـ 1976 م، مطبعة مصطفى الحلبي ،القاهرة.
- الشوكاني محمد بن علي ،إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ط 1979 ،دار المعرفة ، بيروت.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، ط1، 1413 هـ 1993 م، دار الحديث، القاهرة.
- الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت.
- الصابوني أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن ،ثلاث رسائل عقيدة السلف وأصحاب الحديث ،ط 1990 ،مكتبة التراث، بغداد.
- صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ط 1 ، 2001 ، مكتبة العبيكان، الرياض .
- صالح بن عبد الباقي السنباني ، الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية، بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن و السنة،2011 ،
- صالح عبد الكريم ، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم،ط1،2006، دار السلام، القاهرة.
- صبّاح عبيد درّاز، في البلاغة القرآنية ،أسرار الفصل و الوصل ،ط1، 1986 ،مطبعة الأمانة، القاهرة،
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن،ط1983،14م، دار العلم للملايين، بيروت.

- صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ط1، 1418هـ 1998م ، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية.
- صديق بن حسن خان القنوجي، البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط/1412هـ 1992م، المكتبة العصرية، بيروت.
- صفي الرحمن المباركفوري ، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير،ط2، 1421هـ 2000م، دار السلام، الرياض.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفسير، ط 3، 1992م ،دار عمار ،عمان، الأردن
- الصنعاني عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، ط1، 1410هـ،مكتبة الرشد، الرياض،
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير تونس، دار الكتب الشرقية، تونس.
- الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط2 ، 1421 هـ 2001م، دار النفائس الأردن.
- الطبري أبو جعفر محمد جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد محمد شاكر، ط 1408هـ 1988م، مطبعة دار الفكر ،بيروت.
- الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق صديق جميل العطار، ط 1415هـ 1995م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط 1 ،1407 هـ ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ،1960 ،دار المعارف، القاهرة.
- العاملي زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ،ط 1 ،1413هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية،قم، إيران.

- عبد التواب مرسي حسن الأكرت ، الضبط المصحفي نشأته و تطوره، ط 1 ، 2008 ،مكتبة الآداب، القاهرة.
- عبد الحليم سمير، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ،ط 1 ، 2000 ،مكتبة الأحباب، دمشق
- عبد الحليم قابة ، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها ،حجيتها، أحكامها، ط1999 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- عبد الحليم محمد قنبس، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، ط 1987 ،مكتبة لبنان، بيروت.
- عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، ط1997،1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ،القاهرة.
- عبد الحميد أحمد، مع الطب في القرآن الكريم ، ط 1982 ،دار علوم القرآن ، دمشق.
- عبد الحميد حسن ،الأصول الفنية للأدب، ط 2 ،1964، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية ، ط2 ، 1983م ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- عبد الرحمن النحلاوي ،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط1 1979م ،دار الفكر ، دمشق.
- عبد الرحمن النقيب، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق مصطفى مسلم محمد، ط1 ، 1410هـ مكتبة الرشد ، الرياض.
- عبد السلام اللوح، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ط2، 2002 م ،آفاق للنشر والتوزيع ،غزة، فلسطين.
- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ط 2003،المعهد العالي للدراسات الإسلامية
- عبد العال سالم مكرم و أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ط3 ، 1408هـ 1988،مطبوعات جامعة الكويت ،الكويت.
- عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ط 3، 1996 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

- عبد العال سالم مكرم، من الدراسات القرآنية ، ط 1398هـ–1978م،المطبعة العصرية ، الكويت.
- عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و متنه و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، ط1 ،2002 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت.
- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي ، ط 2 ،1984 م، عالم الكتب، بيروت.
- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ط 4 ،1999 ،مطبعة وهبة ، القاهرة،
- عبد الفتاح الزين ، قضايا قرآنية في ضوء الألفية، ط1 ، 1987م الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان.
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، ط1 ، 1424هـ 2004م، دار السلام ،القاهرة.
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ،ط 1 ، 1999،مكتبة السوادي ،جدّة، السعودية.
- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، الرياض.
- عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن، ط 1982، دار المريخ، الرياض.
- عبد الفتاح محمد سلامة، قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين، ، ط 1980م، دار التوفيقية للطباعة ،الأزهر، القاهرة.
- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي ،ط 2003 ، دار الثرات، القاهرة.
- عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين،ط 2 ، 1975م ، دار المعرفة ، بيروت.
- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، درا الفكر العربي، القاهرة.
- عبد الله التليدي ، دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون، ط 1 ،1999،دار ابن حزم، بيروت.
- عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط1، 1970، بيروت،

- عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن الكريم ،ط1، 1426 هـ، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية.
- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق،
- عبد الله محمد رمضان ،الباقلاني وآراؤه الكلامية ،ط 1986،مطبعة الأمة، بغداد.
- عبد المجيد سيد أحمد منصور ،و زكريا أحمد الشربيني و إسماعيل محمد الفقي ، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر ، ط 2002 ،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.
- عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط2 ، 1980م، دار القلم ، بيروت.
- عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط1422،1هـ 2001م ،المكتبة العصرية، بيروت،
- العبكري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ط1، 1979م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبيد بن عبد الله سليمان الجابري، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، ط 1 ،2000 ،مكتبة الفرقان ،عجمان ،الإمارات العربية المتحدة.
- العجلي أبو الحسن أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم اليستوي، ط1، 1415هـ-1985م، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.
- عدنان الشريف ،من علم الطب القرآني ،ط 1 ، 1990 ، دار العلم للملايين، بيروت،
- عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، ط 1 ،1986 ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،
- عدنان زرزور، القرآن و نصوصه، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط 1980 ،مطبعة خالد بن الوليد ،بيروت.
- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه، ط 1 ، 2005 ، دار الإعلام ،عمان الأردن.
- العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، التبصرة والتذكرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الآنام ، ط1 ،2003 ،دار ابن حزم ،بيروت.
- العز بن عبد السلام ،فوائد في مشكل القرآن ،تحقيق سيد رضوان علي، دار الشروق، ط2 ،1982،جدّة السعودية.
- العزّ بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة.
- عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، ط 1992م،دار الكتب العلمية، بيروت،
- العسكري أبو هلال، الفروق في اللغة، ط7/1411هـ-1991م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- العضد ،شرح على ابن الحاجب، تصحيح محمد شعبان، ط 1393 هـ ،نشر مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة.
- العقيلي إسماعيل بن ظافر بن عبد الله ، مرسوم خط المصحف، ،تحقيق محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنايني، ط 1 ، 2009 ،دار طيبة الخضراء ،مكة المكرمة،
- العكبري أبو البقاء ،إعراب القراءات الشواذ، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، ط1 ، 1996 ،مطبعة عالم الكتب، بيروت.
- العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، اللباب في علل البناء و الإعراب ، تحقيق عبد الإله النبهان ،ط 1 ،1995 ،دار الفكر، دمشق.
- العُكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ،التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط2، 1407هـ - 1987م ،دار الجيل، ببيروت.
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.
- العلوي محمد بن احمد بن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول ، ط 1956، المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة.
- العلوي يحيى بن حمزة اليمني ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط1، 1995، مطبعة مؤسسة جواد، بيروت.
- علي أحمد عبد العال الطهطاوي ،الفتح الأنعم في براءة عائشة و مريم، ط1، 2005 ،دار الكتب العلمية ،بيروت.

- علي إسماعيل سيد هنداوي، جامع البيان في معرفة رسم القرآن ،ط 1410 هـ ،دار الفرقان ، الرياض.
- علي عبد الحليم محمود ، التربية الإسلامية في المجتمع ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة
- علي محمد الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، ط1، 1407هـ-1987م ، دار القلم، دمشق.
- علي محمد الضبّاع ، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ط 1،1420 هـ 1999 م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- علي محمد الضباع، إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات السبع ،ط 2006 ،دار الصحابة للتراث، طنطا ،مصر.
- عمر عبد الله محمد المقبل، ليدّبّروا آياته، ط 2010 ، الرياض، السعودية.
- عمر مختار ، علم الدلالة ، أحمد ط5 ، 1998 ،عالم الكتب ،القاهرة.
- عودة خليل أبو عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن، ط1، 1985 ،مكتبة المنار الزرقاء ،الأردن.
- غانم قدوري الحمد ،ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، ط 1 ،2006 ، دار عمّار، عمّان، الأردن
- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط 3 ، 2009، دار عمار، عمان ،الأردن.
- غانم قدوري الحمد، رسم المصحف "دراسة لغوية تاريخية"، ط1، 1982.اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بغداد.
- الغزالي أبو حامد ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط 2 ، 1975 ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت.
- الغزالي أبو حامد ،المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد بن فهد الحلي، ط1 ،1430هـ ،دار الكتب العلمية، بيروت.

- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، ،مطبوع مع فواتح الرحموت ،ط1، 1322هـــ، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر.
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المنخول، تحقيق: محمد حسن هيتو،ط2، 1400هـــ ،دار الفكر، دمشق.
- الغزالي محمد بن محمد أبو حامد ،المنقذ من الضلال ،تحقيق جميل ابراهيم حبيب ،دار القادسية، بغداد.
- الغزي محمد ابن محمد بن محمد ،إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ،تحقيق خليل محمد العربي، ط 1 ،1985،دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
- فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، ط 1 ،1999 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الفارسي أبو علي الحسن ، الحجة للقراء السبعة ، تحقيق بدر الدين قهوجي و بشير جويباتي، ط1 ، 1987 ،دار المأمون للتراث، دمشق.
- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط 1422هـــ 2002، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ،ط 1998 م ،منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، ط 1977م، مكتبة الخانجي، القاهرة،
- فتحي بن الطيب الخماسي، الأحرف السبعة و ارتباطها بالقراءات ، ط1 ،1995 ،دار المعرفة ،دمشق.
- فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، دار الكتب اللبناني ، بيروت.
- فتحي يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ،بيروت
- الفرّاء أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، تحقيق احمد يوسف ومحمد علي النجار ،ط 1 ، 1995 ، دار الكتب المصرية ،القاهرة.

- الفراهي عبد الحميد ، مفردات القرآن، تحقيق محمد أيوب الإصلاحي، ط 1 ،2002 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ،إعجاز القرآن الكريم، ط 7 ،2009 ،دار النفائس، عمان، الأردن
- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها علم البيان ، دار الفرقان ،عمان، الأردن
- فهد بن عبد الرحمن الرومي ، دراسات في علوم القرآن ،ط 14 ،1426 هـ 2005 م ،مكتبة الملك فهد ،الرياض.
- فهد بن عبد الرحمن الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه،ط4، 1419هـ 1999م، مكتبة التوبة، الرياض.
- فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، ط 1 ، 1993 ،دار الصفدي، دمشق.
- الفيروز آبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تحقيق العرقسوسي ، ط5 ، 1406هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الفيومي أحمد بن محمد بن علي الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،المكتبة العلمية، بيروت.
- القاسمي جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية، بيروت
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط3، 1978،مطبعة الرجوي، القاهرة.
- القرافي أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي ، أنوار البروق في أنواء الفروق، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998 ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
- القرطاجني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسرج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ط 1966 ،دار الكتب الشرقية ،تونس.

- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط 1985م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، المكتبة العلمية ، بيروت.
- القرطبي، جامع أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد الكريم راجح، ط2، 1406هـ 1986م ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط 1 ، 1999، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،
- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ط5، 1980 م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- القزويني جلال الدين الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط2، 1932؛ مطبعة الرحمانية، مصر.
- القسطلاني شهاب الدين ،لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان و عبد الصبور شاهين، ط1972 ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة،
- القشيري أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الكريم العطا، مكتبة أبي حنيفة ،بغداد.
- القفطي أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1406هـ-1986م،دار الفكر العربي، القاهرة.
- القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق.
- القمي نظام الدين النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، 1398هـ 1978م، دار الفكر، بيروت.
- القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية على تفسير البيضاوي ،تحقيق عبد الله محمود محمد عمر،ط1، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت.

- القيسراني محمد بن طاهر، تذكرة الحفاظ، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي،ط1، 1415هـ، دار الصميعي، الرياض.
- القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق محيي الدين رمضان ،ط 1394هـ 1974م، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط 1395هـ 1975دار الحرية للطباعة، بغداد.
- القيسي مكي ابن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- القيسي مكي بن أب طالب ، مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث ،دمشق.
- الكاساني علاء الدين ، بدائع الصنائع، ط2، 1982م،دار الكتاب العربي، بيروت،
- الكلاباذي أبو بكر محمد ، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين الفواوي ، ط 2 ،1980،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الكلاعي أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين علي، ط1،1997،عالم الكتب، بيروت.
- كمال الموبل ،آيات طبيعية في القرآن ، ط 1 ، 1995 ،دار الكتب العربية، بيروت.
- الكيا الهراسي عماد الدين بن محمد الطبري ،أحكام القرآن ،ط2، 1985 ،دار الكتب العلمية، بيروت
- المارغيني إبراهيم بن أحمد ، دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الكتب، الجزائر.
- المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق محمد الخراط، ط2، 1985 ،دار القلم ،دمشق.
- ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، دار الرشيد للنشر،بغداد.

- الماوردي ، النكت و العيون ،تحقيق السيد بن عبد المقصود ،ط1، 1992، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق رضوان السيد ، ط1 1987 م ،دار العلوم العربية للنشر،القاهرة.
- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ط 2 ،1996 ،دار المسلم، الرياض.
- المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم ، ط2،1991،دار إحياء الكتب العربية، بيروت
- المباركفوري محمد ، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المبرّد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق تغاريد بيضون و نعيم زرزور، ط2 ، 1989م،دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد ابن محمد بن محمد الغزي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق خليل محمد العربي ،ط 1 ،1985،دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
- محمد أبو الطيب عبد العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ط2، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى،ط 1970 ،دار الفكر العربي ،بيروت.
- محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي ،بيروت.
- محمد إسماعيل إبراهيم ،معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ،ط 1418 هـ1998م، ،دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد إسماعيل الصادي، شرح ديوان جرير، ط 1353هـ، مكتبة النهضة، بغداد.
- محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي علوم القرآن، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط1، 2001 ،دار طوق النجاة، بيروت.
- محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية،ط1،1419 هـ1999م، دار الفكر، دمشق.
- محمد الحسناوي ،الفاصلة في القرآن، ط2، 2000 ،دار عمار ،عمّان الأردن.

- محمد الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي،ط 1396هـ 1976م ،المطبعة الجديدة، دمشق.
- محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ،ط 1 ، 2006، دار العقيدة القاهرة.
- محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ،ط 4 ، 2000 ، دار الشروق، القاهرة.
- محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ط 3 ، 1968،دار الفكر ، بيروت .
- محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري الهروي الشافعي ، الزاهر في غريب ألفاظ القرآن، تحقيق محمد جبر الألفي،ط 1 ، 1399هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- محمد بن عمر بازمول، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام الشرعية، ط1 1417هـ 1996 م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ط 3 ، 1990 ،المكتب الإسلامي، بيروت،
- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية،ط1، 1349هـ، دار الكتاب العربي، بيروت
- محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، ط2، 1972م، دار الرائد العربي، بيروت.
- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة
- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، ط1، 2000 ،دار الشروق، القاهرة.
- محمد خليل الحصري، أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، ط1 ، 2003 ،مكتبة السنة ،القاهرة.
- محمد دالي ،الوحدة الفنية في القصة القرآنية، أمون للطباعة و التجليد ط1 ، 1993
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت.
- محمد رواس قلعجي، لغة القرآن لغة العرب المختارة، ط1 ،1988 ، دار النفائس، عمان ، الأردن.
- محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ط1983،4، دار الشروق، بيروت

- محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، ط1، 1407هـ 1987م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- محمد سالم مكرم ، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، ط 2، 1389 ه/ 1978 م، مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة.
- محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية، ط1، 1998 ،دار الهجرة ،الرياض.
- محمد سمير اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ط1 1398هـ1978م ،دار الكتب الثقافية،الكويت.
- محمد سمير نجيب البدري ، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ط1 ، 1398هـ 1978م ، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- محمد شملول ،إعجاز رسم القرآن، ط3 ،2010 ،دار السلام ،القاهرة.
- محمد طاهر بن عبد القادرالكردي ، تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه، ط 2 ،1953 ،دار الحلبي، القاهرة.
- محمد عبد الخالق عظيمة، اللباب في تصريف الأفعال،ط3، 1382هـ 1962م، دار الحديث، القاهرة.
- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ط 4 ،1977م، دار القلم، الكويت.
- محمد عبد المجيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام ،ط 1983 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.
- محمد عبدالله المهدي البدري ، القرآن الكريم تأريخه وعلومه، ط 1، 1404هـ 1984م،دار القلم ، دبي.
- محمد عبده، رسالة التوحيد ، ط 7، 1412 هـ 1992 م ،دار إحياء العلوم، بيروت،
- محمد عثمان نجاتي ،القرآن و علم النفس، ط7 ، 2001 ،دار الشروق، القاهرة.
- محمد علي أبو حمدة، من أساليب البيان في القرآن، ط 1 ،1978 ،عمان،الأردن.

- محمد علي الجوزو، مفهوم العقل و القلب في القرآن و السنة ، ط2 ، **1983** ،دار العلم للملايين ،بيروت.
- محمد علي الصابوني، تفسيرآيات الأحكام من القرآن ،دار القلم العربي، حلب، سوريا.
- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت.
- محمد محمود حجازي التفسير الواضح، ط **10** ، **1968** ،مطبعة الاستقلال الكبرى ،القاهرة
- محمد وصفي، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، دار الفضيلة ، القاهرة
- محمود بن الشريف، الأمثال في القرآن، دار المعارف، القاهرة. مصر
- محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ،تعليق محمد طلحة بلال منيار، ط **2** ، دار البشائر الإسلامية ،دمشق.
- محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ،ط **2005** دار النشر للجامعات، القاهرة.
- مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة.
- المخزومي أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت.
- المراغي ،تفسير القرآن، ،ط**1**، **1946** ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة.
- المزي عبد الوهاب بن وهبان ، أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار، تحقيق أحمد بن فارس سلوم، ط**1** ، **2004** ،دار ابن حزم، بيروت.
- المزي يوسف بن الزكيّ بن الحجاج ، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط **1/1980**م ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مساعد بن عبد الله السلمان، أسرار الشريعة من أعلام الموقعين ، ط **1** ، **1998** ،دار المسير، الرياض.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح ، ط**1**، **1419**هـ **1998**م، دار السلام، الرياض.

- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، ط1، 1404هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنوّرة، السعودية.
- مصطفى الدبّاغ، وجوه من الإعجاز القرآني، ط 1 ، 1982 ، الزرقاء ،الأردن،
- مصطفى الزرقا ،المدخل الفقهي العام ، دار القلم ،دمشق
- مصطفى بن كرامة الله مخدوم ، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ط 1999م، دار إشبيليا، السعودية،
- مصطفى ديب البغا و محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط 2 ، 1998 ،دار الكلم الطيب، دمشق.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط 8،دار الفكر العربي ،بيروت.
- مصطفى عبد السلام أبو شاذي، الحذف البلاغي في القرآن، ،مكتبة القرآن ،القاهرة.
- المطرزي أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علين المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط1، 1979، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ط 2 ، 1970 ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ط 2 ، 1988 ، مجمع اللغة العربية ،القاهرة.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م، مجمع اللغة العربية، مصر.
- المعلمي اليماني عبد الرحمن بن يحي ، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ط2، 1406 هـ،المكتب الإسلامي، بيروت.
- مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، طبعة 4 ، 2001م، دار عمار، عمان، الأردن.
- مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ،تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث، دمشق.
- مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن، ط35، 1418هـ1988م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط3 ، 1989، مكتبة وهبة، القاهرة.

- المناوي ،فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط 2 ،1972 ،دار المعرفة، بيروت.
- المناوي محمد بن عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف ،تحقيق محمد رضوان الداية ، ط1 1400 هـ، دار الفكر المعاصر ،بيروت.
- منير سلطان ، الصورة الفنية في شعر المتنبي، ط 2002 ،منشأة المعارف، الإسكندرية،
- المهدوي أبو العباس أحمد بن عمّار ، شرح الهداية، تحقيق حازم سعيد حيدر، ط1، 1416هـ 1995م، مكتبة الرشد، الرياض.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط2،1406هـ 1986م ،دار الرائد العربي، بيروت ،لبنان،
- مهنا محمد عبد الكريم وآخرون ،العرض الجديد لأحكام التجويد، ط 2 ،2007
- الموصلي أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط1995م، المكتبة العصرية، بيروت،
- ميّارة أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي ،الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام ، دار المعرفة ،بيروت.
- ميشال عاصي ،الفن والأدب بحث في الجماليات والأنواع الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد ، ط3، 1409هـ 1988،عالم الكتب، بيروت.
- النحاس أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ط1، 1409هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر، دمشق
- النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد ، مدارك التتريل و حقائق التأويل، مطبوعات محمد علي صبيح، ميدان الأزهر ،القاهرة.

- نعمة رحيم العزاوي ، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ط 1978، دار الحرية ، بغداد.
- نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط 1 ،1989، دار الأنبار،
- النّووي أبو زكريا يحي بن شرف ، شرح على صحيح مسلم ، ط 2 ،1972م ،دار إحياء التراث العربي، بيروت،
- النويري أبو القاسم ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، عبد الفتاح سليمان أبو سنة، المطابع الأميرية ،القاهرة.
- النيسابوري محمود بن أبي الحسن بن الحسين ، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق علي بن سليمان العبيد،ط1 ، 1997 ،مطبعة التوبة، الرياض ، السعودية.
- الهائم شهاب الدين أحمد بن محمد المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق فتحي أنور الدابولي ، ط 1 ، 1992م،دار الصحابة للتراث، القاهرة.
- الهمذاني أبو العلاء، غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ،تحقيق أشرف فؤاد طلعت، ط1 ، 1994 ،طباعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، السعودية.
- الهمذاني حسين بن أبي العز ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تحقيق محمد حسن النمر و فؤاد علي مخيمر ، ط1، 1411، دار الثقافة ، قطر.
- الهيثمي علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،تخريج العراقي و الذهبي، ط3، 1403 هـ 1984 م، دار الكتب العربي، بيروت.
- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط1، 1995، دار القلم ، دمشق.
- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ط 8 ، 1984، المختار الإسلامي، القاهرة.
- يحي جبر، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ,سلسلة أسفار العربية، نابلس، فلسطين المحتلة.

فهرس الرسائل الجامعية.

- ابن أبي مريم أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، الموضّح في وجوه القراءات و عللها ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- ابن فورك أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عاطف بن كامل بن صالح بخاري، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى ،مكة المكرمة.
- أبو نصر منصور بن أحمد العراقي، كتاب الإشارة بلطيف العبارة ،تحقيق أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح ،رسالة دكتوراه،**2005** ،جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- البارزي أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم ، البستان في علوم القرآن، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني، رسالة ماجستير،**2007** ، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أمّ القرى ،مكة المكرمة.
- زكرياء الأنصاري ، إعراب القرآن العظيم، تحقيق موسى علي موسى مسعود ، رسالة ماجستير ،**2001** ،جامعة القاهرة.
- زيد بن علي بن مهدي مهارش، ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ، رسالة دكتوراه ،**1426** هـــ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- طلال بن مصطفى عرقسوس، تحقيق سورة الأنعام و الأعراف و الأنفال من تفسير أبي المظفر السمعاني، رسالة دكتوراه ،**1986** ،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عامر عبد محسن السعد ،دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، أطروحة **1995**،كلية الآداب، جامعة البصرة ،العراق.
- عواطف أمين يوسف البساطي ، الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز، رسالة دكتوراه **2008** ،كلية الدعوة و أصول الدين جامعة أم القرى مكة المكرمة.
- فخر الدين عبد الله بن محمد بن قاسم النجري، شافي العليل شرح الخمسمائة آية من التنزيل، ،تحقيق محمد بن صالح العتيك ،رسالة دكتوراه **1406** هـــ ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.

- محمود عنبر، الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني، ماجستير في التفسير، جامعة غزة، فلسطين.
- الوزير الحسين بن علي المغربي، المصابيح في تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد الكريم بن صالح الزهراني ،رسالة دكتوراه ،كلية اللغة ،جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- يسرى محمد ياسين الغباني ، أبو حاتم السجستاني و الدراسات القرآنية، رسالة ماجستير،**1409** هـ، ،كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

فهرس المجلات و الدوريات.

- حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت.
- حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية ، جامعة قطر.
- مجلة الآداب المستنصرية، بغداد.
- المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية ، عمان، الأردن.
- المجلة الجزائرية للاتصال ، معهد العلوم و الاتصال ، الجزائر العاصمة.
- مجلة الحياة ، دورية فكرية ، معهد القرارة بغرداية، الجزائر.
- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة الكويت.
- مجلة العلوم الإسلامية ، الجامعة الإسلامية، غزة.
- مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت .
- مجلة حراء ، علمية ثقافية فصلية ، القاهرة.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا.

فهرس الموضوعات.

- المقدّمة. أ – و
- الباب الأول: القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني.
- الفصل الأول: القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.
- القراءات في اللغة و الاصطلاح. 1 – 6
- القراءات القرآنية أهميتها و مقاصد الاستشهاد بها. 7 – 12
- تراجم القراء العشرة. 13 – 20
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها. 21 – 28
- القراءات الشاذة حقيقتها و حجّيتها. 29 – 33
- الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.
- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية. 37
- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة. 38 – 44
- حقيقة الأحرف السبعة. 45 – 54
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية. 55 – 59
- الفصل الثالث: الإعجاز القرآني حقيقته و شروطه.
- الإعجاز في اللغة و الاصطلاح. 61 – 64
- المعجزة في اللغة و الاصطلاح. 65 – 67
- شروط المعجزة. 67 – 68
- مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن. 68 – 69
- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز. 69 – 70
- الفروق الدلالية للفظ الإعجاز. 71 – 76
- الفصل الرابع: الإعجاز القرآني بين التحدّي و الهداية.
- البحث الإعجازي و الهداية الربّانية. 78 – 81

- القول الموجز في القدر المعجز من القرآن الكريم. 82 – 83
- مستويات التحدّي القرآني. 84
- آيات التحدّي بين تدرّجها و ترتيب نزولها. 85 – 88
- مستويات المخاطَبين في إدراك الإعجاز. 88 – 90
- الصرفة في اللغة و الاصطلاح و مصدرها . 90 – 94
- الصرفة و الإعجاز دراسة و نقد. 95 – 107
- الباب الثاني : التغاير القرائي و وجوه الإعجاز القرآني.
- الفصل الأول : التغاير القرائي بين الإعجاز الصوتي و الإعجاز النحوي.
- التغاير القرائي و الإعجاز الصوتي.
- دلالة الأصوات على المعاني. 110 – 114
- الدلالة الصوتيّة المطردة." الإبدال نموذجا " 115 – 124
- الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي " التنغيم نموذجا." 124 – 138
- التغاير القرائي و الإعجاز النحوي.
- ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها و بيان أهميتها. 139 – 145
- الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية. 146 – 153
- الفصل الثاني: التغاير القرائي و الإعجاز العقائدي.
- التغاير القرائي و إعجاز القدرة الإلهية:" خلق عيسى عليه السلام نموذجا" 155– 171
- التغاير القرائي والإعجاز في بيان الغيب:" البعث و النشور نموذجا " 172 - 192
- الفصل الثالث:التغاير القرائي بين إعجاز نظم القرآن و إعجاز بلاغته.
- النظم النظم القرآني حقيقته ،مستوياته إعجازه. 194 – 207
- إعجاز النظم القرآني " تصوير النعيم نموذجا " 207 – 213
- إعجاز النظم القرآني " تصوير النفس نموذجا " 214 - 218
- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير " قصة آدم نموذجا " 219 – 231

- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير " نقض الشرك نموذجا " 232 - 238
- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف " قصة موسى مع المرأتين نموذجا " 239 – 246
- الفصل الرابع: التغاير القرائي بين إعجاز الرسم القرآني و الإعجاز التصويري.
- إعجاز الرسم القرآني:حقيقته ،مقاصده ،" تصوير النعيم نموذجا " 248 – 290
- الإعجاز التصويري: حقيقته ،مقاصده ،مسالكه " النفس الجاحدة نموذجا" 271 – 291
- الفصل الخامس: – التغاير القرائي بين الإعجاز التشريعي و الإعجاز المقاصدي:
- الإعجاز التشريعي: حقيقته ، أسراره " الوضوء نموذجا " 293 - 318
- الإعجاز التشريعي و الطبي حقيقته ،أسراره " المحيض نموذجا " 319 – 342
- الإعجاز المقاصدي " حفظ الدين و العرض و العقل نموذجا " 343 – 362
- الفصل السادس: التغاير القرائي بين الإعجاز النفسي و الإعجاز التربوي.
- الإعجاز النفسي حقيقته و تاريخه " الاستكبار الفرعوني نموذجا." 363 – 405
- الإعجاز التربوي حقيقته مقاصده " القلب المتكبّر نموذجا " 406 – 439
- الفصل السابع: التغاير القرائي و الإعجاز العلمي
- التفسير العلمي و الإعجاز العلمي الحقيقة ، دوافع الاهتمام. 442 - 448
- الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح . 449 – 468
- الخاتمة. 470 – 482
- الفهارس العامة.
- فهرس الآيات القرآنية . 484 – 494
- فهرس الأحاديث النبوية. 495 – 498
- فهرس الآثار. 499 – 507
- فهرس الأشعار. 508 – 509
- فهرس المصادر و المراجع. 510 – 569
- فهرس الموضوعات. 570 - 573